كتاب

محاضرة الأبرار ومسامرة الأخيار

في الأدبيات والنوادر والأخبار

للشيخ الأكبر العارف بالله العلامة محيي الدين بن عربي
المتوفى سنة ٦٣٨ هجرية

المجلد الأول

دار اليقظة العربية
للتأليف والترجمة والنشر

هذه الطبعة :

من كتاب « محاضرة الأبرار ومسامرة الأخيار » تأليف الشيخ الأكبر، والكبريت الأحمر ، الإمام المجتهد العارف بالله تعالى سيدي محيي‌الدين بن العربي ، قدس الله سره ، ونفعنا به وبعلومه آمين ، اللهم آمين ! بالاستناد الى النسخة الاصليـة المكتوبة بخط المؤلف ، وعلى الطبعـة الأولى لسنة ١١٨٣ هـ ربيع الثاني وعلى طبعة عام ١٣٢٤ هـ في القاهرة .

وقد قـام بمراجعتها ، والوقوف على تصحيحها وضبطها ومقابلتها ، لجنة من أكابر وأفاضل علمـــاء دمشق ، كلفتهم « دار اليقظة العربية » خصيصاً لهذه الغاية الكريمة .

والكتاب ، بحد ذاته ، غني عن التعريف ، لما أودع فيه المؤلف من صنوف الآداب ، وفنون المواعظ والأمثـــال ، والطرائف النادرة ، والأخبار السائرة ، وسيَر الأولين من الأنبياء ، صلوات الله وسلامه عليهم .

بالإضافة الى أخبـار ملوك العرب والعجم ، والحكايات المضحكة ، المسلية ، المنزّهة عن كل هجاء ومثلبة .

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمدُ لله الذي أطلع شمسَ الفوائد في محاضرة الأبرار،وجعل نظام القلائد في مسامرة الأخيار ، وأودع الفرائد في مجاورة الأحرار ، وأوضح الحكم في مجارات الحكماء ، وأبان جوامع الكلم في مبارات العلماء ، وضمن الأسرار في مطارحة الأحبّاء، وأرسل الأرواح في منادخة الاودّاء ، وصلى الله على سيدنا محمد وآله وسلم .

أمـــا بعد فاني اودعت في هذا الكتاب الذي سمّيته محاضرة الأبرار ، ومسامرة الأخيار،ضروباً من الآداب وفنوناً من المواعظ والأمثال والحكايات النادرة ، والاخبار السائرة ، وسيَر الأولين من الانبياء صلوات الله وسلامـه عليهم والأمم ، وأخبار ملوك العرب والعجم ، ومكارم الأخلاق ، وعجائب الإتفاق ، وما رويناه من الأحاديث النبوية في ابتداء هذا الأمر وإنشاء العالم وترتيبه وما أودع الله من عجائب الصنع وبديع الحكمة ، وسردت فيه نبذاً من الإنسان وفنونـاً من مكارم ذوي الاحساب ، وحكايات مضحكة مسلّية ما لم تكن للدين مفسدة مما تستريح النفوس اليها عند ايرادها مما لا أجر فيه ولا وزر .

ونزّهت كتابي هذا عن كل هجاء ومثلبة ، وضمّنته كل ثنـــاء ومنقبة ، وإذا كانت الحكاية المضحكة في رجل معتبر مشهور من أهل الدين أو العـــلم لهفوة صدرت منه ضحك لها الحاضرون، أو فعلة بدت منهم من غير قصد منه اليها فاذكرها لما فيها من الراحة للنفس ، ولا اسمّي الشخص الذي ظهر عليه ذلك حتى تتوفر حرمته ، ولا تزدري لقدره من بعد شهرته وتعظيمه .

وكذلك سَكتُّ في كتابي هذا عما شجر بين الصحابة رضي الله عنهم ، لما يتطرق للنفوس من الترجيح والتجريح ، وغاية ما أذكر لضرورة ثنـــاء ومنقبة ومحمدة ومثلبة ، يتخللها شيء من ذكر مثالب أقوال فيهـا فأسمعه ما يكره ، ولا أذكر ما قال حتى لا أذكر الغيبة ، ولا أفوه بما فيه ريبة .

فمدار هذا الكتاب على هذا الفن وما شاكله ، وفيه أقول محاضرة الأبرار خير كتاب، لبّ اللباب، ونزهة الألباب، جمعت فنون حقائق ودقائق، ولطايف من نزهة الآداب، وعوارف وخلايف، ومكارم تعزى لقوم من ذوي الأحساب، وعجايب ومواعظ فيها ، وقد ضمّنتها نُبذاً من الأنساب .

شعر :

عذراء قد كشف البيَان قناعَها كالبدر أسْفرَ من قناع سَحاب

فصـــل

فيما ذكره الناس في شرف مجالسة الكتب دون الناس ، وما في ذلك من السلامة في الدين ، أنشد ابو الحسن بن جابر الزيّات :

كتابُ الله أصدق كل قيـلِ رواه المصْطفى عن جبْرئيلِ
عن اللوح المحيط بكل شيءٍ عن القلم الرفيع عن الجليل

قال بعضهم : الكتاب نعم الذخر والعقدة ، والجليس والعمدة ، ونعم النشرة والنزهة ، ونعم المشتغل والحرفة، ونعم الأنيس بساعة الوحدة ، ونعم المعرفة ببلاد الغربة ، ونعم القربة والدخيل ، ونعم الوزير والنزيل .

شعر :

احضر بنفسك في مجارات الهوى ... واحضر بقلبك في مبارات النهى

وانثر من العلم النفيس نفائساً ... من لؤلؤ التوحيد من سلك النـّها

وابرز لنا من خلف أردية الصّبا ... رعبوبة من دون أخمصها السّها

لو أنها برزت لأشمط راهب ... فات العبّاد عبّادة لو أنـّها

ودعته تطلبُ منه ما خلقت له ... متذكراً نهي المسيح لما انتهى

طوعاً وكرهاً ما يجابُ لأنها ... تدعو فتسمَعُ بالأسنـّة والنـّهى

فاعكف على هذا الكتاب مقدساً ... لله جــلّ ثناؤه ومُنزّها

وانظر بعقلك فيه نظرة ناصحٍ ... فطن تجده مذكـّراً ومنبّها

وانثر عليه لآلئاً من عقده ... يعصمه ذاك النثر أن يتألـّها

وإذا رأيتَ مشمّراً في سَيره ... حكم الوَني في عزمه فتولـّها

قال بعضهم : الكتاب وعاء ملآن علماً وظرفاً حشي ظرفاً ، وإناء حشي مزاحاً ، إن شئت كان أعيا باقل ، وإن شئت كان أبلغ من سحبان وائل ، وإن شئت سردت نوادره ، وشجتك مواعظه .

ومما حدّثني فيما يرجع في قول الشعر اليه شيخنا ابو عبد الله محمد بن سعيد عن شيخه ابي محمد بن عبد الله بن عبدون الكاتب قال : حملني أبي الى الاستاذ لأنظر عليه شيئاً من كتب الأدب ، وكنت قد بدأت قول الشعر قليلاً قال : فأراد الاستاذ امتحاني في ذلك، وتعرض لتقبيح الشعر، فقال لي: يا ولدي، بلغني أنك تكتب على صغرك ، فقلت : هو كما قيل لك ، فقال : اجز الشعر خطة

خسف ، فقلت : لكل طالب عرف للشيخ عيبة عيب، وللفتى طرف ظرف، فاستحسنه الشيخ .

حدّثني أبو جعفر بن يحيى بقرطبة قال عبد الله بن عبد العزيز بن عبد الله ابن سيدي عمر بن الخطاب رضي الله عنه، وقد سأله بعض اصحابه ، وكان لا يجالس الناس ولا يُرى إلا وفي يده كتاب ، فقال في ذلك : لم أرَ آنس من كتاب ، ولا أسلم من الوحدة .

وقال بعضهم : ما رأيت بستاناً يحمل في ردن ، وروضة تنقل في حجر ينطق عن الموتى ، ويترجم عن الأحياء ، من الكتاب لك بؤنس لا ينام إلا بنومك، ولا ينطق إلا بما تهوى، آمن من الأرض، وأكتم للسر من صاحب السر، وأحفظ للوديعة من أرباب الوديعة، ولا أعلم جاراً أبرّ، ولا خليطاً أنصف، ولا رفيقاً أطوع، ولا معلّم أخضع، ولا صاحب أظهر كفاية وعناية، ولا أقل إبراماً وإملالاً، ولا أبعد من مرا ، ولا أترك لشغب، ولا أزهد في جدال ولا أكفّ عن قتال من كتاب .

ودخلت على بعض من مشايخي وقد جلس في حضيره من كتبه وقال : اذا اردتُ محادثة الحق أُحدّث المصحف ، فلا ازال أُناجيه ويناجيني ، واذا أردت محادثة الرسول ﷺ ، اخذت كتاب حديث وكذلك كل من اردت مناجاته من الأولين والآخرين ، ثم اني اجالس من لا يتم ، بمجلسي ولا ينقل حديثي ، ثم أنشدني لبعضهم :

لنا جلسَاءٌ لا نملّ حديثُهم ألبّاء مأمومون غيباً ومشهَدا
اذا ما خلونا كان خير حديثهم معيناً على نفي الهمُوم مؤيّدا
يفيدُوننا من عندهم علم من مضى وعقلاً وتأديباً ورأياً مسدّدا

فلا ريبة تخشى ولا سوءَ عشرةٍ ولا تتقي منهم لسَاناً ولا يَدا
فإن قلتَ امواتاً فلست بكاذب وإن قلتَ احيَاءً فلست مقيّدا

وقال لي بعض الأدباء : قال مصعب بن الزبير : ان الناس يتحرفون بأحسن ما يحفظون، ويحفظون احسن ما يكتبون، ويكتبون احسن ما يسمعون، فإذا اخذت الأدب فخذه من افواه الرجـال فانك لا تسمع إلا مختاراً، ولؤلؤاً منثوراً .

ولنا فيه شعر :

سميري لا يـــنام ولا يَنـُمّ حفيظ للذي يلقى كتومُ

وأهدى بعض الكتّاب الى صديق له دفتراً وكتب اليه : هديتي هـذه أعزك الله، تزكو على الإنفاق، وتربو على الكد، لا يفسدها العواري، ولا يخلقها كثرة التقليب ، وهي أنس في الليل والنهار، والسفر والحضر، تصلح للدنيـا والآخرة ، وتؤنس في الخلوة ، وتمنع من الوحدة ، مسامر مساعد ، ومحدّث مطاوع ، ونديم صديق .

قال الجاحظ: لا أعلم ما جاء في حداثة سنـّه، ولا قرب ميلاده، ورخص ثمنه، وإمكان وجوده يجمع بين السيَر العجيبة، والعلوم الغريبة، ومن آثار العقول الصحيحة ، ومحمود الأذهان اللطيفة ، ومن الحِكم الرفيعة ، والمذاهب القديمة، والتجارب الحكيمة، والاخبار عن القرون الماضية، والبلاد النازحة، والأمثال السائرة ، والأمم البائدة ما تجمعه كتاب ، ومَنْ لك بزائر ان شئت كانت زيارته غبّاً، وورده جماً، وإن شئت لزمك لزوم الظل، وكان منك كمكان بعضك.

شعر :

أما لو أعي كلما اسمَعُ ... واحفظ من ذاك ما اجمَعُ
ولم استفد غير ما قد جمعْـ ... ـتُ لقيل هو العالمُ المصْقعُ
ولكنّ نفسي الى كلّ عالمٍ ... من العــلم تسْمعه فتَنزع
فلا أنا احفظ ما قدْ جمعـ ... ـتُ ولا أنا من جمعْه أشبَع
ومنْ يكُ في علمه هكذا ... يكنْ دهره القهْقرى يرجع
يَضيـعُ من المال ما قد جمعـ ... ـتَ وعلمُك في الكتب مستْودع
اذا لم تكن حافظاً واعياً ... فجمعُكَ للكتُب لا ينفعُ

قال الزهري : اذا سمعت أدباً فاكتبه ولو في حائط . وقال لقمان لإبنه : يا ُبنيّ نافس في طلب العلم ، فإنه ميراث غير مسلوب ، وقرين غير مغلوب .

ورأيت شيخنا ابا عبد الله بن القسوم المالكيّ الصالح العالم ، وهو على كبر سنه يشتري ورقاً ، فسألته عن ذلك مع شغله بالعبادة ؟ فقـال لي : اوصاني شيخي ابو عبد الله بن المجاهد فقـال لي : ان استطعت أن لا تموت إلا وأنت طالب تكتب العلم ، والأدب فافعل .

وروينا مثل ذلك عن المأمون قال له منصور بن المهدي : أيحسن بنـــا طلب العلم والادب قال: والله لأن اموت طالباً للعلم،خيراً من أن أعيش قانعاً بالجهل . قال : والى متى يحسن بي ذلك ؟ قال : مـــا حسُنت الحياة بك . وأنشدني ابو عبد الله بن عبد الرحمن في ذلك :

كتابي فيه بستاني وراحي ... ومنه سمير نفسي والنديمُ
يُسالمني وكلّ الناس حرْبٌ ... ويسلـّيني اذا عرتِ الهمومُ
ويحْيي لي تصَفح صَفحتيهِ ... كرام الناس إذ فقد الكريمُ
اذا عوج عليّ طريق امْري ... فلي فيـــه طريق مستْقيمُ

وكلما سطّرته في كتابي هذا فمنه ما شاهدته، أو حدثني من شاهده، ومنه ما نقلته من كتب مشهورة رويتها سماعاً، او قراءة، او مداولة، او كتابة، مثل كتاب : الإمتناع والمؤانسة ، للفاضل الاديب النحرير ابي حيـان التوحيدي رحمه الله تعالى. وكتاب المجالسة، لأحمد بن مروان المالكي الدينوري رحمه الله تعالى . وكتاب بهجة الاسرار ، للامام ابن جهضة رحمه الله تعالى . وكتاب مناقب الابرار، للامام تاج الاسلام ابي عبدالله الحسين بن نصر بن محمد بن خميس رحمه الله تعالى . وكتاب المبتدأ ، لاسحاق بن بشر القرشي رحمه الله تعالى . وكتاب حلية الاولياء ، لأبي نعيم احمد بن عبد الله الحافظ رحمه الله تعالى . وكتاب دلائل النبوة ، لأبي بكر احمد بن عبد الله رحمه الله تعالى . وكتاب السيرة، للشيخ الامام الحافظ محمد بن اسحاق المطّلبي رحمه الله تعالى. وكتاب السيرة ، للامام ابي عبد الله محمد بن عبد الملك بن هشام رحمه الله تعـالى . وكتاب صفوة الصفوة ، للامام الحافظ الواعظ ابي الفرج عبد الرحمن بن علي الجوزيّ رحمه الله تعالى. وكتاب مسند الشهاب، للامام الفاضل محمد بن سلامة القضاعيّ رحمه الله تعالى . وكتاب مقامات الأولياء ، للامام ابي عبدالرحمن السلميّ الصوفي رحمه الله تعالى. وكتاب الرسالة الصوفية، للامام الصوفي المذكور عبد الكريم ، من هوازن القشيريّ رحمـه الله تعالى . وكتاب مثـير الغرام الساكن ، لأبي الفرح عبد الرحمن بن عليّ بن محمد الجوزي رحمـه الله تعالى . وكتاب المسند، للازرقي في مكة، لأبي الوليد محمد بن عبدالله بن احمد بن محمد بن الوليد بن عقبة بن الأزرق بن عمرو القضاعي الأرزقي رحمه الله تعالى. وكتاب المسند الكبير، للامام الحافظ احمد بن حنبل رضي الله عنه . وكتاب السنن، للامام ابي داود سليمان بن اشعب السجستاني . وكتاب الترمذي ، لأبي عيسى محمد بن عيسى الحافظ . وكتاب الصحيح ، للامام ابي الحسن مسلم بن الحجاج القشيريّ . وكتاب للامام ابي عبدالله محمد بن اسمعيل البخاري الجعفي رحمه

الله تعالى. وكتاب العزلة، لأبي سليمان احمد بن ابراهيم بن الخطّاب الخطابي. وكتاب طبقات الصوفية ، للشيخ الإمام العارف ابي عبد الرحمن السلمي . وكتاب شرح السنّة، للامام سيدي ابي محمد الحسين بن محمد البغوي رحمه الله تعالى . وكتاب مسند الإمام عبد الله بن حميد محمد بن اسمعيل البخاري رحمه الله تعالى. وكتاب ريحانة العاشق، للأديب الجليل ابي القاسم المسور. وكتاب الأمالي ، لأبي المعالي البغدادي نزيل قرطبة . وكتاب روضة الأنس، لشيخنا الضرير ابي زيد السهيلي المالكي الإمام رحمه الله . وكتاب الكامل، للأديب اللغوي ابي العباس المبرّد رحمه الله تعالى . وكتاب زهرة الأدب ، للحضري رحمه الى تعالى . وكتاب المحاسن والأضداد ، لأبي عثمان عمرو بن عمر الجاحظ رحمه الله تعالى . وكتاب معاناة العقل ، للمهذب ثابت بن عنيني الحلوي قرأه علينا بالموصل . وكتاب الحماسة، لأبي تمام . والحماسة الحلوية، وهي من مؤلفها وقرأه علينا. وكتاب النور، للأديب الفاضل وكتاب درجات التائبين ومقامات القاصدين، للهرويّ. وكتاب الفردوس، لأبي شجاع سبروية بن شهروية الهمداني الديلمي رحمه الله تعالى . وكتاب اللمعة لأبي عبد الله محمد بن قاسم بن عبد الرحمن بن عبد الكريم التيمي الفاسي . سمعناه منه ، الى غير ذلك من الكتب المشهورة ، والكراريس، والمفاريد ، والأجزاء الغريبة ، التي لا تحصى كثرة ، وجعلته مجالس .

وقد قدّمت في صدر هذا الكتاب اسانيد الى الذين أقول عنهم ، وروينا من حديث فلان متصلاً وقد اسوق اسناد ذلك المذكور الى الخبر وقد لا لا أسوقه على حسب ما يتفق ؛ وأودعته ايضاً مما لنا من منظوم في فنون مختلفة من ادبٍ ونسيب، ومعرفة وحكمة ، ومفاخرة بحسب وحماسة ، وغير ذلك مما تقف عليه ان شاء الله تعالى والله اعلم وبه استعين .

بسم الله الرحمن الرحيم

ذكر الأسانيد المتصلة الى الدين ، اقول فيهم : روينا عن فلان. فمن ذلك إذا قلت: روينا من حديث ابن اسحاق، فهو ما حدثنا محمد بن موسى القرطبي عن المبارك بن علي بن الحسين، عن ابي القاسم هبة الله بن احمد بن عمر، عن محمد بن علي العشاري، عن احمد بن محمد بن ابي موسى بن ابراهيم العمد، عن محمد بن عبدالله بن احمد، عن احمد بن محمد بن الوليد، عن سعد بن سالم، عن عثمان بن ساج ، عن محمد بن اسحاق المطلبي .

واذا قلت : روينا من حديث بن الأشعث ، فهو ما حدّثناه نصر بن ابي الفرج بن علي الحضري، عن ابي جعفر محمد بن عليّ بن محمد بن احمد التلمساني، عن أبي بكر احمد بن علي بن ثابت الخطيب ، عن أبي عمرو القاسم بن جعفر ابن عبد الواحد الهاشمي البصري، عن ابي محمد بن احمد بن عمر اللؤلؤي، عن ابي داود بن الأشعث .

واذا قلت: روينا من حديث ابن هشام، فهو ما حدّثنا به عبدالواحد بن اسمعيل، عن ابي حفص عمر بن عبد الحميد بن عمر بن الحسين بن عمر بن احمد القرشي الدارمي، ثم الرياشي أجازة، قال: حدثنا ابو محمد عبدالمعطي بن المسافر

بالاسكندرية قال: ثنا ابواسحق ابراهيم بن سعيد الحبّال، ابنا ابو محمد عبدالرحمن ابن عمر النحاس، ابنا عبدالله بن جعفر بن الوردي، عن ابي محمد بن عبدالرحيم ابن عبد الله البرقيّ، عن ابن محمد عبدالملك بن هشام .

واذا قلت روينا من حديث مروان فهو ما حدثنا به عبد الرحمن بن علي قال: ثنا عبدالوهاب بن جعفر بن احمد بن عبدالعزيز بن الحسين الضراب، عن ابيه عن احمد بن مروان .

واذا قلت: روينا من حديث المالكي، فهو ما ثنا به ابو بكر بن ابي الفتح السجستاني، عن محمد بن احمد بن حمدان، عن ابي الحسين عليّ بن الجسين بن عمر الموصلي الفرّا ، عن عبد العزيز بن الحسين بن اسماعيل بن محمد الضرّاب ، عن ابيه ، عن احمد بن مروان المالكي .

واذا قلت: روينا من حديث عبدالملك، فهو ما حدثنا به القاضي ابو عبدالله محمد بن زرقون، عن سفيان بن العاص، عن ابي الوليد بن سعيد الكتاني الوقسي ابي عمر بن احمد بن محمد الطلمنكي ، عن ابن عون الله عن ابي الورد ، عن البرقي ، عن عبد الملك بن هشام .

واذا قلت: روينا من حديث الدينوري، فهو ما ثنا به يونس بن يحيى، عن ابي بكر محمد بن ابي منصور ، عن ابي ظاهر بن الصقر ، عن هبة الله بن ابراهيم الصرف، عن الحسن بن اسماعيل الضراب، عن احمد بن مروان المالكي الدينوري .

واذا قلت: روينا من حديث اسحاق بن بشر، فهو ما ثنا به عبد الواحد ابن اسماعيل عن عمر بن عبدالحميد، عن أبي الماضى عطية بن علي الفهري، عن ابي عبدالله محمد بن احمد الرازي ، عن ابي عبد الله الحسن بن يحيى بن

عبدالرحمن التميمي الحكّاك، عن ابي القاسم عبيدالله بن محمد بن احمد بن جعفر السقطي، عن ابي بكر احمد بن السندي ابن الحسن الحداد، عن ابي محمد الحسن ابن علويه القطّان ، عن اسماعيل بن عيسى القطاطر ، عن اسحاق بن بشر القرشي .

واذا قلت روينا عن ابي نعيم، فهو ما ثنا به احمد بن محمد بن احمد ، عن القاشاني ، عن ابي نعيم .

واذا قلت: روينا من حديث احمد بن عبدالله، فهو ما ثنا به محمد بن ابي الفتح السحري، عن ابي الحسن علي بن ابراهيم بن نجا بن غنايم الأنصاري، عن سعد الخير محمد بن سهل ، عن ابي سعد بن محمد بن محمد بن محمد المطرز ، عن احمد ابن عبد الله .

واذا قلت : روينا من حديث القشيري، فهو ما ثنا به محمد بن محمد بن محمد، عن ابي سعد هبة الله بن عبدالواحد بن عبدالكريم، عن جده عبدالكريم ابن هوازن القشيري .

واذا قلت: روينا من حديث السلمي، فهو ما ثنا به احمد بن محمد، عن محمد بن الفضل الثقفي، عن ابي عبدالرحمن السلمي، ومما ثنا به ايضاً احمد بن ابي منصور، عن ابي سعد محمد بن ابي بكر يُعرف بخيّاط الصوفي، عن ابي بكر عليّ بن خلف ، عن ابي عبد الرحمن السلمي .

واذا قلت: روينا من حديث مسلم ، فهو ما ثنا به جمال الدين الخراساني بمقصورة الخضر، بغربي جامع دمشق، عن محمد بن الفضل الغراوي، عن عبدالغافر الفارسي، عن محمد بن عيسى بن عمر بن الجلودي ، عن ابراهيم بن محمد بن سفيان المروزي ، عن مسلم بن الحجاج القشيرى .

واذا قلت: روينا من حديث احمد بن الحسين، فهو ما ثنا به ابو الخير احمد ابن اسماعيل بن يوسف الطالعاني القزويني ، عن محمد بن الفضل الغراوي عن احمد بن الحسين البهيقي .

واذا قلت : روينا من حديث ابي بكر احمد بن الحسين، فهو ما ثنا به ناصر بن عبدالله بن عبد الرحمن العطار بمكة، عن مبارك بن علي بن الحسين الطبّاخ ، عن ابي عبدالله بن الحسين بن محمد بن الحسين، عن جده ابي بكر احمد بن الحسين البيهقي .

واذا قلت : روينا من حديث بن باكويه ، فهو ما حدثنا به عبدالرحمن عن ابي بكر الصوفي ، عن ابي سعيد الخدريّ ، عن ابن باكويه الشيرازي .

واذا قلت : روينا من حديث الترمذي، فهو ما ثنا به المكينُ بن شجاع الزاهد بن رستم الاصفهاني البزار بمكة ، عن الكرخي ، عن العزرجي ، عن المحبوبي ، عن ابي عيسى محمد بن عيسى بن سورة الترمذي .

واذا قلت: روينا من حديث البخاري، فهو ما ثنا به عبدالجليل الشريحاني ويونس بن يحيى في آخرين، عن ابي الوقت، عن الداوودي، عن الحمويّ ، عن الفربري ، عن محمد بن اسماعيل البخاري .

واذا قلت: روينا من حديث القضاعي، فهو ما ثناه كتابة، ابو القاسم هبة الله بن علي بن مسعود الانصاري سنة احدى وسبعين وخمسمائة، عن ابي عبدالله محمد بن بركات بن هلال السعيدي القضاعي محمد بن سلام .

واذا قلت: روينا من حديث محمد بن سلامة، فهو ما ثنا به محمد بن يحيى، عن محمد بن ابي منصور، عن ابي عبدالله الحميدي ، عن محمد بن سلامة ، وهو القضاعي .

واذا قلت : روينا من حديث الحميدي، فهو ما ثنا به ابو الثناء محمود بن المظفّر ، عن محمد بن نصر بن خميس ، عن ابي عبدالله الحميدي .

واذا قلت: روينا من حديث ابي داود، فهو ما ثنا به احمد بن منصور عن ابن طالب محمد بن عبدالرحمن، عن الحاكم بن الحسين احمد بن عبد الرحيم، عن الحسن بن عليّ السمرقندي، عن ابن داسته، عن ابي داوود بن الأشعث السجستاني.

واذا قلت: روينا من حديث احمد بن حنبل، فهو ما ثنا به عبد الرحمن بن عليّ في آخرين، عن هبة الله بن محمد، عن الحسن بن عليّ بن ابي بكر بن مالك، عن عبد الله بن احمد بن حنبل ، عن ابيه حنبل .

وإذا قلت : روينا من حديث الخطابي ، فهو ما ثناه البرهان اسماعيل بن يوسف الانصاري، ثم الابري من بلاد الاندلس، عن محمد بن ابي المعالي عبد الله ابن موهوب بن جامع، عن عبدون البغدادي الصوفي يعرف بابن نبا، عن ياسر عبد الوهاب بن هبة الله بن ابي حية ، عن ابي القاسم اسماعيل بن احمد بن عمر السمرقندي ، عن القسم اسماعيل بن مسعد الاسماعيلي الجرجاني ، عن ابي عمر محمد بن عبد الله الزنجاني ، عن احمد بن محمد بن ابراهيم الخطابي .

واذا قلت : روينا من حديث ابن جهظب ما كتب به الثناء عبد الرحمن بن علي بن محمد بن عمر بن ظفر، عن جعفر بن احمد عبد العزيز بن علي، عن ابي الحسن بن جهظب الصوفي .

واذا قلت: روينا من حديث ابي الوليد، فهو ما ثنا به ناصر بن عبدالله بن عبد الرحمن العطار ، عن محمد بن ابي بكر الطوسي ، عن عبد الرحمن بن ديلم النسائي، وعبد الرحمن بن علي الطبري، عن الحسن بن خلف الشامي، عن ابيه عن

الحسن بن احمد ابي فراس، عن محمد بن نافع الخزاعي، وابي بكر بن عبد المؤمن، عن اسحاق بن محمد الخزاعي ، عن ابي الوليد محمد بن عبد الله بن احمد بن محمد ابن الوليد بن عقبة بن الازرق بن عمرو ، والغاني .

واذا قلت: روينا من حديث ابن ابي الدنيا، فهو ما ثنا يونس بن يحيى، عن يحيى بن ابراهيم الثلاماسي، عن ابيه، عن ابي نصر احمد بن محمد القاري، عن ابي بكر بن عبد الله البزار، عن ابي جعفر بن عبد الله بن اسماعيل الهاشمي، عن ابن ابي الدنيا .

واذا قلت: روينا من حديث ابي عبد الله، فهو ما ثنا به محمد بن محمد بن محمد، عن ابي الاسعد هبة الرحمن ابن عبد الواحد بن عبد الكريم بن هوازن، عن عبد الرحمن السلمي .

واذا قلت: روينا من حديث محمد بن اسماعيل، فهو ما ثناه عن بشاه بن محمد بن ابي المعالي كتابة ، عن محمد بن عمر الصيدلاني ، عن الغراوي ، عن الجباري ، والحفصي الكشميني ، عن محمد بن اسماعيل البخاري .

واذا قلت: روينا من حديث ابن الحجاج، فهو ما ثناه بشاه بن محمد ابن ابي المعالي كتابة، عن محمد بن الحسن العباسي ، عن عمر بن سعدوية عبد الغافر الفارسي ، عن الجلودي ، عن مسلم بن الحجاج .

واذا قلت: روينا من حديث الجعفي، فهو ما ثناه عن بشاه بن محمد بن محمد، عن محمد بن الحسن، عن ابي المحاسن الترمذي، عن العيار، عن ابي علي بن الشويه، عن الفربري ، عن محمد بن اسماعيل الجعفي البخاري .

واذا قلت: روينا من حديث الازرقي، فهو ما ثناه محمد بن اسماعيل، عن

ابي الحسن علي بن الحسين ابن علي التميمي الريحاني المالكي، عن عبدالرحمن بن علي الشيباني الطبري، عن الحسن بن خلف الشامي، عن ابيه، عن ابي فراس عن محمد بن نافع ، عن اسحاق بن محمد الخزاعي ، عن ابي الوليد محمود بن عبد الله الازرقي .

واذا قلت: روينا من حديث ابن سورة، فهو ما ثناه عبد الحميد بن محمد ابن علي بن ابي الرشيد القزويني كتابة، عن ابي الحسن علي بن حمزة، وابي محمد عبدالواسع بن الموفق، وابي مثا بن عبدالصبور بن عبد السلام التاجر، ثلاثتهم عن ابي عامر محمود بن القسم الازدي ، عن ابي محمد عبد الجبار بن محمد بن عبدالله بن عبد الجراح، عن ابي العباس محمد بن احمد بن محمود المحبوبي التاجر، عن ابي عيسى الترمذي الحافظ .

واذا قلت: روينا من حديث الهاشمي، فهو ما ثناه عبد الحميد بن محمد بن علي بن ابي الرشيد القزويني كتابة ، عن ابي ظاهر صاعد بن سعيد الطوسي ابي الفتيان عمر بن عبد الكريم بن علي ابي علي الحسن بن علي الرازي الهاشمي ، وهو ابو الحسن زيد بن عبد الله بن مسعود المعروف بزقاعة .

واذا قلت : روينا من حديث ابن الخطابي ، فهو ما حدثنا ابو النجيب حيدر القزويني كتابة ، عن محمود بن عمر بن احمد بن عبد الله الساري ، عن ابي المحاسن عبد الواحد بن اسماعيل بن احمد، عن ابي منصور محمد بن احمد البلخي ، عن ابي خطاب الخطابي .

واذا قلت: روينا من حديث ابن ودعان، فهو ما ثناه محمد بن قاسم ابن عبد الرحمن بن عبد الكريم التميمي الفارسي ، عن ابي الطاهر محمد بن احمد السيقلي الاصفهاني، عن ابي نصر محمد بن علي بن عبد الله بن احمد بن صالح بن سليمان بن ودعان حاكم الموصل .

واذا قلت : روينا من حديث ابن ماجة ، فهو ما ثناه ابو الحسن علي بن عبيد بن الحسين الرازي ، عن ابي سعيد عبد الرحمن بن ابي القسم ، علي بن منصور، محمد بن الحسن، علي بن طلحة، القسم بن ابي المنذر، عن ابي الحسن علي بن ابراهيم بن سلمة ، عن محمد بن زيد بن ماجه .

واذا قلت: روينا من حديث البغوي، فهو ما حدثنا احمد ابن ابي منصور الخولي كتابة ، عن ابي الحسن علي بن الحسن بن علي الفاسي ، وعلي بن ابي عبد الله الباجي ، قالا : ثنا ابو محمد الحسن بن مسعود البغوي .

واذا قلت: روينا من حديث ابن ابي عرفة، فهو ما ثناه ابوالفتوح نصر بن ابي الفرج بن علي الحضرمي، عن ابي القسم يحيى بن ثابت بن بندار بن القاسم عبيدالله بن احمد بن عثمان الصيرفي، ويعرف بإبن السوادي، عن ابي بكر احمد ابن ابراهيم بن الحسن بن محمد الساداني ابن حرب بن مهران البزار، عن ابي عبدالله بن ابراهيم بن محمد بن عرفة الازدي النحوي .

واذا قلت: روينا من حديث مالك بن انس، فهو ما ثنا به محمد بن اسماعيل، وغيره ، عن ابي عبد الله محمد بن ابي بكر الطوسي ، وعن ابي الحسن علي ابن الحسن بن علي التميمي، كلاهما، عن عبد الرحمن بن علي الطبري، عن الحسن ابن خلف، عن ابيه، عن الحسن احمد بن ابراهيم، عن محمد بن نافع بن محمد ابن الخزاعي، عن ابيه، عن ابراهيم بن اسحاق المالكي، عن احمد بن مالك الحضرمي، عن سعد بن سالم القداح ، عن مالك بن انس .

واذا قلت: روينا من حديث الرملي، فهو ما ثناه محمد بن القسم قراءة على الحافظ السلفي، وثناه السلفي اجازة، عن ابي الحسين احمد بن محمد المقري، عن ابي اسحاق بن ابراهيم بن سعيد بن عبد الله الحبال، على العباسي منير بن احمد

ابن الحسن بن علي بن منير الخشاب ، عن ابي الحسن بن علي بن احمـــد بن اسحاق البغدادي ، عن ابي العباس الوليد بن حماد الرملي .

واذا : قلت روينا من حديث ابن حبّان ، فهو ما ثناه ابو محمد اسحاق ابن يوسف بن علي، عن المطهر بن علي بن عبيد الله الفاسي ، عن ابي ذر محمد ابن ابراهيم بن غازي الصالحاني الاصفهاني ، عن ابي محمد عبد الله بن محمد بن جعفر بن حبان المعروف ، كُنّي بأبي الشيخ .

واذا قلت: روينا من حديث الخرائطي، فهو ما ثناه محمد بن يوسف بن علي الفرنوي كتابة ، عن ابي الفتح احمد بن محمد بن سليمان، عن ابي عبدالله محمد بن ابي نصر عبد الله الحميدي الحافظ ، عن ابي القسم الحسين بن محمـد بن ابراهيم الحناني ، عن ابي بكر محمد بن جعفر بن سهل الخرائطي .

واذا قلت: روينا من حديث ابي عبد الحكم، فهو ما ثناه الحافظ السلفي اجازة عن مرشد بن يحيى بن القسم المديني، عن علي بن منير بن احمد الحلاّل، عن ابي بكر محمد بن احمد بن الفرج القماح ، عن عبدالرحمن بن عبد الله بن عبد الحكم بن اعين القرشي .

واذا قلت: روينا من حديث الواحدي، فهو ما ثناه ابو عبد الله بن عمر ابن احمد بن منصور الصفاري، عن عبدالجبار بن محمد بن احمد الحزازي، عن علي الواحدي .

واذا قلت: روينا من حديث الاصمعي، فهو ما ثناه ابن محمد بن قاسم علي، عن ابي عبدالله محمد بن عبدالرحمن بن محمد بن منصور الحضرمي، عن عبدالله الرازي ، عن ابي هاشم، والحسين بن محمد بن الضراب ، عن احمد بن مروان المالكي ، عن ابراهيم الحزمي ، عن ابي نصر ، عن الاصمعي ، والله اعلم .

كتاب

محاضرة الأبرار ومسامرة الأخيار

في الأدبيات والنوادر والأخبار

المجلد الأول

بسم الله الرحمن الرحيم

وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً

نسبُ رسول الله صلى الله عليه وسلم [1] :

هو محمد بن عبد الله بن عبد المطلب بن هاشم، واسم هاشم ، عمرو بن عبد مناف، واسم عبدمناف، المغيرة بن قصي، واسم قصي، زيد بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤي بن غالب بن فهر بن مالك بن النضر بن كنانة بن خزيمة بن مدركة ، واسم مدركة، عامر بن الياس بن مضر بن نذار بن معد بن عدنان بن ادد بن المقدم بن ياخور بن مرخ بن يعرب بن يسحب بن ثابت بن اسماعيل بن ابراهيم خليل الرحمن، بن يارج، هو آزر بن ياخور بن شاروخ بن راغو بن فالخ، ابن عبير بن شالخ بن ارفخشد بن سام بن نوح بن مالك بن متوشالخ بن اخنوخ وهو ادريس عليه السلام، بن يزد بن مهلييل بن قاين بن يانس بن شيث عليه السلام، ابن آدم ابو البشر عليه الصلاة والسلام، وعلى الاول والآخر بينهما من النبيّين صلوات الله دائمة وسلاماً الى يوم الدين .

---

(١) مطلب في نسبه صلى الله عليه وسلم .

ثنا بهذا النسب الزكي الشريف سرداً من لفظه كما كتبته من محمد بن قاسم ابن عبد الرحمن بن عبد الكريم من بني تميم، قال : ثنا ابو سعيد محمد بن عبد الرحمن بن محمد المسعودي ، أنبأ ابو عبد الله بن رفاعة بن عزيز السعدي ، ثنا ابو الحسن علي بن الحسن بن الحسين الخلعي، ثنا ابومحمد عبد الرحمن بن عمر بن عبد الرحيم، ثنا ابو محمد عبد الرحمن بن عمر بن النحاس، ثنا ابو محمد عبدالله ابن جعفر بن الورد بن ريحويه البغدادي، ثنا ابو عبد الله بن سعيد عبد الرحيم ابن عبد الله بن عبد الرحيم ، ثنا ابو محمد عبد الملك بن هشام ، عن جبير بن مطعم ، عن ابي بكر النحوي ، ثنا دباب بن عبد الله البكاري ، عن محمد بن اسحاق المطلبي .

روينـــا من حديث مالك بن انس عن الزهري ، عن عثمان بن سليمان ابن ابي خيثمة العدوي ، عن ابي بكر بن عبـــد الرحمن بن حارثـة بن هشام، عن جبير بن مطعم، عن سيدي ابي بكر الصديق رضي الله عنه ، في سرد النسب الى عدنان . فقال: في حديث عدنان أدد، وهو الهميسع بن يولخ ابن سالف بن عـامر بن مثير بن الصيّاح بن عوام بن مرام بن يشخب بن كعب بن ثابت،واسماعيل بنابراهيم بن آذر بن ياخور بن شاروغا بن ارغوا، وهو هود بن شيث عليهم السلام ، ابن فالح بن عبير بن ارفخشد بن سام بن نوح عليه السلام ابن مالك بن المتوثلخ بن حويك ، وهو ادريس عليه السلام ابن يزيد بن ماليل ابن قينان بن انوش بن شيث بن آدم عليهما السلام .

انساب العشرة متصلة بنسبه صلى الله عليه وسلم :

نسب سيدنا عليّ رضي الله عنــه ، وهو اقربهم نسباً ، وهو عليّ بن ابي طالب بن عبد المطلب، وأبعدهم سيدنا عثمان رضي الله عنه، وهو سيدنا عثمان

ابن عفان بن ابى العاص بن أميّة بن عبد شمس بن عبد مناف . وابعد منه الزبير، وعبد الرحمن رضي الله عنهما، فهو الزبير بن عوّام بن خويلد بن اسد ابن عبد العزّى بن قصيّ .

وأما سيدنا عبد الرحمن بن عوف، هو عبدالرحمن بن عوف بن عبد عوف ابن الحرث بن زهرة بن قصيّ. وأبعد منهما سعد بن ابي وقاص رضي الله عنه، وهو سعد بن مالك بن أهيب بن عبد منـــاف بن كعب بن زهرة بن كلاب ، وأبعد منه الصدّيق، وطلحة رضي‌الله عنهما. اما سيدنا ابوبكر رضي‌الله عنه، فهو عتيق بن عثمان ، يكنّى ابا قحافة بن عامر بن عمرو .

وأما سيدنا طلحة رضي الله عنه ، فهو ابن عبيد الله بن عثمان بن عمرو ، اجتمعا في عمرو ، وهو كعب بن سعد ابن تيم بن مرة ، وأبعـد منهما سيدنا عمر وسيدنا سعيد رضي الله عنهما . أما سيدنا عمر رضي الله عنه ، فهو ابن الخطاب بن نفيل .

وأما سيدنا سعيد فهو ابن زيد بن عمرو بن نفيل، اجتمعا في نفيل، وهو عبد العُزّى بن رباح عبدالله بن قرط بن زراع بن عدي بن كعب . وأبعـد منهما ابو عبيدة بن الجرّاح رضي الله عنه ، وهو سيدنا ابو عبيدة بن عبد الله ابن الجرّاح بن كعب بن ضبة بن الحرب بن فهر .

نسبُ أمه صلى الله عليه وسلم ورضي عنها :

وهي آمنة بنت عبـد مناف بن زهرة بن كلاب . اجتمعت مع رسول الله ﷺ في كلاب بن مرة .

نسب أمه التي أرضعته ﷺ وهي: ضيرة، وهي: حليمة بنت ابي ذويب

عبد الله بن الحرث بن شيحة بن جابر بن رامة بن ناصرة بن سعيد بن بكر بن هوازن بن منصور بن عكرمة بن حفصة بن قيس بن غيلان بن مضر، اجتمع مع رسول الله ﷺ في مضر .

نسب والده من الرضاع :

هو الحرث بن عبد العزّى بن رقاعة بن فلان بن ناصرة بن سعيد بن بكر ابن هوازن بن منصور بن عكرمة بن حفصة بن قيس بن غيلان بن مضر . اجتمع مع رسول الله ﷺ في مضر .

اخوته من الرضاعة :

الحرث بن عبد الله ، وأنيسة بنت الحرث، وحذافة بنت الحرث، وهي: الشيحا ، غلب عليها ذلك فلا تعرف في قومها إلا به ، وكانت تحضنه مع أمه حليمة اذا كانت عندهم ، وكان عمه حمزة بن عبد المطلب أخاه ايضاً من الرضاع ، فقال : أرضعته التي أرضعت حمزة .

أولاده ﷺ :

الذكور، منهم: القاسم وبه كان يُكنـّى، ثم الطيب، ثم الطاهر، وعبد الله، وابراهيم. وأُناث منهن: أكبرهن رقية ، ثم زينب، ثم أم كلثوم، ثم فاطمة ؛ وجميع أولاده عليهم السلام من خديجة رضي الله عنها ، غير سيدنا ابراهيم عليه السلام فأمه مارية القبطية سرّيته ﷺ .

اعمامه ﷺ وعماته :

فمنهم العباس ، وضرار ، إبنا عبد المطلب ، وهما شقيقان لأم واحدة ، وهي : نبيلة بنت حباب بن كليب بن ربيعة بن نزار .

فأما العباس فأعقب ، ولم يعقب ضرار ، وحمزة ، والمقوم ، وجحل ، وصفية ابناء عبد المطلب لأم واحدة وهي هالة بنت اهيب بن عبد مناف ، ولم يعقب حمزة ، والمقوم ولد بنتاً ، وأعقب جحل ، وصفية ولدت الزبير ، وابوطالب، ووالد رسول الله ﷺ عبد الله، وأم حكيم يقال لها : البيضاء ، وعاتكة ، وأروى ، وبرّة ابناء لعبد المطلب لأم واحدة هي : فاطمة بنت عمرو بن عابد بن عمران بن مخزوم بن نقطة بن مرة بن كعب .

فأما ابو طالب وعبد الله فأعقبا ، والزبير ادرج عقيبه ، وأما البنات فولدن كلهن . والحرث بن عبد المطلب ، وأمه سمراء بنت جندب بن حجير ابن هوازن ، وأعقب الحرث ، وأبو لهب واسمه عبد العزي بن عبد المطلب ، أمه لبنى بنت هاجر بن عبد مناف بن طاطل الخزاعية ، وأبو لهب أعقب .

وأزواجه ﷺ :

فمنهن خديجة بنت خويلد بن اسد بن عبد العزي بن قصيّ بن كلاب ، ماتت قبل الهجرة . وعائشة بنت ابي بكر الصديق رضي الله عنهما . ومنهن حفصة بنت سيدنا عمر بن الخطاب رضي الله عنهما . ومنهن أم سلمة ، واسمها هند بنت أمية بن المغيرة بن عبد الله بن مخزوم، وهي آخر من مات من أزواجه بعده . ومنهن سودة بنت زمعة بن عبد شمس ابن عبد ود بن نضر ابن مالك بن جبير بن عامر بن لؤي بن غالب بن فهر. ومنهن أم حبيبة ، واسمها رميلة بنت ابي سفيان بن الحارث بن أميّة بن عبد شمس بن عبد مناف بن قصي بن كلاب . ومنهن زينب بنت جحش بن رباب بن اسد ابن خزيمة، وامها آمنة عمة رسول الله ﷺ بنت عبد المطلب، وهي اول من مات من ازواجه بعده ، وهي اول من حملت جنازتها على النعش . ومنهن :

زينب بنت خزيمة، وهي: ام المساكين، وهي من عبدمناف بن هلال بن عامر ابن صعصعة توفيت في حياته عليه السلام . ومنهن ميمونة بنت الحرث بن حرب بن بجر بن الحرص بن رومية بن عبدالله بن هلال بن عامر بن صعصعة. وهي التي وهبت نفسها للنبي ﷺ، وقيل: الواهبة نفسها خولة بنت حكيم السلمي .وقيل: أم شريك. وقيل: زينب بنت جحش . ومنهن جويرة بنت الحرث بن أبي ضرار بن الحرث بن عابد ابن مالك بن المصطلق بن خزاعة، سباها النبي ﷺ في غزوة المريسع وتزوج بها ، ومنهن صفية بنت جبير بن أحطب من بني النضير سباها يوم خيبر فهؤلاء احدى عشرة امرأة دخل بهن ﷺ بلا خلاف . ومنهن الغالية بنت صبيان بن عمرو بن أبي بكر بن كلاب، اختلف في الدخول بها، ثم انه طلقها. ومنهن امرأة من بني عمرو بن كلاب اخو بكر بن كلاب، فطلقها قبل الدخول لبياض كان بها. ومنهن اسماء بنت كعب الحرثية، وقيل: اسمها أميمة بنت النعمان بن شرحبيل فاستعاذت منه فطلقها ، ولم يدخل بها . وقيل : التي استعاذت هي مليكة الليثية . وقيل : هي فاطمة بنت الضحاك . ومنهن عمرة بنت يزيد احدى نساء بني كلاب فطلقها ولم يدخل بها ، قال بعض العلماء : هي التي اختارت نفسها فابتلاها الله عند ذلك بالجنون . ومنهن أم شريك الازدية الانصارية من بني النجار طلقها ولم يدخل بها ، وهي التي قلنا : انها قد روي أنها التي وهبت نفسها للنبي ﷺ ، ومنهن اسماء بنت الصلت من بني خزام من بني سليم لم يدخل بها . ومنهن قيلة بنت قيس أخت الأشعث لم يدخل بها ولا رآها . ومنهن فاطمة بنت شريح . فهؤلاء اقصى ما بلغن من عدد أزواجه .

ومات ﷺ عن تسع منهن :

ميمونة ، وسودة ، وصفيّة ، وجويرية ، وأم حبيبة ، وعائشة ، وحفصة ، وأم سلمة ، وزينب بنت جحش .

من مات في حياته منهن :

خديجة بنت خويلد ، وزينب بنت خزيمة أم المساكين .

القرشيات : منهن عائشة ، وحفصة ، وأم حبيبة .

اللاتي كان يساوي بينهن في القسمة اربع: عائشة ، وحفصة ، وأم سلمة، وزينب .

جواريه ﷺ :

مارية بنت شمعون القبطية، ولدت له سيدنا ابراهيم عليه السلام . وريحانة بنت زيد من بني قريظة ، من بني النضير .

حجاته ﷺ :

حج ﷺ ثلاث حجات ؛ حجتان من مكة ، وواحدة من المدينة ، وهي التي تسمى حجة الوداع .

عُمَرُه ﷺ :

واما عُمَرُه: من الحديبية في ذي القعدة، واما عمرة القضاء من العام المقبل كانت ايضاً في ذي القعدة ، وعمره من الجعرّانة حيث قسم غنائم حنين في القعدة وعمرة مع حجته واحرامه بها عليه السلام في ذي القعدة .

ذكر غزواته ﷺ التي خرج اليها بنفسه :

فأول ذلك غزوة الأبواء . خرج اليهـا في صفر سنة اثنين على رأس اثني عشر شهراً من هجرته حتى بلغ ردان . ثم غزوة في شهر ربيع الآخر ثالث الشهر من غزوة الأبواء يريد قريشاً حتى بلغ بوَاط من ناحيـــة رضوى . ثم غزى العشير في جمـــادي الأولى سنة اثنتين وهي من بطن ينبع . ثم غزى يطلب كرز بن جابر وهي غزوة بدر الأولى سنة اثنتين . ثم غزوة بدر سنة اثنتين في شهر رمضان الذي قتل فيه صناديد قريش . ثم غزوة بني سُليم حتى بلغ الكدر في شوّال سنة اثنتين . ثم غزوة السويق في ذي الحجة سنة اثنتين بعد بدر بشهرين يطلب ابا سفيان بن حرب . ثم غزوة نجـد يريد غطفان . ثم غزوة ذي أمر في صفر سنة ثـلاث . ثم غزوة نجران في ربيع الأول سنة ثلاث ، يريد قريشاً وبني سُليم فيما بين ذلك امرُ بني قينقاع من سنة ثلاث . ثم غزوة احُـد في شوال سنة ثـــلاث . ثم غزوة حمر الأسد في شوال سنة ثلاث . ثم غزوة بني النضير وإجلائهم في ربيع الأول سنة أربع . ثم غزوة ذات الرقاع من جمـــادى الأولى سنة اربـع . ثم غزى في شعبان أي بدر بميعاد ابي سفيان وهي بدر الآخرة سنة اربع . ثم غزى دونة الجندل فرجع قبل ان يصل اليها في ربيع الأول سنة خمس . ثم غزا بالخندق في شوال سنة خمس . ثم غزا بني قريظة في ذي القعدة أو في الحجـــة سنة خمس . ثم غزا الرجيع خرج في جمادى الأولى الى بني لحيان يطلب اصحاب بني الرجيـع في جمادى الأولى سنة ست . ثم غزى ذي قرد وهي التي أغـار فيها عيينة بن حصن على لقاحه فخرج اليهم سنة ستٍّ بعـــد الرجيع بليال . ثم غزا بني المصطلق في شعبان سنة ستّ . ثم غزا الحديبية خرج في ذي القعدة معتمراً فصَدّه المشركون سنة ست . ثم غزا خيبر خرج اليهـا في بقية المحرم سنة

سبع. ثم خرج في القعدة يعني لعُمرة القضا سنة سبْع . ثم اقام في المدينة بعد بعثه الى موتة جمادى الآخر ، ورجب . ثم غزى فتح مكة بعشر مضين من رمضان سنة ثمان . ثم غزى حنيناً سار اليها من مكة في شوال سنة ثمـان . ثم غزى الطائف سنة ثمان ، سار اليها من حنين ورجع الى المدينة ، واقام بها ما بين الحجة الى رجب . ثم غزى تبوك وامرَ الناسَ بالتهيء لغزوة الروم فخرج الى تبوك ولم يجاوزها سنة تسعٍ .

سرايا صلى الله عليه وسلم ، وبعوثه فيما بين ان قدم المدينة الى أن قبضه الله عز وجل

غزوة عبيدة بن الحرث الى احياء من اسفل ثنية المرة، وهي ماء بالحجاز. وغزوة حمزة بن عبدالمطلب الى ساحل البحر من ناحية العيص ، وبعض الناس يقدمون غزوة حمزة قبل غزوة عبيدة . ثم غزوة سعد بن ابي وقاص، وبعث محمد بن مسلمة فـــيما بين أُحد وبدر الى كعب ابن الاشرف وقتله . ثم غزوة عبد الله بن جحش الى نخله. ثم غزوة زيد بن حارثة القدرة . ثم غزوة مرشد ابن ابي مرشد الغنوي الرجيع لقوافيها . ثم غزوة منـذر بن عمرو بيئر معاوية لقوافيها . ثم غزوة ابي عبيدة بن الجراح رضي الله عنـه ذا العصة من طريق العراق . ثم غزوة عمر بن الخطاب رضي الله عنه تربـة من ارض بني عامر . ثم غزوة علي بن ابي طالب رضي الله عنـه الى بني عبد الله بن سعد من أهل فدك . ثم غزوة ابي العوجاء السلمي ارض بني سليم لقوافيها بعثه بعد رجوعه من عمرة القصة في الحجة سنة سبع، وأصيبوا وجاء جريحاً حتى قـدم المدينة في صفر سنة ثمان . ثم غزوة عكاشة بن محصن العمدة . ثم غزوة ابي سلمة بن عبد الاسد ببطن قطنا مـاء من مياه بني اسد من ناحية نجـــد لقوافيها فقتل فيها مسعود بن عروة . ثم غزوة محمد بن سلمة اخي

بني الحرثة . أي، مواضع من هوازن تسمى القرضا . ثم غزوة بشير بن سعد ايضاً الى جنان ناحية خيبر ، ثم غزوة زيد بن حارثة الجموح من ارض بني سُليم ، ثم غزوة زيد بن حارثة ايضاً حرام من ارض حسما لقوافيها ، ثم غزوة زيد بن حارثة ايضاً الطرف من ناحية النخل او من ناحية طريق العراق ، ثم غزوة بني حارثة ايضاً وادي القرى لقوا فيها بني فزاره ، ثم غزوة عبد الله بن رواحة خيبر ، ثم غزوة عبد الله بن رواحة ايضاً خيبر اصاب فيها بشير بن رزام اليهودي ، ثم غزوة عبد الله بن عتيك الى خيبر وأصاب فيها ابا رافع بن الحقيق . وقد كان رسول الله ﷺ بعث عبدالله بن انيس الى خالد بن سفيان النهري فقتله . ثم غزوة زيد بن حارثة وجعفر بن ابي طالب وعبد الله بن رواحة الى موتة فاصيبوا فيها ، ثم غزوة كعب بن عمرو الغفاري ذات الطلاع من ارض الشام فاصيب فيها ، ثم غزوة عيينة بن حفص بن حذيفة بن زيد بن العبير من بني تميم لقوا فيها ، ثم غزوة غالب ابن عبد الله الكلبي كلب ليث ارض بني مرة لقوا فيها ، ثم غزوة عمرو بن العاص ذات السلاسل من ارض بني عذرة ، ثم غزوة ابي حدرد وأصحابه الى بطن اضم قبل الفتح لقوافيها كذا ، قال : هنا ابن ابي حدرد . وقال: فيما مضى ابيحدرد ، ثم غزوة ابي عبيدة بن الجراح رضي الله عنه الى سيف البحر ، ويسمى جيش الخيط . انتهى ما ذكر ابن اسحاق .

وزاد ابن هشام : بعث عمرو بن امية الضمري ، بعثه عليه السلام لقتل ابي سفيان بمكة وسرية بن حرثة الى مدين ، ثم غزوة سالم بن عمير ابا جعد حدثني به عمرو بن عوف ، ثم غزوة عمير بن عدي الخطمي عصماء بنت مروان ، والسرية التي اسرت ثمامة بن اثال الحنفي .

وبعث علقمة بن محدر في طلب القوم الذين قتلوا، وقاص بن محرز بوادي

قرد. وبعث كرز بن جابر في طلب الرعاء الذين قتلوا راعي رسول الله ﷺ وعلي ، وذكوان . ثم غزوة علي بن ابي طالب رضي الله عنه الى اليمن مرة أخرى . ثم غزوة أسامة بن زيد الى الداروم فمات رسول ﷺ قبل خروجه وولى ابا بكر رضي الله عنه فأمضاه لوجهه ، فمضى حتى وطىء نخيلة ارض الداروم . بعث خالد بن الوليد الى نخلة لهدم العزّى . بعث خالد بن الوليد الى بني خزيمة . بعث ابا عامر على جيش الى اوطاس . بعث خالد بن الوليد الى اكيدر بن عبد الملك الكندي ملك دومة . بعث جرير بن عبد الله الى ذي الخلصة ليهدمها ، بعثه على مائتين وخمسين فارساً . بعث خالد بن الوليد الى بني الحرث . ثم غزوة ابي بكر رضي الله عنه الى نجد ، قبل بني فزارة فأصاب منهم . سرية عمر بن الخطاب رضي الله عنه الى عجز هوران وراء مكة بأربعة اميال . سرية عبد الله بن حذافة بن قيس بن عدي السهمي ، هو بعث علقمة بن محرز بولاية علقمة على طائفة من بني الحيس .

عدد نقبائه ﷺ اثنا عشر نقيباً :

ولم يكن لنبيّ قبله هذا القدر، بل كان لكل نبي سبعة نقباء ، وهم رضي الله عنهم : ابو بكر الصدّيق ، وعمر بن الخطاب ، وعثمان بن عفان ، وعلي ابن ابي طالب، والزبير بن العوام، وجعفر بن ابي طالب، ومصعب بن عمر، وبلال بن رباح ، وعمّار بن ياسر ، والمقداد بن الأسود ، وعثمان بن مظعون ، وعبد الله بن مسعود .

وأما نجباؤه ، فكلهم من الأنصار ، اثنا عشر نجيباً : سعد بن خيثمة من بني عمرو بن عوف ، وسعد بن الربيع من بني النجار ، وسعد بن عبادة من بني عبد الأسهل ، وعبيد الله بن رواحة ، وابو الهيثم بن التيهان ، والبرّاء بن

معروس ، ورافع بن مالك الأزرقي ، وعبــد الله بن عمرو بن حزام ، وهو ابو جـــابر ، وعبادة بن الصامت ، من بني سلمة . والمنذر بن عمرو ، من بني ساعدة .

وأما حواريوه ﷺ ، فكلهم من قريش، وهم اثنا عشر رجلاً : ابو بكر، وعمر ، وعثمان ، وعلي ، وطلحة ، والزبير ، وسعد بن ابي وقـــاص ، وعبد الرحمن بن عوف ، وحمزة بن عبـد المطلب ، وجعفر بن ابي طالب ، وأبو عبيدة بن الجراح، وعثمان بن مظعون. فالذي جمع بين النجابة والحوارية: ابو بكر وعمر وعثمان وعـــلي وجعفر بن مظعون . فهؤلاء الستة جمعوا بين الشرفين رضي الله عنهم .

وأما مواليه ﷺ : زيد بن حارثة ، وأسامة بن زيد، وأبو رافع السلمي؛ ويقال: ابراهيم ، ويقال: هرم، ويقال: سنان، كان قبطياً ، وسفينة ، واسمه مهران ، ويقال: رياح ، وبونان . وسار ابو بكر، وهو الذي قتله العربيون، وشقران ، اسمه صالح ، وأبو كبشة ، اسمه سليم ، وأبو ضميرة مدغم ، وهو الذي أصابه السهم فمات يوم حنين ، ورويفع ، وسلمان ، ورياح ، وعبيـد ، وأحمر ، وكيبا ، وأبو أثيله ، وشعبة .

الأناث : سلمى ، ودرّة ، وميمونة .

خُلقه وشمائله وحالاته وحركاته وسكناته ومجالسه :

كان ﷺ فخماً مفخماً ، يتلألأ وجهه تلألىء القمر ليلة البدر ، أطول من المربوع ، وأعظم من المشذب ، عظيم الهـــامة ، رجل الشعران ، انفرقت عقيصته فرق، وإلا خلا، ولا يجاوز شعره شحمة أذنه ، إذ هو وفره، أزهر

اللون، ليس بالأبيض الأمهق، ولا بالأدم، سهل الخدين، صلتهما ليس بالطويل الوجه، ولا المكلثم، واسع الجبين، أزجّ الحواجب، سوابغ من غير قرن بينهما، عرق يدرّه الغضب، أقنى العرنين، له نور يعلوه، يحسبه من لم يتأمله اسم، كثاء اللحية، أدعج، سهل الخدين، ضليع الفم، أشنب، مفلج الأسنان، عنفقته بارزة، فكاه حول العنفقة، كأنها بياض اللؤلؤ، دقيق المرية، كأن عنقه جيد دمية، في صفاء الفضة، معتدل الخلق، بادياً متماسكاً، سواء البطن، والصدر، عريض الصدر، بعيد المنكبين، جليل الكتدين، بين منكبيه خاتم النبوة، وهو شامة سوداء، تضرب الى الصفرة، حولها شعرات متواليات، كأنها من عرف فرس، ضخم الكراديس، أنور المتجرد، موصول ما بين اللبّة والسُّرة بشعر يجري كخط، عاري الثديين، والبطن، مما سوى ذلك، أشعر الذراعين، والمنكبين، وأعالي الصدر، طويل الزندين، رحب الراحة، سبْط العصب، شثن الكفين، والقدمين، سائل الاطراف، خمصان الأخمصين، مسيح القدمين، ينبو عنهما الماء.

اذا أزل زال تقلعاً، يخطو تكفأ، ويمشي هوناً، ذريع المشية، كأنما ينحط من صبب، واذا التفت التفت جميعاً، خافض الطرف، نظره الى الارض، اطول من نظره الى السماء، جلّ نظره الملاحظة، يشوق اصحابه، يبدأ من لقي بالسلام، متواصل الأحزان، دائم الفكر، ليس له راحة، لا ينطق في غير الحاجة، طويل السكت، يفتتح الكلام ويختمه : ببسم الله، ويتكلم بجوامع الكلم، فضل لا فضول فيه ولا تقصير، دمثاً ليس بالجاحف، ولا المهين، يعَظّمُ النعم، وإن دقت لا يذم منها شيئاً، ولا يذم مذاقاً ولا يمدحه، ولا تغضبه الدنيا ولا ما كان لها، واذا تعرض للحق لا يعرفه احد، ولا يقوم لغضبه شيء حتى ينتصر له، ولا يغضب لنفسه، ولا ينتصر لها،

واذا اشار اشار بكفه كلها ، واذا تعجب قلبها كلها ، واذا تحدث اتصل بها، فيضرب ببطن راحته اليمنى ابهـــام اليسرى ، واذا غضب أعرض وأشاح ، واذا فرح غضّ طرفه ، جلّ ضحكه التبسم ، ويفتر عن مثل حبّ الغمام ، كان دخوله لنفسه ما دون له في ذلك .

كان اذا آوى الى منزله جزّأ نفسه ثلاثة أجزاء : جزء لله تعالى ، وجزء لأهله، وجزء لنفسه . ثم يجزّء جزءَه بينه وبين الناس، فيردّ ذلك على العامة بالخاصة ، ولا يدّخر عنهم شيئاً ، فكان في سيرته في جزء أهله الامة إيثـار اهل الفضل باذنه، وقسمه عليهم على قدر فضلهم في الدنيا، فمنهم ذو الحاجة، ومنهم ذو الحاجتين ، ومنهم ذو الحوائج، فيتشاغل بهم فيما أصلحهم ، والامة عن مسألة عنهم ، وإخبارهم بالذي ينبغي لهم ، ويقول : ليبلّغ الشاهد الغائب ، وأبلغوني حاجة من لا يستطيع بلاغي ، فان من أبلغ سلطاناً حاجة من لا يستطيع إبلاغها ثبّت الله قدمه يوم القيامة . ولا يذكر عنده الاراذل، ولا يقبل من أحد غيره عذره ، يدخلون زواد ، ولا يفترون إلا عن ذواق ، ويخرجون أذلة .

وكان ﷺ يخزن لسانه إلا مما يعنيهم ، ويؤلفهم ولا يفرقهم ولا ينفرهم، ويكرم كريم كل قوم ، ويوليه عليهم ، ويحذر الناس ويحترس منهم ، من غير ان يطوي على احد بشره ، ولا خلقه ؛ يتفقد اصحابه ، ويسأل الناس عمـا في الناس ، ويحسّن الحسَن ويصوّبه ، ويقبّح القبيح ويوهنه ، معتدل الامر، غير مختلف ، لا يغفل مخافة ان يغفلوا او يميلوا لكل حال عنـده عياد ، لا يقصّر عن الحق ، ولا يجاوزه ، الذين يلونه من النـاس خيارهم ، وأفضلهم عنده أعمهم نصيحة ، وأعظمهم عنده منزلة أحسنهم مواساة وموازرة .

وكان ﷺ لا يجلس ولا يقوم إلا بذكر الله تعالى ، لا يوطن الأماكن ، وينهى عن إيطانها، واذا جلس الى قوم جلس حيث ينتهي به المجلس ، ويأمر بذلك ، يعطي كل جلسائه بنصيبه ، لا يحسب جليسه ان احـداً أكرم عليه منه ممن جالسه او قاومه في حاجة صابره ، ما تفارقه حتى يـده يكون هو المنصرف ، ومن سأله في حاجة لم يردّه إلا بها او ما يسره من القول .

قد وسع الناس بينهم منه بسطه وخلقه ، فصار لهم أباً ، وصاروا عنده في الحق سواء ، مجلسه حلم ، وحياء وصبر، وأمانة، لا ترفع عنده الاصوات، ولا تؤبّن فيـه الحرم ، ولا تثني فلتاته ، معادلين متفاضلون فيه بالتقوى ، متواضعون يوقرون الكبير ، ويرحمون الصغير ، ويؤثرون ذوي الحاجـة ، ويحفظون الغريب .

وكان ﷺ دائم البشر ، سهل الخلق ، ليّن الجانب ، ليس بفظّ ، ولا غليظ ، ولا صخّاب ، ولا فحّاش ، ولا عيّاب ، ولا مزّاح ، يتغافل عما لا يشتهي ، ولا ييأس ولا يخيب فيه مؤمّله ، قـــد تزكى من ثلاث : المراء ، والإكثار ، وما لا يعنيه . وتزكى الناس نفسه من ثلاث .

كان لا يذمّ احداً ، ولا يعيّره ، ولا يطلب عورته ، ولا يتكلم إلا فيما يرتجى ثوابه ، اذا تكلم أطرق جلساؤه كأن على رؤوسهم الطير، فاذا سكت تكلموا ، ولا يتنازعون عنـده ، ان تكلم أنصتوا له حتى يفرغ ، حديثهم عنده حديث أوليتهم ، يضحك مما يضحكون منه ، ويتعجب مما يتعجبون ، ويصبر على الغريب ، على الجفوة ، في مسألته ومنطقه ، حتى ان كان اصحابه يستجلبون بهم ، ويقول : اذا رأيتم طالب حاجة فارشدوه ، ولا يقبل الثناء إلا من مكافىء ، ولا يقطع على احد حديثه حتى يجوزه .

وكان سكوته على أربع : الحلم ، والحذر ، والتقدير ، والتفكر . فأما تقديره ففي تسويته النظر والاستماع بين النـــاس ، وأما تفكره ففي ما يفنى ويبقى ، وجمع له الحلم في الصبر ، فكان لا يغضبه شيء، ولا يستفزّه ، وجمع له الحذر في اربع : أخذه بالحسن ليقتدى به ، وتركه القبيح لينتهى عنه ، واجتهاده الرأي فيما أصلح أمته،والقيام فيما جمع له من خيري الدنيا والآخرة.

خدمه انس بن مالك عشر سنين الى ان توفاه الله تعالى ، فما قـــال لشيء فعله ، لِمَ فعلته ؟ ولا لشيء لم يفعله ، لِمَ لم أفعله ؟ ما عاب طعاماً ، كان اذا اشتهاه أكله ، وان لم يشتهيه تركه ، كان يقول في السرّاء : الحمـــد لله المنعم المتفضل . وكان يقول في الضرّاء : الحمد لله على كل حال . كان يذكر الله على كل أحيانه . كان يسلّم على العبيد والاماء والصبيان . كان يمازح الصغير ، ويلاعب الوليد ، ويمازح العجوز ، ولا يقول إلا حقاً . كان رؤوفاً، رحيماً ، ليّناً ، هيناً ، شفيقاً ، رفيقاً ، لطيفاً ، سؤساً .

كان ﷺ أجلّ وأعظم من ان يحيط ناعت بوصفه ، ولكن ما وصفه من وصفه إلا بقدر ما ظهر له منه ﷺ .

تفسير ما وقع في هذا الفصل من الغريب :

المشذب : المفرط في الطول ؛ شعر رجــل : الرجل الذي ليس بالسبط فان السبط الذي لا تكسّر فيه، والقطط: الشديد الجعودة، والعقصة: الشعر المعقوص ، وهو نحو من المظفور ، وهي ظفيرتان تضم احداهما الى الاخرى ، يشبه التكتف ، الزجج في الحواجب : أن يكون بينهما تقوّس مع طول في أطرافها ، وهي التوسع فيها ، والقرَنُ: التقاء الحاجبين حتى يتصلا ، والبلج:

ضد القرن وهو ان لا يلتقي الحاجبان ويبقى بينهما بيـاض ، وهو محبوب ، والعِـرْق : الذي يُدرّه الغضب دروره غلظه وتنوه وامتلاؤه اذا غضب ، والعرنين : الانف ، والقنا : ان يكون فيه دقة ارتفاع في قصبته ، يقال منه رجل أقنى ، وامرأة قنواء ، والاشم : ان يكون الانف دقيقاً لا قناء فيه ، وكتفاه من غير عرض ، ولا طول ، والظليع : الفم الواسع .

قال ابو عبيد الله : وأحسبه بعين جود في الشفتين ، والاشنب : الذي في اسنانه تفرّق ، والمشربة : الشعر الذي بين اللبة والسرة كالخط . والجيد : العنق . والدمية : الصورة من الرخام ، وتجمـــع على دما . والكراديش : العظام ، والزندان ، العظمان اللذان في الساعدين المتصلان بالكفين. والقصب: كل عظم ذي مخ مثل الساقين والذراعين والعضُدين. وبسوطتهما: امتدادهما. والشثن في الكفين والقدمين : بعض غلط ، والاخمص من القدم في باطنها ما بين صدرها وعقبها ، وهو الذي يلصق بالارض من القدمين في الوطء ، ومعنى قوله خمصان : يعني أن ذلـــك الموضع من قدميه ، فيه تجاف عن الارض وارتفاع مأخوذ من خمصانة البطن وهو ضمره . والمسبح القدمين : يعني أنهما ملسان وان ليس في ظهرهما تكبير ، قال : ينبو عنهما الماء، يقول : لا ثبات الماء عليهما ، وقوله : اذا خطا تكفأ : يعني تمايـــل ، مأخوذ من تكفىء السفن . ذريع المشية : واسع الخطا، كأنما ينحط من صبب . يريد انه مقبل على ما بين يديه . غضّ الطرف : خافض الطرف . التفت جميعاً : يريد انه لا يلوي عنقه دون جيده ، فان فيه بعض الخفة والطيش . والدمث : اللين السهل . والإشاحة : الحد والحذر . والافترار : ان تكثر الاسنان ضاحكاً من غير قهقهة . وصبّ الغمام : البرد شبه بياض اسنانه . الرواد : الطالبون، أحدهم رائد . والعثار : العدّة، لا يوطن نفسه : لا يجعل له موضعاً يعرف،

انما يجلس حيث ينتهي بـــه المجلس . لا تؤبن له الحرم : أي لا توصف فيه النساء . لا تثني فلتاته : الفلتات السقطات . ويثني : يتحدث بهـا ، يقال : ثنوت أثنو ، والاسم منه الثناء ، ومنه قول امرء القيس :

ولو عن ثناء غيره جاءني وجرح اللسان كجرح اليدِ

والامهق : الشديـد البياض الذي يضرب بياضه الى الشهبة . والازهر : هو الابيض الناصع البياض . والصلت : المستوى . والفتكان : مواضع العظام حول المنفقة . والكتد : موضع الكتفين .

أسماؤه ﷺ :

محمد ، وأحمد ، وقاسم ، والعاقب ، والحاشر ، والمقفى ، نبي الرحمـة ، ونبي الملحمة ، والبشير ، والنذير ، والسراج المنير ، والعزيز ، والرؤوف ، والرحيم ، والخاتم ، والماحي ، ونبي التوبة ، ونبي الملاحة ، والفاتح ، والمتوكل ، والشاهد ، والحرز ، والراعي ، وطه ، ويس ، والمزمّل ، والمدثّر .

خصائصه ﷺ ، وعلى الانبياء عليهم السلام :

بُعث الى الناس كافة ، وأحلّت له الغنائم ، ونصر بالرعب مسيرة شهر ، وأوتي جوامع الكلم ، وجعلت له الارض مسجداً ، وجعل التراب له طهوراً ، ما لم يجد الماء ، وأعطي مفاتيح خزائن الارض ، وأعطي فاتحـــة الكتاب وخواتيم البقرة ، وأعطي افتتاح الشفاعة .

بعوثه ﷺ الى كسر الاصنام الى ذي الخلصة ليهدمها :

وبعث خـــالد بن عبد الله الوليد ، الى العزّى ، وبعث الى ذي الكفين

الطفيل بن عمرو الدوسي ، فجعل يحرقه بالنار ، ويقول : يا ذا الكفين لست من عبّادك . وكان ذو الكفين صنماً لعمر بن جمحـة ، وبعث سعيد بن عمير الأسهل ، الى مياه بالمشلل ، وبعث عمرو بن العاص ، الى سُواع هذيل .

ركابه ﷺ :

كان له ثلاث نياق : الجدعاء ، والعضبا ، والقصوى .

أفراسه ﷺ :

ستة : سكب ، والمرتجى ، وطرب ، واللحيف ، والورد ، واليعسوب.

سيوفه ﷺ :

ذو الفقار ، والمخدم ، والرسوب ، والعضب ، والبتار ، والحتف .

دروعه ﷺ :

ثلاث : الصغدية ، وقصية ، وذات الفصول .

قسيّه ﷺ :

ثلاثة : الروحا ، والصفرا ، والبيضاء .

رماحه ﷺ :

ثلاثة : لم يسمّهم لنا احد مما روينا عنهم ، وكان له ترس واحـد لم يسمّ لنا ، وكان اسم بغلته: دلدل . واسم حماره : اليعفور. واسم جبته: اللكنا. واسم عمامته : السحاب . واسم رايته: العقاب . واسم لوائه : الحمد . واسم

قصعته : الغرّاء . وكان يحملها اربع رجال ، فيها اربع حلق حديد ، وقد نظمت اسماء ما ذكرته في ابيات لتضبط لحفّاظها ، فقلت :

ذاتُ الفصول وذو الفقار ودلدل والحمدُ واليعفور واللكناءُ
سكب ومرتجى وثم لحيفة والورد واليعسوب والجدعاءُ
طرب وقصية مثلها صعديّة والعضبُ والبتار والبيضاءُ
ثم الرسوب ومخدم والحتف لا تنساه والروحاء والصفراء
ثم السحاب مع العقاب يليها الناقة العضباء والقصواء
واذا اراد بأن يمدّ سماطه قامت به وبصحبه الغرّاء
فمتاعه وسلاحه وركابه هذا الذي جاءت به الأنباء

ومنه قول القائل :

« لنا الجفناتُ الغرُّ يلمعنَ في الضحى »

والذي رويناه من مآكله ومشاربه سيأتي بعد ان شاء الله تعالى بطريق كما رويناه .

اسماء الغزوات التي قاتل فيها عليه الصلاة والسلام :

وهي : بدر ، وأُحد ، والخندق ، والمصطلق ، وخيبر ، والفتح ، وحنين ، والطائف .

كذا قال ابن اسحاق : قدر ما بلغ صداق رسول الله ﷺ من الدراهم ، والدنانير ، وغير ذلك ، من اصدقها اربعمائة درهم : عائشة ، وسودة ، وزينب بنت جحش ، وحفصة ، وجويرية . وقيل : ممن قضى عنهما كتابهما ،

وجعل ذلك صداقها : ميمونة بنت الحارث ، وزينب بنت خزيمة . ومن اصدقها اربعمائة دينار ، ومن اصدقها فراشاً حشوة ليف ، وقدحاً وصحفة ، وخشبة .

وأما صفية فجعل عتقها صداقها . وما بلغني مقدار صداق بقية نسائه .

ذكر من تولى غسله ﷺ لما مات :

وهم : علي بن ابي طالب، والعباس بن عبد المطلب، والفضل بن العباس ، وقثم بن العباس، وأسامة بن زيد، وشقران مولى رسول الله ﷺ ، وأحضروا أوس بن خولي جدّ بني عوف بن الجراح ، فكان علي يسنده ويغسله ، وكان العباس ، والفضل ، وقثم ، يقلبونه معه ، وكان أسامة بن زيد ، وشقران ، يصبّان الماء عليه ، وأنزله في قبره عليه السلام علي بن ابي طالب، والعباس، والفضل ، وقثم ، ابنا العباس ، وأوس بن خولي .

اكفانه ﷺ :

كفّن عليه السلام في ثلاثة اثواب بيض سحولية ، ليس فيها قميص ولا عمامة، قال ابن اسحاق: ثوبان صحاريان، وبرد حبرة ، وأدرج فيها ادراجاً .

نوابه ﷺ الذي استعملهم على المدينة في وقت خروجه لغزو، او عمرة، او حج:

ابو لبابة ، وبشير بن عبد المنذر ، وعثمان بن عفان ، رضي الله عنهم ، وعبد الله بن ام مكتوم الاعمى ، وأبو ذر الغفاري ، وعبد الله بن عبد الله ابن ابي سلول الأنصاري ، وسباع بن عرفطة ، ونميلة بن عبد الله الليثي ، وعريف بن اضبط الديلمي ، وأبو دهم كلثوم ، ومحمد بن مسلمة ، وزيد بن

حارثة ، والسائب بن عثمان بن مظعون ، وأبو سلمة بن عبد الأسد ، وسعد ابن عبادة ، وأبو دجانة الساعدي .

فأما البابة ، وبشير بن المنذر ، استعملهما ﷺ على المدينة في وقت خروجه لغزوة السويق ، وبني قينقاع ، وهي غزوة بدر الكبرى ، بعدما كان قد استعمل ابن ام مكتوم ، فردّ ابو لبابة من الروحاء .

وأما عثمان بن عفان ، رضي الله عنه ، فاستعمله ﷺ على المدينة في وقت خروجه لغزوة ذي أمرّ ، وغزوة ذات الرقاع ، وقيل : انما استعمل أبا ذر في ذات الرقاع .

وأما عبد الله بن ام مكتوم الاعمى ، فاستعمله ﷺ في خروجه لغزوة نجران ، يريد قريشاً ، وغزوة أُحد ، وغزوة بني النضير ، قريظة ، وغزوة الرجيع ، وغزوة ذي قرد ، وغزوة بدر ، إلا أنه بعث ﷺ من الروحا أبا لبابة ، الى المدينة في غزوة بدر ، استعمله عليها .

وأما ابو ذر الغفاري ، فاستعمله ﷺ في خروجه لغزوة ذات الرقاع ، وغزوة بني المصطلق ، وقيل: انما استعمل عليها نميلة بن عبد الله الليثي .

وأما عبد الله بن عبد الله بن ابي سلول ، فاستعمله ﷺ على المدينة في خروجه لميعاد ابي سفيان بن حرب .

وأما سباع بن عرفطة الغفاري ، فاستعمله ﷺ على المدينة في خروجه لغزوة دومة الجندل ، وفي استعماله عليها في غزوة تبوك ، وفي خروجه لحجة الوداع ، خلاف .

وأما نميلة بن عبد الله الليثي ، فاستعمله ﷺ على المدينة في خروجه للحُديبية ، وخيبر ، وفي استعماله في غزوة بني المصطلق خلاف .

وأما عوف بن اضبط الديلمي ، فاستعمله ﷺ في خروجه لعمرة القضاء .

وأما ابو دهم كلثوم بن حصين بن عيينة بن خلف الغفاري ، فاستعمله ﷺ في خروجه لغزوة فتح مكة .

وأما محمـــد بن سلمة الأنصاري ، فاستعمله ﷺ على المدينة في خروجه لغزوة تبوك ، وفيه خلاف ، فان عبد العزيز بن محمد الاندراوردي .

وأمـــا زيد بن حارثة ، فاستعمله ﷺ على المدينة في خروجه لغزوة كرز بن جابر ، وهي بدر الاولى .

وأما السائب بن عثمان بن مظعون فاستعمله ﷺ في خروجه لغزوة بواط، يريد قريش ، وهي ناحية رضوى .

وأما ابو سلمة بن عبد الاسد ، فاستعمله ﷺ في خروجه لغزوة العشيرا من بطن ينبع .

وأما سعد بن عبادة،فاستعمله ﷺ على المدينة في خروجه لغزوة الأبواء .

وأمـــا ابو دجانة الساعدي ، فاستعمله ﷺ على المدينة في خروجه لحجة الوداع .

وأما نائبه بمكة فعتّاب بن اسيد .

كتّابه ﷺ :

وهم : عثمان ، وعلي ، وأبي بن كعب ، وزيد بن ثابت ، ومعاوية ، وخالد ابن سعيد بن العـــاص ، وأبّان بن سعيد ، والعـلاء بن الحضرمي ، وحنظلة ابن الربيع ، وعبد الله بن سعد بن ابي سرح ، اخو عثمان من الرضاع ، فهؤلاء كتّاب الوحي رضي الله عنهم اجمعين . وكان الزبير بن العوّام ، وجهم بن

الصلت ، يكتبان اموال الصدقات . وكان حذيفة بن اليمان يكتب حوض النخل . وكان المغيرة بن شعبة ، والحصين بن نمـــير ، يكتبان المداينات والمعاملات . وكان شرحبيل بن حسنة ، يكتب التوقيعات الى الملوك . وقد كتب له ابو بكر ، رضي الله عنه ، حين هاجر في الطريق .

اولاد هاشم بن عبد مناف بن قصيّ :

عبد المطلب ، وأسد ، وأبو صيفي ، ونضلة ، وبناته : السقا ، وخالدة ، وصفية ، ورقيّة ، وحية . فعبد المطلب ، ورقية ، لأم واحدة ، وهي سلمة بنت عمرو ، وريحانة ، وأم اسد ، قبيلة بنت عامر الخزاعية ، وأبو صيفي ، وحية ، لأم واحدة ، وهي هند بنت عمرو ، الخزاعية . ونضلة ، والسقا ، لأم واحدة ، وهي قضاعية . وخالدة ، وصفيقة ، لأم واحدة ، وهي واقدة بنت ابي عديّ المازية .

وأولاد عبد مناف : هاشم ، وعبد شمس ، والمطلب ، وهم لأم واحدة ، وهي عاتكة بنت مرة ، ونوفل بن عبد مناف ، أمـــه واقدة بنت عمر ، ومــارية ، وأبو عمرو وريطة امها . ثقيفة ، وتماضر ، وقلابة ، وحنـّة ، وأم الأختم ، وأم سفيان ، كلهم لأم واحدة ، وهي عاتكة بنت مرة التي هي أم عبد شمس . والمطلب ، اولاد عبد مناف ، اولاد قصي ، واسمه زيـد بن كلاب ، وعبد مناف ، وعبد الدار ، والعزي ، وبجير ، ونجم ، وأمهم حنة بنت خليل الخزاعية .

ذكر حجة رسول الله ﷺ التي تسمى حجة الوداع :

وفيها قال : خذوا عني مناسككم ، من حديث الحميدي ، قال : انشدني ابو محمد عبد الله بن عثمان النحوي ، بالمغرب لبعض اهل بلاد الغرب في التشويق الى مكة ، ولم يسمّ قائلها ، وقد كان أنشدنيها ابن هلال ، وذكر قائلها :

يحن الى ارض الحجاز فؤادي ويحدو اشتياقي نحو مكة حادي
ولي املٌ ما زال يسمو بهمّتي الى البلدة الغرّاء خير بلادِ
بها كعبة الله التي طاف حولها عباد همُ لله خيرُ عباد
لا قضى حقّ الله في حجّ بيته بأصدق ايمانٍ وأطيب زاد
أطوف كما طاف النبيون حولها طواف انقياد لا طواف عناد
واستلم الركن اليماني تابعاً لسنّة مهديّ وطاعة هادي
وأركع تلقاء المقام مصلّياً صلاةً أرَجّيها ليوم معادي
وأسعى سبوعاً بين مروة والصفا أهلل ربي تارةً وأنادي
وآتي منىً أقضي بها التفث الذي يتم به حجّي وهدي رشادي
فياليتني شارفت أجبل مكةٍ وبتّ بوادٍ عند أكرم وادي
ويا ليتني روّيت من ماء زمزم صدى خلدٍ بين الجوانح صادي
ويا ليتني قد زرت قبر محمدٍ فأشفي بتسليم عليه فؤادي

قال ابن هلال: أجبال مكة، وقال: صدى كبدي، والسياق للحميديّ.

ولما فتح الله مكة، حج بالناس منه ثمان، عتاب بن السويد، وحج في سنة تسع ابو بكر الصديق رضي الله عنه. ثم أن رسول الله ﷺ حج بالناس سنة عشر على ما ثنا به عبد الحق الازديّ الاشبيلي كتابة.

وثنا ابو الوليد جابر بن ابي ايوب الحضرمي، مشافهة بمسجد الوادي بإشبيلية، قال: ثنا ابو الحسن شريح بن محمد بن شريح قال:

قال ابو محمد علي بن احمد بن سعيد: لما اراد رسول الله ﷺ ان يحج، أعلم الناس انه حاج، ثم امرنا بالخروج معه. فأصاب الناس بالمدينة جدري او حصبة منعت من شاء الله ان يمنع من الحج، فأعلم رسول الله ﷺ أن

عمرة في رمضان تعـدل حجة ، وخرج رسول الله ﷺ ، عامداً الى مكة ، عام حجة الوداع التي لم يحج من المدينة منذ هاجر عليه السلام غيرها ، فأخذ على طريق الشجرة ، وذلك يوم الخميس لستٍ بقين من ذي القعدة سنة عشر نهاراً ، بعد ان ترجل ، وادّهن بعد ان صلى الظهر بالمدينة ، فصلى العصر من ذلك اليوم بذي الحليفة ، وبات ليلة الجمعة ، وطاف تلك الليلة على نسائه، ثم اغتسل ، ثم صلى الصبح بهـا ، ثم طيّبته عائشة رضي الله عنها ، بيدها بذريرة وبطيب فيه مسك ، ثم احرم ولم يغسل الطيب ، ثم لبّد رأسه ، وقلّد بدنته نعلين ، وأشعرها في جانبها الأيمن ، وسالت الدم عنها ، وكانت هدي تطوّع ، وكان عليه السلام ، ساق هدي نفسه ، ثم ركب راحلته ، وأهلّ حين انبعثت به راحلته من عنـد مسجد ذي الحُليفة ، بالقران ، بالعمرة والحج معاً ، وذلك قبل الظهر بيسير ، وقال للناس بذي الحليفة :

« من اراد منكم ان يهلّ بحجّ وعمرة ، فليهل ، ومن اراد ان يهل بعمرة فليهل » .

وكان معه عليه السلام من الناس جموع لا يحصيها إلا خالقها ورازقها عز وجل ، ثم لبّى رسول الله ﷺ فقال : لبيك اللهم لبيك لا شريك لك ان الحمد والنعمة لك والملك ، لا شريك لك .

وقد روي أنـه عليه السلام زاد على ذلك فقال : لبيك إله الحمد ، وأتاه جبريل عليه السلام ، وأمره أن يأمر اصحابه أن يرفعوا اصواتهم بالتلبية .

وولدت اسماء بنت عميس الخثعمية ، زوجة ابي بكر الصديق رضي الله عنه ، محمـد بن ابي بكر ، وأمرها رسول الله ﷺ ، أن تغتسل ، وتستفر بثوب ، وتحرم ، وتهلّ ، ثم نهض عليـه السلام ، وصلى الظهر ، بالبيداء ،

واستهل هلال الحجة ليلة الخميس اليوم الثامن من يوم الخروج من المدينة ، فلما كان بسرف حاضت عائشة رضي الله عنها ، وكانت قد أهلّت بعمرة ، فأمرها رسول الله ﷺ ان تغتسل ، وتنقض رأسها ، وتمتشط ، وتترك العمرة ، وتدعها وترفضها ، ويدخل منها، وتدخل على العمرة حجاً ، وتعمل جميع اعمال الحج ، حاشا الطواف بالبيت ما لم تطهر، وقال عليه السلام وهو يشير للناس : من لم يكن معه هديٌ فلا يعتمر ، فمنهم من جعلها عمرة كما أبيح له ، ومنهم من تماد على نية الحج ولم يجعلها عمرة اصلاً .

وأمر عليه السلام في بعض طريقه ذلك كل من كان معه هديٌ أن يهل بالقران ، بالحج والعمرة معاً ، ثم نهض عليه السلام الى ان نزل بذي طوًى ، فبات بها ليلة الاحد لأربع خلين من الحجة ، وصلى الصبح ، ودخل مكة نهاراً ، من اعلاها ، من كداء ، من الثنية العليا، صبيحة يوم الاحد المذكور المؤرخ ، واستلم الحجر الاسود ، وطاف ﷺ بالكعبة سبعاً ، ورمل ثلاثاً منها ، ومشى اربعاً يستلم الحجر الاسود ، والركن اليماني ، في كل طوافه ، ولا يمس الركنين الاخيرين اللذين في الحجر ، وقال بينهما :

« ربنا آتنا في الدنيا حسنة ، وفي الآخرة حسنة ، وقنا عذاب النار » .

ثم صلى عند مقام ابراهيم عليه السلام ركعتين ، يقرأ فيهما مع أم القرآن: قل يا أيها الكافرون ، والإخلاص ، وجعل المقام بينه وبين الكعبة ، وقرأ عليه السلام اذا اتى المقام قبل ان يركع : واتخذوا من مقام ابراهيم مصلّى، ثم رجع الى الحجر الاسود فاستلمه ، ثم رجع الى الصفا فقرأ : إن الصفا والمروة من شعائر الله . أبدأ بما بدأ الله به، فطاف بين الصفا والمروة ايضاً، راكباً سبعاً على بعيره ، يخبّ ثلاثاً ، ويمشي اربعاً ، اذا رقا على الصفا ،

استقبل القبلة ، ونظر الى البيت ، ووحد الله وكبّره ، وقال : لا إله إلا الله وحده ، لا شريك له ، له الملك ، وله الحمد ، وهو على كل شيء قدير، لا إله إلا الله وحده، أنجز وعده، ونصر عبده، وهزم الاحزاب وحده ، ثم يدعو، ثم يفعل على المروة مثل ذلك ، فلما كمّل الطواف ، والسعي ، عليه السلام ، أمر كل من لا هدي معه ، بالإحلال حتماً ، ولا بـد قارناً كان او مفرداً ، وأن يحلـّوا الحل كله ، من وطء النساء ، والطيب ، والمخيط ، وأن يبقوا على ذلك الى يوم التروية ، وهو يوم منى ، فيهلوا حينئذ بالحج ، ويحرموا حين ذلك عند نهوضهم الى منىً ، وأمر من معه الهدي بالبقاء على احرامه ، وقال لهم عليه السلام : لو استقبلت من امري ما استدبرت مـا سقت الهدي حتى اشتريته ، ولجعلتها عمرةً ، ولأحللت كما حللتم ، ولكنني سقت الهـــدي فلا أحل حتى أنحر الهدي .

وكان ابو بكر ، وعمر ، وعلي ، وطلحة ، والزبير ، رضي الله عنهم ، ورجال من اهل الوفر ، ساقوا الهدي ، فلم يحلـّوا ، وبقوا محرمين ، كما بقي عليه السلام محرماً ، لأنه كان ساق الهدي مع نفسه ، وكل أمهات المؤمنين لم يسقن هدياً ، فأحللن، وكنّ قارنات حجاً ، وعمرة ، وكذلك السيدة فاطمة بنت النبي ﷺ ، وأسماء بنت ابي بكر الصديق رضي الله عنهما ، أحلـّتا ، حاشا عائشة رضي الله عنها ، فانهـــا من اجل حيضها لم تحل ، كما ذكرنا ، وشكى علي فاطمة ، الى النبي ﷺ ، اذا حلـّت فصدقها رسول الله ﷺ في أنه هو امرها بذلك،وحينئذ سأله سُراقة بن مالك بن جعشم الكناني، فقال: يا رسول الله متـّعتـُنا هذه لعامنا هذا ام للأبد؟ ولنا ام للأمة ؟ فشبك عليه السلام بين اصابعه ، وقال : بـل للأبد ، وللأمة ، دخلت عمرة في الحج الى يوم القيمة ، وأمر عليه السلام من جاء الى الحج على غير الطريق الذي أتى

عليها عليه السلام ، ممن أهّل كاهلاً عليه السلام ، بأن يثبتوا على احوالهم ، فمن ساق منهم الهدي لم يحلّ ، فكان علي في اهل هذه الصفة ، ومن كان منهم لم يسق الهدي ان يحل ، فكان ابو موسى الاشعري من اهل هذه الصفة ، وقام عليه السلام بمكة محرماً ، من اجل هديه يوم الاحد المذكور ، والاثنين ، والثلاثاء ، والاربعاء وليلة الخميس ، ثم نهض ﷺ ضحوة يوم الخميس ، وهو يوم منى التروية مع الناس الى منى ، وفي ذلك الوقت أحرم بالحج من الابطح كل من كان من اصحابه ، رضي الله عنهم ، فأحرموا في نهوضهم الى منى في اليوم المذكور ، فصلى ﷺ بمنىً الظهر من يوم الخميس ، وبات بها ليلة الجمعة ، وصلى بها ليلة الجمعة ، وصلى بها الصبح من يوم الجمعة ، ثم نهض عليه السلام بعد طلوع الشمس من يوم الجمعة المذكور ، الى عرفة ، بعد ان امر الناس عليه السلام ، ان تضرب له قبة من شعر بنمرة ، فأتى عليه السلام عرفة في قبته التي ذكرنا ، حتى اذا زالت الشمس ، أمر بناقته القصوى ، فرحلت له ، ثم أتى بطن الوادي ، فخطب الناس على راحلته خطبة ، ذكر فيها تحريم الدماء ، والاموال ، والاعراض ، ووضع فيها أمور الجاهلية ودماءها،وأول دم وضع فيها دم ابن ربيعة بن الحارث بن عبدالمطلب، كان مسترضعاً في بني سعد بن بكر بن هوازن، فقتله هذيل، وذكر النسّابون أنه كان صغيراً يحبوا امام البيوت ، وكان اسمه آدم ، فأصابه حجر عابر، او سهم من غرب ، من يد رجل من بني هذيل فمات .

قال ابو محمد ، ثم نرجع الى وصف علمه : ووضع ايضاً عليه السلام في خطبة ربا الجاهلية ، وأول ربا وضعه ، ربا عمه العباس ، وأوصى بالنساء خيراً ، وأباح ضربهن غير مبرّح ان عصين بما لا يحل لهن، وقضى لهن بالرزق، والكسوة ، بالمعروف على ازواجهن ، وأمر بالاعتصام بعده بكتاب الله عز

وجلّ ، وأخبر انه لا يضل من اعتصم بالله، وأشهد الله عز وجل على الناس، انه قد بلغهم ما يلزمهم ، فاعترف الناس بذلك ، وأمر عليه السلام ان يبلّغ الشاهد منهم ، الغائب .

وبعثت اليه ام الفضل بنت الحارث الهلالية؛ وهي ام عبد الله بن العباس، لبناً في قدح فشربه وهو امام الناس ، وهو على بعيره ، فعلموا أنه ﷺ ، لم يكن صائماً في يومه ذلك ، فلما أتم الخطبة المذكورة ، امر بلالاً فأذن ، ثم اقام ، فصلى الظهر ، ثم اقام فصلى العصر ، ولم يصلّ بينهما شيئاً ، لكن صلّاهما عليه السلام بالناس مجموعتين في وقت الظهر بأذان واحد لهما معاً ، بإقامتين ، لكل صلاة منهما اقامة ، ثم ركب ﷺ راحلته حتى أتى الموقف، فاستقبل القبلة ، وجعل جبل المشاة بين يديه ، فلم يزل واقفاً للدعاء هنالك حتى سقط رجل من المسلمين عن راحلته ، وهو محرم في جملة الحجيج ، فمات، فأمر رسول الله ﷺ بأن يكفن بثوبه ، ولا يمسّ بطيب ، ولا مخيط ، ولا يغطّى رأسه ولا وجهه ، وأخبر ﷺ أنه يبعث يوم القيمة ملبياً ، وسأله قوم من اهل نجد هنالك عن الحج ، فأعلمهم عليه السلام بوجوب الوقوف بعرفة ، ووقت الوقوف بها ، وأرسل الى الناس أن يقفوا على مشاعرهم ، فلم يزل واقفاً للدعاء حتى غربت الشمس من يوم الجمعة المذكورة،وذهبت الصفرة.

أردف أسامة بن زيد خلفه ، ودفع عليه السلام ، وقد ضم بزمام القصوى حتى ان رأسها ليصيب طرف رجله ، ثم مضى يسير العنق ، فاذا وجد فجوة نص ، وكلاهما ضرب من السير ، والنص أكدهما ، والفجوة ، الفسحة من الناس ، كلما أتى ربوة من تلك الروابي ، أرخى للناقة زمامها قليلاً حتى يُصعدها ، وهو عليه السلام يأمر الناس بالسكينة بالسير ، فلما كان في

الطريق عن الشعب الأيسر ، نزل عليه السلام فيه فبـــال ، وتوضأ وضوءاً خفيفاً ، وقال لأسامة : المصلى أمامك ، او كلاماً هذا معناه .

ثم ركب حتى اتى المزدلفة ليـلة السبت العاشرة من الحجة ، فتوضأ ثم صلى بهـا المغرب ، والعشاء الاخيرة ، مجموعتين في وقت العشاء الاخيرة دون خطبة ، لكن بآذان واحد لهما معاً ، وبإقامتين ، لكل صلاة منهما إقامة ، ولم يصلّ بينهما شيئاً . ثم اضطجع عليه السلام بها حتى طلع الفجر ، وأقـام عليه السلام ، وصلى الفجر بالناس بالمزدلفة يوم السبت المذكور ، وهو يوم النحر، يوم الاضحى، يوم العيد، يوم الحج الاكبر، مغلساً اول انصداع الفجر، وهنالك سأله عروة بن مضرس الطائي، وقد ذكر له عليه السلام، آله حج .

فقال له عليه السلام: إن من ادرك الصلاة ، يعني صلاة الصبح بمزدلفة في ذلك اليوم مع الناس ، فقد ادرك الحج ، وإلا فلم يدرك ، فاستأذنته سودة ، وأم حبيبة في ان يدفعـــا من مزدلفة ليلاً ، فأذن لهما ، ولأم سلمة في ذلك اليوم ، وللنساء ، والصغار ، في ذلك اليوم ، بعد وقوفهم جميعهم بمزدلفة ، وذكرهم الله تعالى بهـا . إلا أنه عليه السلام ، أذن للنساء في الرمي بليل ، ولم يأذن للرجـال في ذلك ، لا لضعفائهم ، ولا لغير ضعفائهم ، وكان ذلك اليوم يوم كونه عند أم سلمة ، فلمـــا صلى الصبح ﷺ بمزدلفة ، أتى المشعر الحرام بها ، فاستقبل القبلة ، فدعـا الله عز وجل ، وهلل وكبّر ووحّد ، ولم يزل واقفاً حتى اسفر جداً ، وقبل ان تطلع الشمس .

فدفع عليه السلام حينئذ من مزدلفة ، وقد اردف الفضل بن العبـــاس، وانطلق أسامة على رجليه في سياق فريس. وهنالك سألت الخثعمية النبي ﷺ ، الحج عن ابيها الذي لا يطيق الحج، فأمرها بأن تحج عنه. وجعل عليه السلام

يصرف بيده وجه الفضل بن العباس عن النظر اليها،والى النساء،وكان الفضل، ابيض وسيماً . وسأله ايضاً رجل عن مثل مـا سألته عنه الخثعمية ، فأمره عليه السلام بذلك ، ونهض عليه السلام يريد منىً ، فلما اتى بطن محسّرة ، حرك ما فيه ، وسلك الطريق الوسطى التي تخرج على الجمرة الكبرى ، حتى اتى منىً ، فأتى الجمرة التي عند الشجرة ، وهي جمرة العقبة ، فرماها عليه السلام من اسفلها بعد طلوع الشمس من اليوم المؤرخ، بحصى التقطها له عبدالله ابن عباس من موقفه الذي رمى فيه ، مثل حصى الخزف ، وأمره بمثلهـا ، ونهى عن اكبر ، وعن الغلوّ في الدين . فرماها عليه السلام وهو على راحلته بسبع حصيات كما ذكرنا ، يكبّر مع كل حصاة منها .

وحينئذ قطع عليـه ، السلام التلبية ، وبلال ، وأسامة ، احدهما يمسك خطام ناقته عليه السلام ، والآخر يظله بثوبه من الحر . وخطب الناس عليه السلام في اليوم المذكور ، وهو يوم النحر بمنىً خطبة ، كرر فيها ايضاً تحريم الدماء والأموال والأعراض والإيثار . وأعلمهم عليه السلام فيهـا بحرمة يوم النحر، وحرمة مكة على جميع البلاد ، وأمر بالسمع والطاعة لمن قاد ، فلعله لا يحج بعد عامه ذلك . وأعلمهم بتمسكهم بكتاب الله عز وجل ، وأمر النـاس بأخذ مناسكهم . وأنزل المهاجرين والأنصار منازلهم ، وأمر ان لا يرجعوا بعده كفاراً ، وأن لا يرجعوا بعـده ضلالاً ، يضرب بعضهم رقاب بعض . وأمر بالتبليغ عنه ، وأخبر أن ربَّ مبلّغ اوعى من سامع .

ثم انصرف عليه السلام الى المنحر بمنىً، فنحر ثلاثة وستين بدنة . ثم امر علياً ، فنحر ما بقي منها ممـا كان عليّ اتى به من اليمن معه ، ومـــا كان اتى به عليه السلام من المدينة ، وكانت تمام المائة . ثم حلق رسول الله ﷺ رأسه المقدّس ، وقسَم شعره ، فأعطى من نصفه الناس الشعرة ، والشعرتين،

وأعطى نصفه الثـاني كله أبا طلحة الأنصاري ، وضحّى عن نسائه بالبقر ، وأهدى عن من كان اعتمر منهن بقرةً . وضحّى هو عليـه السلام في ذلك اليوم بكبشين أملحين . وحلـّق بعض اصحابه ، وقصّر بعضهم . فدعا عليه السلام للمحلـّقين ثلاثاً ، وللمقصرين مرة . وأمر عليه السلام أن يؤخـذ من البدَن الذي ذكرنا ، من كل بدنـة بعضه ، فجعلت في قدر ، وطبخت . فأكل عليه السلام هو وعليّ رضي الله عنه من لحمها ، وشربا من مرقها ، وكان عليه السلام قد أشرك عليّاً فيها ، فأمر عليّاً بقسمة لحمها كلها ، وجلودها ، وجلالها ، وان لا يعطى الجازر على جزارتها شيئاً منها ، واعطاه عليه السلام الأجرة على ذلك من عند نفسه .

وأخبر الناس أن عرفة كلها موقف، حاشا بطن عرفة ، وأن مزدلفة كلها موقف ، حاشا بطن محسّر ، وان منى كلهـا منحر ، وأن فجـاج مكة كلها منحر ، ثم تطيّب عليه السلام قبل ان يطوف طواف الافاضة، ولإحلاله قبل أن يحل في يوم النحر ، وهو يوم السبت المذكور ، فطيّبته عائشة رضي الله عنها بطيب فيه مسك بيدها ثم نهض عليه السلام راكباً الى مكة في يوم السبت المذكور بعينه ، فطاف في يومه ذلك طواف الإفاضة ، وهو طواف الصدر ، قبل الظهر ، وشرب من مـاء زمزم بالدلو ، ومن سد بالسقاية ، ثم رجع من يومه ذلك الى منى ، فصلى بها الظهر .

وهذا قول ابن عمر رضي الله عنهما . قالت عائشة رضي الله عنها وجابر: صلى ظهر ذلك اليوم بمكة ، هذا هو الفصل الذي اشكل علينا ، الفصل فيه لصحة الطريق في كل ذلك ، ولا شك أن في احد الخبرين وهماً ، والثاني صحيح ، قال ابو محمد : لا يدري أيها هو ، وطافت أم سلمة في ذلك اليوم على بعيرها من وراء الناس وهي شاكية ، واستأذنت النبي ﷺ في ذلك فأذن

لها، وطافت ايضاً عائشة رضي الله عنها في ذلك اليوم، وفيه طهرت، وكانت رضي الله عنها حائضة في يوم عرفة ، وطافت ايضاً صفيّة في ذلك اليوم، وحاضت بعد ذلك ليلة النفر ، ثم رجع عليه السلام الى منى .

وسئل عليه السلام حينئذ عما تقدم بعضه على بعض في الرمي ، والحلق ، والنحر ، والإفاضة ، فقال : في كل ذلك ، لا حرج وكذلك ايضاً ، فقال : في تقدم السعي بين الصفا والمروة قبل الطواف بالكعبة ، وأخبر عليه السلام بأن الله تعالى أنزل الداء والدواء إلا الهرم، وعظم إثم من افترض عرض مسلم ظلماً ، فأقام هنالك باقي يوم السبت ، وليلة الأحد ، ويوم الأحد ، وليلة الاثنين ويومه، وليلة الثلاثاء ويومه ، وهذه هي أيام منى، وهي أيام التشريق، برمي الجمار الثلاثة كل يوم من هذه الايام الثلاثة بعد الزوال، بسبع حصَيات كل يوم، لكل جمرة ، يبدأ بالكبرى ، وهي تلي مسجد منى ، ويقف عندها للدعاء طويلاً ، ثم التي تليها ، وهي الوسطى ، ويقف عندها للدعاء كذلك ؛ ثم جمرة العقبة ، ولا يقف عندها ، وكبّر عليه السلام مع كل حصاة، وخطب الناس ايضاً يوم الأحد الثاني من النحر ، وهو يوم الروس .

وقد روى انه عليه السلام خطبهم ايضاً يوم الاثنين ، فأوصى بالأرحام خيراً . وأخبر عليه السلام انه لا تجني نفس على اخرى. فاستأذنه عمه العباس في المبيت بمكة ليالي منى المذكورة ، من أجل سقايته ، وأذن له عليه السلام وأذن للدعاء ايضاً في مثل ذلك .

ثم نهض عليه السلام بعد زوال الشمس من يوم الثلاث المؤرخ ، وهو آخر ايام التشريق ، وهو الثالث عشر من ذي الحجة ، وهو يوم النفر الى المحصّب ، وهو الأبطح ، فضرب بها قبّة ، ضربها ابو رافع مولاه ، وكان

على ثقله عليه الصلاة والسلام ، وقد كان عليه الصلاة والسلام قال لاسامة أنه ينزل غداً بالمحصّب خيف بني كنانة ، وهو المكان الذي ضرب فية ابو رافع القبّة ، وفاقاً من الله عز وجل ، دون ان يأمره النبي ﷺ بذلك، وحاضت صفية ليلة النحر بعد ان أفاضت . فأخبر بذلك النبي ﷺ عليّ،فسأل أفاضت يوم النحر ؟ فقيل له نعم . فأمرها أن تنفر . وحكم فيمن كانت حالتها كذلك ، ان تنفر ايضاً، وصلى عليه الصلاة والسلام بالمحصب الظهر، والعصر، والمغرب والعشاء الأخيرة ، من ليلة الاربعاء المذكورة ، ورقد رقدة .

ولما كان يوم النحر ، والنفر ، رغبت اليه عائشة رضي الله عنها بعد أن طهرت ان يعمرها عمرة مفردة ، فأخبرها عليه الصلاة والسلام ، أنها قد حلّت من عمرتها وحجتها ، فإن طوافها يكفيها ، ويجزئها لحجتها وعمرتها ، فأبت إلا أن تعتمر عمرة مفردة ، فقال لها : ألم تكوني طفتِ ليالي قدمتِ ؟ قالت لا . فأمر عبد الرحمن بن أبي بكر الصدّيق رضي الله عنهما بأن يردفها ، ويعمرها من التنعيم ، ففعلا ذلك . وتطهر النبي ﷺ بأعلى مكة حتى انصرفت من عمرتها تلك، فقال لها : هذا مكان عمرتك ، وأمر الناس أن لا ينصرفوا حتى يكون آخر عهدهم الطواف بالبيت ، ورخص في ترك ذلك للحائض التي قد طافت طواف الإفاضة قبل حيضتها ، ثم انه عليه الصلاة والسلام دخل مكة في ليلة الاربعاء المذكورة ، فطاف بالبيت طواف الوداع لم يرمل في شيء منه سحراً قبل صلاة الصبح من يوم الاربعاء المذكورة، ثم خرج من كداً أسفل مكة من الثنية السفلى ، والتقى ﷺ بعائشة رضي الله عنها وهي ناهضة الى الطواف المذكور ، وهي راجعة من تلك العمرة التي ذكرنا ، ثم رجع عليه الصلاة والسلام وأمر بالرحيل ، ومضى عليه الصلاة والسلام من فوره ذلك راجعاً الى المدينة ، وخرج من مكة من الثنية السفلى،

فكانت مدة إقامتـه عليه الصلاة والسلام بمكة منذ دخلها الى أن خرج الى منى ، الى عرفات ، الى مزدلفــة ، الى منى ، الى المحصّب ، الى ان وجّه راجعاً ، عشرة ايام ، فلما أتى ذا الحليْفة ، بات بها ، ثم لما رأى المدينة ، كبّر ثلاثاً ، وقال : لا إله إلا الله وحده ، لا شريك له ، له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير . أنيبوا تائبون عابدون ساجدون ، لربنا،حامدون ، صدق الله وعده، ونصر عبده، وهزم الأحزاب وحده ، ثم دخل عليه الصلاة والسلام المدينة نهاراً من طريق المعرس . والحمد لله رب العالمين وصلى الله على سيدنا محمد ، وعلى آله ، وصحبه، وسلم تسليماً كثيراً. (انتهى حديث محمد).

وروينا من حديث ابن عباس رضي الله عنهما، في هذه الحجة أن النبيﷺ اخذ بحلقة باب الكعبة، ثم اقبل بوجهه على الناس، فقال : يا معشر المسلمين، إن من أشراط القيامة أماتة الصلاة، واتباع الشهوات، وتكون أمراء خونة، ووزراء فسقة ، فوثب سلمان الفارسي رضي الله عنه، فقال: بأبي أنت وأمي يا رسول الله ، إن هذا ليكون ؟ قال : نعم يا سلمان، وعندها يكون المنكر معروفاً ، والمعروف منكراً . قال : أويكون ذلك ؟ قال : نعم يا سلمان ، وعندها ، يذوب قلب المؤمن في جوفه كا يذوب الملح في الماء ، ممـا يرى ولا يستطيع أن يغيره . قــال : أويكون ذلك ؟ قال : نعم يا سلمان ، ويؤتمن الخائن ، ويخون الأمين ، ويصدّق الكاذب ، ويكذّب الصادق ، قـــال : أويكون ذلك ؟ قـــال : نعم يا سلمان ، إن أولي الناس قوم ، المؤمن بينهم يمشي بالمخافة ، إن تكلم أكلوه ، وإن سكت مات بغيظه ، يا سلمان ، مـا قدّست أمة لا تنتقم من قويّها لضعيفها . قال : أفيكون ذلك ؟ قال : نعم يا سلمان ، وعندها يكون المطر قيظاً ، والولد غيظاً ، وتفيض اللئام فيضاً ، وتغيظ الكرام غيظاً . قال : أويكون ذلك ؟ قال : نعم يا سلمان ، عندها

يعظم رب المـــال ، ويباع الدين بالدنيا ، وتلتمس الدنيا بعمل الآخرة ، ويكتفي الرجال بالرجال، والنساء بالنساء ، وتركب ذوات الفروج السروج، فعليهم من أمتي لعنة الله، يا سلمان ، عندها يلي أمتي قوم جثتهم جثة الناس، وقلوبهم قلوب الشياطين ، إن تكلموا قتلوهم ، وإن سكتوا استباحوهم ، لا يرحمون صغيراً ، ولا يوقرون كبيراً ، لساء ما يزرون ، وتوطأ حرمتهم ، ويجـــار في حكمهم ، عند ذلك ، تكون إمارة النساء ، ومشاورة الإماء ، ونفوذ الصبيان على الناس ، وتكثر الشرط ، وتتحلى ذكور أمتي بالذهب ، ويتهاون بالزنا ، وتظهر القينات ، ويتغنى بكتاب الله ، وتتكلم الرويبضة . قلت : بأبي أنت يا رسول الله وأمي ، وما الرويبضة ؟ قال : يتكلم في أمر العامة من لم يتكلم قبل . قال : أويكون ذلك يا رسول الله ؟ قـال : نعم يا سلمان، عندها تزخرف المساجد ، كما تزخرف الكنايس، والبيَع ، وتحلّى المصاحف بالذهب ، وتطوّل المنابر ، وتكثر الصفوف ، والقلوب متباغضة ، والألسن مختلفة ، ونوالهم لعفة من أعطي على لسان من أعطى شكر ، ومن منع كفر . قال : أويكون ذلك ؟ قال : نعم يا سلمان ، عنـد ذلك ، يأتي سبايا من المشرق والمغرب ، تكون من أمتي ، فويل للضعفاء منهم، وويل لهم من الله ، إن تكلموا قتلوا ، وإن سكتوا قتلوا ، موت على طاعة الله خير من حياة على معصية الله . قال : أويكون ذلك ؟ قال : نعم يا سلمان ، عندها تشارك المرأة زوجها في أمره، ويعق الرجل والده ، ويبرّ صديقه ، يلبّسون جلود الضأن على قلوب الذئاب ، علماؤهم شر من الجيفة . قـال : أويكون ذلك يا رسول الله ؟ قال : نعم يا سلمان ، عندها تكون عبادتهم فيهـــا فيما بينهم ، التلاوة لهـا فيها ، ولا بد يسمّون في ملكوت السماوات والأرض ، الأنجاس والأرجاس . قال : أويكون ذلك ؟ قال : نعم يا سلمان ، عنـــد

ذلك ، يتخذ كتاب الله مزامير ، وينبذ كتاب الله وراء ظهورهم ، يعطلون الحدود ، ويميتون سنّتي ، ويحبّون البدعة ، ولا يقـام يومئذ بنصر الله ، لا يأمرون بالمعروف ، ولا ينهون عن المنكر ، عندها يغار على الغلام كما يغـار على الجارية ، ويخطب كما تخطب النساء ، ويهيىء كما تهيىء المرأة ، عندهـا تقارب الأسواق . قلت : بأبي أنت وأمي يا رسول الله ، ومـا تقارب الأسواق ؟ قـال : كلٌ يقول لا ابيع ولا اشتري ، ولا رازق غير الله ، يا سلمان ، عندها تليهم الجبابرة ، ويمنعون حقوقهم ، ويملؤن قلوبهم رعبـاً ، فلا ترى إلا خائفـاً مرعوباً ، عند ذلك يرفع الحج ، فلا حج ، يحج كبار الناس للهوى ، وأوساط الناس للتجارة ، وفقراء النـاس الرياء ، والسمعة ، قال : أويكون ذلك ؟ قال : نعم يا سلمان . (الحديث) وسيأتي معناه في هـذا الكتاب مستوفي من حديث الكنانيّ ، وقد انتهى المجلس من محاضرة الأبرار .

بسم الله الرحمن الرحيم

وصلى الله على سيدنا محمد وآله وسلم

ذكر الخلفاء وتاريخ مدتهم خاصة :

فأولهم ابو بكر الصدّيق رضي‌الله عنه، وكان اسمه قبل الإسلام عبد رب الكعبة فسمّاه عليه الصلاة والسلام ، عبدالله ، وقال له عليه السلام : انت عتيق من النار ، فكان يدعى عتيقاً ، وقيل : سمّي عتيقاً لجماله ، كان يملك ابو بكر الصدّيق رضي الله عنه يوم أسلم ، أربعين الف درهم ، وأسلم على يده من العشرة سيدنا عثمان وطلحة والزبير وسعد وعبدالرحمن بن عوف رضي الله عنهم .

ولما تولى الخلافة أصبح غادياً الى السوق وعلى رقبته اثواب يتجر بها ، فلقيه عمر ، وابو عبيدة ، فقالا : اين تريد ؟ قال : السوق، قالا : ما تصنع؟ وقد وليّت أمر المسلمين ؟ قال : فمن أين أطعم عيالي ؟ قال : ففرضوا له كل يوم شطر شاة ، وكسوة في الرأس والبطن ، وكان ابو بكر يحلب للحي اغنامهم ؛ فلما بويع ، قالت جارية من الحي : الآن لا يحلب لنا ، فقال : بلى ، لأحلبنها لكم، وأرجو أن لا يغيرّني ما دخلت فيه عن خلق كنت فيه .

ولما ولي خطب الناس ، فحمد الله ، واثنى عليه ، ثم قال : أمـا بعد ، ايها الناس ، قد ولـّيت أمركم ، ولست بخير منكم ، وان أقواكم عندي الضعيف ، حتى آخذ له بحقـه ، وان اضعفكم عندي ، القوي ، حتى آخذ منه . ايها الناس ، انما انا متـّبع ، ولست بمبتدع ، فان احسنت فأعينوني ، وإن زغت فقوّموني . وقد ذكرنا نسبه ، وامه امّ الخـير سلمى بنت صخر ابن عامر ، تجتمع مع زوجها في عامر ، وهو ابن ابي قحافة ، بويع في اليوم الذي قبض فيه رسول الله ﷺ ، وهو الثاني عشر من ربيع الأول سنة احدى عشرة ، وكانت خلافته سنتين وثلاثة اشهر وثلاثـة عشر يوماً ، ومات ليلة الثلاثاء ، وقيل يوم الجمعة لسبع بقـين من جمادى الآخرة سنة ثلاث عشرة، وهو ابن ثلاث وستين سنة ، وبويع في سقيفة بني ساعدة بن الخزرج ، وكان أول من بايعه بشير بن سعد الأنصاري ، ثم عمر بن الخطاب، ثم ابو عبيدة بن الجراح ، ثم سعد بن عبادة ، ثم المهاجرون والأنصار ، ولم نودع في كتابنـا هذا ما شجر بين الصحابة ، رضي الله عنهم ، خوفـاً على النفوس الضعيفة ، ولا مثلبة من مثالب احد، والحمد لله على ذلك.وخاتمه، خاتم رسول الله ﷺ ، وكاتبه عثمان بن عفان ، وحاجبه مولاه شديد ، وقاضيه عمر بن الخطاب .

خلافة عمر بن الخطاب رضي الله عنه :

ذكرنا نسبه ، وأمه هي خيثمة بنت هاشم بن المغيرة بن عبد الله بن عمر ابن مخزوم ، ولـّي سنة ثلاث عشرة ، يوم مـات ابو بكر ، وقبض سنة اربع وعشرين من الهجرة ، وكانت خلافته عشر سنين وستة اشهر إلا يوم ، ومـات وهو ابن ست ، وقيل خمس ، وقيل ثلاث وستين سنة ، مقتولاً ، طعنه ابو لؤلؤة الفارسي فيروز غلام المغيرة بن شعبة، يوم الاربعاء لسبع بقين

من ذي الحجة سنة ثلاث وعشرين ، وبقي ثلاثة ايام ، وتوفي لأربع بقين من ذي الحجة ، وقيل : توفي يوم الاثنين ، وصلى عليه صهيب بن سنان الرومي ، ودفن في حجرة عائشة . خاتمه : خاتم رسول الله ﷺ . وكاتبه : عبد الله ابن خلف الخزاعي ابو طلحة الطلحات، وزيد بن ثابت الانصاري. وحاجبه: مولاه برقى . وقيل : اسمه بشر قاضيه : يزيد بن اخت الهمزة ، وبالكوفة ابو أمية شريح بن الحارث الكندي .

خلافة عثمان بن عفان رضي الله عنه :

ذكرنا نسبه ، وأمه ، وهي : اروى بنت كريز بن ربيعة بن حبيب بن عبد شمس بن عبد مناف. بويع بعد قتل عمر بثلاثة ايام سنة اربع وعشرين، وقيل:في سنة خمس وثلاثين ، في ذي الحجة يوم الجمعة لثمان بقين منه، وقيل: يوم الاربعاء ، وقيل : يوم الاضحى . وصلى عليه جبير بن مُطعم . كانت خلافته اثني عشر سنة إلا يوم. وكان عنده ختم رسول الله ﷺ ، فلما سقط منه في البئر، اتخذ خاتماً من فضة ، نقش عليه : لتصبرنّ او لتندمنّ . وقيل : نقش عليه : آمنت بالذي خلق فسوى . وكاتبه : مروان بن الحكم ابن ابي العاص بن أمية . وحاجبه : مولاه حمران بن ابّان . مات وهو ابن سبع وثمانين سنة . قاضيه :كعب بن سور. صاحب شرطته عبد الله بن قنفذ التميمي .

خلافة علي بن ابي طالب رضي الله عنه وكرم الله وجهه :

ذكرنا نسبه الكريم ، وأمه فاطمة بنت اسد بن هشام . بويع يوم قُتل عثمان في الثاني عشر من ذي الحجة سنة خمس وثلاثين ، وقتل سنة اربعين في شهر رمضان لسبع عشرة ليلة خلت منه سنة اربعين ، وقد بلغ سبعة

وخمسين سنة . وكانت خلافته اربع سنين وتسعة اشهر . وقيل : خمس سنين وثلاثة اشهر وأربعة وعشرين يوماً . نقش خاتمه : ربي الله مخلصاً . كاتبه : سعيد بن نجران الهمذاني، وعبد الله بن ابي رافع. وقاضيه: شريح بن الحارث. وحاجبه : قنبر بن زيد ، مولاه . وصلى عليه ابنه الحسن رضي الله عنهما .

خلافة الحسن بن علي رضي الله عنهما :

وأمه فاطمة بنت رسول الله ﷺ. كانت مدة خلافته خمسة اشهر وخمسة عشر يوماً ، نزل رضي الله عنه عن الخلافة اختياراً منه ، رغبة في ان يصلح الله بذلك بين الفئتين من المسلمين، كما اخبر رسول الله ﷺ. كان نقش خاتمه: العزة لله عز وجل وحده . وكاتبه: عبدالله بن ابي رافع . وُلد الحسن بن علي يوم الاحد ، سنة ثلاث من الهجرة ، والنبي ﷺ في القتال . ومات الحسن رضي الله عنه ، يوم الاحد لعشر خلون من المحرم سنة خمس وأربعين من الهجرة .

خلافة معاوية بن ابي سفيان رضي الله عنه :

ابن صخر بن حرب ، ابن أمية بن عبد شمس ، ابن عبد مناف ، هناك يلتقي برسول الله ﷺ . وأمه : هند بنت عتبة بن ربيعة بن عبد شمس ابن عبد مناف ، بويع له في الخامس والعشرين من ربيع الاول سنة احدى وأربعين بعد صلح الحسن بن علي رضي الله عنه . نقش خاتمه: رب اغفر لي . كاتبه : عبد الله بن أوس الغساني . حاجبه : مولاه زياد بن نوف . قاضيه : فضالة بن عبد الله الانصاري . مات وصلى عليه ابنه يزيد . وقيل : ضحّاك ابن قيس . ودفن بدمشق بين باب الجابية وباب الصغير ، في رجب سنة ستين

من الهجرة . وقد بلغ ثمانية وسبعين سنة وتسعة اشهر إلا يوماً واحداً . وكان قبل ذلك امير الشام اكثر من عشرين سنة .

خلافة يزيد بن معاوية :

ابن ابي سفيان . وأمه : ميسور بنت نجيد [1] بن افو ، من بني حباب ابن كليب بن وبرة ، من حمير ، بويع يوم مات ابوه بإستخلافه له . خاتمه من فضة . نقشه : ربنا الله . كاتبه : عمرو بن سعد الأشرف . حاجبه : مولاه صفوان . وقيل : خالد مولاه . مات بذات الجنب بحوران ، وحمل الى دمشق ، وصلى عليه اخوه خالد ، ودفن في مقبرة باب الصغير ، وقد بلغ سبعاً وثلاثين سنة . وكانت خلافته ثلاث سنين واثني عشر يوماً، فولّي سنة ستين ، ومات سنة اربع وستين ، وصلى عليه ابنه معاوية . قاضيه : ابو ادريس الخولاني .

خلافة ابي ليلى معاوية بن يزيد :

ابن معاوية بن ابي سفيان . وأمه : أم خالد بنت ابي هشام بن عتبة بن ربيعة بن عبد شمس بن عبد مناف . بويع يوم مات ابوه يزيد بإستخلافه . نقش خاتمه : الدنيا غرور . كاتبه : الريّان بن مسلم . حاجبه : مولاه مسلم ابن عتّاب . كان زاهداً في الدنيا ، راغباً في الآخرة . نظر في الأمر ، فإذا ليس يصلحه إلا السيف . فجمع الناس ، وخطبهم ، فقال : معاشر الناس ، اني قد نظرت في أمركم ، وإني قد ضعفت عن القيام بأمركم

---

(١) خـ ٢ لحيد .

وخلعت نفسي من الخلافة،فاختاروا لأنفسكم . ونزل ودخل بيته . فاجتمعت اليه بنو أمية ، وقالوا له : أعهد الى من تريد . فقال : لا ازدرد مرارتها ، ويكون لبني أمية حلاوتها . فأغلق بابه ، ومات بعد ايام ، وقد بلغ احدى وعشرين سنة ، وصلى عليه أخوه عبد الرحمن ، ودفن خارج باب الجابية . وقيل : صلى عليه الوليد عتبة بن ابي سفيان . فلما كبّر تكبيرتين ، مات قبل أن يقضي صلاته ، فصلى عليه مروان بن الحكم . ودفن الوليد بجنب معاوية بن يزيد . وكانت خلافته ثلاثة اشهر واثنين وعشرين يوماً . وتمثل مروان بن الحكم على قبره ببيت :

إني أرى فتنةً تغلي مراجلها   والملك بعد ابي ليلى لمن غلبا

وظهر ابو انيس الضحاك بن قيس الفهريّ ، ودعى الناس الى بيعته ، فخرج عليه مروان بن الحكم في بني أمية ، فقتله بمرج راهط .

خلافة مروان بن الحكم :

ابن ابي العاص بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف . وأمه : أمينة بنت علقمة بن صفوان بن أمية بن محرف الكناني ، بويع له بالخلافة في رجب سنة اربع وستين . واجتمعت عليه الأمة إلا عبد الله بن الزبير ، فإنه كان بمكة يدعى له بالخلافة . نقش خاتمه : ثقتي ورجائي بالله . حاجبه : ابو سهل الأسود . كاتبه : سفيان الأحول . صاحب شرطته يحيى بن بشر الغساني . قاضيه : ابو ادريس الخولاني . مات مطعوناً ، وصلى عليه ابنه عبد الملك ، ودفن بدمشق خارج باب الجابية . وقد بلغ ثلاثاً وستين سنة . كانت خلافته عشرة أشهر إلا يوماً .

خلافة ابي الوليد عبد الملك بن مروان بن الحكم :

وأمه عائشة بنت معاوية بن المغيرة بن ابي العـــاص بن أمية ، وتعرف بالبيضاء . بويع يوم مات ابوه مروان بإستخلافه له . نقش خاتمه : آمنت بالله مخلصاً . قاضيه : ابو ادريس الخولاني . كاتبه : روح بن زنبــاع . ثم قبيضة ابن ذؤيب الخزاعي . حاجبه : مولاه ابو يوسف يعقوب . وصاحب شرطته : كعب بن خويلد القيسي . ومات بدمشق ، وقـــد بلغ احدى وستين سنة ، وقيل : سبعاً وخمسين . وصلى عليه ابنه الوليد ، ودفن بين باب الجـــابية وباب الصغير . وكانت خلافته الى قتل عبد الله بن الزبير ، سبع سنين وثمانية اشهر وتسعة عشر يومـــاً . وبعد قتل عبد الله بن الزبير ، ثلاثة عشر سنة وثلاثة اشهر وثمانية وعشرين يوماً، يكون جميعها احدى وعشرين سنة وسبعة عشر يوماً . وولي سنة اربع وستين ، ومات سنة خمس وثمانين .

وأمـــا عبد الله بن الزبير رضي الله عنهما ، فبويع بمكة في رجب سنة اربع وستين ، وقتل للنصف من جمـــادي الآخرة سنة ثلاث وسبعين ، فكانت مدته ، من وقت بويع ، الى ان قتله الحجاج ، ثمان سنين وأحد عشر شهراً ، وسبعة ايام .

خلافة ابي العباس الوليد بن عبد الملك بن مروان :

وأمه ولّادة بنت العباس بن حَزن العبسي ، بويع يوم مــات ابوه . نقش خاتمـه : ربي الله لا أشرك به شيئاً . وقيل : يا وليد انت ميت ومحاسب . حاجبه : مولاه سعيد ، والقعقاع بن خويلد العبسي . مات بدير حران ، وحمل على أعناق الرجال الى دمشق ، وصلى عليه عمر بن عبد العزيز ، ودفن

بباب الصغير . وكان موته سنة ست وتسعين ، فكانت مدة خلافته تسع [١] سنين وثمانية اشهر ونصف . وبلغ تسعة وأربعين عاماً . كاتبه : ابو شريك ، ثم قبيضة ، ثم ابن ذؤيب ، ثم الضحاك بن دير ، ثم يزيد بن ابي كبشة ، ثم عبيد بن بلال .

خلافة ابي ايوب سليمان بن عبد الملك بن مروان :

وأمه : ولاّدة بنت العباس بن حزن العبسي أم الوليد ، بويع له بالرملة، بعد موت اخيه الوليد بثلاثة ايام. نقش خاتمه : آمنت بالله وحده . حاجبه: ابو عبيدة . كاتبه : ابو سليمان بن نعيم بن سلامة ، ويزيد بن المهلب ، والفضل ابن المهلب ، وعبد العزيز بن الحارث بن الحكم . صاحب شرطته : كعب بن خويلد العبسي . مات بدابق بذات الجنب ، وصلى عليه عمر بن عبد العزيز . وقد بلغ خمسة وأربعين سنة . كانت خلافته سنتين وخمسة اشهر وخمسة ايام، وولّي سنة ست وتسعين . ومات سنة تسع وتسعين . قاضيه : محمد ابن حزم .

خلافة ابي حفص عمر بن عبد العزيز بن مروان بن الحكم :

وأمه : أم عاصم قريبة بنت عاصم بن الخطاب . بويع يوم مات سليمان ابن عبد الملك بغير عهد . كان له من عمه عبد الملك ، ولا من سليمان ، وإنما كان العهد ليزيد بن عبد الملك بعد سليمان . وكان يزيد غائباً في الوقت الذي توفي فيه اخوه سليمان ، فتقدم سليمان قبل وفاته الى محمد بن شهاب الزهري ،

---

(١) قوله تسع سنين الخ. لا يخفى ما فيه وحرر لنا .

ومكحول ، ورجاء بن حيوة ، وجميع من حضره من اهل الشام . وقال : اختاروا لكم رجلا يقوم بالأمر الى أن يقدم اخي يزيد .

فاختاروا عمر بن عبد العزيز ، وقدم يزيد فأقره على الأمر ، ورضي به ، وبايعه، على أن يكون الخليفة من بعده . نقش خاتمه: عمر يؤمن بالله مخلصاً. حاجبه : مولاه حيي ، وقيس ، ومزاحم . كاتبه : الليث بن ابي رقيـــة ، ورجـــاء بن حيوة الكندي . صاحب شرطته : يزيد بن قيس السكسكي . مات بدير سمعان من ارض حمص . وقبره معروف من بين قبور خلفـــاء بني أمية .

هكذا قال الذهبي في تاريخه. وأما أنا فزرت قبره بدير البقيرة على فرسخ من المقبرة ، وهو مشهور بذلك الموضع . كانت خلافته سنتين وخمسة اشهر ، وبلغ من العمر تسعاً وثلاثين سنة وشهراً . وكانت ولايته سنة ثمان وتسعين . ومات سنة مائة من الهجرة . وقيل : احدى ومـائة في رجب . قاضيه : عبد الله بن سعد الاربلي .

خلافة يزيد بن عبد الملك بن مروان :

وأمه: عاتكة بنت يزيد بن معاوية . نقش خاتمة : قني السيئات يا عزيز. حاجبه : مولاه خالد ، وسعد [1] . كاتبه مسلمة بن زياد . مـات بأذرعان وهو خارج الى بيت المقدس ، ودفن فيها . وقـد بلغ اربعين سنة ، وكانت خلافته اربع سنين وشهراً وخمسة ايام . وولي سنة احدى ومائة . ومـات سنة خمس ومائة ، لخمس بقين من شعبان .

---

(١) خـ ٢ سعيد .

خلافة ابي الوليد هشام بن عبد الملك بن مروان :

وأمه: أم اسمعيل بنت هشام بن اسمعيل المخزومي . بويع بمدينة الرصافة على الفرات بعد موت اخيه بأربعة ايام . نقش خاتمه : الحكم لله . كاتبه : مولاه سالم . وحاجبه : مولاه خالد . وصاحب شرطته : يزيد بن يعلى ابن الجهم العبسي . بويع سنة خمس ومائة . ومات سنة خمس وعشرين ومائة بالرصافة ، ودفن بها . وقد بلغ احدى وستين سنة ، فكانت خلافته تسعة عشر سنة وتسعة اشهر وخمسة ايام . قاضيه : عمر بن صفوان الجمحي .

خلافة ابي العباس الوليد بن يزيد بن عبد الملك بن مروان :

وأمه : أم الحجاج بنت محمد بن يوسف الثقفي . بويع يوم مات عمه هشام بن عبد الملك . نقش خاتمه: يا وليد احذر الموت . حاجبه : قطريّ . كاتبه : يوسف بن مهرويه . صاحب شرطته : عبدالرحمن بن جميل الكلبي . قتله ابن عمه يزيد بن الوليد بن عبد الملك ، ودفن خارج باب الفراديس . وقد بلغ تسعاً وثلاثين سنة . وكانت خلافته سنة وشهرين واثنين وعشرين يوماً . وّلي في ربيع الآخر سنة خمس وعشرين ومائة ، وقتل في جمادي الآخرة سنة ست وعشرين ومائة .

خلافة ابي خالد يزيد بن الوليد بن عبد الملك بن مروان :

ولد يزيد بن الوليد في الكعبة ، ولم يولد في الكعبة خليفة غيره . وأمه: أم ولد ، يقال لها : ظريفة ، من بنات يزدجرد بن كسرى . بويع قبل قتل الوليد بن يزيد . نقش خاتمه : يا يزيد قم بالحق تنصَرْ . حاجبه :

مولاه سلامة . كاتبه : بكر بن الشماخ، وهو صاحب شرطته، وكاتبه ايضاً: ثابت بن سليمان . قاضيه : عثمان بن عمر بن موسى بن معمر التميمي . كانت خلافته ستة اشهر . ولّي سنة ست وعشرين ومائة ، ومات سنة سبع وعشرين ومائة ، وقد بلغ ستاً وأربعين سنة .

خلافة ابي اسحاق بن ابراهيم بن الوليد بن عبد الملك بن مروان :

وأمه : أم ولد يقال لها : نعمة . بويع يوم مات اخوه يزيد بن الوليد في ذي الحجة سنة ست وعشرين ومائة . نقش خاتمه : توكلت على الحي القيوم . كاتبه : ابراهيم بن ابي جمعة وغيره . حاجبه : مولاه وردان . قاضيه : عثمان بن عمر التميمي . خلع نفسه من الخلافة بعد أن أقام شهرين وأربعة وعشرين يوماً ، وسلم الأمر الى مروان بن محمد بن مروان بن الحكم. وهو آخر خلفاء بني أمية .

خلافة ابي عبد الملك مروان بن محمد بن مروان بن الحكم :

وأمه : لبابة الكردية . نقش خاتمه : اذكر الموت يا غافل . حاجبه : مولاه سفيان . كاتبه : عبد الحميد بن يحيى . صاحب شرطته ، كوثر بن الاسود المغيري . بويع يوم الاثنين لأربع عشرة خلت من صفر سنة ست وعشرين ومائة . وهو الذي يقال له: مروان الجعدي . ويقال له : مروان الحمار ، لأنه كان يثبت في الحرب ، ولا ينثني لشجاعته . قُتل في الحرب يوم الجمعة لثلاث عشرة من ربيع الاول سنة اثنين وثلاثين ومائة ، وقد بلغ تسعاً وستين سنة . وكانت خلافته خمس سنين وعشرة اشهر وسبعة ايام . قتله عامر بن اسماعيل المزني الذي كان على مقدمة صالح بن علي . وهو آخر

خلفاء بني أمية بهذه البلاد، أعني بلاد الشرق. قاضيه: عثمان بن عمر التميمي.
ولما انتقلت الخلافة الى بني العباس هرب عبد الرحمن الداخل بن معاوية الى الأندلس ، وسمي الداخل لدخوله الأندلس . وهرب عبد الرحمن بن معاوية ابن هشام بن عبد الملك ، فبايعه أهل الأندلس سنة تسع وثلاثين ومائة . وأقام والياً ثلاثاً وثلاثين سنة وأربعة اشهر. وتوفي في غرة جمادي الاولى سنة اثنين وسبعين ومائة . وولي ابنه هشام سبع سنين وتسعة اشهر . ثم ولّي الحكم بن هشام، سبعاً وعشرين سنة وشهراً وخمسة عشر يوماً . ثم ولّي محمد ابن عبد الرحمن بن الحكم اربعاً وثلاثين سنة وأحد عشر شهراً . ثم ولي المنذر بن محمد سنة وأحد عشر شهراً وثلاثة عشر يوماً . ثم ولي أخوه عبدالله خمساً وعشرين سنة ونصف شهر . ثم ولي عبد الرحمن بن محمد بن عبد الله بن محمد بن عبد الرحمن ابن الحكم ، وسمي امير المؤمنين . وكان من قبله يسمون : بنو الخلايف . ولم يزل والياً خمسين سنة . ثم ولي بعده ابنه الحكم ابن عبد الرحمن خمسة عشر سنة وأشهراً . ثم ولي بعده ابنه هشام تسعاً وثلاثين سنة ، الى ان قتله بن عمه سليمان ، في سنة ثلاث واربعمائة . ثم ولي سليمان ثلاث سنين . ثم مات في سنة ست وأربعمائة ، وانحل نظام بني أمية، وغلب على كل ناحية من الاندلس اميرها، وصار بعضها لرجل من بني الحسن، رضي الله عنه ، يلقب بالمأمون .

خلافة ابي العباس السفاح :

واسمه عبدالله بن محمد بن علي بن عبدالله بن العباس بن عبد المطلب[1] .

---

(١) مطلب خلافة بني العباس .

وأمـــه : ريطة بنت عبيد الله بن عبد المدان الحارثي . بويـع بالكوفة يوم الخميس بيعة الخاصة ، ومن غد يوم الجمعة بيعة العامة ، لثلاث ليال خلت من ربيع الاول سنة اثنين وثلاثين ومائة . نقش خاتمه : الله ثقة عبد الله وبـه يؤمن . حاجبه : مولاه ابو غسان . وزيره وكاتبـــه : ابو الجهم . صاحب شرطته : عبد الجبـــار بن عبد الرحمن الازدي . اصحاب مشورته : اخوه ابو جعفر المنصور ، وأبو مسلم ، وقحطبة بن شبيب ، والحسن ، وحميـد ، ابنا قحطبة ، على الحرب . مات بالجدري بالانبـــار من مدينته التي بناهـا وسمّاها الهاشمية . وكانت وفاته يوم الاحد لثلاث عشر خلت من ذي الحجة سنة ست وثلاثين ومائة ، وقد بلغ ثلاثاً وثلاثين سنة . وكانت خلافته اربـع سنين وتسعة اشهر ، عهد الى اخيـــه ابي جعفر المنصور . وكان قاضيه : ابن أبي ليلى .

خلافة ابي جعفر المنصور :

واسمه : عبدالله بن محمد بن عليّ بن عبدالله بن العبـاس بن عبد المطلب . وامّه : سلامة بنت بشير البربرية . قـدم من مكة الى بغداد ، وقد أخذت له البيعة . نقش خاتمه : اتق الله فإنك ترد فتعلم. حاجبه : عيسي بن نجيح . وزيره : سليمان بن مخلد الأهوازي . مات ببئر ميمون خارج مكة محرماً ، من وجع البطن. ودفن على باب الشغب بالحجون، وقد بلغ اربعاً وستين سنة، وكانت خلافته اثنين وعشرين سنة إلا سبعة ايام . وكانت بيعتـــه سنة ست وثلاثين ومائة ، ومات سنة ثمان وخمسين ومـائة . وعهد الى ابنه المهدي في السادس من ذي الحجة . وكانت ولايته في ذي الحجة .

خلافة المهدي محمد بن جعفر المنصور :

وامه : ام موسى بنت منصور بن يزيد الحميري . بويع بعهد من أبيه له سنة ثمان وخمسين ومائة . ومات سنة تسع وستين ومائة من المحرّم ، وصلى عليه ولده الرشيد. وقد بلغ ثلاثاً واربعين سنة ، فكانت ولايته عشر سنين، وشهراً ، ونصفاً . نقش خاتمه : حسبي الله . حاجبه : الربيع بن يونس . قاضيه : عبدالله بن علاقة ، وعاقبة بن يزيد . كاتبه : ابو الجهم، والفضل بن الربيع ، وسلامة الأبرش .

خلافة ابي موسى الهادي بن محمد المهدي :

وامه : الخيزران مولدة جرش ، وهي بنت عطاء مولى ابيه ، وهي أم الخلفاء . بويع بعهد من أبيه سنة تسعٍ وستين ومائة . ومات سنة سبعين ومائة . وقد بلغ خمسة وعشرين سنة ، ونصف ، وصلى عليه اخوه هارون . فكانت خلافته سنةً ، وشهراً ، وثلاثة وعشرين يوماً . نقش خاتمه : موسى يؤمن بالله . قاضيه بالجانب الغربي : ابو يوسف يعقوب بن ابراهيم. وبالجانب الشرقي : سعيد بن ابن عبد الرحمن الجمحي . حاجبه : الفضل بن الربيع . كاتبه ووزيره : ابراهيم بن المهدي، والربيع بن يونس ، ثم عمر بن الربيع .

خلافة ابي جعفر هارون الرشيد بن محمد المهدي :

وأمه : الخيزران . نقش خاتمه : العظمة والقدرة لله عز وجل . وزيره : جعفر بن يحيى بن برمك . حاجبه : قيس بن ميمون ، ثم حجبه محمد بن خالد بن برمك . بلغ عمره اربعاً وأربعين سنة وخمسة اشهر ، وولي سنة

سبعين ومائة ، وذلك ليلة الجمعة لأربع عشرة خلت من ربيع الاول . وفي هذه الليلة وُلد المأمون ، وكان خليفة . وتوفي موسى الهادي ، ومات سنة ثلاث وتسعين ومـائة ، ليلة السبت لثلاث خلون من جمادي الآخرة ، وصلى عليه ابن صالح . وكانت خلافته بعد أخيه ثلاثاً وعشرين سنة وشهراً وثمانية ايام . قضاته : نوح بن دراج، وحفص بن غياث، والحسين بن الحسن العوفي، وعون بن عبد الله المسعودي ، ومحمـــد بن سماعة ، وشريك بن عبد الله ، وعلي بن حرملة .

خلافة ابي عبد الله محمد الامين بن هارون الرشيد :

وأمه : زبيدة بنت جعفر بن ابي جعفر المنصور. نقش خاتمه: لكل عمل ثواب . حاجبه : الفضل بن الربيع . وزيره : ابراهيم بن المهـــدي . قتله طاهر بن الحسين في قصة طويلة ببغداد،ودفن بها في سنة ثمان وتسعين ومائة، وقد بلغ سبعاً وعشرين سنة . وكانت بيعته سنة ثلاث وتسعين ومائة،فكانت خلافته اربع سنين وسبعة اشهر وثلاثة وعشرين يومـــاً . قاضيه : اسماعيل ابن حماد بن ابي حنيفة ، وأبو البحتري وهب بن وهب ، ومحمد بن سماعه . ولم يكن في الخلفاء من أمـّــة هاشمية سوى علي بن ابي طالب ، والحسن ، والحسين ، والأمين هذا .

خلافة ابي العباس عبد الله المأمون بن هارون الرشيد :

وأمه من اهل البادية . نقش خاتمه : الموت حق . كاتبه : احمد بن ابي خالد الأحول ، وأحمـد بن يوسف . وزيره : الحسن بن سهل ، والفضل بن سهل ذو الرياستين . حاجبه : مولاه رشيد . مات بطرطوس سنة ثمان عشرة

ومائتين ، وبويـع سنة ثمان وتسعين ومائة . بلغ عمره ثمانية وأربعين سنة . كانت خلافته عشرين سنة وخمسة اشهر وأحد وعشرين يوماً . قاضيه : محمد ابن عمر الواقدي ، ثم محمد بن عبد الرحمن المخزومي ، ثم بشر بن الوليد ، ثم يحيى بن اكثم .

خلافة ابي اسحاق محمد المعتصم بن هارون الرشيد :

أمه : مارية بنت شبيب . نقش خاتمه : سل الله يعطيك . وقيل : الله ثقة ابي اسحاق بن الرشيد وبه يؤمن . حاجبه : مولاه وصيف التركي . وزيره : الفضل بن مروان، وأحمد بن عمارة ، ومحمد بن عبد الملك الزيات . بويـع سنة ثمـان وعشرة ومائتين بسُر من رأى . مات بقصره الخاقاني ، ودفن بها سنة سبع وعشرين ومائتين ، وقد بلغ ثمانية وأربعين سنة . وكانت خلافته ثمان سنين وثمانية اشهر ويومين . قاضيه : شعيب بن سهل بن محمد ابن سماعه ، وعبد الله بن غالب، وأحمد بن داود الأباري، وقاضي القضاة ، جعفر بن عيسى من ولد الحسن البصري .

خلافة ابي جعفر هارون الواثق بن محمد المعتصم :

أمه : مولدة ، يقال لها : قراطيس . نقش خاتمه : لا إله إلا الله محمد رسول الله . حاجبه : ايتاح التركي ، ثم وصيف . مولاه : احمد بن عمارة . قاضيه : احمد بن داود . وزيره : محمد بن عبد الملك الزيات . بويع يوم الخميس لاثنتي عشرة ليلة بقيت من ربيع الاول، سنة سبع وعشرين ومائتين، وكانت خلافته خمس سنين وتسعة اشهر وستة ايام، بسر من رأى ، وقد بلغ عمره ستاً وثلاثين سنة . وكان موته سنة ثلاث وثلاثين ومائتين لست بقين من ذي الحجة سنة اثنين وثلاثين .

خلافة ابي الفضل جعفر المتوكل بن محمد المعتصم :

وأمه : خوارزمية ، يقال لها : شجاع . نقش خاتمه : المتوكل على الله . وزيره : عبيد الله بن يحيى بن خاقان ، ومحمد بن عبد الملك الزيات ، ومحمد ابن الفضل الجرجاني . قاضيه : يحيى بن اكثم ، وجعفر بن محمـد البرجي ، وجعفر بن عبد الله بن جعفر بن سليمان العباسي . حاجبه: زرافة، ووصيف، وغيرهما . قتل بسر من رأى ، ودفن بهـا ، وقد بلغ ثلاثاً وأربعين سنة . كانت خلافته اربع عشرة سنة وتسعة اشهر وتسعة ايام . بويع لست بقين من ذي الحجة سنة اثنين وثلاثين ومائتين . وقتل ليلة الاربعاء لثلاث خلون من شوال سنة سبع وأربعين ومائتين .

خلافة ابي جعفر محمد المنتصر بن جعفر المتوكل :

وأمه : رومية ، يقال لها : حبشية . نقش خاتمه : محمد بن جعفر. مات بسر من رأى بوجع ذات الجنب . وقد بلغ عمره اربعاً وعشرين سنة واحدى عشر شهراً وخمسة ايام . كانت خلافته ستة اشهر ويومين . بويع يوم الاربعاء لست خلون من شوال سنة سبع وأربعين ومائتين ، وتوفي ليلة السبت لعشر خلون من ربيع الآخر سنة ثمان وأربعين ومائتين ، وصلى عليه المستعين . وقيل : نقش خاتمه : يؤتى الحذر من مأمنه . وقيل : انا من آل محمد ، الله وليّ ومحمـد . حاجبه : وصيف ، ومرزبان ، وغيرهمـا . قاضيه : جعفر الهاشمي .

خلافة ابي العباس المستعين احمد بن المعتصم :

وأمه : سقلابية ، يقال لها : مخارفة . نقش خاتمه : احمد بن محمـد .

حاجبه : قامس . كاتبه : احمد بن الخصيب . بلغ عمره سبعاً وأربعين سنة . كانت خلافته ثلاث سنين وتسعة ايام . بويع له يوم الاثنين لأربع خلون من ربيع الآخر سنة ثمان وأربعين ومائتين . خلع نفسه لأربع خلون من المحرم سنة اثنين وخمسين ومائتين . وفي هذه السنة قتل قاضيه احمـــد بن ابي الشوارب ، وقيل : محمد بن وزير الواسطي .

خلافة ابي عبد الله المعتز الزبير بن جعفر المتوكل :

أمـــه : فتيحة . نقش خاتمه : الزبير بن جعفر . حاجبه : صالح بن وصيف . وزيره : احمد بن اسرائيل . قتله حاجبه صالح ، بسر من رأى ، وطرحه في دجلة، وقد بلغ سبعاً وأربعين سنة . خلافته : اربع سنين وستة اشهر ونصف . بويع له ببغداد سنة اثنين وخمسين ومائتين . قال بعضهم : ثم خلع نفسه مكرهاً لثلاث بقين من رجب سنة خمسٍ ومائتين. واختلف في كيفية موته . قاضيه : الحسن بن ابي الشوارب .

خلافة ابي جعفر المهتدي بن هارون الواثق :

أمه : أم ولد ، يقال لهـــا : قرب . نقش خاتمه : المهتدي بالله يثق . حاجبه : صالح بن داود . قتله خير بك التركي ، وشرب دمـــه . ودفن بسر من رأى ، وقد بلغ اثنين وأربعين سنة . وكانت خلافته سنة واحـدة إلا ثلاثة عشر يوماً. بويع لثلاث بقين من رجب سنة خمس وخمسين ومائتين. وحبس في رجب سنة خمس ، وقيل : سنة ست وخمسين .

خلافة المعتمد ابي العباس احمد بن جعفر المتوكل :

وأمه : رومية ، يقال لهـــا : فينان . وكان القائم بأمر المملكة اخوه ابو احمـــد طلحة الموفق . ووزيره : اسماعيل بن بلال . حاجبه : خفيف

السمرقندي . سقي شربة فمات، ودفن ببغداد، وقد بلغ اثنين وخمسين سنة. كانت خلافته ثلاثاً وعشرين سنة ويومين . بويع لأربع عشرة ليلة خلت من رجب سنة ست وخمسين ومائتين ، وتوفي ببغداد ليلة الاثنين لإحدى عشرة ليـلة بقيت من رجب سنة تسع وتسعين ومائتين . قاضيه : الحسن بن ابي الشوارب ، ثم اخوه علي بن محمد .

خلافة ابي العباس احمد المعتضد بن طلحة الموفق بن جعفر المتوكل :

وأمه : رومية ، يقال لها : ضرار، ثم سمّاها الموفق : الخفير . وزيره : عبيد الله بن سليمان . حاجبه : صالح الأمين . نقش خـاتمه : توكل تكفَ . صاحب شرطته : مؤنس الفحل . بلغ عمره احــدى وأربعين سنة . كانت خلافته تسع سنين وسبعة اشهر وثلاثة ايام . وّلي سنة ثمانين ومائتين، ومات سنة تسع وثمانين ومائتين .

خلافة ابي محمد علي المقتفي بن احمد المعتضد :

وأمه : رومية ، يقال لها : نشيـج . كان امير الرقة . اخــذ له البيعة ببغداد القـــاسم بن عبد الله ، وكتب اليه بذلك ، فانحدر من الرقة . نقش خاتمه: علي بن المعتضد . حاجبه: مولاه سوسن . وزيره: القاسم بن عبدالله. قاضيه : ابو حازم ، ثم يوسف ، ثم يعقوب ، ثم ابو عمر ، ثم علي بن ابي الشوارب. وقد بلغ عمره ثلاثاً وستين سنة وعشرين يوماً . كانت بيعته لسبع بقين من ربيـع الآخر سنة تسع وثمـانين ومائتين ، ومات سنة خمس وتسعين ومائتين ، لثلاث عشرة ليلة خلت من ذي القعدة . كانت خلافته ست سنين وستة اشهر وعشرين يوماً .

خلافة ابي الفضل جعفر المقتدر بن احمد المعتضد :

وأمه : رومية ، يقال لهـــا : شغب . نقش خاتمه : جعفر يثق بالله . وزيره : العباس بن الحسن ، واستوزر جماعـة ، منهم الفضل بن جعفر بن المهـدي بن الفرات ، المعروف بإبن الخيزرانة . حاجبه : نصر القسوري . قتله يونس الخادم مولاه خارج بغداد ، ودفن ببغداد ، وقـد بلغ عمره سبعاً وثلاثين سنة إلا سبعة ايام، وكانت خلافته خمساً وعشرين سنة إلا سبعة عشر يوماً . كانت بيعته في ذي القعدة سنة خمس وتسعين ومائتين، وقتل في شوال سنة عشرين وثلثمائة . عمره يوم بويع له : ثلاثة عشر سنة . قضاته، جماعة، منهم : يوسف بن يعقوب ، وابنه عمر محمـد بن يوسف ، وعبد الله بن ابي الشوارب ، وغيرهم .

خلافة ابي منصور محمد القاهر بن احمد المعتضد :

أمه : مولدة ، يقال لها : فنون . وزيره : احمد بن عبيد الله الحصيني . حاجبه : مولاه . نقش خاتمه : يا املي اختم بخير عملي . قبض عليه، وكحل حق عمي ، وخلع من الخلافة ، وقـد بلغ عمره خمساً وثلاثين سنة . وكانت خلافته سنة ونصف وثمانية ايام . بويع له يوم الخميس لليلتين بقيتا من شوال سنة عشرين وثلاثمائة . قاضيه : عمر بن محمد بن يوسف . وكان من وزرائه ابو علي بن مقلة .

خلافة ابي العباس محمد الراضي بن جعفر المقتدر :

أمه : رومية ، يقال لها : ظلوم . نقش خاتمه : ُمنٌ بالرضا . وزيره : ابو علي محمد بن علي بن مقلة، وجماعة غيره . حاجبه : مولاه ذكي الرومي.

صاحب شرطته : لؤلؤ . مات ودفن ببغداد ، وقـد بلغ عمره ثلاثاً وثلاثين سنة وعشرة اشهر وتسعة ايام . بويع له يوم الاربعاء لست خلون من جمادي الاولى سنة اثنين وعشرين وثلاثمائة ، وتوفي ليلة السبت لستة عشر ليلة خلت من ربيع الاول سنة تسع وعشرين وثلثمائة. قاضيه: عمر بن محمد بن يوسف، وابوه يوسف بن عمر . وفي ايام الراضي ، مـات مجاهد ، في شعبان ، سنة اربع وعشرين وثلاثمائة ، ومولده سنة خمس وأربعين ومائتين ، رحمه الله .

خلافة ابي اسحاق ابراهيم المتقي بن جعفر المقتدر :

أمه : رومية ، يقال لها : حلوب . بويع بعد اخيه الراضي بسبعة ايام. نقش خاتمه : كفى بالله معيناً . وزيره : محمد بن احمد بن ميمون ، والقـائم بأمره سعيد بن شكلي . حاجبه : سلامة اخو نجح . قبض عليـــه بودون التركي، وكحل عينيه حتى عميا ، وخلعه من الخلافة ، وقد بلغ اربعاً وثلاثين سنة ، وكانت خلافته ثلاث سنين واحد عشر يوماً او يومين . وكان بويــع يوم الاربعاء لعشر بقين من ربيع الاول سنة تسع وعشرين وثلاثمائة ، وخلع يوم السبت لعشر بقين من صفر سنة ثلاث وثلاثين وثلاثمائة ، وتوفي في خلافة المطيع ، في شعبان سنة سبع وخمسين وثلاثمائة، وعمره إذ ذاك ستون سنة . قاضيه : ابو نصر يوسف بن عمر ، وغيره .

خلافة ابي القاسم عبد الله المستكفي بن علي المكتفي :

أمه : رومية ، يقال لهـا : غصن . وزيره : ابو الفرج محمـــد بن علي السامري . حاجبه : احمد بن خاقان . نقش خاتمه : عبد الله بن المكتفي . قبض عليه ، وكحل حتى عمي ، وخلع من الخلافة ، وقـد بلغ ستاً وأربعين سنة، وكانت خلافته سنة واحدة وأربعة اشهر وأربعة عشر يوماً . بويع له

لعشر بقين من صفر سنة ثلاث وثلاثين وثلاثمائة ، ومـات في ربيـع الآخر سنة ثمان وثلاثين وثلاثمائة .

خلافة ابي القاسم الفضل المطيع لله بن جعفر المقتدر :

بويع يوم الخميس لثمان بقين من جمادي الآخر سنة اربع وثلاثين وثلاثمائة. وأمه : سقلابية ، يقال لها : مشقلة . نقش خاتمه : بالله المطيع لله . وزيره: محمد بن يحيى بن شيراز ، اخو القائم بأمر مملكته ابو الحسين احمد بن بويه الديلمي معز الدولة الاقطع . ثم وزر له المهلّبي . حاجبه : عبـد الواحد بن عمرو الشرابي . وّلي تسعاً وعشرين سنة وأربعة اشهر واحد عشر يوماً ، ثم فلج ، فخلع نفسه غير مستكره ، ووّلى ابنـه المطيع لله ، ومات لثمان بقين من المحرم ، سنة اربع وستين وثلاثمائة ، وله ثلاث وستون سنة . قـاضيه : محمد بن ابي الشوارب ، وغيره .

خلافة المطيع لله واسمه عبد الكريم ويكنى أبا بكر :

بايعه أبوه المطيع بعد ان خلع نفسه غير مستكره يوم الاربعـاء ، ثالث عشر من ذي القعدة ، سنة ثلاث وستين وثلاثمائة ، وقبض عليه بهـاء الدولة ابو نصر بن عضد الدولة يوم السبت لاثني عشرة ليلة خلت من شعبان ، سنة احدى وثمانين وثلاثمائة ، وخلع نفسه بعـد ان بويع للقادر . وكانت خلافته تسعة عشر سنة ، وتسعة عشر شهراً ، وتسعة ايام . ومات يوم الثـــلاثاء ، سلخ رمضان ، سنة ثلاث وتسعين وثلاثمائة ، ودفن بالرصافة .

خلافة القادر بالله احمد بن اسحاق بن جعفر المقتدر ويكنى أبا العباس :

وهو ابن عم المطيع ، بويـع له يوم السبت لاثني عشرة ليـــلة خلت من

رمضان ، سنة احدى وثمانين وثلاثمائة، ومات في الحادي عشر من ذي الحجة، سنة اثنين وعشرين واربعمائة ، وله ستة وثمانون سنة . وكانت خلافته احدى واربعون سنة ، وثلاثة أشهر .

خلافة القائم بأمر الله :

وهو ابن القادر ، واسمه عبدالله بن احمد بن اسحاق بن جعفر المقتـدر . امه : بدر الدُجا . ولد هذا عبدالله القائم يوم الخميس ، ثامن عشر ذي القعدة، سنة احدى وتسعين وثلاثمائة . بويع له بالخـلافة في ذي الحجة ، سنة اثنين وعشرين واربعمائة ، وكان سنّه يومئذ احدى وثلاثون سنة ، وكان والده قد عهد له في حياته . وتوفي القائم يوم الخميس ، ثاني عشر ، وقيل ثالث عشر من شعبان ، سنة سبع وستين واربعمائة . وكانت خلافته اربعاً وأربعين سنة ، وثمانية أشهر .

خلافة المقتدي بن القائم بالله :

واسمه المقتدي بأمر الله عبدالله بن محمد القائم بأمر الله، ويكنى ابا القاسم. بويع له بالخلافة يوم الخميس، ثالث عشر شعبان من سنة سبع وستين واربعمائة، وله يومئذ تسع سنين ، وكان والده ابو العباس بن القـــائم عهد اليه . توفي المقتدي ببغداد في المحرم ، سنة سبع وثمانين وأربعمائة، ليلة السبت ، فكانت خلافته عشرين سنة ، وأربعة أشهر ، وثمانية عشر يوماً .

خلافة المستظهر بن المقتدي، واسم المستظهر احمد بن عبدالله:

ويكنى أبا العبـاس . بويع له بالخلافة يوم الثلاثاء من المحرم ، سنة سبع وثمانين واربعمائة ، بين الظهر والعصر ، وصلى بالنـــاس الظهر ، ثم صلى عليه

ابنه المقتدي . وكان سنّ المستظهر ، يوم بويع له ، ودفن أبوه ، ستة عشر سنة ، وشهرين ، وتسعة عشر يوماً ، لأن مولده كان يوم السبت ، لعشرين من شوال ، سنة سبعين وأربعمائة .

خلافة المسترشد بالله واسمه الفضل بن احمد ويكنى أبا المنصور :

بويع له بالخلافة يوم الخميس ، رابع عشر من ربيع الاول ، سنة اثنتي عشرة وخمسمائة ، وكان له سبع وعشرون سنة ، لأن مولده كان ليلة الاربعاء ، رابع ربيع الاول ، سنة خمس وثمانين وأربعمائة ، ثم ولي بعده ابنه الراشد بالله .

خلافة الراشد بالله بن المسترشد :

واسمه منصور بن الفضل بن احمد ، ويكنى أبا العباس . بويع له في ذي القعدة ، سنة تسع وعشرين وخمسمائة. ثم وّلي بعده عمه المقتفي لأمر الله.

خلافة المقتفي لأمر الله :

واسمه محمد ، ويكنى أبا عبدالله ، وهو عم الراشد . بويع له بالخلافة يوم الاربعاء ، الثامن عشر من ذي القعدة ، سنة ثلاثين وخمسمائة .

خلافة المستنجد بالله بن المقتفي :

واسمه يوسف ، ويكنى أبا المظفر . بويع له يوم الاثنين ، ثالث ربيع الاول ، سنة خمس وخمسين وخمسمائة . حدثنا عبد الرحمن بن علي كتابة ، قال : حدثني ابو المظفر الوزير ، قال : حدثني أمير المؤمنين المستغني بالله ، قال : رأيت رسول الله ﷺ في المنام ، منذ خمسة عشر سنة ، فقال لي :

« يبقى أبوك في الخـــلافة خمسة عشر سنة » . فكان كما قال . قلت : وفي زمان هذا الخليفة ولدتُ أنا بمرسية ، في دولة السلطان ابي عبد الله محمـد بن سعد بن مرديس ، بالأندلس ، فكنت أسمع الخطيب يوم الجمعـــة ، يخطب بالمسجد ، باسم المستنجد بالله . ثم وّلي بعده ولده المستغني بالله .

خلافة المستغني بالله :

واسمه الحسن بن يوسف بن محمد . بويع له البيعة العامة في يوم الأحد ، تاسع ربيع الاول ، سنة ست وستين وخمسمائة ، وخطب له السلطان بمرسية بالاندلس .

خلافة سيدنا ومولانا الناصر لدين الله :

أمير المؤمنين ابي العباس احمد ابن الامام الحسن ابن الامام يوسف ابن الامام محمد . بويع له في الخامس والعشرين من ذي القعدة ، سنة خمس وسبعين وخمسمائة . ونحن اليوم في شوال سنة احدى عشر وستمائة ، ابقى الله عمر سيدنا ومولانا امير المؤمنين ، وكان قد عقد لولده ابي نصر محمـد ، ثم انه استقال منه ، فأقاله امير المؤمنين ، وأشهد على نفسه بالخلع من ولاية العهد ، لعجزه عنها ، ونزع اسمه من الخطبة ، وذلك سنة احدى وستمائة . اخبرني بذلك الثقـات وأنا بالموصل ، ولم يبق له اسم في الخطبة ، بعد الخلع في جميع البلاد إلا بلاد يونان ، فإنه بقي ذكره بعد الخلع قريباً من سنة ، لأنـــه أبى السلطان كيخسرو بن قطج ارسلان بن مسعود أن يزيل اسمه بالإستفاضة من غير أمر من الديوان ، فلما أتى الامر اليـــه أزال ذكره . يبقي الله عمر سيدنا امير المؤمنين ، ويؤيده ويرشده لمصالح نفسه ، ومصالح المؤمنين ، ورعيته ، آمنين بعزّته ، وتوفي آخر شهر رمضان سنة اثنين وعشرين وستمائة ، وولى ابنـه

محمـــد الظاهر في امر الله ، الذي كان قد خلع نفسه ، وتوفي في رجب سنة ثلاث وعشرين وستمائة ، وكانت خلافته تسعة اشهر ، وولي بعده ابنـــه المستنصر ابو جعفر المنصور ، ويعرف بالقاضي، أدام الله بقاه ، وهو الخليفة الآن حين تقييدي هذا .

روينا عن الحميدي، عن محمد بن سلامة القضاعي، عن منصور بن النعمان، عن ابي مسلم الكاتب ، عن محمد بن الحسين، عن ابن دريد ، عن الحسن بن الخضر ، عن رجل من اهل بغداد ، عن المذكر ابي هشام ، قـــال : اردت البصرة فجئت الى سفينة اكتريها وفيها رجل ومعه جارية . فقـال الرجل : ليس هنـــا موضع . فسألته الجارية أن يحملني ، فحملني . فلما سرنا دعى الرجل بالغداء، ثم قال: انزلوا ذلك الفقير ليتغدا . فأنزلت على انني مسكين، فلما تغدينا ، قال : يا جارية ، هاتي شرابك ، فشرب، وأمرها أن تسقيني ، فقلت : رحمك الله ، إن للضيف حقاً ، فتركني . فلما دبّ فيه النبيذ، قال: يا جارية ، هاتي العود ، وهاتي ما عندك . فأخذت العود ، ثم غنّت تقول :

وكنا كغصني بانةٍ ليس واحدٌ يزول من الخلّان عن رأي واحدِ
تبدّل بي خلا فخاللتُ غيرهُ وخالفته لمـــا أراد تباعدي
فلو أن كفّي لم تردني أبيتُهـــا ولم يصطحبها بعد ذلك ساعدي
ألا قبح الرحمن كل ممـــاذقٍ يكون أخاً في الخفض لا في الشدائد

ثم التفت إلي وقـــال : أتحسن مثل هذا ؟ فقلت : أحسن خيراً منه ، فقرأت : إذا الشمس كورت ، وإذا النجوم انكدرت، وإذا الجبال سيّرت، فجعل يبكي ، فلما انتهيت الى قوله تعالى : وإذا الصحف نُشرت ، قـــال : يا جارية ، اذهبي فأنت حرة لوجه الله تعالى ، وألقى ما معه من الشراب في

الماء ، وكسر العود ، ثم دنا إلي واعتنقني ، وقال : أترى الله يقبل توبتي ؟ فقلت : إن الله يحب التوابين ، ويحب المتطهرين ، قال : فآخيته بعد ذلك اربعين سنة حتى مات قبلي ، فرأيته في المنام، فقلت : الى مَ صرت بعدي ؟ فقال : الى الجنة ، فقلت : يا اخي ، بمَ صرت الى الجنة ؟ قال : بقراءتك عليّ : واذا الصحف نشرت .

وذكر صاحب كتاب « اخبار الزمان » ان ابا بكر رضي الله عنه ، لما توفي غسّلته زوجته اسماء بنت عميس ، وصلى عليه عمر رضي الله عنهما ، وحمل على سرير رسول الله ﷺ ، وهو سرير عائشة رضي الله عنها ، وكان من خشبتين ساجاً منسوجاً بالليف ، وبيع في ميراث عائشة رضي الله عنها ، بأربعة آلاف درهم ، فاشتراه مولىً لمعاوية ، وجعله للمسلمين ، ويقال انه بالمدينة . ودفن ابو بكر رضي الله عنه في حجرة عائشة، ورأسه قبالة كتفي رسول الله ﷺ، وفي خلافته فتحت بصرى صلحاً ، وهي اول مدينة فتحت بالشام . ومات ابو قحافة بعد موت ابنه ابي بكر بسنة ، وقيل : سبعة اشهر ، وذلك في سنة اربع عشرة سنة ، ولم يل الخلافة من ابوه حيٌ غير ابي بكر ، ومن ذكرنا من خلفاء بني العباس ، ممن خلع نفسه لعذر ، وولى ابنه ، كالمطيع لله .

ومن اولاد ابي بكر الصديق : عبد الله ، واسماء ، لأم واحدة وهي من بني عامر ابن لؤي، ومن اولاده ايضاً : عبد الرحمن، وعائشة ، لأم واحدة، وهي أم رومان . ومن اولاده ايضاً: محمد، وأميمة، من أسماء بنت عميس.

ذكر اهل التاريخ أن شريحاً القاضي ، أقام خمساً وسبعين سنة في القضاء الى ايام الحجاج ، تعطل منها ثلاث سنين ، امتنع من الحكم زمن فتنته .

ولما ولّي الحجاج الكوفة ، استعفاه ، فأعفاه . ومات سنة سبع وثمانين، وله مائة سنة ، وقيل : مائة وعشرون سنة ، وقيل : مــات سنة تسع وسبعين . ومات في خلافــة عثمان العباس بن عبد المطلب ، في سنة اثنين وثلاثين ، وله ثمانون سنة . ويقال : انه لم يُرَ بنو أبٍ أبعـدَ قبوراً من بنيه عبدالله بن عباس بالطائف، والفضل بالشام، وعبيدالله بالمدينة، وقثم بسمرقند، وسعد بافريقية . ومات عبد الرحمن بن عوف في سنة واحدة مع العبــاس ، وكان سنّ عبد الرحمن خمساً وخمسين سنة ، وأوصى من ماله لكل رجل بقي من أهل بدر ، بأربعمائة دينــار ، فكانوا يومئذ مائة رجل ، فقسمت تركته على ستة عشر سهماً ، فكان كل سهم ثمانين ألف دينار .

وكان لعلي بن ابي طالب رضي الله عنه اربعة عشر ولداً ذكوراً ، وثمانية إناث ، أعقب من أولاده : الحسن ، والحسين ، ومحمــد بن الحنفية ، وعمر ، والعباس .

وكان لعمر بن الخطاب رضي الله عنه من الاولاد : عبــدالله ، وحفصة ، وعبيــدالله ، وعاصم ، وفاطمة ، وزيد ، وابو شحمة واسمه عبــد الرحمن ، وهو الذي حُدّ في الشراب فمات .

والذي حفظتُ من أولاد عثمان بن عفان رضي الله عنه : عبدالله الاكبر ، وعبدالله الاصغر ، من رقيــة ، وعمر ، وأبان ، وخالد ، وعمر ، وسعيد ، ومغيرة ، وأم سعيد ، وأم أبان ، وعائشة ، وأم عمر ، وغيرهم .

والمحفوظ لي من أولاد الحسين رضي الله عنــه : زيد ، والحسن ، وعلي زين العــابدين ، وعمر ، والحسين الأشرم ، والقاسم ، وأبو بكر ، وطلحة ، وعبدالله وعبد الرحمن ، وغيرهم .

وأولاد معاوية بن ابي سفيان : عبد الرحمن ، يزيد ، عبدالله ، هنــد ، رملة ، صفية ، عائشة .

وأولاد يزيد بن معاوية : معاوية ، عبدالله الاكبر ، عبد الرحمن الاصغر ، عمير ، عبد الرحمن ، عتبة الاعور ، يزيد ، محمد ، ابو بكر ، حرب ، عبدالله أصغر الأصاغر ، وغيرهم . ولم يكن لمعاوية بن يزيد عقب .

وأولاد عبد الله بن الزبير رضي الله عنهم : حمزة ، وعبدالله ، وحبيب ، وثابت ، وعبّاد ، وقيس ، وموسى ، وغيرهم .

وأولاد مروان بن الحكم : عبد الملك ، معـــاوية ، ام عمرو ، عبيد الله عبدالله ، أبان ، داود ، عبد العزيز ، عبد الرحمن ، ام عثمان عمرة ، ام عمرو ، بشر ، محمد .

وأولاد عبد الملك بن مروان : الوليد ، سليمان ، مروان الاكبر ، يزيد ، مروان ، معاوية ، هشام ، بكار ، الحكَم ، عبدالله ، مسلمة ، المنذر ، عتبة ، محمد ، سعيد ، الحجاج ، قبيصة .

وأولاد الوليد بن عبد الملك : يزيد ، ابراهيم ، العباس ، عمر ، فخذ بني مروان ، وعمر ، وعبد العزيز ، وبشر ، وغيرهم :

موعظة أبي بكر الصديق رضي الله عنه :

حدثني يونس بن يحيى ، عن محمد بن ابي منصور ، عن حفص بن احمد ، عن الحسن بن علي بن ابي بكر بن مالك ، عن عبد الله بن احمـــد . حدثني أبي ، عن الوليد بن مسلم ، عن الاوزاعي ، عن يحيى بن ابي كثير ، ان أبا بكر الصديق رضي الله عنــه ، كان يقول في خطبته : أين القضاة الحسنة

وجوههم ، المعجبون بشأنهم ؟ أين الملوك الذين بنوا المدائن ، وحصّنوها بالحيطان ؟ أين الذين كانوا يعطون الغلبة في مواطن الحرب ؟ قد تضعضع بهم الدهر ، فأصبحوا في ظلمات القبور . الوحا الوحا ، النجا النجا .

وروينا من حديث ابن ابي الدنيا : حدثنا اسحاق بن اسماعيل ، ثنا سفيان بن عيينة ، عن جعفر بن برقان ، عن ثابت بن الحجاج ، قال : قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه : حاسِبوا أنفسكم قبل ان تحاَسبوا ، وزِنوا انفسكم قبل ان توزَنوا ، فانه أهون عليكم من الحساب غداً ، قبل ان تحاسبوا انفسكم اليوم ، وتزينوا للعرض الاكبر ، يومئذ تُعرَضون لا تَخفى منكم خافية.

وحدثنا يونس بن علي ، عن ابي الحسن بن بشر ، انه قال : حدثنا الحسين ابن صفوان ، ثنا ابو بكر القرشي ، عن ابي نصر التمار ، عن بقية بن الوليد ، عن ابراهيم بن أدهم ، عن عبد الله الخراساني ، قال : قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه : مَن اتقى الله لم يَشفِ غيظه ، ومَن خاف الله لم يفعل ما يريد ، ولولا يوم القيامة لكان غير ما ترون .

حدثنا يونس ، ثنا عبد الوهاب ، ان المبارك بن عبد الجبار ، قال : أخبرنا احمد بن علي النويري ، قال : أنا عمر بن ثابت ، قال : أنا علي بن محمد ابن ابي قيس ، ثنا ابو بكر القرشي ، عن عبد الرحمن بن صالح العتكي ، عن يونس بن بكير ، عن عتبة بن ابي الازهر ، عن يحيى بن عقيل ، قال : قال علي بن ابي طالب لعمر رضي الله عنهما : إن أردت ان تلحق بصاحبيك ، فاقصر الأمل ، وكل دون الشبع ، وارقع القميص ، والبس الإزار ، واخصف النعل ، تلحق بهما .

وروينا من حديث ابي زهير نعيم ، قال : ثنا سليمان بن احمد ، قال : ثنا

ابو يزيد القراطيسي ، ثنا حجاج بن ابراهيم ، عن مروان ، عن معاوية ، عن محمد بن سوقة ، قال : أتيت نعيم بن ابي هند ، فأخرج لي صحيفة ، فاذا فيها : من ابي عبيدة بن الجراح ، ومعاذ بن جبل ، الى عمر بن الخطاب : سلام عليك ، أما بعد ، فإنا عهدناك ، وشأن نفسك لك مهم ، فأصبحت وقد ولّيت أمر هذه الأمة ، احمرها ، وأسودها ، يجلس بين يديك : الشريف ، والوضيع ، والصديق ، والعدو ، ولكلّ حصة من العدل ، فانظر كيف انت عند ذلك يا عمر ، وإنا نحذرك يوماً تصفرّ فيه الوجوه ، وتجب له القلوب ، وتنقطع فيه الحجج بحجة ملك ، قهرهم بجبروته ، والخلق داخرون له ، يرجون رحمته ، ويخافون عقابه ، وإنا كنا نحدّث أن امر هذه الأمة سيرجع في آخر زمانها ، ان نكون اخوان العلانية اعداء السريرة ، وإنا نعوذ بالله أن تنزل كتابنا منك سوى المنزل الذي نزل من قلوبنا ، وإنما كتبنا به نصيحة لك والسلام .

وكتب اليهما عمر رضي الله عنهما : من عمر بن الخطاب الى ابي عبيدة ابن الجراح ومعاذ بن جبل ، سلام الله عليكما . أما بعد ، فإنكما كتبتما إلي تذكّراني انكما عهدتماني وأمر نفسي إلي مهم ، وإني أصبحت وقد ولّيت أمر هذه الأمة ، وذكر كلاماً . ثم قال : فإنه لا حول ولا قوة عند ذلك لعمر إلا بالله ، وذكرتما انكما كتبتما نصيحة لي وقد صدقتما ، فلا تدعا الكتاب إلي فإنه لا غناء لي عنكما ، والسلام عليكما .

وروينا من حديث مالك ، عن زيد بن اسلم ، عن ابيه ، قال : خرجت مع عمر الى السوق فلحقته امرأة شابة ، فقالت : يا امير المؤمنين ، هلك زوجي ، وترك صبية صغاراً ، والله ما ينضجون كراعاً ، ولا لهم زرع ، ولا درع ، وخشيت عليهم الطمع ، فأنا ابنة خفاف بن اغام الغفاري ، وقد

شهد ابي الحديبية مع رسول الله ﷺ . فوقف معها عمر، ولم يمض ، وقال : مرحبـاً بنسب قريب . ثم انصرف الى بعير كان مربوطاً الى الدار ، فحمل عليه غرارتين ، ملأهما طعاماً ، وجعل بينهما نفقة وثياباً، ثم ناولها خطامه ، وقال : اقتاديه ، فلن يفنى هذا حتى يأتيكم الله بخير [١] .

وروينا من حديث ابي نعيم محمد بن معمر ، ثنا ابو شعيب الحرّاني ، ثنا يحيى بن عبد الله ، ثنا الاوزاعي ، ان عمر بن الخطاب خرج في سواد الليل، فرآه طلحة ، فذهب عمر ، فدخل بيتاً ، ثم دخل بيتاً آخر ، فلمـا اصبح طلحة ، ذهب الى ذلك البيت ، فإذا عجوز عمياء مقعدة ، فقال لها : ما بال هذا الرجل يأتيكِ ؟ قالت : انه يتعاهدني منذ كذا وكذا ، يأتيني بمـا يصلحني ، ويخرج عني الأذى . فقـال طلحة : ثكلتك أمك يا طلحة ، لعثرات عمر تتبع ؟

ومن مواعظ عثمان بن عفان رضي الله عنه :

ما روينا من حديث ابي بكر بن ابي الدنيا، قال: كتب إلي ابو عبد الله محمد بن خلف التيمي[٢]، قال : حدثنا شعيب بن ابراهيم، عن سيف بن عمر، عن يزيد بن عثمان ، قال : آخر خطبة خطبها عثمان :

« أيها الناس ، إن الله إنما اعطاكم الدنيا ، لتطلبوا بهـا الآخرة ، فلم يعطكموها لتركنوا اليهـا . إن الدنيا تفنى ، والآخرة تبقى . لا تبطرنكم

---

(١) نسخه بغيره لنا .
(٢) خـ ٢ التميمي .

الفانية ، ولا تشغلنكم عن الباقية . آثروا ما يبقى على ما يفنى ، فإن الدنيا منقطعة ، وإن المصير الى الله . اتقوا الله ، فإن تقواه جنة من بأسه ، ووسيلة عنده ، واحذروا من الله الغيرة ، والزموا جماعتكم ، لا تصيروا أخدانا ، واذكروا نعمة الله عليكم ، إذ كنتم أعداء فألف بين قلوبكم ، فأصبحتم بنعمته إخواناً » .

موعظة سهل بن عمر الحارث بن هشام وزياد بن حنظلة لعمر بن الخطاب رضي الله عنه :

حدثنا يوسف بن علي ، ثنا محمد بن الحسين ، انا ابو الحسن بن النقود ، انا ابو ظاهر المخلص ، انا احمد بن عبد الله بن يوسف ، انا السّري بن يحيى ، انا شعيب بن ابراهيم التيمي [1] ، انا سيف بن عمرو ، عن زهرة ، عن ابي سلمة ، وعن عبد الله بن سعيد ، قالا : وعظ سهل بن عمرو ، عمر بن الخطاب ، فقال : يا عمر ، إنه من ابتلي بالسلطان فقد ابتلي ببلاء عظيم ، وأي بلاء يا عمر أشد من بلاء سلط فيه لسان الوالي وفعله ، فإن هو ذكّر لم يذكُر ، وإن هو غفل أُخذ بغفلته ، فإن أذنب أسلمته ذنوبه الى الموت الذي ليس منه فوت ، وليس منه مردّ ، ولا بعده مستعتب .

موعظة الحارث بن هشام :

قال : إن حقاً على كل مسلم ، النصيحة لك يا عمر ، والاجتهاد في إداء حقك ، ولهم عليك بمثل الذي لك عليهم ، لما افضى الله عز وجل اليك من

---

(١) حـ ٢ التميمي .

هذا الأمر العظيم الذي توليته من أمة محمد ﷺ ، اسودها وأحمرها . عليك بتقوى الله عز وجل في سريرتك وعلانيتك ، والاعتصام بما شرع الله ، واعلم ان كل راع مسئول عن رعيته ، وكل مؤتمن مسئول عن امانته ، والمحسن ان أخطأ بالإحسان ممن أحسن اليه ، فاعتصم بما تعرف من امر الله ، ولا تتبع الهوى فيضلك عن سبيل الله . فأجزاهما عمر ، وقال : هداكما الله عز وجل ، وأعانكما ، وصحبكما ، عليكما بتقوى الله في امركما كله ، فإن الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون .

قال : ووعظ زياد بن حنظلة عمر رضي الله عنه ، فقال : يا امير المؤمنين ، إحذر ممن إن أكرمته أهانك ، وإن أهنته أكرمك . قال عمر : مَن هذا ؟ قال : جسدك ، إن انت تابعت بطنك وبشرك فيما يريدان منك ، فضحاك وأهاناك في الدنيا والآخرة ؛ وإن انت أهنتهما وعصيتهما وقويت عليهما ، واتياك في الدنيا ، وأنجياك في الآخرة .

موعظة عتبة بن غزوان :

وكان من أهل بدر . قال خالد بن عُمير : خطب ابن غزوان ، فحمد الله وأثنى عليه ، ثم قال : اما بعد ، فان الدنيا قد أذنت بصَرْم ، وولّت جدّاً ، ولم يبقَ منها إلا صبابة كصبابة الإناء يقضي بها صاحبها ، وانتم منقلبون منها الى دار لا زوال لها ، فانتقلوا بخير ما يحضركم ، فانه قد ذكر لنا ، ان الحجر يُلقى من شفير جهنم فيهوي فيها سبعين عاماً ، ما يدرك لها قعراً . والله لتملأن فتعجبتم ، والله لقد ذكر لنا ، ان ما بين مصراعي الجنة مسيرة اربعين عاماً ، وليأتينّ عليها كغطيط الزحام . ولقد رأيتني ، وأنا سابع سبعة مع رسول الله ﷺ ، ما لنا طعام إلا ورق الشجر حتى قرحت

أشداقنـــا . واني التقطت بردة ، فشققتها بيني وبين سعد ، فاتزر بنصفها ، واتزرت بنصفها ، فما اصبح منا اليوم احد حياً إلا اصبح اميراً على مصر من الامصار . واني أعوذ بالله ، ان أكون في نفسي عظيماً ، وعند الله صغيراً ، فانها لم تكن قطّ نبوّة ، إلا تناسخت حتى يكون عاقبتها ملكاً ، وستبلون او ستجربون الأمراء بعدنا .

روينا من حديث احمـــد بن حنبل ، عن شهر بن أسد ، عن سليمان بن المغيرة ، ثنا حميد يعني ابن هلال ، عن خالد بن عمير . وهذا الحديث انفرد بإخراجه مسلم .

وروينا من حديث الحميدي ، انا ابو محمد بن علي بن احمـــد بن سعيد ، أخبرنا ابو عبد الله بن ربيع ، حدثنـــا ابو علي اسماعيل بن القاسم ، عن ابي بكر بن دريد ، عن الحسن بن خضر ، عن حماد بن اسحاق الموصلي ، قال : سمعت ابي يقول : قال رجل من العجم الملك كان في دهره : أُوصيك بأربع خلال ترضي بهن ربك ، وتصلح بهن رعيتك : لا يغرّنك المرتقى السهل اذا كان المنحدر وعراً ، ولا تعدنّ عدَة ليس في نيتك وفاؤها ، واعـلم ان لله نقمات ، فكن على حذر ، واعلم ان للاعمال جزاء ، فاتقِ العواقب .

روينـــا ان بعض الملوك اتخذ كاتباً مجوسياً ، ووزيراً نصرانياً ، وحاجباً يهودياً ، فأذلوا المسلمين، فوقفت لهم امرأة حسيبة في نازلة فما رفعوها عنها ، وأهانوها ، فتعرضت للملك يوم ركوبه ، فقالت له : ايهـــا الملك ، سألتك بالذي أعز المجوسية بكتابك ، والنصرانية بوزارتك ، واليهودية بحجابتك ، وأذل الاسلام بك، إلا ما نظرت في امري . فتنبه الملك، وسأل عن شأنها ، وقضي حاجتهـــا ، وتاب الى الله من فعله ذلك ، واستعمل في تلك المناصب

قوماً من المسلمين ، وأخرج هؤلائك عنهـــا . فجزاها الله من امرأة عن المسلمين خيراً .

وأخبرنا ناصر الدين بن عبد الله بن عبد الرحمن العطار المصري خبر قدوم هامة الجنيّ على النبي ﷺ ، قـــال : حدثنا ابو محمد بن المبارك بن علي بن الحسين بن الطباخ ، قـال : ثنا السيد بن ابي الحسن عبيد الله بن محمد بن احمد البيهقي ، قال : حدثني جدي ابو بكر احمد بن الحسين البيهقي، قال : ثنا ابو الحسن محمد بن الحسين بن داود العلوي، انا ابو ناصر محمد بن حمدوية ابن سهل الغازي المروزي ، قال : حدثنا عبد الله بن حماد الأملي ، قـال : ثنا محمد بن ابي معشر ، تكلم في ابن ابي معشر ، وهو المزني ، وقد روى عنه الكبار، قال : اخبرني ابي ، عن نافع ، عن ابن عمر، عن عمر رضي الله عنه ، قال : بينما نحن قعود مع النبي ﷺ على جبل من جبال تهامة إذ اقبل شيخ بيده عصىً ، فسلم على النبي ﷺ ، فرد عليه السلام ، ثم قال : نعمت جنٌ رعيتهم ، من انت ؟ قال : انا هامة بن هيم بن لاقيس بن ابليس . قال النبي ﷺ : فمـــا بينك وبين ابليس إلا ابوان ، فكم أتى لك من الدهور ؟ قال : قد أفنيت من الدنيا عمرها إلا قليلا ، ليالي قتل قابيل هابيل ، كنت ابن اعوام ، من الثلاثة الى عشرة لا غـــير ، أفهم الكلام ، وآمر بإفساد الطعام ، وقطيعة الأرحام ، فقـال النبي ﷺ : بئس عمل الشيخ المتوسم ، والشاب المتلوّم ، قال : زدني من الترداد ، اني تائب الى الله عز وجل ، اني كنت مع نوح في مسجده مع من آمن به من قومه، فلم أزل أعاتبه على دعوته على قومه حتى بكى ، وأبكاني ، وقال: لا جرم ، اني على ذلك من النادمين، وأعوذ بالله ان اكون من الجـاهلين ، قال : قلت يا نوح ، اني ممن اشترك في دم السعيد الشهيد هابيل بن آدم، فهل تجد لي عند ربك توبة ؟ قال: يا هام،

همّ بالخير وافعله قبل الحسرة والندامة ، اني قرأت فيما أنزل الله عز وجل على أنه ما من عبد تاب الى الله عز وجل بالغ امره ما بلغ إلا تاب الله عليه ، قم وتوضأ واسجد لله سجدتين ، قال : ففعلت من ساعتي ما أمرني به، فناداني : ارفع رأسك، فقد نزلت توبتك من السماء ، قال: فخررت لله ساجداً جذلاً . وكنت مع هود في مسجده مع من آمن بـــه من قومه ، فلم أزل أعاتبه على دعوته على قومه حتى بكى عليهم ، وأبكاني . فقال : لا جرم، اني على ذلك من النـــادمين ، وأعوذ بالله أن أكون من الجاهلين ، وكنت مع آزر ، ويعقوب ، وكنت مع يوسف بالمكان الامين، وكنت ألاقي الياس في الاودية ، وأنا ألقاه الآن ، وإني لقيت موسى بن عمران، فعلّمني من التوراة ، وقال: إنـ لقيت عيسى بن مريم فاقرأه مني السلام ، وقال : إني لقيت عيسى ، وقال عيسى : إن لقيت محمداً عليه الصلاة والسلام فاقرأه مني السلام، قال: فأرسل رسول الله ﷺ عينيه فبكى، ثم قال : وعلى عيسى السلام ما دامت الدنيا ، وعليك السلام يا هام بإدائك الأمانة، قال: يا رسول الله ، افعل بي ما فعل موسى،إنه علّمني من التوراة، فعلمه رسول الله ﷺ سورة الواقعة ، والمرسلات ، وعمّ ، والتكوير ، والمعوذتين ، والإخلاص ، وقـال : ارفع الينا حاجتك ، ولا تدع زيارتنا ، قـال فقال عمر : فقبض رسول الله ﷺ ولم يعد الينا ، فلسنا ندري أحي هو أم ميت ؟ قلنا : اذا ثبت إسلام هـذا الشيطان فليس يريد قتـــادة بقوله : إن الشيطان لا يسلم إلا الشيطان الذي هو القرين .

حدثنا ابو بكر بن ابي الفتح الحنفي بمكة ، ثنا ابو الحسن علي بن ابراهيم ابن يحيى الانصاري الدمشقي سبط الإمام ابي الفرج الحنبلي ، قال : ثنـــا سعد الخير ابو الحسن محمد بن سهل الانصاري ، حدثنا ابو سعيد محمد بن محمد

ابن محمد بن مطرز ، ثنا ابو نعيم احمد بن عبد الله بن احمد بن اسحاق ، ثنا عبد الله بن محمد بن جعفر ، ثنا عبد الرحمن بن الحسن ، ثنا مسعود بن يزيد القطان ، ثنا ابو داود ، ثنا عبّاد بن يزيد عن موسى بن عقبة القرشي ، ان هشام بن العاص ، ونعيم بن عبد الله ، ورجلاً آخر قد سمّاه ، بعثوا الى ملك الروم زمن ابي بكر ، وفي حديث شرحبيل بن مسلم الخولاني ، عن ابي امامة الباهلي ، عن هشام بن العاص ، قال : بعثني ابو بكر الصديق، ورجلاً آخر الى هرقل صاحب الروم ، أدعوه الى الإسلام ، فخرجنا حتى قدمنا الغوطة ، فنزلنا على جبلة بن الأيهم الغساني .

قال في حديث موسى بن عقبة: فدخلنا على جبلة بن الأيهم وهو بالغوطة، فإذا عليه ثياب سود ، واذا كل شيء حوله اسود ، فقال : يا هشام كلمه . فكلمه ودعاه الى الله عز وجل ، وقال : ما هذه الثياب السود ؟ فقال : لبستها نذراً ولا أنزعها حتى اخرجكم من الشام كلها ، قال : فقلنا فانبذها ، او كلمة تشبهها، فوالله لنأخذها منك حتى نمنعك مجلسك هذا، فوالله لنأخذه منك ، ونملك الملك الاعظم ان شاء الله ، اخبرنا بذلك نبينا ﷺ ، قال : فأنتم اذاً السُّمراء ، قلنا : نحن السعداء ، قال : لستم هم ، قلنا : ومن هم ؟ قال : هم الذين يصومون النهار ، ويقومون الليل ، قلنا : نحن هم والله ، قال : فكيف صلاتكم ؟ فوصفنا له صلاتنا ، قال : فالله يعلم لقد غشيه سواد حتى صار وجهه كأنه قطعة طابق ، ثم قال : قوموا ، فأمر بنا الى الملك ، فانطلقنا ، فلقينا الرسول بباب المدينة ، فقال : إن شئتم اتيتكم ببغال ، وإن شئتم اتيتكم ببراذين ، فقلنا : لا والله ، لا ندخل عليه إلا كما نحن ، فأرسل اليه انهم يأبون ، فأرسل ان خلوا سبيلهم ، قال : فدخلنا معتمين متقلدي السيوف على الرواحل ، فلما كنا بباب الملك اذا هو في غرفة له

عالية ، فنظر الينا ، قال : فرفعنا رؤسنا ، فقلنا : لا إله إلا الله ، قـال : فالله يعلم لانتفضت الغرفة كلها حتى كأنها عزق نفضته الريح ، فأرسل الينـا ان هذا ليس لكم أن تجهروا بدينكم عليّ ، قال : فأرسل الينا أن ادخلوا فدخلنا ، فإذا هو على فراشه الى السقف ، واذا عليه ثيـاب حمر ، واذا كل شيء عنده احمر ، واذا عنده بطاركة الروم .

قال : واذا هو يريد ان يكلمنا برسول، فقلنا : لا والله لا نكلمه برسول، وانما بعثنا الى الملك ، فإن كنت تحب ان نكلمك ، فأذن لنـا ان نكلمك . فلما دخلنا عليه ضحك ، فاذا هو رجل فصيح بكثير العربية ، فقلنا : لا إله إلا الله ، فالله يعلم لقد نقض السقف حتى رفع رأسه هو وأصحابه ، فقـال : ما أعظم هذه الكلمة عندكم ، فقلنا: هذه كلمة التوحيد ، قال: التي قلتموها، قلنا نعم ، قال : فاذا قلتموها في بلاد عدوكم نقضت سقوفهم ، قلنـــا لا ، قال : فاذا قلتموها في بلادكم نقضت سقوفكم ، قلنـا لا ، وما رأيناها فعلت هذا ، وما هو إلا لشيء عزّت به . فقال : ما أحسن الصدق ، فمـا تقولون اذا فتحتم المدائن ؟ قلنا نقول : لا إله إلا الله والله اكبر ، قال : تقولون لا إله إلا الله ليس معه شيء ، والله اكبر من كل شيء . قلنا نعم . قال : فمـا منعكم ان تحيوني تحية لنبيكم ؟ قلنا : ان تحية نبينا لا تحلّ لك ، وتحيتك لا تحل لنا فنحيّيك بها . قال : وما تحيتكم ؟ قلنـا : تحية اهل الجنة . قال : وبها كنتم تحيّون نبيكم ؟ قلنا نعم . قال : وبها كان يحييكم ؟ قلنا نعم. قال : فمن كان يورث منكم ؟ قلنا : مَن كان أقرب قرابة. قال : وكذلك ملوككم ؟ قلنا نعم .

قال : فأمر لنـا بنزل كثير ، ومنزل حسن ، فمكثنـا ثلاثاً ، ثم أرسل الينا ليلاً ، فدخلنا عليه وليس عنـده أحد ، فاستعاد كلامنا ، فأعدنا عليه

فاذا عنده شبه الربعـة العظيمة مذهبة ، واذا فيها أبواب صغار ، ففتح منها باباً ، فاستخرج منه خرقة حرير سوداء فيها صورة بيضاء، فاذا رجل طويل اكثر الناس شعراً ، قال : أتعرفون هذا ؟ قلنا لا ، قال هذا آدم .

ثم أعادها وفتح باباً آخر فاستخرج حريرة سوداء فيهـــا صورة بيضاء ، فاذا رجل ضخم الرأس عظيم ، له شعر كشعر القط ، أعظم الناس إليتين ، احمر العينين ، قال : أتعرفون هذا ؟ قلنا لا ، قال هذا نوح .

ثم أعادها وفتح باباً آخر واستخرج منه حريرة بيضاء فيها صورة بيضاء، واذا رجل ابيض الرأس واللحية كأنه حيّ يبتسم ، قال : أتعرفون هـذا : قلنا لا ، قال هذا ابراهيم .

ثم أعادها وفتح باباً آخر استخرج منه حريرة سوداء فيها صورة بيضاء ، قال : أتعرفون مَن هذا ؟ قلنا : هذا النبي محمد ﷺ ، قال : هذا والله محمد رسول الله ، قال : فالله يعلم أنه قام ، ثم قعـد ، وقال : والله انه لهو . ثم قال : الله بدينكم انه نبيكم . قلنا : الله بديننا انه نبيّنا كأننـــا ننظر اليه حياً. قال : أما انه كان آخر البيوت، ولكنني عجّلته لكم لأنظر ما عندكم .

ثم أعـــاده وفتح باباً آخر ، فاستخرج منه حريرة سوداء ، فاذا صورة أدماء سحماء ، واذا رجل جعـد ، قطط ، غـائر العينين ، حديد النظر ، متراكب الاسنان ، مقلص الشفة ، كث اللحية ، كأنه غضبان ، فقال : هل تعرفون هذا ؟ قلنا لا ، قال : هذا موسى . فاذا الى جانبه صورة تشبهه ، إلا انه مدهان الرأس ، عريض الجبين ، في عينيه قبل ، فقال : هل تعرفون هذا ؟ قلنا لا ، قال : هذا هارون بن عمران .

ثم فتح باباً آخر فاستخرج حريرة بيضاء ، فاذا صورة رجل أدم، سبط، ربعة ، كأنه غضبان ، حسن الوجه ، قال : هل تعرفون هذا ؟ قلنا لا ، قال : هذا لوط .

ثم فتح باباً آخر فاستخرج منه حريرة بيضاء ، فاذا فيها صورة رجل ابيض ، مشرّب بحمرة ، أقنى الانف ، خفيف العارضين ، حسن الوجه ، فقال : هل تعرفون هذا ؟ قلنا لا ، قال : هذا اسحاق .

ثم فتح باباً آخر فاستخرج منه حريرة بيضاء ، فاذا فيها صورة رجل تشبه صورة اسحاق ، إلا انه على شفته السفلى خال ، قال : هل تعرفون هذا ؟ قلنا لا ، قال : هذا يعقوب .

ثم فتح باباً آخر فاستخرج منه حريرة سوداء ، فيها صورة رجل ابيض ، حسن الوجه، أقنى الانف ، حسن القامة ، يعلو وجهه النور، يعرف في وجهه الخشوع ، يضرب الى الحمرة، فقال : هل تعرفون هذا ؟ قلنا لا ، قال : هذا اسماعيل جدّ نبيكم .

ثم فتح باباً آخر واستخرج حريرة بيضاء ، فيها صورة كأنها صورة آدم ، كأن وجهه الشمس ، قال : هل تعرفون هذا ؟ قلنا لا ، قال : هذا يوسف.

ثم فتح باباً آخر فاستخرج حريرة بيضاء، فيها صورة رجل احمر، خميص الساقين ، أخفش العينين ، ضخم البطن ، ربعة ، أشبه الخلق بامرأة عجوز ، متقلداً سيفاً ، قال : هل تعرفون هذا ؟ قلنا لا ، قال : هذا داود .

ثم فتح باباً آخر فاستخرج منه حريرة بيضاء ، فاذا فيها رجل ضخم الاليتين ، طويل الرجلين ، راكب على فرس طويل الرجلين ، قصير الظهر ،

كل شيء منه جناح تحت الريح ، قال : هل تعرفون هذا ؟ قلنا: لا. قال : هذا سليمان بن داود .

ثم فتح باباً آخر فاستخرج منه حريرة او خرقة سوداء فيها صورة بيضاء، واذا رجل شاب شديد سواد اللحيـة ، يعلوه صفرة ، صلت الجبين ، حسن اللحية ، كثير الشعر ، حسن الوجه ، حسن العينين يشبهه كل شيء منـه ، قال : هل تعرفون هذا ؟ قلنا : لا . قال : هذا عيسى بن مريم .

ثم أعاده ، وأمر بالربعة فرفعت ، قلنا : من أين لك هـذه الصور ؟ لأنا نعلم انها على ما صوّرت عليه الأنبياء عليهم السلام ، لأنا رأينا صورة نبينـا عليـه الصلاة والسلام مثله ؟ فقال : ان آدم سأل ربـه عز وجل ان يريه الانبيـاء من اولاده فأخرج له صورهم في خرق حرير من الجنة ، وكانت في خزانة آدم عند غروب الشمس ، فاستخرجها ذو القرنين من مغرب الشمس ، فلما كان دانيال صوّرها هـذه الصور فهي بأعيانها ، فوالله لو تطيب نفسي الخروج عن ملكي مـا باليت ان اكون عبداً لأسدكم بمكة ، ولكني عسى ان تطيب نفسي .

ثم أجازنا وأحسن جائزتنا وسرّحنا، فلما أتينا ابا بكر الصديق رضي الله عنه ، حدثناه بما رأيناه، وما قال لنا ، وما ادنانا ، فبكى ابو بكر، وقال: مسكين ، لو اراد الله به خيراً لفعل .

ثم قال:أخبرنا رسول الله ﷺ انهم واليهود يجدون نعتَ محمد ﷺ عندهم في التوراة والانجيل ، وقد جمعت في سياق الحديث بين الروايتين ، وإن رواية شرحبيل حدثنا بها عبد الوهاب بن علي ببغداد ، عن محمد بن ضياعة، عن احمـد بن الحسين ، عن ابي عبد الله الحافظ ، كتب اليه ان ابا محمد

عبد الله اسحاق البغوي اخبرهم ، قال : حدثنا ابراهيم بن هيثم البلدي، قال: حدثنا عبد العزيز بن الوليد بن مسلم بن ادريس، قال : ثنا عبد الله بن ادريس ابن شرحبيل بن مسلم ، عن ابي امامة الباهلي، عن هشام بن العاص الأموي، ثنا ابو الخير احمد بن اسماعيل بن يوسف بن محمد بن الفضل الفزاري ، عن ابي بكر احمد بن الحسين، عن ابي عبد الله الحافظ، قال: حدثني ابو العباس احمد بن سعيد البغدادي ببخارى ، قال : ثنا عبد الله بن محمود ، قال : أنبأنا عبدان بن سنان ، قال : حدثني العباس القزويني الطالقاني كتابة ، عن ابي عبد الله الحافظ ، قال : حدثني احمد بن عبد الله البرقي ، قال : ثنا يزيد بن يزيد اللؤلؤي ، قال : حدثنا ابو اسحاق الفزاري ، عن الاوزاعي ، عن مكحول ، عن أنس بن مالك رضي الله عنه ، قال : كنا مع رسول الله ﷺ فنزلنا منزلاً فإذا رجل في وادٍ يقول : اللهم اجعلني من أمة محمد المرحومة المغفور المثاب لها ، قال : فأشرفت على الوادي ، فإذا رجل طوله اكثر من ثلاثمائة ذراع ، فقال لي : من أنت ؟ قلت : أنا أنس بن مالك خادم رسول الله ﷺ ، قال : فأين هو ؟ قلت : هو يسمع كلامك ، قال : فائته فاقرأه السلام وقل له اخوك الياس يقرأك السلام ، فأتيت النبي ﷺ فأخبرته ، فجاءه حتى لقيه وعانقه وسلم عليه ، ثم قعدا يتحدثان، فقال له : يا رسول الله اني ما آكل في السنة إلا يومان ، وهذا يوم فطري ، فآكل انا وأنت ، فنزلت عليهما مائدة من السماء ، خبزاً وحوتاً وكرفس ، فأكلا وأطعماني ، فصلينا العصر ، ثم ودعه ، ثم رأيته مرّ في السحاب نحو السماء .

اتصاف ومعرفة ووصية وتنبيه وتصرف وتنزيه وموعظة وغيرها [1] :

حدثنا ابو بكر بن ابي الفتح ، قال : حدثنا ابو عبد الله محمد بن احمد بن

---

(١) نسخة وعبرة .

حامد الارياحي [1] ، قال : أجازني ابو الحسن علي بن الحسن بن عمر الموصلي القراء الحديث عنه بجميع ما يرويه ، قال : ثنا ابو القاسم عبد العزيز بن ابي محمد الحسن بن اسماعيل بن محمد الضراب ، عن ابيه ، قال : حدثنا ابو بكر احمد بن مروان الدينوري المالكي ، قال : انشدنا المبرّد بن قتيبة لأبي العتاهية رحمه الله شعراً :

مـــا أنا إلا لمن يعاني ... أرى خليلي كما يراني
لست أرى ما ملكتُ طرفي ... مكانَ مَن لا يرى مكاني
فلي الى أن أموتَ رزقٌ ... لو جهد الخلق ما عداني
فاستغن بالله عن فلانٍ ... وعن فلان وعن فلانِ
والمـــال من حله قُوامٌ ... للعرض والوجه واللسانِ
والفقر ذلٌّ عليه باب ... مفتاحه العجز والتواني
ورزق ربي له وجوهٌ ... هنّ من الله في ضمـان
سبحان من لم يزل عليّاً ... ليس له في العـلوّ ثاني
قضى على خلقه المنـــايا ... فكلُّ حيٍّ سواه فاني
يا ربّ لم نبكِ من زمانٍ ... إلا بكينـا على زمـان

حكمة :

حضرت عتاباً بين شخصين في امر ما ، فلم يظهر على ذلك العتاب ثمرة ، فتذكرت قول بعضهم :

وليس عتاب المرء للمرء نافعاً ... اذا لم يكن للمرء لبٌّ يعاتبه

---

(١) نسخه الارتاعي بالتاء .

موعظة :

قال مقـاتل بن صالح : أنبأنا اسحاق بن منصور بن دينار ، قال : نظر بعض ملوك الأعاجم الى شيب في رأسه ، فجمع نساءه ، وقال : تعـــالين فاندبنني اذ مات بعضي ، لأنظر كيف تندبنني اذا مات كلي ، وأنشد :

اذا المرء أعطى نفسه كل ما اشتهت ولم ينهَها تاقت الى كل باطلِ
وساقت اليه الاثم والعـار الذي دعته اليه من حلاوة عاجل

نصيحة :

قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه : مَن أظهر للناس خشوعاً فوق ما في قلبه ، فانما أظهر نفاقاً على نفاق .

خبر نبوي بعمل غبطة :

حدثنا ابو عبد الله محمـد بن قاسم بن عبد الرحمن بن عبد الكريم التميمي الفاسي بمدينة فاس، قال: أنبأنا ابوالقاسم هبة الله بن علي بن مسعود الانصاري البوصيري ، قال : أنبأنا ابو عبدالله محمد بن بركات بن هلال السعدي النحوي، قال : أنبأنا ابو عبد الله محمـــد بن سلامة بن جعفر بن علي القضاعي ، قال : أنبأنا ابو محمد عبد الرحمن بن عمر، قال: حدثنا احمد بن محمد بن زياد الاعرابي، حدثنا عبيد بن شريك البزاز ، حدثنا داود بن ابي اياد ، حدثنا اسماعيل بن عبـــاس ، عن المطعم بن مقداد ، وعنبسة بن سعيد بن غيثم الكلاعي ، عن فصيح العبسي ، عن ركب المصري ، قال : قال رسول الله ﷺ : « طوبى لمن تواضع في غير منقصة ، وذلّ في نفسه من غير مسكنة ، وأنفق من مال جمعه في غير معصية، وخالط اهل الفقه والحكمة، ورحم اهل الذلّ والمسكنة.

طوبى لمن طاب كسبه ، وصلحت سريرته ، وكرمت علانيتـه ، وعزل عن الناس شره . طوبى لمن عمل بعلمه، وأنفق الفضل من ماله ، وأمسك الفضل من قوله » .

بلغنا ان أبا العباس السفاح، لما وّلي الخلافة ، وصل عبد الله بن الحسين بن الحسن بن علي بن ابي طالب رضي الله تعالى عنهم ، بألفي ألف دينار ، وهو اول خليفة وصل بهذه الجملة .

ولما أفضت الخلافة الى ابي جعفر المنصور ، قتل ابا مسلم الخراساني الذي أقام لهم الدعوة ، قتله في شعبان سنة سبع وثلاثين ومائة ، وأمر بتوسعة المسجد الحرام سنة تسع وثلاثين ، وحجّ سنـة اربع واربعين ، وزار ومضى الى بيت المقدس، وعاد الى الهاشمية ، وحجّ ايضاً سنة اربع واربعين ، وسنة تسع واربعين . وخرج عليه الحسن بن الحسن ، فوجّه اليه عيسى بن موسى ، فقتله في رمضان سنة خمس واربعين . وخرج ابراهيم بن عبد الله بن الحسن الى الكوفة ، فلقيه عيسى بن موسى فقتـله في تلك السنة ايضاً . وفي ايامه توفي جعفر بن محمد الصادق سنة ثمان واربعين . ومات الامام أبو حنيفة سنة خمسين ومائة ، وله سبعون سنة ، وكان مولده سنة ثمانين . وقيل عاش تسعين سنة، وكان مولده سنة ستين .

واما المهدي فيقال : انه لما حجّ سنة ستين ، دخل الكعبة ومعه منصور الحجبي ، وهو من حجبة البيت ، فقال له المهدي : اذكر حاجتك . فقال : اني أستحي من الله ان أسأل في بيته غيره. فلما خرج أرسل اليه بعشرة آلاف دينار .

وأما هرون الرشيد ، فحجّ في خلافته ثمان او تسع حجج ، وغزى ثمان

غزوات . روينـــا انه وصل الى مكة في شهر رمضان سنة تسع وسبعين ، واعتمر، ومضى الى المدينة، ثم رجع فحجّ تلك السنة ماشياً ، ولم يحجّ خليفة بعده الى زماننا . غير اني سمعت مستفاضاً أن خليفتنا الامام الناصر لدين الله تعالى ، حجّ متنكراً لا يعلم به احد ، فالله يعلم . ومات في خلافته مالك بن انس سنة تسع وسبعين ومائة ، وله ست وثمانون سنة ، وقيل سبعون سنة ، وصلى عليه ابن ابي ذؤيب . وماتت ام الرشيـد سنة ثلاث وسبعين ومائة . وكان من بنات هرون الرشيد من تعدّ لنفسها عشرة خلفاء كلهم لهـا محارم : هرون الرشيد ابوها ، الهـادي عمها ، المهدي جدّها ، المنصور جدّ ابيها ، السفاح عم جدها. الامين، والمأمون ، والمعتصم: اخوتها . الواثق، والمتوكل: ابنا اخيها .

ونكب جعفر بن برمك ، سنة سبع وثمانين ومائة، وقيل : ثمان وثمانين، وقتل .

وحبس يحيى وابنه الفضل الى ان ماتا ، فمات يحيى سنة تسعين ، ومات الفضل سنة ثلاث وتسعين ومائة .

ولما وُلّي الامين ، وأقام المأمون بخراسان سنتين وأشهراً ، أغرى الفضل ابن الربيع ، على مـــا ذكر بينهما ، فنصب الامين ابنه موسى ، لولاية العهد بعده ، وأخذ له البيعة ، ولقبه الناطق بالحق ، وذلك في سنة اربع وتسعين ومائة ، وجعله في حجر علي بن عيسى ووجّه علي بن عيسى الى خراسان ، ووجّه المأمون هرثمة بن مرّة على مقدمة طاهر بن الحسين ، فقتـــل علي بن عيسى ولم يزل الحرب بين الامين ، والمأمون ، سنتين وشهوراً ، الى ان نزل طاهر بالانبـار ، وهرثمة بالنهروان . ونجا الامين الى مدينة ابي جعفر ، وخرج ليلة الاحد لخمس بقين من المحرم ، سنة ثمان وتسعين ومائة ، فوقع في

أيدي اصحاب طاهر، فأتوا به طاهراً ، فقتله ونصب رأسه على الباب الحديد، ثم أنزله وبعث رأسه الى خراسان ، ودفن جثته في بستان مؤنسة . ويقال : ان المأمون ، لما رأى رأسه ، بكى واستعبر ، وذكر له اياماً محمودة، وجميلا أسداه اليه في ايام الرشيد .

وأما المأمون ، فبايع لعلي الرضى بن موسى بن جعفر ، بولاية عهده ، في شهر رمضان ، سنة احدى ومائتين ، ولبس الخضرة . فمات علي الرضى سنة ثلاث ومائتين ، وادعى ابراهيم بن المهدي لنفسه بالخلافة ، وهو عم المأمون ، واقب نفسه المبارك ، وبويع له ببغداد ، سنة اثنين ومائتين ، وأقام احد عشر شهراً وأياماً ، ثم كان من امره ما ذكرناه في هذا الكتاب .

وفي سنة اربع ومائتين ، دعى المأمون الى لباس السواد . وفي هذه السنة مات الامام محمد بن ادريس الشافعي ، رضي الله عنه ، بمصر . وفي سنة اثنتي عشرة ، أظهر المأمون القول بخلق القرآن .

وأما المتوكل ، فحظيّ في دولته اهل الادب ، وظهر علي بن محمد صاحب الزنج ، في شوال ، سنة خمس وخمسين ومائتين ، وقتل في صفر ، سنة سبعين ومائتين ، في خلافة المعتمد .

وكان المعتمد صاحب لذّات ، فجعل أخاه طلحة ولي عهده ، ولقبه الموفق ، وجعل اليه المشرق. وجعل ابنه جعفر ولي عهد ابنه، ولقبه المفوض الى الله عز وجل ، وجعل اليه المغرب . فغلب الموفق على الامر ، وقام به احسن قيام ، ومال الناس اليه، واشتغل بقتال علي بن محمد ، صاحب الزنج . وكان المعتمد قد صار يريد مصر في جمادى الآخرة، سنة تسع وستين ومائتين، لمكاتبة جرت بينه وبين احمد بن طولون ، فلما بلغ الموفق ذلك ، وهو في

قتال علي بن محمد، أنفذ اسحاق بن كفداح ، فردّه المعتمد ، وسلمه الى صاعد ابن مخـــلد ، فأنزله دار ابن الخطيب بسرّ مَن رأى ، وحجر عليه . ولقب الموفق ، اسحاق ، ذا السيفين ، وولاه اعمــال ابن طولون . ولقب صاعد بن مخلد ، ذا الوزارتين . وجمع القضاة والفقهاء ، بدمشق ، فكلهم أفتوا بخلعه ، إلا بكار بن قتيبة ، فحبسه . وأمر الموفق بلعنة ابن طولون على المنــابر . ثم مات احمد ابن طولون لعشر خلون من ذي القعــدة ، سنة سبعين ومائتين . ومات ابنه العباس بعده باثنتي عشرة ليلة . وبلغنـــا انه أحصي من قتله ابن طولون ، ومات بحبسه ، فكان مبلغه ثمانية عشر ألفاً .

ثم مات الموفق في صفر ، سنة ثمان وسبعين ومائتين ، فردّ المعتمد ولاية العهد الى ابن الموفق ، وهو احمد المعتمد ، وخلع ابنه جعفر . والمعتضد هو الذي أسقط المكوس التي كانت تؤخذ بالحرمين ، وتزوج قطر النــدى ، بنت احمد بن طولون ، سنة احدى وثمانين ، وأصدقها ألف ألف . وأنفذ الحسين ابن عبـــد الله الجوهري ، المعروف بابن الخصاص ، فحملها اليــه في آخر هذه السنة .

وفي ايام المقتــدر بالله ، بطل الحج ، سنة سبع عشرة وثلاثمائة ، وأخذ الحجر الاسود . وذلك ان ابا طاهر سليمان بن الحسن القرمطي ، دخل مكة يوم التروية ، فقتــل الحجاج قتلاً ذريعاً ، ورمى القتلى في زمزم ، وأخـــذ الحجر الاسود ، وعرّى الكعبة ، وقلع بابهــا . وبقي الحجر الاسود عنــدهم اثنــين وعشرين سنة إلا شهراً ، ثم ردّوه لخمس خلون من ذي القعدة ، سنة تسع وثلاثين وثلاثمائة ، وكان قد بذل لهم في رده خمسون الف دينار ، فمــا فعلوا ، وقالوا : اخذناه بأمر ، فلا نرده إلا بأمر . وفي ايامه ايضاً ، استولى عبيد الله المهدي على المغرب ، وبنى المهدية بأفريقية ، في سنة اثنين وثلاثمائة ،

بعد أن ادعى له بأرض القيروان ، في شهر ربيع الآخر ، سنة تسع وتسعين ومائتين ، وكان ظهوره لسبع خلون من ذي القعـــدة ، سنة ست وتسعين ومائتين ، وفيها اخذ الحسين بن منصور الحلاج ، فقطعت يداه ، ورجلاه ، وجز رأسه ، وأحرق ، في ذي القعدة ، سنة تسع وثلاثمائة .

حدثنا يونس ، حدثنا عبد الوهاب ، انا المبارك عبد الجبار ، انا احمد بن عـلي الثوري ، انا عمر بن ثابت ، انا علي بن قيس ، عن ابي بكر القرشي ، عن محمد بن يحيى ، سمعت ابا عمر الخطاب يقول : دخل محمد بن واسع على بلال بن ابي بردة ، في يوم حار ، وبلال في حشمه ، وعنده الثلج ، فقـال بلال : يا ابا عبد الله كيف ترى بيتنا هذا ؟ قال : ان بيتك لطيّب، والجنة اطيب منه . وذكر النار يلهي عنه ، قال: ما تقول في القدر؟ قال : جيرانك من اهل القبور ، ففكر فيهم ، فإن فيهم شغلاً عن القدر . قال : ادع لي ، قال : وما تصنع بدعائي وعلى بابك كذا وكذا ؛ كل يقول : انك ظلمتهم ، يرتفع دعاؤهم قبل دعائي ، لا تظلم ، ولا تحتاج الى دعائي .

ومن كلام الحسن البصري : عجبـــاً لقوم أمروا بالزاد ، ونودي فيهم بالرحيل، وحبس أولهم عن آخرهم ، وهم قعود يلعبون . يا ابن آدم، السكين تحدّ ، والتنور يسحر ، والكبش يعتلف ، كفى بالتجاريب تأديباً ، وبتقلب الأيام عظة ، وبذكر الموت زاجراً عن المعصية ، ذهبت الدنيا بحال اولها ، وبقيت الايام قلائد في الأعناق ، انكم تسوقون النـاس ، والساعة تسوقكم ، وقد أسرع بخياركم ، فماذا تنتظرون المعاينة .

وكان قد حدثنا محمد بن اسماعيل ، حدثنا ابو الفرج بن عـلي بن محمد ، انا المبارك بن علي الصيرفي، انا علي بن محمد العلاف،انا عبد الملك بن بشران،

انا احمد بن ابراهيم الكندي ، انا ابو بكر محمد بن جعفر ، حدثنا ابو الفضل الربعي ، حدثنا اسحاق بن ابراهيم، عن الهيثم بن عدي، قال : كانت لفاطمة بنت عبد الملك بن مروان زوجة عمر بن عبدالعزيز جارية حسناء ، كان عمر يهواها ، فطلبها منها لنفسه ، وحرص في ذلك ، فأبت عليه ، وغارت من ذلك ، ولم يزل عمر مشغوفاً بها . فلما أفضت الخلافة اليه ، طلبت فاطمة زوجته الحظوة عنده ، بتقريب الجارية اليه، فأمرت بإصلاح شأنها، وأدخلتها عليه في احسن صورة ، وقالت له : يا امير المؤمنين ، انك كنت بفلانة جاريتي معجباً ، وسألتنيها فأبيت ذلك عليك ، وأنا اليوم قد طبت نفساً بذلك ، فدونكها . فسرّ عمر بقولها ، وظهر الفرح في وجهه ، وازداد بها عجباً ، وفيها صبابة ، فقال لها : ألقي ثوبك ايتها الجارية . فلما همت ، قال لها : على رسلك ، اخبريني لمن كنتِ ومن اين انت لفاطمة ؟ قالت : كان الحجاج بن يوسف، أغرم عاملاً كان له من اهل الكوفة مالاً ، وكنت في رق ذلك العامل ، فأخذني وبعثني الى عبد الملك بن مروان ، وأنا يومئذ صبية ، فوهبني عبد الملك لابنته فاطمة . فقال : وما فعل ذلك العامل ؟ قالت : هلك . قال : وما ترك ولداً ؟ قالت : بلى . قال : وما حالهم ؟ قالت : سيىء . قال : شدي عليك ثوبك . ثم كتب الى عبد الحميد عامله ، أن سرّح إلي فلان بن فلان على البريد . فلما قدم عليه ، قال : ارفع إلي جميع ما أغرم الحجاج اباك ، فما رفع اليه شيئاً إلا دفعه ، ثم امر بالجارية فدفعت اليه ، فلما اخذها بيدها ، قال : إياك وإياها ، فإنك حديث السن ، ولعل اباك أن يكون قد وطئها . فقال الغلام : يا امير المؤمنين ، هي لك . قال : لا حاجة لي فيها . قال : فابتعها مني . قال : لست اذاً ممن ينهي النفس عن الهوى . فمضى بها الفتى. فقالت له الجارية: فأين وجْدك بي يا امير المؤمنين؟

فقال : على حالها ، ولقد ازدادت . فقيل : انها ما زالت في نفس عمر حتى مات ، رحمه الله .

روينا من حديث ابن ابي الدنيا ، عن محمد بن الحسن ، عن يوسف بن الحكم ، عن عبـد السلام مولى مسلمة بن عبد الملك . قال : بكى عمر بن عبد العزيز يوماً ، فبكت لبكائه زوجته فاطمة، فبكى اهل الدار، لا يدري هؤلاء ما ابكى هؤلاء ، فلما انجلت عنهم عبرتهم ، قالت له فاطمة : يا امير المؤمنين ، مم بكيت ؟ قـال : ذكرت منصرف القوم من بين يدي الله عز وجل ، فريق في الجنة ، وفريق في السعير . ثم صرخ وغشي عليه .

بلغني ، عن عطاء انه قال : كان عمر بن عبد العزيز في ايام خلافته يجمع الفقهاء كل ليلة ، فيتذاكرون الموت، والقيامة ، وما أعد الله في الآخرة ، ثم يبكون حتى كأن بين ايديهم جنازة .

وحدثنا يوسف في آخرين، قالوا : حدثنا ابن بطيء ، عن حميد بن احمد، عن ابي نعيم ، عن ابي محمـد بن حبان ، عن ابن محمد بن عمر ، عن ابي بكر ابن عبيد ، حدثني حاتم بن عبد الله الازدي ، عن الحسن بن محمد الخزاعي ، عن رجل من ولد عثمان ، إن عمر بن عبد العزيز ، قال في بعض خطبه : إن لكل سفر زاداً لا محالة ، فتزودوا لسفركم من الدنيا الى الآخرة ، التقوى ، وكونوا كمن عاين مـــا أعدّ الله من ثوابه وعقابه ، ترغبوا ، وترهبوا ، ولا يطولن عليكم الأمد ، فتقسى قلوبكم ، فوالله ما بسط أمل من لا يدري ، لعله لا يصبح بعد مسائه ، ولا يمسي بعد صباحه ، ولربما كانت بين ذلك خطفات المنايا ، فكم رأيتم ورأيت من كان في الدنيا مغروراً ؟ وإنما تقرّ عين من وثق بالنجاة من عذاب الله ، وإنما يفرح من آمن من اهوال يوم القيامة ، فأما من لا

يداوي كلماً إلا أصابه جرح من ناحية اخرى ، نعوذ بالله ان آمركم بما أنهي عنه نفسي، فتخسر صفقتي، لقد عنيتم بأمر، لو عنت به النجوم لانكدرت ، ولو عنت به الجبال لذابت ، ولو عنت به الأرض لانشقت ، أما تعلمون انه ليس بين الجنة والنار منزلة ؟ وإنكم صائرون الى احداهما .

قال ابو سليم الهذليّ : خطب عمر بن عبد العزيز ، فقال : أما بعد ، فان الله عز وجل لم يخلقكم عبثاً ، ولم يدع شيئاً من امركم سدى ، فإن لكم معاداً ينزل الله فيه الحكم بينكم ، فخاب وخسر من خرج من رحمة الله ، وحرم الجنة التي عرضها السماوات والأرض ، واشترى قليلاً بكثير ، وفانياً بباقٍ ، وخوفاً بأمن ، ألا ترون انكم في اسلاب الهالكين ؟ وسيخلفها لكم الباقون ، كذلك حتى نردّ الى خير الوارثين، في كل يوم وليلة تشيعون غادياً، ورائحاً الى الله عز وجل، قضى نحبه ، وانقضى اجله ، حتى تغيّبوه في صدع من الأرض ، في بطن صدع ، ثم تدعوه غير ممهد ولا موسّد ، قد خلع الأسباب ، وفارق الأحباب ، وسكن التراب ، وواجه الحساب ، مرتهناً بعمله ، فقير الى ما قدم ، غنياً عما ترك ، فاتقوا الله قبل نزول الموت ، وأيم الله ، اني لا اقول لكم هذه المقالة ، وما أعلم عند احد من الذنوب ، ما عندي ، وما يبلغني عن احد منكم حاجة ، إلا احببت أن اسدّ من حاجته ما قدرت عليه ، وما يبلغني أن احداً منكم لا يسعه ما عندي ، إلا وددت أن يمكنني تغييره حتى يستوي عيشنا ، وعيشه ، وأيم الله ، لو اردت غير ذلك من الغضارة ، والعيش، لكان اللسان مني به ذلولاً عالماً بأسبابه ، ولكن سبق من الله عز وجل كتاب ناطق ، وسنّة عادلة ، دل فيها على طاعته ، ونهى فيها عن معصيته . ثم وضع طرف ردائه على وجهه ، وبكى وشهق ، وبكى الناس ، فكانت آخر خطبة خطبها .

حدثنا محمد بن اسماعيل ، عن عبد الرحمن ، عن علي بن محمد بن ابي عمر ، عن محمد بن الحسن ، عن عبد الملك بن بشران ، عن ابي بكر الاجري ، عن الغرياني ، عن عمرو بن علي ، عن سفيان بن خليد الضبي ، عن سالم بن نوح العطار ، عن بشر بن البشري ، قال عمرو بن علي : حججت ، فقيل : إن بمكة بشر بن البشري ، فأتيته ، فسألته ، فحدثني عن بشر بن البشري ، عن ابي سليم الهذلي ، وذكره .

وحدثنا يونس بن يحيى ، عن محمد بن ابي منصور ، عن رزق الله ، وطراد هو الزبير ، وكلاهما ، عن علي بن محمد المعدل ، عن الحسن بن صفوان ، عن عبد الله بن محمد بن عبيد ، عن ابي محمد العبدي ، عن عبيد الله بن محمد القرشي ، عن ابن ابي شميلة ، قال : دخل رجل على عبد الملك بن مروان ، ممن كان يوصف بالعقل والأدب ، فقال له عبد الملك بن مروان : تكلم ، فقال : بما اتكلم وقد علمت ان كل كلام يتكلم به المتكلم عليه وبال إلا ما كان لله . فبكى عبد الملك ، ثم قال : يرحمك الله ، لم يزل الناس يتواعظون ، ويتواصون . فقال الرجل : يا امير المؤمنين ، ان للناس في القيامة جولة لا ينجو من غصص مرارتها ، ومعاينة الردى ، إلا من أرضى الله بسخط نفسه. قال : فبكى عبد الملك . ثم قال : لا جرم ، لأجعلن هذه الكلمات مثالاً نصب عيني ما عشت ابداً .

وروينا من حديث ابي نعيم ، عن ابي بكر بن مالك ، عن عبيد الله بن احمد بن حنبل ، قال : اخبرت ، عن يسار ، عن جعفر ، عن مالك بن دينار ، قال : كنت عند بلال بن ابي بردة ، وهو في قبة له ، فقلت : قد أصبت هذا خالياً ، فأي قصص أقص عليه ؟ فقلت في نفسي : ما له خير من ان أقص عليه ما لقي نظراؤه من الناس ، فقلت له : أتدري مَن بنى هذا الذي

انت فيه ؟ قال : بناها عبيد الله بن زياد ، فقلت : وبنى البيضاء ، وبنى المسجد ، فوُلّي ما وُلّي ، ثم قتل ، ثم وُلّي بشر بن مروان ، فقتله اخوه امير المؤمنين ، فدفنوه . وذهب بالزنجي ، فمات بالبصرة ، فحملوه . ومات زنجي، فحمله الزنج . فذهب بأخي امير المؤمنين ، فدفنوه . ثم جعلت أقص عليه اميراً اميراً ، حتى انتهيت اليه ، فأثّر ذلك فيه ، وبكى بكاء شديداً.

قصة الشعبي والحسن البصري مع عمرو بن هبيرة والي العراق :

حدثنا يونس بن يحيى في آخرين ، قال : انا محمد بن ناصر ، انا عبد القادر ابن محمد ، ثنا ابراهيم بن عمر البرمكي ، انا علي بن عبد العزيز ، ثنا عبدالرحمن ابن ابي حاتم ، ثنا ابو حميد الحمصي ، ثنا يحيى بن سعيد ، عن يزيد بن عطاء، عن علقمة بن مرّة ، قال : لما قدم عمرو بن هبيرة العراق، أرسل الى الحسن، والشعبي ، وأمر لهما ببيت ، فكانا فيه شهراً او نحوه . ثم ان الخصي غدا عليهما ذات يوم ، فقال : ان الامير داخل عليكما . فجاء عمرو متوكئاً على عصا له ، فسلّم ، ثم جلس معظماً لهما ، فقال : ان امير المؤمنين يزيد بن عبد الملك، كتب إليّ كتباً أعرف ان في إنفاذها الهلك ، فإن أطعته عصيت الله ، وإن عصيته أطعت الله ، فهل تريا لي في متابعتي إياه فرجاً ؟ فقال الحسن للشعبي : يا ابا عمرو ، أجب الامير . فتكلم الشعبي بكلام يريد به إبقاء وجه عنده . فقال ابن هبيرة : ما تقول انت يا ابا سعيد ؟ فقال : ايها الامير ، قد قال الشعبي ما قد سمعت به ، قال : ما تقول انت يا ابا سعيد ؟ قال : أقول : يا عمرو بن هبيرة ، أوشك ان ينزل بك ملك من ملائكة الله، فظّ ، غليظ ، لا يعصي الله ما أمره ، فيخرجك من سعة قصرك الى ضيق قبرك . يا عمرو بن هبيرة ، لا تأمن ان ينظر الله اليك على قبح ما تعمل في

طاعة يزيد بن عبد الملك ، فيغلق به باب المغفرة دونك . يا عمرو بن هبيرة ، لقد أدركتُ ناساً من صدر هذه الامة ، كانوا عند هذه الدنيا ، وهي مقبلة، أشد إدباراً من إقبالكم عليها ، وهي مدبرة . يا عمرو بن هبيرة، اني اخوّفك مقاماً خوّفكه الله عز وجل، فقال: « ذلك لمن خاف مقامي وخاف وعيد ». يا عمرو بن هبيرة ، إن تكن مع الله في طاعته ، كفاك يزيد بن عبد الملك ، وإن تكن مع يزيد على معاصي الله ، وكلك الله اليه . فبكى عمرو بن هبيرة، وقام بعبرته . فلما كان من الغد ، أرسل اليهما ، فأدناهما وأجازهما ، فأكثر جائزة الحسن ، وأنقص جائزة الشعبي . فخرج الشعبي الى المسجد ، فقال : ايها الناس ، من استطاع منكم ان يؤثر الله على خلقه فليفعل ، فوالذي نفسي بيده ، ما علم الحسن شيئاً منه ، فجهلته ، ولكني أردت ابن هبيرة، فأقصاني الله منه .

وبلغني ان عمر بن عبد العزيز ، لما وّلي الخلافة ، أخذ إقطاع امير كبير كان أقطعه إياها سليمان بن عبد الملك ، والوليد بن عبد الملك ، فلما مات عمر ابن عبد العزيز ، وُوّلي يزيد بن عبد الملك ، جاء الامير اليه ، فقال له : ان أخاك سليمان امير المؤمنين ، والوليد ، أقطعاني شيئاً ، قطعه عني امير المؤمنين عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه ، فأريد منك ان تردّه عليّ . قال يزيد : لا أفعل . قال : ولِمَ ؟ قال : لأن الحق فيما فعل عمر بن عبد العزيز . قال : وبمَ ذلك ؟ قال : لأن أخواي أحسنا اليك ، وذكرتهما ، وما دعوت لهما ، وعمر بن عبد العزيز أساء اليك ، وذكرته ، فترضيتَ عنه ، فعلمت أن عمر آثر الله على هواه ، وأما سليمان ، والوليد ، آثرا هواهما على حق الله. فوالله لا رأيته مني أبداً . وهذا من أحسن ما يحكى عن الثقاة اولات الامر اه . والحمد لله حق حمده .

ذكر ما أُرِّخ به الناس

من آدم الى الهجرة النبوية

فأول تاريخ ، كان بهبوط آدم عليه السلام، ثم ببعث نوح ، ثم بالطوفان، ثم بنـار ابراهيم عليه السلام ، وقد أرّخ بموت آدم ، وببعث ادريس ، عليهما السلام . ثم ان بني اسحاق بن ابراهيم عليه السلام ، أرّخوا بنـار ابراهيم الى يوسف ، ومن يوسف ، أرّخوا الى بعث موسى عليهما السلام ، وأرخوا من موسى الى ملك داود، وسليمان، عليهما السلام، ثم أرخوا بما كان من الكوائن، وكان منهم من أرخ بوفاة يعقوب ، ثم بخروج موسى من مصر ببني اسرائيل ، ثم بخراب بيت المقدس .

وأما بنو اسماعيل ، فقد أرّخوا ببنـاء الكعبة ، ثم أرّخوا بكل يوم اخرجوا من تهامة ، ثم أرّخوا بعام الفيل ، وبيوم الفجار ، وقـد كانت بنو معدّ بن عدنان ، تؤرخ بغلبة جرّهم العماليق ، وإخراجهم إياهم من الحرم ، ثم أرّخوا بأيام الحروب ، كحرب ابناء وائل، وهو حرب البسوس ، وكحرب داحس . وكانت حميّر ، وكهلان ، تؤرخ بملوكها السابقة ، وأرّخوا بنـار ضرار ، خربت بعض اليمن ، وأرخوا بسيل العرم ، وأرخوا بظهور الحبشة على اليمن . وقد أرخت الأمم الماضية ، قبل ابراهيم ، بهلاك عاد بالريح .

وأمـا الروم ، واليونان ، فتؤرخ بظهور الاسكندر ، وأرخت القبط ، بملك بختنصّر ، ثم أرخت بملك زقلاط يانوس القبطي ، وقالوا : إنه تاريخهم الى الآن، وأرخت المجوس بآدم ، ثم أرخوا بقتل دارا ، وظهور الاسكندر، ثم بظهور ازدشير ، ثم بملـك يزدجرد ، ومـا زال التاريخ في العرب ، من عام الفيل الى خلافة عمر بن الخطاب رضي الله عنه . فتقرر الأمر على أن يؤرخ بهجرة النبي ﷺ الى المدينـــة ، وجعلوا التاريخ في المحرم ، اول عام الهجرة .

ذكر اختلاف الامم فيما مضى من الزمان

من آدم الى هجرة نبينا عليه الصلاة والسلام

تاريخ العرب في ذلك :

روينا من حديث ابن عباس رضي الله عنهما ، ان مـــا بين مدة آدم الى نبينا ، خمسة آلاف سنة ، وخمسمائة وخمس وسبعون سنة ، ثم فصّل على ما رواه الكلبي ، عن ابي صالح ، عنه ، من آدم الى نوح الف ومائتا سنة ، ومن نوح الى ابراهيم الف ومـــائة سنة ، ومن ابراهيم الى موسى خمسمائة وخمس وسبعون سنة ، ومن موسى الى داود الف ومائة وتسع وسبعون سنة ، ومن داود الى عيسى الف وثلاثمائة وخمس وستون سنة ، ومن عيسى الى محمـــد ستمائة سنة ، وقد روي عنه غير ذلك . وفي قول الواقدي : من هبوط آدم الى مولد نبينا عليه السلام ، اربعة آلاف وستمائة سنة . وفي قول محمـــد بن اسحاق خمسة آلاف سنة وأربعمائة سنة وست وعشرون سنة ، قـال : كان بين آدم ونوح الف ومائتا سنة ، ومن نوح الى ابراهيم الف ومائة واثنان وأربعون سنة ، ومن ابراهيم الى موسى خمسمائة وخمس وسبعون سنة ، ومن

موسى الى داود خمسمائة وتسع وستون سنة ، ومن داود الى عيسى الف وثلاثمائة وخمس وستون سنة، ومن عيسى الى محمد صلوات الله عليهم اجمعين، ستمائة سنة . وفي قول وهب بن منبّه : خمسة آلاف وستمائة سنة .

تاريخ مجوس الفرس في ذلك : اربعة آلاف ومـائة واثنان وثمانون سنة وعشرة اشهر وتسعة عشر يوماً .

تاريخ اصحاب الريحان في ذلك : والتاريخ عندهم الذي يصح في دعواهم بالبرهان: من الطوفان، فإنهم غير مؤمنين بما وردت به الأنبياء عليهم السلام، من حديث آدم ، فقالوا : إن من اول الطوفان الى اول يوم الهجرة ، ثلاثـة آلاف سنة وسبعمائة وخمس وعشرون سنة فارسية وثلاثمـــائة وتسعة وأربعون يوماً .

تاريخ اليهود في ذلك : اربعة آلاف سنة وستمائة واثنان وأربعون سنة .

تاريخ اليونان، من النصارى في ذلك : خمسة آلاف سنة وسبعمائة واثنان وسبعون سنة وأشهر .

ذكر المؤرخون : أن عمر آدم الف سنة ، وقيل : الف إلا سبعين عاماً ، وقيل : ثمانمائة سنة . وعمر ولده شيث، وتفسيره : هبة الله ، وهو ابن آدم، سبعمائة سنة واثنا عشر سنة ، وعاش انوش بن شيث بن آدم ، سبعمائة سنة وخمساً وستين سنة . وعاش فينان بن انوش ، سبعمائة وعشرين سنة ، وعاش مهلاييل بن فينان بن انوشي بن شيث بن آدم،ثمانمائة سنة وخمساً وتسعين سنة، وعاش برد بن مهلاييل، تسعة واثنين وستين سنة، وفي زمنه عملت الأصنام . وولد كل هؤلاء في حياة آدم . وعاش ادريس بن برد، الى ان رفع الى السماء، ثلاثمائة وخمسين سنة في حياة ابيه برد ، وعاش ابوه بعد رفعه اربعمائة وخمساً

وثلاثين سنة، وقيل : رفع وهو ابن اربعمائة سنة وخمساً وستين سنة . وعاش متوشلخ بن ادريس تسعمائة واثنين وثمانين سنة ، وولد متوشلخ ، وابنه لامك في حياة آدم ايضاً ، وولد للامك ، نوح ، وعمر لامك إذ ذاك مـائة وسبع وثمانون سنة، وكان مولد نوح بعد وفاة آدم بثمانمائة سنة وستة وعشرين سنة، وذلك في سنة ست وخمسين سنة ، لهبوط آدم ، وبعث نوح ، وله اربعمائـة وثمانون سنة ، وركب الفلك وله ستمائة سنة ، وأقـــام بعد الطوفان ثلاثمائة وخمسين سنة ، وقيل : بعث وله خمسون سنة ، ومات وله الف سنة ، وقيل غير ذلك ، قيل : واستقلت السفينة لعشر خلت من رجب ، وبقيت على الماء مائة وخمسين يوماً ، ثم استقرت على الجودي في جبل بالجزيرة شهراً ، وخرج الى الأرض في المحرم، في اليوم العاشر منه ، وابتنى قرية بالجزيرة تسمى سوق ثمانين ، فإنهم كانوا في السفينة ثمانين رجلا .

وعاش سام بعـــد نوح ، ستمائة سنة ، وكان سام اوسط ولد نوح ، وكان يافث اسن منه ، وقدموا ساماً بالذكر، لأنه ابو الانبياء عليهم السلام ، وكان له من الولد : آدم ، وأرسيمون ، وأرفخشد ، وعويـلم ، ولاود ، وكان يسكن هو وولده الحرم ، ومـــا حوله ، الى اليمن ، والى غسان العرب . والأنبياء كلهم ، عربيّهم ، وعجميّهم ، من ولده . واليمن كلها ، وعـــاد ، وثمود ، من ولده .

وأما حام بن نوح، فزعم وهب أنه كان ابيض حسن الصورة ، فغيّر الله لونه ، وألوان ذريته ، لدعوة ابيه عليه . قيل : نام نوح، فانكشفت عورته فلم يسترها حام ، فسترها سام ، ويافث ، فدعا لهما ، فالسودان كلهم على اختلاف اجناسهم ، من اولاد حام ، وكان له من غربي النيل الى ما وراءه من بحر الدبور .

وأما يافث بن نوح ، وولده ، فكانت منازلهم ارض الروم ، والروم من ولده ، والترك والخزز ، ويأجوج ، ومأجوج .

نسب هود عليه السلام :

يقال : انه عابر بن شالخ بن ارفخشذ بن سام ، وأنه ُولد بعد ما مضى من عمر نوح ستمائة وسبع وستون سنة . وقال بعضهم : هو هود بن عبيدالله ابن رباح بن الخلود بن عـاد بن عوص بن ارم بن سام ، بعثه الله عز وجل الى حي من ولد ارم بن سام ، وهم عاد بن عوص بن ارم ، وهم عاد الاولى ، فكذبوه ، فأهلكهم الله . وقصتهم مذكورة في هذا الكتاب .

ولما أهلكهم ، بعث عليهم طيراً اسود ، فنقلهم الى البحر ، فأصبحوا لا ترى إلا مساكنهم ، وكانت مساكنهم ، الشحر ، بين عمـان وحضرموت . ويقال: كان هود أشبه ولد آدم ، بآدم ، وكذا قيل في يوسف . ومات هود بمكة ، بعد هلاك قومه ، وله مائة وخمسون سنة ، وقيل غير ذلك . قـال علي بن ابي طالب رضي الله عنه : قبر هود بحضرموت .

نسب صالح عليه السلام :

هو صالح بن عبيد بن اسف بن ماسح بن عبيد بن حاذر بن ثمود بن جابر ابن ارم بن سام ، بعثه الله الى حيّه ، وهم ثمود ، وكانت مساكنهم الحجر ، من وادي القرى ، والشام ، وقصته ستجيء ان شاء الله تعالى .

زعم وهب ان الله بعثه حين راهق الحلم ، وكان يمشي حافياً لا يتخذ نعلاً ، وكانت آيته ناقة أخرجها الله من هضبة من الارض ، يتبعها فصيل لها فيحلبون

منها ربّهم ، وتشرب في ذلك اليوم جميع مياههم، ويشربون هم اليوم الثاني، الماء ، ولا تأتيهم ، فلما طال ذلك عليهم ملّوها ، فاجتمعوا تسعة من شرار قومه على عقرها ، وخرجوا اليها، فعقرها رجل يعرف بقدار، احمر، ازرق، فوعدهم الله بالعذاب بعد ثلاث ، فأصابهم في اليوم الاول، وكان يوم الخميس ، صفرة ، فأصبحوا مصفرّين ، وأصبحوا في اليوم الثاني ، وجوههم محمرّة ، وأصبحوا في اليوم الثالث ، وجوههم مسودة ، وصبحهم العذاب يوم الأحد، فأتتهم صيحة من السماء ، فماتوا كلهم ، ولحق صالح ومن آمن معه من قومه بمكة ، ومات وله ثمان وخمسون سنة . وروي أن قبورهم بين دار الندوة والحجر . وذكر ريثمة أن صالحاً ، عاش ثلاثمائة سنة إلا عشرين سنة . وزعم اهل التوراة ان صدقوا ، أنه لا ذكر لعاد وثمود في كتابهم .

نسب ابراهيم عليه السلام :

وقصته ستجيء ، ونسبه مذكور في سرد نسب النبي ﷺ ، وهو ابراهيم ابن تارخ، وهو آزر بن ناحور[1] بن ساروغ بن رغو بن قالع بن عابر، وهو هود بن شالخ بن ارفخشذ بن سام ، وُلد ببابل ، وقيل : بحرّان ، ونقله ابوه الى بابل ، وولد في زمن نمرود بن كوش ، وقيل : نمرود بن كنعان بن كوش . وكان النمرود ملك المشارق والمغارب .

ولما بلغ ابراهيم عليه السلام ثلاثين سنة ، ألقاه نمرود في النار ، وكان قد حبسه قبل ان يلقيه في النار ثلاث عشرة سنة ، وقيل : ألقي في النار وله ست عشرة سنة . ولما بلغ عمره سبعين سنة ، خرج ابراهيم ، ومعه ابن اخيه لوط بن هاران ، وابنة عمه سارة زوجته ، الى حرّان ، وقيل : ان أباه كان معه ، فأقاموا بها خمسين سنة . ومات بها آزر ، بعد ان خرج ابنه منها

---

(١) نسخة ٢ ياخور .

بسنتين . ثم سار ابراهيم ، ولوط ، وسارة ، من حران الى الشام ، فوجدوا في الشام جوعاً عظيماً ، فساروا الى مصر، وفرعونها اذ ذاك سنان بن علوان، وأقاموا بها ثلاثة أشهر ، ورجعوا الى الشام ، وقد أهدى سنان ، فرعون مصر ، الى سارة هاجر ، فنزلوا المسبع من ارض فلسطين ، وفارقه لوط ، وسكن في سدوم . ثم تحول ابراهيم ، ونزل بين الرملة ، وإيلياء ، فلما بلغ ابراهيم خمساً وثمانين سنة ، وهبت له سارة جاريتها هاجر ، فولدت هاجر ، اسماعيل ، وله ست وثمانون سنة ، واختتن وله تسع وتسعون سنة ، ثم اختتن ابنه اسماعيل ، ثم ولدت سارة ، اسحاق ، وله مائة سنة ، وأنزل الله عليه عشر صحايف . وولد لاسحاق ، يعقوب ، والعيص ، بعد ما مضى مائة وستون سنة لابراهيم . ومات ابراهيم، وله مائة وخمس وسبعون سنة. وماتت سارة ، ولها مائة وتسع وعشرون سنة ، وكان موتها قبل وفاة ابراهيم بعد مضي سبع وثلاثين سنة من عمر ابنها. ودفنا في مزرعة حبرون من ارض الشام.

وزعم محمد بن جرير الطبري ، ان من هبوط آدم ، الى ان وُلد ابراهيم ، ثلاثة آلاف سنة ، وثلاثمائة ، وسبعاً وثلاثين سنة ، فيكون الى موته ثلاثة آلاف ، وخمسمائة ، واثنا عشر سنة .

نسب لوط عليه السلام :

هو لوط بن هاران بن آزر ، ارسل الى اهل سدوم ، وقصته مع قومه ستجيء . وان جبريل اقتلع ارضهم من سبع أرضين ، فحملها حتى بلغ بها الى سماء الدنيا ، حتى سمع اهل السماء نباح كلابهم ، وأصوات ديَكتهم ، ثم قلبها ، وهو قوله تعالى : « والمؤتفكة أهوى » . وأرسل على الشرار منهم حجارة من سجّيل . وكان ذلك بعد مضي تسع وتسعين من عمر ابراهيم .

وكانت فيها رُويَ خمس قرى : ضيعة، وضعوة ، ودوما ، وعمره ، وسدوم، وهي العظمى . وذكر ان جميع ما عمرت سدوم ، احدى وخمسون سنة .

نسب اسماعيل عليه السلام :

هو اسماعيل بن ابراهيم الخليل عليه السلام ، وقد ذكرنا اولاده ، وحديثه بمكة . لمـا حضرته الوفاة أوصى الى اخيه اسحاق ، وزوّج ابنته من العيص ابن اسحاق ، وكان عمره مائة وسبعة وثلاثون سنة ، ودفن في الحجر الى قبر امه هاجر . وماتت هاجر في حياة ابيه .

نسب اسحاق عليه السلام :

فأصحّ الروايات، انه الذبيح ، ولما عرضه ابوه للذبح كان ابن سبع سنين، وكان مذبحه في بيت إيلياء . ولما علمت سارة بمـا أراد ابراهيم باسحاق ، من الذبح ، أخذها البَطن من الجزع يومين ، وماتت في الثالث . وقيل : كان ابن ست وعشرين سنة . ولمـا بلغ عمر اسحاق ستين سنة ، وُلد له العيص ، ويعقوب ، وكانا توأمين ، فولد للعيص الروم ، وكل بني الاصفر من ولده . وقيل : انما سُمّوا بني الاصفر ، لأن العيص كان اصفر اللون . وولد ليعقوب الاسباط . وعاش اسحاق مائة وثمانين سنة ، وكان ضريراً ، وكانت وفاته في السنة التي استوزر يوسف فيها بمصر ، ودفن عند قبر ابيه ابراهيم .

وأما يعقوب عليه السلام :

فهو يعقوب بن اسحاق بن ابراهيم ، عـــاش مائة وسبع واربعين سنة . توفي بمصر ، وحمله ابنه يوسف ، ودفنه عند قبر ابيه ، ثم عاد وكانت النبوة

والملك ، متصلين بالشام ونواحيها لولد اسرائيل الذي هو يعقوب بن اسحاق، الى ان زال عنهم ذلك ، بالفرس ، والروم ، بعد يحيى بن زكريا ، وبعـــد عيسى عليه السلام . وكان ليعقوب اثنا عشر ولداً ذكوراً ، وهم الاسباط .

وذكر بعض اهل التاريخ، ان الأنبياء كلهم من ولد يعقوب، إلا احد عشر نبياً ، وهم: نوح ، وهود ، وصالح ، ولوط ، وأيوب ، وشعيب ، وابراهيم، واسماعيل ، واسحاق ، وعيسى ، ومحمد ﷺ ، وعليهم اجمعين .

وأما يوسف عليه السلام :

فهو يوسف بن يعقوب بن اسحاق بن ابراهيم الخليـل ، وستجيء قصته . قيل : كان سنّه في الوقت الذي رأى فيه الشمس ، والقمر ، والأحـد عشر كوكباً ، سبع عشرة سنة . واسم العزيز الذي استوزره الريان بن الوليـد ، وذكر انه آمن واتبع يوسف ، ومات في حياة يوسف ، وولّي بعـده قابوس ابن مصعب ، وكان كافراً .

ومات يوسف ، وله مائة وعشر سنين . وباعه اخوته ، وله سبع عشرة سنة . وأقام في الرق ثلاث عشرة سنة. واستوزر ، وله ثلاثون سنة ، وأقام وزيراً ، وله تسع سنين. واجتمع بأبيه، فكانت مدة الفراق : اثنتين وعشرين سنة . وأقام مع أبيه سبع عشرة سنة .

وقال سليمان الفارسي : مدة فراقه من أبيه اربعون سنة . وقال الحسن : ثمانون سنة . وقال ابن اسحاق : ثماني عشرة سنة . وكان يعقوب واهل بيته يوم دخولهم مصر سبعين نفساً . وبين دخول يعقوب واهله مصر وبين خروج

موسى ببني اسرائيل منها، اربعمائة وست وثلاثون سنة . وكان عدد من خرج مع موسى من بني اسرائيل من مصر ستمائة الف مقاتل . وحمل موسى تابوت يوسف معه حين خرج . وانه دفن عند آبائه .

وأما أيوب عليه السلام :

فهو ايوب بن مصوع [1] بن راح بن عيص بن اسحاق بن ابراهيم الخليل ، قاله : وهب بن منبّه . وقيل : هو ايوب بن عوص بن رعويل بن عيص بن ابراهيم الخليل . وقال اهل التوراة : انه من ولد عوص بن ناحور ، أخي ابراهيم الخليل ، فعلى هذا القول ليس هو من الروم . وقيل : انه من ولد العيص ، لكونه رومياً . واختلف في زوجته التي ضربها بالضغث ، فقيل : هي إلياء بنت يعقوب بن اسحاق عليهما السلام . وقيل : هي رحمة بنت افراسيم بن يوسف بن يعقوب بن اسحاق ، وكانت ام ايوب بنت لوط .

وزعم الحسن البصري انه ابتلي وله ثمانون سنة من عمره . قال وهب : وابتلي ثلاث سنين . وقيل : عاش مائتي سنة ، وعشر سنين . وقيل : نبّىء في عهد يعقوب .

وذكر الطبري ان الله بعث بعده ابنه ذا الكفل ، واسمه بشر بن ايوب ، وله خمس وسبعون سنة . ثم بعث الله بعد ذي الكفل شعيباً ، عليهم السلام.

نسب شعيب عليه السلام :

قيل : اسمه ترون بن صفوان بن الغابر ثابت بن مدين بن ابراهيم .

---

(١) نسخه أحوص بن رعيل .

روينا عن ابن اسحاق انه شعيب بن ميكائيل من ولد مدين ، وقيل : لم يكن من ولد ابراهيم ، وانمـــا هو من ولد بعض من آمن بابراهيم ، وهاجر معه. قالوا : وام ابيه هي بنت لوط، وقصته ستجيء. وبعثه الله الى أمتين : مدين ، وأصحـاب الأيكة . وهو خطيب الانبياء ، قيـل : وكان أعمى ، ومات بمكة ، وما بلغني كم عاش .

وأما الخضر عليه السلام :

فقيل : ان اسمه الخضر، هذا قول الطبري . وقيل : اسمه بلياء بن لمكان ابن قالع بن عابر بن شالخ بن ارفخشد بن سام ، وكان ابوه لمكان اختلف في نبوته ، وقصته مذكورة في هذا الكتاب .

قال ابن اسحاق : وكان الخضر نبياً ، بعثه الله الى بني اسرائيل بعـــد شعيب. قال وهب: اسم الخضر اورياء[1] بن حلقيا، وكان من سبط هارون، وهو الذي مرّ على قرية وهي خاوية على عروشها . وقال عبدالله بن شوذب : الخضر من فارس ، والياس من بني اسرائيل .

وقال بعض اهل الكتاب من اليهود : ان موسى الذي لقي الخضر ، هو موسى بن ميشا بن يوسف ، وكان نبيـاً قبل موسى بن عمران . والصحيح : ان موسى بن عمران هو صاحب الخضر . وقيل : ان هـذا الخضر كان على مقدمة عسكر ذي القرنين الاكبر ، الذي كان في ايام ابراهيم الخليل ، وبلغ معه نهر الحياة ، فشرب من مائه ، وهو لا يعلم به ، فخلـّد ، وهو حيّ الى الآن ، وهذا قول الطبري ، حكاه عنه صاحب كتاب اخبار الزمان .

---

(١) نسخه اروميا .

نسب موسى وهارون عليهما الصلاة والسلام :

رهما أخوان لأب وأم ، وأبوهما عمران بن يصهر بن قاهث بن لاوى بن يعقوب بن اسحاق بن ابراهيم الخليل عليهم السلام . واسم امهما : لوخا بنت هانة بن لاوى بن يعقوب . وقيل : يوحانذ . وقال ابن اسحاق : يخبيب . وقصته ستجيء .

وكان قابوس بن مصعب ، صاحب يوسف الثاني ، قد مات ، وأقام مكانه أخوه : الوليد بن مصعب ، وهو فرعون موسى .

ولما بلغ فرعون بولادة مولود يكون هلاك فرعون على يده ، صار يقتل الولدان سنة ، ويحييهم سنة ، فولد هارون في السنة التي لا قتل فيها ، ثم ولد موسى بعده بثلاث سنين ، في السنة التي يقتل فيها ، فجعلته امه في التابوت كما ذكر .

ولما وجد التابوت في الماء عند الشجر ، سماه فرعون : موسى مركب من ماء وشجر ، فان الماء بلغتهم : المو ، والسا : الشجر . فسمّي بصفة المكان الذي وجد فيه . ذكر ذلك شيخنا ابو زيد السهيلي في المعارف والاعلام .

وقتل القبطي وسنّه إحدى وأربعون سنة ، وأقام بمدين تسعاً وثلاثين سنة ، ثم رجع الى مصر بزوجته صفورا بنت شعيب ، ثم بعثه الله الى فرعون ، فأقام يدعوه احد عشر شهراً ، ثم سار ببني اسرائيل ، وأتبعه فرعون ، فأغرقه الله .

وأقاموا في التيه اربعين سنة ، وخسف الله بقارون في التيه ، ومات هارون في التيه وله مائة وسبعة عشر سنة ، ومات موسى في التيه وله مائة وعشرون سنة ، بعد أن استخلف يوشع بن نون . قال ابن اسحاق : انها حوّلت النبوة الى يوشع بن نون في حياة موسى عليه السلام .

نسب يوشع بن نون عليه السلام :

وهو فتى موسى، هو يوشع بن نون بن افراشيم[1] بن يوسف بن يعقوب بن اسحاق بن ابراهيم الخليل ، بعثه الله نبياً بعد موسى الى اريحا لحرب من فيها من الجبـــابرة ، فقاتلهم حتى أمسى ، فدعا الله ان يمسك عليه الشمس عن الغروب ، حتى يظفر عليهم . فقيل : رجعت الشمس قـــدر نصف ساعة . وقيل : رجعت اثني عشر برجاً ، ولم يبق احد ممن أبى ان يدخل المدينة من الجبارين مع موسى ، إلا مات ، ولم يشهد الفتح . قاله السدي . وقـــال ابن عباس : كل من دخل التيه ممن جاوز العشرين ، مات ، ولم يدخل المدينة غير يوشع ، وقيل : انــه فتحها في حياة موسى ، وعاش يوشع مائة وعشر سنين ، وأقام يدبّر أمر بني اسرائيل ثمانية وعشرين سنة، ثم استخلف يوشع رجلا صالحاً اسمه غالب بن يوقنا .

نسب حزقيل عليه السلام :

ذكر الطبري: انه لاخلاف بين اهل العلم بأخبار الماضين. إن القائم بأمور بني اسرائيل بعد يوشع، كان غالب بن يوقنا ، ثم حزقيل بن يوقنا ، ويقال: ابن العجوز، لأن أمه ولدته وهي عجوز عقيم ، وهو النبي الذي اصاب قومه الطاعون ، فخرجوا من ديارهم ، وهم الوف ، حذر الموت ، فقـال لهم الله : موتوا ، ثم احياهم ، وقصتهم ستجيء .

نسب الياس عليه السلام :

قيل : هو ادريس عليه السلام ، وقصته ستجيء . ذكر المحب الطبري ،

---

(١) خ ٢ ثيم .

قال : لما مات حزقيل ، كثرت الأحاديث في بني اسرائيل ، وتركوا عهد الله ، وعبدوا الأوثان ، فبعث الله اليهم الياس ، وهو الياس بن العيزار بن هارون بن عمران بن يصهر بن فاهث بن لاوي بن يعقوب بن اسحاق بن ابراهيم الخليل ، هكذا ذكر نسبه الطبري . وذكر غيره : انه بعث الى اهل بعلبك . وبعل : اسم صنم كانوا يعبدونه، فتمادوا في طغيانهم يعمهون، فدعا عليهم الياس ، فأمسك الله الغيث عنهم ثلاث سنين ، حتى هلكت مواشيهم ودوابهم ، فسألوه أن يدعو لهم ، فدعا لهم ، فجاءهم الخير ، فلم يتوبوا ، فدعا الياس أن يقبض الله روحه ، فكساه الله الريش ، فجعل يطير مع الملائكة ، وكان انسياً ملكياً سماوياً ارضياً ، ويجتمع في كل موسم بالخضر . وقد روي أنه اجتمع برسول الله ﷺ وأكل معه من طعامه ، ويذكر أن الأبدال يجتمعون به .

وأما اليسع عليه السلام :

فهو اليسع بن يخطوب ، كان تلميذ الياس ، فدعا له ، فنبيء بعده ، وهو يعرف بابن العجوز ، ثم هلك ، ولم يزل الأمر في إدبار لكثرة التخليط ، وسلّط الله عليهم ملكاً اخذ منهم التابوت . وقصتهم ستجيء . فأقاموا في ذلك ، من اول وفاة يوشع ، اربعمائة وستين سنة ، الى ان عادت النبوة ، والملك اليهم ، بشمويل .

وأما شمويل عليه السلام :

فقد زرته على اميال من بيت المقدس ، وهو شمويل بن يالا ، ويقال : ابن هلقيا ، وهو بالعربية اسم اسماعيل .

فكان بنو اسرائيل ، لما طال عليهم البلاء ، وملكتهم العمالقة ، وضربت عليهم الجزية ، وكان ملكهم طالوت ، وكانوا يسألون الله تعالى أن يبعث لهم نبيا ، يقاتلون معه ، ولم يكن بقي من سبط النبوة إلا امرأة حبلى ، اسمها حنا، وكانت تدعو ان يرزقها الله النبوة ، على ما قيل، وكانت عاقراً ، فسألت الله تعالى أن يرزقها ولداً ، فولدت شمويل ، فسمته سمعون ، وهو فعلون ، من سمع الله دعائي ، والسين في لغتهم شين ، وهو من ولد فاهث ابن لاوي بن يعقوب ، فلما بلغ عشرين سنة ، ولاه داود النبي عليه السلام.

فلما أكمل شمويل اربعين سنة ، بعثه الله نبيا ، وبعث لهم طالوت ملكاً، ولم يكن من سبط الملك ، فأبوه ، وكانت آيته أن أتاهم التابوت الذي انتزع منهم، تحمله الملائكة نهاراً ، حتى وضع بين أيديهم عند طالوت . هذا مروي عن ابن عباس رضي الله عنهما . فآمنوا حينئذ بنبوة شمويل، وبملك طالوت.

وكان في التابوت ، على ما زعم السدّي ، طست من ذهب ، كان يُغسَل فيه قلوب الأنبياء ، ورضراض الالواح ، وعصا موسى عليه السلام .

وخرج طالوت لقتال جالوت ، كما ذكرناه في هذا الكتاب . ولما قتل داود جالوت ، زوّجه طالوت ابنته ، ثم بعد ذلك حبسه ، وأراد ان يقتله، فهرب منه داود ، فندم طالوت على ما همّ به من قتل داود ، وتاب الى الله تعالى . وقال طالوت : من توبتي ان أنخلع من ملكي ، وأقاتل في سبيل الله، انا وبنيّ حتى أموت. فخرج عن ملكه ، وأخرج معه بنيه، وهم ثلاثة عشر ، فقاتلوا في سبيل الله حتى قُتلوا كلهم . وورّث الله داود ، ملك طالوت ، ونبوة شمويل ، وهو قوله تعالى : « وآتاه الله الملك » ، يعني ملك طالوت ، والحكمة : نبوة شمويل .

وتاريخ مدة ملك طالوت ، فيما حكى ابن جرير الطبري ، على زعم اهل التوراة : اربعون سنة .

وأمـا شمويل ، فعـاش اثنين وخمسين سنة ، دبّر امر بني اسرائيل منها احدى عشرة سنة .

وأما داود عليه السلام :

فهو داود بن باشى بن عويال من ولد يهوذا ، وقصته ستجيء . أطاعـه بنو اسرائيـل ، وفتح لهم الفتوحات الكثيرة . كان يقيم الزبور على اثنين وسبعين صوتاً ، وكان له تسع وتسعون زوجة . ولمـا بلغ ثمانين سنة ، ابتلي بقصة اوريا ، وتزوج زوجته ، فولدت له سليمان ، وعاش داود مـائة سنة ، وقيل : شرع في بناء بيت المقدس ، فمات قبل ان يتمـه . وكان مدة ملكه اربعين سنة ، وتبع [1] جنازته اربعون الف راهب .

وأما سليمان بن داود عليهما السلام :

ولّي ملك ابيه ، وله اثنتـا عشرة سنة . وسخّر له الجن ، والانس ، والريح . وقصته ستجيء .

ولما مضى من ملكه اربع سنين ، بدأ ببناء بيت المقدس ، وفرغ منه في سبع سنين . ولما مضى من ملكه خمس وعشرون سنة ، جاءته ملكة سبأ ، وهي بلقيس . واختلف في تزويجه إياها ، وقد ذكرناه .

---

(١) وشيع .

وروينا من حديث ابن عباس ، عن النبي ﷺ ، قال : بينما سليمان يصلي ذات يوم ، رأى شجرة ، فقال : ما اسمك ؟ قالت : الخروب . فقال : لأي شيء انتِ ؟ قالت : لخراب هذا البيت . فقال سليمان : اللهم عمّ على الجنّ موتي ، حتى تعلم الجن انهم لا يعلمون الغيب . ونحت [1] من الخروب عصاً ، وتوكأ عليها حولاً ، وهو ميت حتى أكلتها الارضة ، فسقط عن كرسيه ، فعلمت الجن عند ذلك بموته . وعاش سليمان اثنين وخمسين سنة ، وملك بعده ابنه راحيم ، سبع عشرة سنة . وملك بعد ابنه أبناء بني اسرائيل ، ثلاث سنين . ولم يزل الملك في ولده الى صاحبه شعياء .

ثم بعث الله شعياء عليه السلام :

قال ابن اسحاق : اسم صاحبه صديقة. وقال غيره : صديقاً ، وهو الذي بشر بعيسى ، ومحمد ، عليهما السلام . وقصد ملك بابل قتال صديقة ، فكفاه الله . وأوحى الله الى شعياء أني قد أخرتُ أجل صديقة خمس عشرة سنة .

قال ابن اسحاق : وذكروا ان بني اسرائيل قتلوا شعياء بعد موت صديقة ، وسلط الله عليهم عدوهم ، فأفناهم . وأقام الملك في داود وبنيه ، اربعمائة وثلاثاً وخمسين سنة ، وكان آخرهم صديقاً ، وكان في زمنه ارمياء . وأقام الشام خراباً ما فيه غير السمرة ، سبعين سنة ، والملك لأهل بابل .

---

(١) واتخذ .

وبعث الله ارمياء عليه السلام :

فأخبرهم بغضب الله عليهم ، فضربوه ، وقيّدوه ، فبعث الله عليهم بخت نصّر، فقتل منهم ، وصلب ، وحرق ، والقصة ستجيء . وخرّب بيت المقدس ، وخرج ارمياء الى مصر، فأقام بها ، فأمره الله بالعوْد ، فسار حتى أشرف على خراب بيت المقدس، فقال : أنّى يحيي هذه الله بعد موتها ؟ فأماته الله مائة عام، ثم أحياه بعد ان عَمُرَت بيت المقدس . قيل : أقامت خراباً سبعين سنة .

وزعم ابن اسحاق أن ارمياء هو الخضر. وقال قتادة : هو الذي مرّ على قرية عزير .

وأما دانيال ، وعزير :

فكانا من جملة مَن سباهم بخت نصّر، فسار بهما الى بابل ، وأقاما في يده، ثم رأى رؤيا هالته، فعبّرها له دانيال ، فأكرمه. وجاء [1] دانيال، وعزير، ومن كان تحت يد بخت نصّر بعد موته ، الى بيت المقدس .

وذكر ان ابا موسى الاشعري ، وجد قبر دانيال بالسويس ، فأخرجه وكفّنه ، وقبره ، وهو الذي كان يستمطر به اهل فارس في زمن كسرى .

وأما العُزير :

فلما عاد الى بيت المقدس، أقام لبني اسرائيل التوراة ، بعدما احترقت ، وكان من علمائهم ، ولم يكن نبياً .

---

(١) ونجا .

وقال العتبي : وأخبرني ايضاً بذلك ابو الفتوح نصر بن ابي الفرج الحنبلي بمكة ، وأنا اسمع عليه كتاب السنن لأبي داود ، فمر ذكره ، فقال : كان عزير قد اكثر المناجاة في القدر ، فمحى الله اسمه من الأنبيـــاء ، فلا يذكر فيهم . وزعم اهل التوراة ان عزرة وهـــو العزير دبر امر بني اسرائيل ، ومكث معه اربعين سنة . وذكر اهل التاريخ انه من ولادة داود الى موت العزير ، خمسمائـــة وأربع وستون سنة . وفي آخر ايام العزير ، زال ملك الفرس من الشام ، وصارت لليونانيين ، والروم .

وأما يونس عليه السلام :

وهو يونس بن متى ، بعث الى اهل نينوى ، وقصته ستجيء ، واختلف في زمان مبعثه ، فقيل : بُعث بعد سليمان ، وقيل : بعد اليـاس ، وقيل : بعد شعيب .

وأما زكريا عليه السلام :

فهو زكريا بن برخيا من ولد سليمان بن داود ، وقيل : زكريا بن آذن ، وكان زكريا ، وعمران ابو مريم متزوجين بأختين : الواحدة عنـد زكريا ، والأخرى عند عمران ، وهي أم مريم ، ولهذا كفل زكريا مريم ، فإن أباها كان قد مات ، وقيل : انه ضعف عن كفالتها ، لأزمـة أصابتهم ، فكفلها جريج النجار . فلما بلغ زكريا الكبر ، رزقه الله يحيى من زوجته تلك ، فيحيى ابن خالة مريم . وولد عيسى بعد ولادة يحيى بثلاث سنين ، وقيل : ستة اشهر ، فاتهم بنو اسرائيل زكريا بمريم ، فهرب منهم ، والقصة ستجيء .

وأما يحيى بن زكريا عليهما السلام :

فولد في ملك سابور ، وذلك بعد قيام الاسكندر بثلاثمائة سنة وثلاث سنين ، ويحيى وضع عيسى في نهر الأردن .

وذكر ان ملكاً من ملوك بني إسرائيل ، شاور يحيى في تزويج امرأة ، فقال : انها بغيٌ ، فاحتالت المرأة عليه حتى قتله الملك ، وبقي دمه يغلي الى ان رفع عيسى . غزاهم ملك بابل ، وكان يقال له خروش ، وظهر عليهم ، ورأى دم يحيى يغلي ، فقتل عليه خلقاً من الناس ، وخرب بيت المقدس .

وأما عيسى بن مريم عليه السلام :

فولد بعد قيام الاسكندر بثلاثمائة وثلاث سنين ، وقيل : بثلاثمائة وتسعة عشر سنة . ذكر الحسن ان مريم حملت بعيسى ساعات ، ووضعته من يومها . وقيل : حملت به على العادة ، ومولده ببيت لحم ، وهربت به الى مصر ، فأقامت بها اثني عشرة سنة ، ثم رجعت به الى الشام ، وجاءه الوحي وهو ابن ثلاثين سنة ، وكانت نبوّته ثلاث سنين . وقيل : تكلم في المهد ثلاث مرات ، ثم لم يتكلم حتى بلغ حد الكلام المعتاد . وهذا قول ابي هريرة ، وقصته ستجيء . وكان رفعه من بيت المقدس ليلة القدر . قال وهب : توفاه الله ثلاث ساعات من النهار ، حتى رفعه ، وعاشت أمه بعده ست سنين . وكان بيت المقدس حين رفع عيسى ، للروم . ولما بلغ ملك الروم ما فعل بالمسيح ، وجّه ، فأنزل المصلوب المشبّه بعيسى ، وأخذ خشبته فأكرمها ، وقتل من بني اسرائيل خلقاً كثيراً ، وأجلاهم عن فلسطين ، ومن هناك اصل النصرانية في الروم ؛ واسم هذا الملك قسطنطين ، وهو الذي بنى قسطنطينية .

وأما الثلاثة اصحاب القرية :

وحكايتهم مذكورة ، واختلف الناس فيهم ، فقال وهب : كانوا ثلاثة انبياء : صادق ، وصدوق ، وسلوم . وبعثوا الى اهل انطاكية ، وملكهم طيخشر . وقال قتادة : كانوا من الحواريين ، بعثهم عيسى بأمر الله الى انطاكية .

وأما الذي جاء من اقصى المدينة فآمن بهم ، واسمه حبيب ، فكان نجاراً بإنطاكية ، فلما آمن وطئوه بأرجلهم حتى مات ، فأحياه الله وأدخله الجنة ، وأهلك قريته بصيحة من السماء فخمدوا .

وأما ذو الكفل عليه السلام :

فإنما سمي ذا الكفل ، قيل : لأنه بعث الى ملك من بني اسرائيل، يقال له : كنعان ، فدعاه الى الايمان ، وكفل له بالجنة ، فآمن به ، فسمي ذا الكفل ، قاله العتبي . قال مجاهد : تكفل لليسع بأمته ، فوفى له ، ولم يكن نبياً . وقيل : تكفل بعمل رجل صالح . وكان يصلي كل يوم مائة صلاة . وقيل : تكفل بتملك احد ملوك بني اسرائيل . وقال الطبري : ذو الكفل هو بشر بن ايوب ، بعثه الله بعد ابيه ايوب .

وأما لقمان الحكيم :

فكان عبداً حبشياً لرجل من بني اسرائيل ، فأعتقه ، وكان في زمن داود عليه السلام ، وكان اسم ابيه : باران ، واختلف في نبوّته ، وكان خياطاً . وقيل : كان في زمن عاد ، وكان من جملة وفد عاد الذين انفذهم الى مكة ،

يستسقون لهم ، فدعا الله ان يطيل عمره ، وكان له حينئذ مائتـــا سنة ، وقيل : عاش الفاً وثلاثمائة سنة .

وأما خالد بن سنان العبسي عليه السلام :

قيل : هو من ولد اسماعيل ، ادركت ابنته النبي ﷺ . قال ابن عباس رضي الله عنهما : ظهرت نار بالبادية بين مكة والمدينة ، في الفترة ، فسمّتها العرب : بُداً ، وكادت طائفة منهم أن تعبدها مضاهاة للمجوس ، فقام خالد هذا ، فأخذ عصاه ، واقتحم النار يضربها بعصاه حتى أطفأها الله تعالى . ثم قال : اني ميت ، فإذا متّ ، وحال الحول ، فأرصدوا قبري ، فإذا رأيتم حماراً عند قبري ، فارموه واقتلوه ، وانبشوا قبري ، فإني احدثكم بكل ما هو كائن . فمات ، فلما حال الحول ، رأوا الحمار فقتلوه ، وأرادوا نبشه ، فمنعهم اولاده ، وقالوا : لا نسمى بني المنبوش . وقص النبي ﷺ قصته على اصحابه ، حين جاءته ابنته ، فانتسبت له ، فقال لهـــا : مرحباً بإبنة نبي اضاعه قومه . ثم قال عليه الصلاة والسلام: لو نبشوه لأخبرهم بشأني ، وشأن هذه الأمة ، وما يكون منها .

تاريخ نزول الكتب من عند الله عز وجل

روي ان صحف ابراهيم ، نزلت في اول ليلة من شهر رمضان ، وأنزلت التوراة ، لست ليال خلت من شهر رمضان ، بعـد صحف ابراهيم بسبعمائة سنة ، وأنزل الزبور ، لإثني عشر ليلة خلت من شهر رمضان بعـد التوراة ، بخمسمائة عام ، وأنزل الانجيل ، لثاني عشرة ليلة خلت من شهر رمضان ، بعد الزبور ، بستمائة سنة وعشرين عاماً . وأنزل القرآن لسبع وعشرين ليـلة من شهر رمضان ، بعد الانجيل بستمائة وعشرين عاماً .

تاريخ قتل المختار :

قتله مصعب بن الزبير سنة سبع وستين . وأقام ابن الزبير الحج للناس ، من سنة اربع وستين الى سنة اثنتين وسبعين . وقتل ابن الزبير ، وصلب يوم الثلاثاء لثلاث عشرة ليلة بقين من جمادي الاولى سنة ثلاث وسبعين ، وقيل : من جمادي الاخيرة سنة اثنتين وسبعين ، وماتت أمه بعده بخمسة ايام ، ولها مائة سنة . وكان ملك ابن الزبير بالحجاز والعراق ، منذ مـــات معاوية بن يزيد ، الى ان قتل ، تسع سنين .

وكان إسلام الحَـكم ، طريد رسول الله ﷺ ، يوم فتح مكة ، ومات في خلافة عثمان .

ووّلي الحجاج العراق ، سنة خمس وسبعين . ونقشت الدنانير ، والدراهم ، بالعربية ، سنة ست وسبعين . وقيل : سنة خمس وسبعين ، نقشها عبد الملك ابن مروان ، وكان نقشها قبل ذلك بالرومية .

وأما الوليد بن عبد الملك :

فهو الذي بنى جامع دمشق ، وزاد فيه كنيسة النصارى ، ووّلي عمر بن عبدالعزيز المدينة ، وأقام بها سبع سنين وخمسة اشهر ، وشيّد مسجد النبي ﷺ . وفي ايامه فتحت بلاد الاندلس ، وحُملت اليه منها مائدة سليمان ، وهي من خليطين : ذهب ، وفضة ، وعليها ثلاثة اطواق من لؤلؤ ، وحمل اليه كل ما اخذ منها من لؤلؤ ، وياقوت ، وزمرد ، سوى ما أخفي : مائة وثلاثة عشر عجلة . وفي ايامــه كان الطاعون الجارف . مات في ثلاثة ايام ثلاثمائة الف . وفيهـــا مات الحجاج بواسط ، في رمضان ، سنة خمس وتسعين ، وله ثلاث

وخمسون سنة . وولّي الحجاج العراق ، عشرين سنة . وعدد من قتله الحجاج صبراً ، مائة وعشرون الفـاً ، ومات في حبسه خمسون الف رجل ، وثلاثون الف امرأة، وحج بالناس سنة ثمان وثمانين، وإحدىوتسعين، وأربع وتسعين.

وأما سليمان بن عبد الملك :

فكان نكاحاً ، شرهاً في الأكل ، يأكل في كل يوم نحواً من مائة رطل . وبنى ميناء الرملة سنة ثمان وتسعين ، وحج بالناس سنة سبع وتسعين .

وأما عمر بن عبد العزيز :

فهو الذي بنى الجُحفة، واشترى ملطية من الروم بمائة الف،وحج بالناس سنة تسع وتسعين ، وكان له ولد ناسك اسمه عبد الملك ، مات في حياته وله تسع وثمانون سنة .

وأما يزيد بن عبد الملك :

فأنه كان صاحب لذّات قد تعشق بجاريتين: اسم واحدة حبابة والاخرى سلامة ، فماتت حبابة فحزن عليها وتركها ولم يدفنها ، فعوتب فدفنهـــا ثم نبشها وأخرجها ، ومات بعدها بيسير حزناً عليها . وفي ايامه خرج يزيد بن المهلب بالبصرة ، ووجّه اليه أخاه مسلمة وقتله ، ولم يحجّ في خلافته .

وأما هشام بن عبد الملك :

فخرج في خلافته زيد بن علي بالكوفة ، ودعا لنفسه ، فقتله يوسف بن عمر وصلبه ، وذلك في سنة إحدى وعشرين ومـــائة . وفي ايامه بنى سعيد اخوه قبة بيت المقدس . وحج بالناس سنة ست وعشرين ومائة .

وأما الوليد بن يزيد :

فهو الذي دفع خالد بن عبد الله القسري الى يوسف بن عمر ، فقتله . وصار اليه ابن عمه يزيد بن الوليد بن عبد الملك فقتله في يوم الخميس لليلتين بقيتا من جمادي الآخرة سنة ست وعشرين ومائة . وحبس ولديه : عثمان ، والحكَم . وكان الوليد قد عهد اليهما ولم يزالا في الحبس الى ان ولّي مروان الحِمار فقتلا . قال صالح بن الوجيه : لما قتل الوليد بن يزيد حُمل رأسه الى دمشق ، ونصب في مسجدها ، ولم يزل أثر دمه بالجدار الى أن ولّي المأمون، فأمر بحكّه .

وأما يزيد بن الوليد بن عبد الملك الذي قتله الوليد بن يزيد :

لما ولّي بعده فنقص الجند عطاياهم ، فسمّوه الناقص .

وأما مروان بن محمد الذي يلقب بالحمار :

يقال له الجعدي لأن خاله الجعد بن درهم ، فلم يزل مروان ظاهراً الى ان ظهر ابو مسلم الخراساني ، وبويع للسفاح بالكوفة في شهر ربيع الأول سنة اثنين وثلاثين ومائة ، وسار عبدالله بن علي بن عبدالله بن العباس الى مروان الحمار ، بأمر السفاح ، فانهزم مروان ، فاتبعه عبد الله حتى نزل نهر قلان بفلسطين ، وقتل جماعة من بني أمية ، فهرب مروان الى مصر ، ولقيه صالح ابن علي اخو عبد الله بن علي ببوصير قرية من صعيد مصر ، فقتله ليلة الاحد لثلاث بقين من ذي الحجة سنة اثنين وثلاثين ومائة ، تم المجلس .

موعظة عبد الله العمري للرشيد بمكة

روينا من حديث ابن اسحاق ، وهو محمد بن اسحاق بن عبد الرحمن

البغوي . قال : سمعت سعيد بن سليمان، قال: كنت بمكة في زقاق الشطويّ والى جنبي عبد الله بن عبد العزيز العمري ، وقد حج هارون الرشيد ، فقال له انسان : يا ابا عبد الله هوذا امير المؤمنين يسعى وقد أخلي له المسعى ، قال العمري للرجل : لا جزاك الله خيراً ، كلفتني امراً كنت عنه غنياً . ثم قام ، فتبعته ، فأقبل هارون الرشيد من المروة يريد الصفا ، فصاح به : يا هارون . فلما نظر اليه قال: لبيك يا عمري، قال : إرق الصفا . فلما رقيه ، قال : إرم بطرفك الى البيت ، قال : قد فعلت . قال : كم هم ؟ قال : ومن يحصيهم ؟ قال : فكم من الناس مثلهم ؟ قال : خلق لا يحصيهم إلا الله . قال : إعلم ايها الرجل أن كل واحد منهم يسأل عن خاصة نفسه ، وأنت وحدك تسئل عنهم كلهم ، فانظر كيف تكون ؟ قال : فبكى هارون وجلس ، وجعلوا يعطونه منديلاً منديلاً للدموع .

قال العمري : وأخرى اقولها ، قال : قل يا عم . قال : والله إن الرجل ليسرف في ماله فيستحق الحجر عليه ، فكيف بمن أسرف في مال المسلمين ؟ ثم مضى وهارون يبكي .

قال سعيد بن سليمان البغوي : فبلغني ان هارون الرشيد كان يقول : اني لأحب أن أحج في كل سنة ، ما يمنعني إلا رجل من ولد عمر ، ثم يُسمعني ما أكره. حدثني بهذه الحكاية يونس بن يحيى بمكة،قال: ثنا ابوبكر بن منصور، عن ابي اسحاق ، عن ابراهيم بن سعيد الحبّاك ، ثنا الحافظ ، عن ابي العباس احمد بن محمد بن الجراح ، عن محمد بن جعفر بن زاذان ، عن هارون بن عبد العزيز العباسي ، ثنا محمد بن خلف بن حبان ، عن محمد بن اسحاق بن عبد الرحمن البغوي .

وروينـا من حديث ابن ودعان ، عن ابي الموفق محمد بن محمد بن الحسن النيسابوري، عن سلمة بن خلف، عن ابراهيم بن محمد ، عن احمد بن عبد الجبار العطـار ، عن وكيع بن الجراح ، عن سليمان بن ابراهيم ، عن ابي الضحى ، عن مسروق، قال : قال عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : يقول الله تعـالى : يا ابن آدم تؤتى كل يوم برزقك وأنت تحزن ، وينقص كل يوم من عمرك وأنت تفرح ، أنت فيما يكفيك ، وأنت تطلب ما يطغيك ، لا بقليل تقنع ، ولا بكثير تشبع .

وسمعنا على قول الشريف الرضي في التوديع بالنفس :

أراكَ ستحدث للقلب وجداً ... اذا ما الركائب ودّعن نجدا
بواكرُ يطلعنَ وقت الغوير ... شؤن النواظر نأيـاً وبُعدا
كانا بنجد غـــداة الوداع ... نداوي عيوناً من الدمع رمدا
وأيسر ما نال منا العليل ... أن لا يحس من المـاء بردا
أثاروا زفيراً يلف الضلوع ... لفّ الرياح أنابيب مُـــلدا
فكل حراراتِ أنفـــاسه ... تدل على أن في القلب وقدا
وأني للشوق من بعـــدهم ... أراعي الجنوب مراحاً ومغدا
وأفرح من نحـــو أوطانهم ... بغيثٍ يجلل برقاً ورعـدا
اذا طلـــع الركب يممتهم ... أحيي الوجوه كهلاً ومردا
واسئلهم عـن عقيق الحمى ... وعن أرض نجدٍ ومن حلّ نجدا
نشدتكم الله فلتخبرون ... بمن كان أقرب للرمل عهدا
هل الدار بالجزع مـــأهولة ... آثار الربيـع عليها وأسدى
وهل جلـّل الغيث أخلافـه ... على مخضر من زرود وبَنْدا
وهل أهله عن تنائي الديار ... يراعون عهداً ويرعون ودّا

وسمعنا على قول مهيار في التوديع بالنفس :

لو كنت تتلو غداة البين أخباري علمت أن ليس ما عيّرت بالعارِ
شوقي الى وطن المحبوب جاذب أضـ ـلاعي ودمعي جرى من فرقة الجارِ
ووقفة لم أكن فيها بأول من بان الخليط فداوى الوجد بالدارِ
ونمّ في البرق زفراتي فلو علمتْ عيناك من أين ذاك البارق الساري
طارت شراراته في جو كاظمةٍ تحت الدجى بلباناتي وأوطاري
هل بالديار على لومي ومعذرتي دعوى تقامُ على وجدي وتذكاري
أم أنت تعدل فيما لا تريد به إلا مداواة حرّ النار بالنارِ

وسماعنا على قوله ايضاً في ذلك بالنفس :

من بنىً وأين جيران منىً كانت ثلاثاً لا تكون أربعا
سلبتموني كبداً صحيحةً أمس فردّوهـا عليَّ قِطعا
عدمتُ صبري فجزعتُ بعدكم ثم ذهلتُ فعدمتُ الجزَعـا
فارجعـا لي ليلة بحـاجرٍ إن تمّ في الغائب أن يرتجعا
وغفلة سرقتهـا من زمنٍ بلعلعٍ سقى الغمامُ لعلعـا

ومن وقائع بعض الفقراء ما حدثنا عبد الله المروزي بمروز، قال : قال لي بعض الصالحين : رأيت في الواقعة أبا مدين وخلقاً كثيراً من اهل التصوّف لم أعرف منهم إلا أبا حامد الغزالي ، وأبا طالب المكي ، وأبا يزيد البسطامي ، فقالوا لأبي مدين : زدنا من الغذاء الباقي . فقال : التوحيد هو الأصل واليه الطريق ، وهو القطب وعليه التخليق ، وهو تاج العارفين وبـه سادوا ، وبأخلاقه تخلـّقوا وله انقادوا، هو بهم برٌّ وصول، منه البداية واليه الوصول، نور قلوبهم بالحكمة والإيمان، وشرح صدورهم فتخلـّقوا بالقرآن، ففهموا معانيه

وبان لهم المراد . فدامت فكرتهم فيه فمنعهم السهاد ، وما عرّجوا على اهل ولا أولاد . ولم يشركوا بعبادة ربهم أحداً .

هو الضياء بمشكاة قلب العارف عنه ينطق وبه يكاشف ، ولم يلتفت الى ما سواه ، ولم يدّخر سوى مولاه ، وهو حياته ونشوره ، وبـه أشرقت شمسه ونوره ، يمدّه بدقائق المعاني ، فيميز بين الباقي منه والفاني ، فيعبر عنه بمعاني روحانية ، تقصر عن إدراكها الصفات البشرية ، ويعيها من هو بالتوحيد حي ذو عيان ، ويعجز عنها من رضي بنعيم الجنان . فالعارف لذته ذكره مولاه ، وهو كليته ، والظاهر بعبادته ، ومفصحه بالعلم ، وهاديه لبيانه ، أمدّ سره من سره ، فأنطق لسانه بالحكمة ، فجذب الخلق اليه ، وهدى بـــه الأمة ، فكشف له الغطاء عن اسرار التوحيد ، وتجلى لقلبه من هو اقرب اليـه من حبل الوريد . فتألفت متفرقاته ، ففني عن رسومه ، وكاشفه بـه ، وشرفه بعلومه ، فاهتزت ارضه ، ونبع ماؤه ، فوسعه قلبه ، وما وسعته ارضه ، ولا سماؤه .

هكذا جاء في الخبر ، عن سيد البشر ، هو مأوى العارف ، وهو الأمل. وقد صحّت له محبته في الأزل ، فألبسه التقوى ، وزيّنه بالتجريد ، وأقامه للعيـــان ، وأفناه في التوحيد . سقاه شراباً رويّاً ، وغذّاه بلبان اللب ، واتصل بالمحل الخالص من اللقاء والقرب .

ومن باب من يتوكل على الله فهو حسبه :

ما أخبرنا به احمـــد بن عبد الوهاب بن علي بن عبيدالله ببغداد ، قال : أخبرني والدي ، قال: انا الخطيب ابو محمد عبدالله بن محمد بن عبدالله الصريفيني ، انا ابو القاسم عبدالله بن محمد بن اسحاق بن سليمان بن حبابة . أخبرنا ابو القاسم

عبدالله بن محمـــد بن عبد العزيز البغوي ، قال : حدثنا علي بن الجعد ، ثنـا شعبة، عن ابي حمزة، قال : سمعت هلال بن حصن قال : أتيت المدينة فنزلت دار ابي سعيـــد الخدري فضمّني وإياه المجلس ، فحدّث انه اصبح ذات يوم وليس عندهم طعام ، وأصبح وقد عصَب على بطنه حجراً من الجوع ، فقالت لي امرأتي : إئت رسول الله ﷺ ، فقد أتاه فلان فأعطاه ، وفلان فأعطاه . قـــال : فأتيته فقلت : ألتمس شيئاً فأطلب ، فانتهيت الى النبي ﷺ وهو يخطب ويقول : مَن يستعفف يعفه الله ، ومَن يستغنِ يغنه الله، ومَن سألنا شيئاً أعطيناه وواسيناه ، ومَن استعفّ عنـــا واستغنى فهو أحبّ الينا ممن سألنا : قال : فرجعت وما سألته ، فرزقني الله تعالى حتى ما اعلم اهل بيت من الانصار اكثر أموالاً منا .

قصة ما جرى لأمير المؤمنين المنصور بمكة مع بعض الفقراء :

روينا عن غير واحد أن ابا جعفر المنصور بينما هو طائف بالبيت ليلاً إذ سمع قائلاً يقول : اللهم إنا نشكو اليك ظهور البغي والفساد في الارض، وما يحول بين الحق وأهله من الطمع .

فخرج المنصور ، فجلس في ناحيـــة من المسجد ، ثم أرسل الى الرجل فصلّى ركعتين ، ثم استلم الركن ، وأقبل مع الرسول ، فسلم عليه بالخلافة ، فقال له المنصور : ما الذي سمعتك تذكر ؟ قال : إن أمّنتني يا امير المؤمنين أعلمتك بالامور كلهـا من أصولها ، وإلا اقتصرت على نفسي ، ففيها لي شغل شاغل . قال : فأنت آمن على نفسك .

فقال: يا امير المؤمنين، ان الله قد استرعاك أمر عباده وأموالهم، فجعلت بينك وبينهم حجاباً من الجصّ والآجرّ ، وأبواباً من الحديد، وحراساً معهم

السلاح ، ثم سجنت نفسك منهم ، وبعثت عمالك في جباية الاموال وجمعها ، وأمرت ان لا يدخل عليك من النـــاس إلا فلان وفلان ، ولم تأمر بإيصال المظلوم والملهوف اليك ، ولا أحد إلا وله في هذه الاموال حق . فلمـا رآك النفر الذين استخلصتهم لنفسك ، وآثرتهم على رعيتك، وأمرت ان لا يحجبوا دونك ، تحب الاموال وتجمعها ، قالوا : هذا قد خان الله ، فما لنا لا نخونه؟ فأتمروا ان لا يصل اليك من علم أخبار الناس إلا ما أحبّوه ، ولا يخرج لك عامل إلا خوّنوه عندك وعابوه حتى تسقط منزلته عندك .

فلما انتشر ذلك عنك وعنهم ، أعظمهم الناس وهابوهم وصانعوهم . وكان اول مَن صانعهم عمالك بالهدايا والاموال ، ليستعينوا بذلك على ظلم رعيتك. ثم فعل ذلك ذوو المقـــدرة والاموال من رعيّتك ، ليتوصلوا الى ظلم مَن دونَهم . فامتلأت بلاد الله ظلمـاً وبغياً وفساداً ، وصار هؤلاء القوم شركاءك وانت غافل . فإن جاء متظلم حيل بينك وبينه ، وإن أراد رفع قصته اليك وجدك قد نهيت عن ذلك ، ووقفتَ للناس رجلاً ينظر في مظالمهم ، فإن جـاءك ذلك المتظلم ، وبلغ بطانتك خبره ، سألوا صاحب المظالم ان لا يرفع مظلمته اليك . فلا يزال المظلوم يختلف اليه ، ويلوذ به ، ويشكو ويستغيث وهو يدفعه ، فاذا جهـدَ وخرج ، وظهر اليك وصرخ بين يديك ، ضُرب ضرباً مبرحاً يكون نكالاً لغيره ، وانت تنظر ولا تنكر . فما بقـاء الاسلام على هذا ؟

قال : فبكى المنصور بكاء شديداً ، وقال : ويحك،كيف أحتال لنفسي؟ قال : يا امير المؤمنين ، ان للناس أعلاماً يفزعون اليهم في دينهم ، ويرضون بهم في دنياهم ، وهم : العلمـــاء وأهل الديانة . فاجعلهم بطانتك يرشدوك ، وشاورهم يسدّدوك . فقال : قد بعثت اليهم فهربوا مني . فقال : خافوا ان

تحملهم على طريقتك، ولكن : افتح بابك، وسهّل حجّابك، وانصر المظلوم، واقمع الظالم ، وخذ الفيء والصدقات على وجوههـــا ، وأنا ضامن عنهم انهم يأتونك فيساعدونك على صلاح الأمة . ثم أذن بالصلاة ، فقام يصلي وعاد الى مجلسه ، ثم طلب الرجل فلم يجده .

وأنشدنا محمد بن عبد الواحد ، عقب ما سمعته يقول هذه الحكاية :

فاعمــل لنفسك واجتهد   إن كنتَ ترغب في السلامه
من قبل ان يأتي الحمام   وقبل ان تأتي القيــامه
يوماً تعضّ ندامــــةً   كفّاً ومــا تغني الندامه

وأنشد بعضهم في الزهد ومعناه :

طلّق الدنيــــا ثلاثاً   والتمس زوجاً سواها
إنهـــا زوجةُ سوءٍ   لا تبـــالي مَن أتاها
تُبْ الى ربك منهـــا   واحترِسْ قبـل أذاها
وانْهَ للنفس عن الـ   ـغيّ وجنّبها هواها
فبهذا تدخـــل الـ   جنة فاحذرْ وتنــاها

حدثنا محمد بن قاسم بن عبد الرحمن بن عبد الكريم، قال : قرأت على عمر ابن عبد الحميد بمكة ، أن عبدالله بن العباس قال : في قوله تعــالى : « يوفون بالنذر ويخافون يوماً كان شره مستطيراً » ، قــال : مرض الحسن والحسين ، عليهما السلام، وهما صبيان، فعادهما رسول الله ﷺ ، ومعه ابو بكر، وعمر، فقــال عمر لعلي : يا ابا الحسن ، لو نذرتَ عن ابنيك نذراً إن الله عافاهما ، قال : أصوم ثلاثة ايام شكراً لله . قالت فاطمة : وأنا ايضاً أصوم ثلاثة ايام

شكراً لله . وقال الصبيان : ونحن نصوم ثلاثة ايام . وقالت جاريتهما فضة : وأنا أصوم ثلاثة ايام . فألبسهما الله العافية ، فاصبحوا صياماً وليس عندهم طعام . فانطلق علي الى جارٍ له من اليهود يُقال له شمعون ، يعالج الصوف ، فقال له : هل لك ان تعطيني جزّة من صوف تغزلها لك بنت محمد بثلاثة آصُع من شعير ؟ قال : نعم . فأعطاه ، فجاء بالصوف والشعير ، فأخبر فاطمة فقبلت وأطاعت ، ثم غزلت ثلث الصوف ، وأخذت صاعاً من الشعير ، فطحنته ، وعجنته ، وخبزته خمسة أقراص لكل واحد قرصاً .

وصلى عليّ رضي الله عنه مع النبي ﷺ المغرب ، ثم أتى الى منزله فوضع الخوان فجلسوا ، فأول لقمة كسرها علي رضي الله عنه ، اذا مسكين واقف على الباب ، فقال : السلام عليكم يا أهل بيت محمد ، انا مسكين من مساكين المسلمين ، أطعموني مما تأكلون أطعمكم الله من موائد الجنة . فوضع عليّ اللقمة من يده ، ثم قال :

أفاطمة المجد واليقين — يا بنت خير الناس أجمعين
أما تريْ ذا البائس المسكين — جاء الى الباب له حنين
كل امرىءٍ بكسبه رهين

فقالت فاطمة رضي الله عنها من حينها :

أمرك سمع يا ابن عم وطاعة — ما ليَ من لوم ولا ضراعة
غديت باللب وبالبراعة — أرجو اذا أنفقتُ من مجاعة
أن ألحق الأبرار والجماعة — وأدخل الجنة في الشفاعة

قال : فعمدت الى ما في الخوان ، فدفعته الى المسكين ، وباتوا جياعاً ، وأصبحوا صياماً ، لم يذوقوا إلا الماء القراح . ثم عمدت الى الثلث الثاني من

الصوف فغزلته ، ثم أخذت صاعاً فطحنته وعجنته وخبزت منه خمسة أقراص لكل واحد قرصاً .

وصلى عليّ المغرب مع النبي ﷺ ، ثم أتى الى منزله، فلما وضعت الخوان وجلس ، فأول لقمة كسرها علي رضي الله عنه ، اذا بيتيم من يتامى المسلمين قد وقف على الباب وقال : السلام عليكم يا اهل بيت محمد، انا يتيم من يتامى المسلمين ، أطعموني مما تأكلون أطعمكم الله من موائد الجنة . فوضع علي اللقمة من يده وقال :

أفاطمُ بنت السيد الكريم   قد جـاءنا الله بذا اليتيم
مَن يطلب اليوم رضى الرحيم   موعده في جنـة النعيم

فأقبلت السيدة فاطمة رضي الله عنها وقالت :

فسوف أعطيه ولا أبالي   وأُوثر الله على عيـــالي
أمسوا جياعاً وهمُ أمثـالي   أصغرهم يقتل في القتال

ثم عمدت الى جميع ما كان في الخوان فأعطته اليتيم ، وباتوا جياعـــاً لم يذوقوا إلا الماء القراح ، وأصبحوا صياماً ، وعمدت فاطمـة الى باقي الصوف فغزلته ، وطحنت الصاع الباقي وعجنته وخبزته خمسة اقراص لكل واحـد قرصاً .

وصلى علي المغرب مع النبي ﷺ ، ثم أتى منزله فقرّبت اليه الخوان ، ثم جلس ، فأول لقمة كسرها اذا أسير من أسارى المسلمين بالباب فقـــال : السلام عليكم أهل بيت محمد، إن الكفار أسرونا وقيدونا وشدّونا فلم يطعمونا، فوضع علي اللقمة من يده ، وقال :

يا فاطمة بنت النبي احمد ... بنت نبي سيدٍ مسوّدْ
هذا أسيرٌ جاء ليس يهتدي ... مكبّل في قيــده المقيّدْ
يشكو الينا الجوع والتشدد ... من يطعم اليوم يجده في غدْ
عند العليّ الواحد الموحّد ... ما يزرع الزراع يوماً يحصدْ

فأقبلت فاطمة رضي الله عنها تقول :

لم يبق مما جاء غير صاع ... قد دبرت كفي مع الذراع
وابناي والله لقد أجاعــا ... يا رب لا تهلكهما ضياعــا

ثم عمدت الى ما كان في الخوان ، فأعطته إياه ، فأصبحوا مفطرين وليس عندهم شيء . وأقبل علي ، والحسن ، والحسين ، نحو رسول الله ﷺ وهمــا يرتعشان كالفرخين من شدة الجوع ، فلما ابصرهما رسول الله ﷺ قـــال : يا ابا الحسن أشد ما يسوءني ما أدرككم ، انطلقوا بنـــا الى ابنتي فاطمة ، فانطلقوا اليهـــا وهي في محرابها وقد لصق بطنها بظهرها من شدة الجوع ، وغارت عيناها . فلما رآها رسول الله ﷺ ضمها اليه وقال: واغوثاه . فهبط جبريل عليه السلام وقال : يا محمد ، خذ هنيئاً في اهل بيتك . قال : ومــا آخذ يا جبريل ؟ قال : ويطعمون الطعام على حبّه مسكيناً ويتيماً وأسيراً الى قوله : وكان سعيكم مشكوراً .

ومن محاسن الكلام ما قاله الفضل بن سهل للمأمون ، وقـد سأله حاجة لبعض اهل بنو بات دهاقين سمرقند ، وكان وعـــده تعجيل انفاذها فتأخر ذلك، قال : يا امير المؤمنين، هب لوعدك مذكراً من نفسك، وهب لسائلك حـــلاوة نعمتك ، واجعل ميلك الى ذلك في الكرم حتى تشهد لك القلوب

بحقائق الكرم [1] ، والألسن بنهاية الجود . فقال له امير المؤمنين : قـــد جعلت لك إجابة سؤالي عني بمـــا ترى فيهم ، وأخذك بما يلزم لهم من غير استئمار ومعاودة في إخراج الصكاك من حصر الأموال متناولاً. وقال له يوماً: يا اميرالمؤمنين اجعل نعمتك صيانة لوجوه خدمك عن إراقة مائها في غضاضة السؤال . فقال : والله لا كان ذلك إلا كذلك .

ومن هذا الباب مـــا حكاه ابو وجرة الأسلمي لـمـــا قدم على المهلب بن ابي صفرة ، فقال : أصلح الله الأمير ، اني قطعت اليك ارض الدهناء ، وضربت اليك آباط الإبل من يثرب ، فقال : هل أتيتنا بوسيلة او عشيرة او قرابة ؟ قال : لا . ولكني رأيتك لحاجتي أهلاً فإن قمت بها فأهل لذلك أنت ، وإن يحل دونها حائل لم أذمم يومك ، ولم أيأس من غدك . قال المهلب : يعطى ما في بيت المال فوجد فيه مائة الف درهم فدفعت اليه ، فأخذها ، وقال :

يا من على الجود صاغ الله راحته فليس يحسن غير البذل والجود
عمّت عطاياك من بالشرق قاطبة فأنتَ والجود منحوتان من عود

خبر الحطيئة الشاعر مع عمر بن الخطاب رضي الله عنه :

لما رفع الى امير المؤمنين عمر بن الخطاب أن الحطيئة آذى الناس بهجائه، فاستحضره وأنبه وأوهمه أنه يقطع لسانه ، فقــال له الحطيئة : بالله يا امير المؤمنين إلا ما أقلتني فقــد هجوت والله أمي ، وأبي ، وامرأتي ، ونفسي . فقال له عمر : ما الذي قلت في أمك ؟ قال : قلت فيها ، والجواب للأب :

ولقد رأيتكِ في النساء فسؤتِني وأبا بنيك فساءني في المجلس

---

(١) الاحسان .

وقلت فيها أيضاً :

تنحّي فاجلسي مني بعيداً ... أراح الله منكِ العالمينا
أغربالاً اذا استودعت سراً ... وكانونـاً على المتحدثينا

ثم قلت في امرأتي :

أُطوّفُ ما أطوّفُ ثم آوي ... الى بيتٍ قعيدته لكاعِ

ثم نظرتُ في بئر فرأيت وجهي فاستقبحته فقلت :

أبت شفتاي اليوم إلا تكلما ... بشرٍّ فما أدري لمن أنا قائلهْ
أرى لي وجهاً قبّح الله خلقه ... فقبّح من وجه وقبح حاملهْ

فأمر به فسجن في قعب ، فكتب اليه بعد ايام يقول :

ماذا تقول لأفراخٍ بذي مرخٍ ... حمر الحواصل لا ماءٌ ولا شجرُ
ألقيت كاسبهم في قعر مظلمة ... فاغفر عليك سلام الله يا عمرُ
أنت الإمام الذي من بعد صاحبه ... ألقت اليك مقاليد النهي البشرُ
ما آثروك بها إذ قدّموك لها ... لا بل لأنفسهم قد كانت الأثرُ

فأمر به فأحضره فاستتوبه وخلى سبيله ، ا هـ .

بسم الله الرحمن الرحيم

من محاضرة الأبرار ومسامرة الأخيار :

روينا من حديث الهاشمي يبلغ به النبي ﷺ أنه قال : أيها الناس أقبلوا على ما كلفتموه من إصلاح آخرتكم ، وأعرضوا عما ضمن لكم من أمر دنياكم ، ولا تستعملوا جوارحاً غذيت بنعم الله في التعرض اسخطه بمعصيته، واجعلوا شغلكم بالتماس مغفرته ، واصرفوا هممكم الى التقرب اليه بطاعته ، فإنه من بدأ بنصيبه من الدنيا فاته نصيبه من الآخرة ، ولا يدرك منها ما يريد ، ومن بدأ بنصيبه من الآخرة وصل اليه نصيبه من الدنيا ، وأدرك من الآخرة ما يريد .

ومن وقائع بعض الفقراء الى الله تعالى : ما حدثنا به عبد الله بن الاستاذ المروزي بمروزة ، قال : قال لي بعض الصالحين : رأيت في الواقعة ابا مدين، وأبا حامد ، وأبا طالب ، وأبا يزيد ، وجملة من الصوفية ، فقال ابو يزيد للشيخ ، يعني ابا مدين : زدنا من التوحيد شيئاً . فقال : التوحيد هو النور الذي منه مادة كل نور ، وما عداه فأغشية وستور . هو الساتر المستور ، وهو الاصل في كل الامور ، مادّته لكل ناقص وزائد، وما تفرّق في الوجود

فهو عنده واحد. أودع بعض العارفين من الأسرار ما ميّزه بها عن الأغيار، وأجرى ينابيع الحكمة في قلبه فأنبتت أرضه ثمار الايمان، وأزهرت بأنوار الاحسان، فأعبقت بنسيم الذكر، وجال فكره في ميدان الفكر، فرئي في حضرة الملكوت شاخصاً. واختطفه معنى الوحدانيـة مقافصاً، فأفنته عن وجوده وعن الاحساس، وغيّبته عن مشاهدة الأنواع والأجناس، فكشفت له الغطاء عن سر الأسرار، فتلاشت الآثار والاخبار، فعاين من عظمة الجلال ما يليق به، وكشف السر الإلهي لعينه من غيبه، فامتزج نوره بنور النور، وتجلّى لقلبه الملك الغفور.

فصفات العارف ابداً تسمو وترقا، وأسراره لمالكه تزداد شوقاً. قلبه له ابداً سليم، وسرّه في الحضرة معه مقيم، ليس منه في الوجود إلا ظاهره، ينتظر مـــا ترد به أوامره، لا يشغله ابداً عنه شاغل. هو معه كالميت بين يدي الغاسل، يقلبه في أي الجهات كيف شاء، ويكشف عن قلبه كل غشاء، فينظره بعين التحقيق، فيرد اليه الخلق من كل طريق. فالعارف من آفات الغير محفوظ، وكل مـــا سوى الحق عنه مرفوض. ركن الى الحصن المنيع فآواه، ودق نظره في معرفته فتمعنى بمعنـاه، فنودي من حضرة مولاه: وحّدني فإني انا الله.

حُكي عن النعمان بن المنذر أنه خرج لصيد ومعه عديّ بن زيد العبّادي، فمرّ بآرام، وهي القبور، فقال عدي: أبيتَ اللعن، أتدري ما تقول هذه الآرام؟ قال لا. قال: انها تقول:

أيها الركب المخبّون (١) على الارض تمرّون
لكمـــا كنتم كُنـّا وكما نحـــنُ تكونون

---

(١) نسخة ٢: المجدون.

فقال . أعدها فأعادها ، فرجع كئيباً ، وترك صيده .

وخرج معه مرة اخرى ، فوقف على القبور بظاهر الحيرة فقال . أبيتَ اللعن ، أتدري ما تقول هذه الآرام ؟ فقال لا . فقال : انها تقول :

رُبَّ رَكبٍ قد أناخوا عندنا يشربون الخمر بالماء الزلال
ثم أضحَوا ضعف[1] الدهر بهم وكذاك الدهر حالاً بعد حال

فانصرف ايضاً وترك صيده .

وروينا من حديث احمد بن عبدالله بن عباس ، حدّثه عن أبيه أن عمر ابن عبد العزيز شيّع جنازة ، فلما انصرفوا تأخر عمر وأصحابه ناحية عن الجنازة ، فقال له أصحابه : يا امير المؤمنين ، جنازة انت وليّها تأخرت عنها وتركتها ! فقال : نعم ، ناداني القبر من خلفي : يا عمر بن عبد العزيز ، ألا تسألني ما صنعت بالأحباب ؟ قلت : بلى . قال : خرقتُ الأكفان ، ومزّقت الأبدان ، ومصصت الدم ، وأكلت اللحم . قال : ألا تسألني ما صنعت بالأوصال ؟ قلت : بلى. قال: نزعت الكتفين من الذراعين، والذراعين من العضدين ، والعضدين من الوركين ، والوركين من الفخذين ، والفخذين من الركبتين ، والركبتين من الساقين ، والساقين من القدمين .

ثم بكى عمر ، ثم قال : ألا ان الدنيا بقاؤها قليل ، وغرورها كثير ، وعزيزها ذليل ، وغنيّها فقير ، وشابها يهرم ، وحيُّها يموت . ولا يغرّنكم إقبالها مع معرفتكم بسرعة إدبارها ، والمغرور مَن اغترّ بها .

---

(١) نسخة ٢ : لعب .

أين سكانها الذين بنوا مدائنها ، وشقّوا أنهـارها ، وغرسوا أشجارها ، وأقاموا فيها قليلا ؟ غرّتهم بصحّتهم فاغترّوا بنشاطهم ، فركبوا المعاصي ، وغفلوا العاصي . إنهم كانوا والله في الدنيـا مغبوطين بالأموال على كثرة المنع اليه ، محسودين على جمعه مع كثرة التعب عليه . فانظر مـا صنع التراب بأبدانهم ، والرمل بأجسامهم ، والديدان بعظامهم وأوصالهم .

كانوا في الدنيا على أسرّة ممهدة ، وفرش منضّدة ، بين خدم يخدَمون ، وأهل يكرمون ، وجيران يعضدون . فاذا مررتَ فنادِهم إن كنت مناديا، ومرّ بعسكرهم ، وانظر الى تقارب منازلهم، وَسلْ غنيهم ما لقي من غناه، وَسلْ فقيرهم ما لقي من فقره ، وسل عن الألسن التي كانوا بهـا يتكلمون ، وعن الأعين التي كانوا بها ينظرون ، وَسلْهم عن الجلود الرقيقـة ، والوجوه الحسنة ، والأجساد الناعمة، ما صنعت بها الديدان : محَت الألوان ، وأكلت اللحوم ، وعفرت الوجوه ، وقبّحت المحاسن ، وكسّرت الفقـار ، وأبانت الأعضاء ومزّقت الأشلاء . وأين حجابهم وقبابهم ؟ وأين خدمهم وعبيدهم ، وجمعهم وكنوزهم ؟ والله ما زوّدهم فراشاً ، ولا وضعوا هناك متكأ ، ولا غرسوا لهم شجراً ، ولا أنزلوهم من اللحد قراراً، أليسوا في منازل الخلوات والفلوات ؟ أليس النهار والليل عليهم سواء . أليسوا في مدلهمة ظلماء ؟ قد حيل بينهم وبين الأحباء .

فكم من ناعم وناعمة ، أصبحوا ووجوههم بالية ، وأجسامهم من أعناقهم بائنة ، وأوصالهم متمزقة ، وقد سالت الحدقات على الوجنـات ، وامتلأت الأفواه ماءً وصديداً ، ودبّت دوابّ الأرض في اجسادهم وفرقت اعضاءهم ، ثم لم يلبثوا والله إلا يسيراً حتى عادت العظام رميماً . قد فارقوا الحدائق ، وساروا بعد السعة الى المضايق ، قـد تزوجت نساؤهم ، وترددت في الطرق

أبنـاؤهم ، وتوزعت الورثة ديارهم وتراثهم . فمنهم والله الموسّع له في قبره الغضّ الناظر فيه المتنعم فيه بلذته .

يا ساكن القبر غداً ، ما الذي غرّك من الدنيـا ؟ هل تعلم انك تبقى او تبقى لك ؟ أين دارك الفيحاء ونهرك المطّرد ؟ وأين ثمرتك الحاضرة ينعها ؟ وأين رفيق ثيـابك ؟ وأين طيبك ؟ وأين بخورك ؟ وأين كسوتك لصيفك وشتائك ؟ أما رأيته قد نزل به الأمر فما يدفع عن نفسه دخلا ، وهو يرشح عرقاً ، ويتلمظ عطشاً ، يتقلب في سكرات الموت وغمراته . جاء الأمر من السماء ، وجاء غالب القدر والقضاء ، وجاء من الأمر الأجل ما لا يمنع منه . هيهات هيهات يا مغمض الوالد ، والأخ ، والولد ، وغاسله ، يا مكفن الميت وحامله ، ويا مخلّيه في القبر وراجعاً عنه . ليت شعري كيف أنت على خشونة الثرى ؟ يا ليت شعري بأي خدّيك بـدا البلا ؟ يا مجاور الهلكات صرت في محلة الموتى . ليت شعري ما الذي يلقاني بـه ملك الموت عند خروجي من الدنيا ؟ وما يأتيني به من رسالة ربي . ثم تمثل فقال :

تسرّ بما تفنى وتشغل بالمُنى فما اغتر باللذات في النوم حالمُ
نهارك يا مغرور سهوٌ وغفلة وليلك نومٌ والردى لك لازمُ
وتعمل شيئاً سوف تكره غبّه كذلك في الدنيا تعيش البهائمُ

ثم انصرف ، فما بقي بعد ذلك إلا جمعة ، ومات رحمه الله . ولنـا من هذا الباب :

شابَ فوْدَيّ وشبّ الأملُ ومضى العمْر وجاء الأجَلُ
عسكر الموت لنا منتظرٌ فـإذا سرنا اليهم رحلوا
ليت شعري ليت شعري هل دروا انـني بعـدهم منتقلُ
في فنون اللهو أفنى طرباً غافلا عمـا اليـه انتقلُ

ولنا في المحاسبة وإضافة الأعمال الى الله تعالى ، إذ لا فاعل إلا هو :

تحاسبهم بما فعلوا وما فعلوا الذي فعلوا
وتطلبهم بما عملوا وأنت خلقت ما عملوا
فهل تنجيهم حجج وهل يزكو لهم عملُ
لئن أخذوا بما عملوا فاعظم منه ما جهلوا

ولنا أيضاً ، وقد تذكرتُ الأحبة في القبور :

ضمّت لنا آرامُنا الآراما فكأن ذاك العيش كان مناما
يا واقفين على القبور تعجبوا من قائمين كيف صاروا نياما
تحت التراب موسدين أكفهم قد عاينوا الحسنات والآثاما
لا يوقَظون فيخبرون بما رأوا لا بد من يوم يكون قياما

ولما سُجن عبد الله بن جعفر بن ابي طالب رضي الله عنه، قال في ذلك :

خرجنا من الدنيا ونحن من أهلها فلسنا من الأموات فيها ولا الأحيا
اذا دخل السجّانُ يوماً لحاجة عجبنا وقلنا جاء هذا من الدنيا
ونفرح بالرؤيا وجلُّ حديثنا اذا نحن أصبحنا الحديث عن الرؤيا
فإن حسُنت كانت بطيئاً مجيئها وإن قبحت لم ننتظر وأتت سعيا

موعظة :

ومما قيل في المحبين :

ألا أحدٌ يدعو لأهل محلةٍ مقيمين في الدنيا وقد فارقوا الدنيا
كأنهم لم يعرفوا غير دارهم ولم يعرفوا غير الشدائد والبلوى

ولما سجن ابن المعتز قال :

تعلمت في السجن نسيج الفتك ... وكنت أمري قبل حبسي ملكْ
وقيدتُ بعد ركوب الجياد ... وما ذاك إلا بدَور الفلكْ
ألم تبصر الطير في جوّه ... يكاد يلابس ذات الحبكْ
اذا أبصرته خطوب الزمان ... أوقعنه في حبال الشرَكْ
فهذاك من حالقٍ قد يُصادُ ... ومن قعر بحرٍ يصاد السمكْ

ولما قُتل ، رحمه الله ، وُجد في البيت الذي قُتل فيه على الأرض مكتوب بخطه :

يا نفسُ صبراً لعل الخير عقباك ... خانتك بعد طويل الأمن دنياكِ
مرّت بنا سحراً طيرٌ فقلت لها ... طوباك يا ليتني إياك طوباكِ

مثل في الوفاء :

يقال: أوفى من فكيهة. وهي امرأة من بني قيس بن ثعلبة كان من وفائها أن السُّليك بن السلكة غزا بكر بن وائل ، وخرج جماعة من بكر فوجدوا أثر قدم على الماء فقالوا : إن هذا الأثر قدم قد ورد الماء ، فقعدوا له ، فلما وافى حملوا عليه فعدا ، وكان من العدّائيين ففاتهم حتى ولج قبة فكيهة ، فاستجار بها ، فأدخلته تحت درعها ، فانتزعوا خمارها فنادت أخوتها فجاؤا عشرة فمنعوهم منها .

قال : وكان سليك يقول : كأني أجد خشونة ذلك الموضع على ظهري ، ولم تكن حين أدخلتني تحت درعها . وقال :

لعمر أبيك والأخبار تنمي   لنعم الجارُ أخت بني عوارا
من الخفرات لم تفضح أخاها   ولم ترفع لوالدهـا ستارا
فما ظلمت فكيهة حين قامت   بنصل السيف وانتزعوا خمارا

وكتب صاحب بريد همدان الى المأمون وهو بخراسان يعلمه أن كاتب صاحب البريد المعزول أخبره أن صاحبه وصاحب الخراج كانا تواطئا على إخراج مائتي الف درهم من بيت المال واقتسماها بينهم ، فوقّع المأمون : إنا نرى قبول السعاية شراً من السعاية، لأن السعاية دلالة، والقبول إجازة، وليس من دل على شيء كمن قبله وأجازه ، فأنف الساعي عنك، فإن كان في سعايته صادقاً لقد كان في صدقه لئيماً ، إذ لم يحفظ الحرمة ، ولم يف لصاحبه .

ورويتا من حديث نافع ، قال : لقي يحيي بن زكريا عليهما السلام إبليس فقال : أخبرني من أحب الناس اليك ، وأبغضهم اليك ؟ قال : أحب الناس إليّ كل مؤمن بخيل، وأبغض الناس إليّ كل منافق سخي، قال : ولِمَ ذلك ؟ قال : لأن السخاء خلق الله الأعظم ، فأخشى أن يطّلع الله عليه في بعض سخائه فيغفر له .

مثل سائر :

هو أبخل من مادر . وهو رجل من بني هلال بن عمرو ، بلغ من بخله أنه سقى إبله ، فبقي في أسفل الحوض ماء قليل، فسلح فيه ، ومدر الحوض به، فسمّي مادراً .

حـــكاية :

ذكر أهل الادب أن بني فزارة وبني هلال تنافروا الى انس بن مدركة ،

وتراضوا به يحكم بينهم ، فقالت بنو هلال : يا بني فزارة ، أكلتم أير الحمار . فقالت بنو فزارة : ولم نعرفه . وسبب هـــذا القول ان ثلاثــه اصطحبوا فزاري ، وثعلبي ، وكلبي ، فصادوا حمــار وحش . ومضى الفزاري في بعض حوائجه ، فطبخا وأكلا ، وخبئا للفزاري ذكـَر الحمار . فلما رجع قالا له : خبأنا لك حقك فكل . فأقبــل يأكل ولا يسيغه ، فجعلا يضحكان ، ففطن وأخـــذ السيف وقام اليهما ، وقال : لتأكلا منه ، او لأقتلنكما . فامتنعا ، فضرب احدهما فقتله ، وتناوله الآخر فأكل منه . فقال فيهم الشاعر :

نشدتك يا فزار وأنت شيخ | اذا خيرت تحظى في الخيارِ
أصبحانية أدمت بسَمْن | أحبُّ اليك أم أير الحمــار
بلى أير الحمـــار وخصيتاه | أحبُّ الى فزارة من فزار

فقالت بنو فزارة : يا بني هلال ، منكم مَن سقى إبله ، فلما رويت سلح في الحوض ومدره بخلا به . فنصرهم انس بن مدركة على الهلاليين ، فأخـــذ منهم الفزاريون مائة بعير، وكانوا تراهنوا عليها. وفي بني هلال يقول الشاعر:

لقــد جللت خزياً هلال بن عامر | بني عامر طُرّاً لسلحة مادر

ومن باب الحمــاسة : كان جحدر بن مالك لسِناً شاعراً فاتكاً شجاعاً ، وكان قد آثر على اهل هجر ناحيتها . وبلغ ذلك الحجاج بن يوسف ، فكتب الى عامل اليمامة يوبخه بتلاعب جحدر به ، ويأمره بالتجرد عليــه حتى يظفر به . فبعث العامل الى فتية من بني يربوع بن حنظلة، فجعل لهم جُعلاً عظيماً إن هم قتلوا جحدر ، او أتوا به أسيراً ، ووعدهم ان يوفدهم الى الحجـــاج . فخرج الفتية في طلبه ، حتى اذا كانوا قريباً منه ، بعثوا اليه رجلاً منهم يريه أنهم يريدون الانقطاع اليه والتحزّب به ، فوثق بهم واطمأن اليهم ؛ فبينا هم

على ذلك إذ شدّوه وثاقاً وقدموا به الى العامل، فبعث به معهم الى الحجاج ، وكتب يثني على الفتية . فلما قدموا به على الحجاج ، قال له : أنت جحدر ؟ قال : نعم . قال : ما حملك على ما بلغني عنك ؟ قال : جراءة الجَنان ، وجفوة السلطان ، وكلب الزمان . قال : وما الذي بلغ من أمرك ، فيجترئ جَنانك ، ويصلك سلطانك ، ولا يكلبك زمانك ؟ قال : لو بلاني الامير لوجدني من صالح الأعوان ، وأهم الفرسان ، ومن أوفى اهل الزمان . فقال الحجاج : أنا قاذفك في قبة فيها أسد ، فإن قتلك كفانا مؤنتك ، وإن قتلته خلّينا سبيلك ووصلناك. قال : لقد أعطيتَ أصلحك الله الأمنية، وعظمت المنّة ، وقرّبت المحنة. فأمر به فاستوثق منه بالحديد وألقي في السجن ، وكتب الى عامله بكسكر يأمره ان يصيد له أسداً ضارياً ، فلم يلبث العامل ان بعث له بأسْدٍ ضاريات قد أثرت على اهل تلك الناحية ، ومنعت عامة مراعيهم ومسارح دوابهم ، فجعل واحداً منها وهو عظيمها في تابوت يجرُّ على عجلة . فلما قدموا به أُلقي في حيز وأُجيع ثلاثاً . ثم بعث الى جحدر ، فأخرج وأُعطي سيفاً ، ودُلّي عليه ، فمشى الى الاسد وأنشأ يقول :

ليثٌ وليثٌ في مجالٍ ضنْكِ — كلاهما ذو أنَفٍ ومَحْكِ
وصولة في بطشةٍ وفتك — ان يكشف الله قناع الشك
وأظفرنْ بجُؤجُرٍ وبَرْكِ — فهو أحقّ منزلاً بترك
الذئب يعوي والغراب يبكي — وقدرة الله مَزالُ الشكّ

حتى اذا كان منه على قدر رمح تمطى الاسد وزأر وحمل عليه ، فتلقّاه جحدر بالسيف فضرب هامته ضربة فلقها، وسقط الاسد كأنه خيمة قوّضتها الريح ، فانثنى جحدر وقد تلطخ بدمه لشدة حملة الاسد عليه، فكبّر الناس. فقال الحجاج : يا جحدر ، إن أحببتَ ان ألحقك ببلادك وأحسن صحبتك

وجائزتك فعلتُ ذلك بك ، وإن أحببتَ ان تقيم عنـــدنا أقمتَ فأسنينا فريضتك . قال : أختار صحبة الامير . ففرض له ولجماعة أهل بيته . وأنشد جحدر يقول :

يا جمل انك لو رأيتَ سيالقي	في يوم هيجٍ مُردفٍ وعجاجِ
وتقدمي لليث أرسف نحوه	عني أكابره عـن الإخراجِ
جهمٌ كان جبينه لمـا بدا	طبق الرحا متفجر الاثباج
يرتو بناظرتين يحسبُ فيهما	من ظنّ خالهما شعاع سراج
شثنٌ براثنه كأن بتونَـه	زرق المعاول ، او سداة زجاج
وكأنما خبطت عليه عباءةٌ	برقاء او خلق من الديباج
قرنان محتضران قـد ربتهما	أم المنيّة غير ذات نتـاج
وعلمتُ أني إن أبيتُ نزاله	إني من الحجاج لست بناج
فمشيت أرفل في الحديد مكبلاً	بالموت نفسي عند ذاك أناجي
والناسُ منهم شامتٌ وعصابة	عبراتهم لي بالحلوق شواجي
ففلقت هامته فخرّ كأنه	أطـمٌ تقوّض مائل الأبراج
ثم انثنيت وفي قميصي شاهدٌ	مما جرى من شاخب الأوداج
أيقنت أني ذو حفاظٍ ماجدٍ	من نسل أملاكٍ ذوي أتواج
فلئِنْ قذفت الى المنيّة عامداً	إني لخيرك بعد ذلك راجي
علـّم النساءُ بأنني لا أنثني	إذ لا يتقن بغيرة الأزواج

حدثنا محمد بن قاسم ، قال : سئل بعض السادة عن أول توبته ، قـال : لما تمادت بي المخالفة ، وأسرفت على نفسي إسرافاً أدى بي الى القنوط ، فوقع في قلبي أن الله لا يرحمني لما عظم في قلبي إجرامي ، فأقمت ثلاثـاً لا أذوق طعاماً ، ولا أسيغ شراباً ، وقد جعلت ذنوبي بين عينيْ ؛ فلمـا كانت الليلة

الرابعة رأيت في النوم جارية وبيدها جام من الذهب مكتوب عليه بالنور : (يا هذا اشتد بك الكرب فأين الالجا؟ واذا عظم عليك الخوف فأين الرجا؟) وعلى جبينهـا مكتوب : (يا عبادي الذين أسرفوا على انفسهم لا تقنطوا من رحمة الله) فوضعت الجام بين يديّ، فأكلت منه طعاماً لا يشبه طعام الدنيا، فوجدت حلاوة الرجا في قلبي ، واستقمت من تلك الليلة على طاعة ربي .

قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: (لولا حب الوطن لخرب البلد السوء، فبحب الأوطان عمُرت البلدان) .

قــال بقراط : (يداوي كل عليل بعقاقير أرضه ، فإن الطبيعة تترع الى غذائها) .

وقال بعض الحكماء : (أطلبوا الرزق في البعد عن الأوطان ، فإنكم إن لم تكسبوا مالاً غنمتم عقلاً كثيراً) .

وقال بعضهم : (لا يألف الوطن إلا ضيق العَطن) .

روينا من حديث الهيثم بن الحسن بن عمارة قـال : قدم شيخ من خزاعة ايام المختار ، فنزل على عبد الرحمن بن أبزي الخزاعي ، فلما رأى مـا تصنع سوقة المختار بالمختار من الإعظام والإجلال، جعل يقول : (يا عباد الله بالمختار يصنع هذا ، والله لقد رأيته مع الإماء في الحجاز) ، فبلغ ذلك المختار فدعا به ، فقال : ما هذا الذي بلغنا عنك ؟ قال : أباطيل . فأمر بضرب عنقه ، فقال : لا ، والله لا تقدر على ذلك ، قال : ولِمَ ؟ قال : اما دون أن انظر اليك وقــد هدمت مدينة دمشق حجراً حجراً ، وقتلت المقاتلة ، وسبيت الذرية ، ثم تصلبني على شجرة على نهر ، والله اني لأعرف الشجرة الساعـة ، وأعرف شاطىء ذلك النهر .

فالتفت المختار الى اصحابه فقال لهم : أما ان الرجل قد عرف الشجرة ، وربما يقول حقاً . فأمر به فحبس حتى اذا كان الليل ، بعث اليه فقال : يا اخا خزاعة ، أومزاح عند القتل ؟ قال : انشدك الله أن أقتل ضياعاً ، قال : وما تطلب هاهنا ؟ قال : اربعة آلاف درهم اقضي بها ديني ، قال : ادفعوها اليه ، وإياك أن تصبح بالكوفة ، فقبضها وخرج .

مثل :

هو أحمق من عجل . وهو عجل بن لجيم . وذلك أنه قيل له : ما سمّيت فرسك ؟ ففقأ عينه ، وقال : سمّيته الأعور .

قال الشاعر :

رمتني بنو عجل بداءِ أبيهم وأي امرءٍ في الحمق أحمق من عجل
أليس أبوهم غار عين جواده فصارت به الأمثال تضرب في الجهل

ومن سماعنا في نسيب مهيار حيث يقول :

هبّت بأشواقك نجـدية ٌ مطبعة انت لها واجبُ
ما انت يا قلبي وأهل الحمى وإنما هم أمسك الذاهب
فاردد على الريح أحاديثها ففي صباها ناقلٌ كاذب
ودون نجد وظباء الحمى ان تقرح السّنامُ والغارب

السماع في ذلك يقول : يا ايها المحبّ العارف ، هبّت بأشواقك أنفاس متصاعدة تطمع في امر هي دونه ، ألا تراه ؟ قال : ما انت يا قلبي ؟ يقول : انت في مقام التقليب والتلوين ، وأهل الحمى في مقام الثبوت ، وهما ضدّان فلا يجتمعان كما لا يرجع أمس ابداً . وقد نبّه على كذب الاحوال بما ذكر عن

الريح بسبب الباعث لهبوبها . ثم قال : ودون نجد الذي هو النظر الأعلى ، وظباء الحمى : الارواح العلوية ، تقرح : أي ، تدمي الخف والسنام من طول السير ، وحمل الاثقال ، شبّهها بالإبل ، ثم لا وصول ، يقول : انها موهوبة لا مكسوبة ، فلا تعمل لها .

موعظة عطاء بن ابي رباح لعبد الملك بمكة :

حدثنا محمد بن اسماعيل ، ثنا عبد الرحمن بن علي ، انا عبد الوهاب ، انا جعفر بن احمد ، انا عبد العزيز الضرّاب ، أخبرني أبي ، ثنا احمد بن مروان ، ثنا ابراهيم بن اسحاق الحربي ، ثنا الرياشي ، قال : سمعت الاصمعي يقول : دخل عطاء بن ابي رباح على عبد الملك وهو جالس على سريره وحواليه الاشراف من كل بطن ، وذلك بمكة في وقت حجه في خلافته ، فلما بصر به قام اليه وأجلسه معه على السرير ، وقعد بين يديه ، وقال له : يا ابا محمد ، ما حاجتك ؟ قال : يا امير المؤمنين ، اتق الله في حرم الله ، ورسوله ، فتعاهده بالعمارة . واتق الله في أولاد المهاجرين، والانصار، فانك بهم جلست هذا المجلس . واتق الله في اهل الثغور ، فانهم حصن المسلمين ، وتفقد امور المسلمين ، فانك وحدك المسؤول عنه . واتق الله فيمن على بابك ، ولا تغفل عنهم ، ولا تغلق دونهم بابك . فقال له : أفعل . ثم نهض فقبض عليه عبدالملك فقال: يا ابا محمد، سألتنا حوائج غيرك فقد قضيناها ، فما حاجتك ؟ فقال : ما لي الى مخلوق من حاجة، ثم خرج . فقال عبد الملك : هذا وأبيك الشرف ، هذا وأبيك السؤدد .

ومن وقائع بعض الفقراء الى الله تعالى ما حدثناهُ عبد الله بن الاستاذ المروزي ، قال : قال بعض المريدين : رأيت ابا مدين ، وأبا حامد ، وأبا

طالب ، وأبا يزيد ، وجماعة من الصوفية ؛ فقال ابو يزيد لأبي مدين : تكلم لنا في شيء من التوحيد . فقال : التوحيد هو الحق ، واليه الملجأ لأهله، وبه النجاة . هو السر الخفي ، به ظهرت الأسرار ، وهو الشمس المشرقة ، ومنه ينابيع الانوار . وهو قطب العارفين ، وهو الدليل ، ومبرىء الأسقام ، وشفاء كل عليل . هو الظاهر ، فما سواه حجابه ، فمن كان ذا بصر جاوز أبوابه، كشف له عن ملكه ، فماين سلطانه ، وغيّبه به عنه، فعظّم شأنه . فبين العارف وبين ربه سر وقر في صدره ، وحكم بمدّه بها من غيبه ، فهي غذاؤه وشرابه، مظهر له حقيقة التوحيد ولبابه ، امتاز بها عن سائر الخلق، فواصلته وأجلسته في حضرة الحق، أختصه بالعلوم الأزلية العجيبة . فحقيقته من الحق دانية قريبة، بلا حركة من معنى الى معنى، ولا انتقال ، ولا ماضٍ، ولا مستقبل ، ولا حال . هو بسر العارف مكشوف ، أمدّه به من خفيّ سرّه ، فسرّه من سره معروف . فجملة المحسوسات عدم وهباً . فحقّق ببصيرتك تنظر عجباً ، تجد القائم في كل الخطرات واللحظات مشاهد ، إذ هي أغطية يُستر بها إذ هو في الوجود واحد . فالمعرفة في حق كل مصنوع وضعه ، فكل مفترق هو أصله وجمعه . بذلك شهدت الظواهر على غيبها ، فهو المبدىء لكل شيء والمعيد ، والفعّال في ملكه يفعل ما يريد . فجملة هذه العلوم عرفها العارفون ، وجهلها الأكثرون ، وعلم تأويلها الراسخون ، وما يعقلها إلا العالمون .

وروينا من حديث الهاشمي ، قال : قال رسول الله ﷺ : ايها الناس ، بسط الأمل مقدّم على حلول الأجل ، والمعاد مضمار العمل ، فمغتبط بما احتقب ، غانم ، ومبتئس بما فاته من العمل ، نادم .

ايها الناس ، ان الطمع فقر ، واليأس غنى ، والقناعة راحة ، والعزلة

عبادة ، والعمل كنز ، والدنيا معدن . والله ما يسرّني ما مضى من دنياكم هذه بأهداب بردي هذا ، ولما بقي منها أشبه بما مضى من الماء بالماء . وكل الى نفاد وشيك ، وزوال قريب ، فبادروا وانتم في مهل الانفاس ، وجدّة الاحلاس ، قبل ان يؤخذ بالكظم ، ولا يغني الندم .

عمرة ابي بكر الصديق في خلافته رضي الله عنه :

حدثنا محمد بن اسماعيل، عن عبد الرحمن بن علي، عن محمد بن عبد الباقي، عن ابي محمد الجوهري ، عن ابن حبوَة ، عن ابي الحسن بن معروف ، عن الحسين بن الفهم ، عن محمد بن سعد ، عن الواقدي ، عن أشياخه ، قالوا : اعتمر ابوبكر الصديق رضي الله عنه في خلافته، في رجب سنة اثنتي عشرة، فدخل مكة ضحوة ، فأتى منزله وأبوه ابو قحافة جالس على باب داره ، فقيل له : هذا ابنك ، فنهض قائماً ، وعجل ابو بكر أن ينيخ راحلته ، فنزل عنها وهي قائمة ، فجعل ابو بكر يقول : يا أبت لا تقم ، ثم التزمه ، فقبّل ابو بكر بين عيني أبيه . فأخذ الشيخ يبكي فرحاً بقدومه ، وجاء ممن سمع به ممن هناك من الصحابة ، مثل عتاب بن أسيد ، وسهيل بن عمرو ، وعكرمة بن ابي جهل ، والحارث بن هشام ، فسلموا عليه : سلام عليك يا خليفة رسول الله ، فجعل ابو بكر عندما سمع ذكر رسول الله ﷺ يبكي، وأبكى القوم ، وتجدد عليه الحزن لرسول الله ﷺ ، فقال ابو قحافة : يا عتيق ، هؤلاء الملأ فأحسن صحبتهم ، فقال ابو بكر : يا أبت ، لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم ، لقد طوقني الله أمراً عظيماً لا قوة لي به ولا يد إلا بالله . ثم دخل فاغتسل وخرج وتبعه أصحابه فنحاهم ، ولقيه الناس يُعزّونه برسول الله ﷺ وهو يبكي حتى انتهى الى البيت ، فاضطبع واستلم، وطاف سبعاً ، وركع ركعتين ، ثم رجع الى منزله . فلما كانت صلاة الظهر

خرج فطاف بالبيت ، ثم جلس قريباً من دار الندوة ، فقال : هل من احد يشتكي من ظلامة ، او يطلب حقاً ؟ فما أتاه احد ، وأثنى الناس على واليهم خيراً . ثم صلى العصر وجلس ، فردفه الناس ثم خرج راجعاً الى المدينة .

وبالإسناد أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، دخل في بعض حججه على نافع بن الحارث يعوده ، فوجده قريب عهد بعرس وفي بيته ستر من آدم مزيّن بسيور ، فأخذه عمر فشقه ، وقال : لِمَ لا تستروا بيوتكم بهذه المسوح ، فهي أوفى وألين وأحمل للغبار ؟

وأذن له ابو محذورة بصوت شديد ، فقال : يا أبا محذورة ، أما خشيت أن تنشقّ مريطاؤك ؟ قال : اني احببت أن أسمعك صوتي . ثم مرّ عمر بأبي سفيان بن حرب ، فرأى أحجاراً قد بناها ابو سفيان كالدكان في وجه داره يجلس عليها بالغداة ، فقال عمر : لا ، أرجعنّ من وجهي هذا حتى تقلعه وترفعه . فلما رجع عمر وجده على حاله ، فقال : ألم أقل لك اقلعه ؟ قال : انتظرت أن يأتينا بعض أهل مهنتنا ، فقال : عزمت عليك لتقلعه بيدك ، وتنقله على عاتقك ، فلم يراجعه وفعل ذلك . فقال عمر : الحمد لله الذي أعزّ الاسلامَ رجل من عديّ يأمر أبا سفيان سيد بني عبد مناف بمكة فيطيعه .

وبالاسناد قال محمد بن سعد : حدثنا يزيد بن هارون ، ثنا يحيى بن سعيد ، عن سعيد بن المسيّب ، أن عمر لما أفاض من منى أناخ بالأبطح فكوّم كومة من بطحاء فطرح عليها طرف ثوبه ، ثم استلقى عليها ، ورفع يده الى السماء وقال : أللهمّ كبرت سني ، وضعفت قوّتي ، وانتشرت رعيّتي ، فاقبضني اليك غير مضيّع ولا مفرّط . فلما قدم المدينة خطب الناس . قال سعيد : فما انسلخ ذو الحجة حتى طعِنَ رضي الله عنه وأرضاه .

ذكر حجج الخلفاء الأربع في زمان خلافتهم :

أما ابو بكر الصدّيق رضي الله عنه ، فاستعمل على الناس في الحج عمر بن الخطاب سنة احدى عشرة ، واعتمر في رجب ، وحجّ بالناس سنة اثنتي عشرة ، واستخلف على المدينة عثمان بن عفان .

وأما عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، فاستعمل أول سنة وليّ على الحج عبد الرحمن بن عوف ، فحجّ بالناس ، ثم لم يزل عمر يحج بالناس في خلافته كلها ، فحجّ بهم عشر سنين، وحجّ بأزواج النبي ﷺ في آخر حجة حجّها. قال ابن عباس : حججت مع عمر احدى عشرة حجة ، واعتمر في خلافته ثلاث مرات . وقالت عائشة رضي الله عنها : لما كانت آخر حجة حجها عمر بأمهات المؤمنين مررت بالمحصّب ، فسمعت رجلاً على راحلته يقول : أين كان عمر أمير المؤمنين ؟ وسمعت رجلاً آخر يقول : ها هنا قد كان، فأناخ راحلته ورفع عقيرته ، وقال :

عليك سلام من إمام وباركت   يد الله في ذاك الأديم الممزّق
فمن يسعَ او يركب جناحيْ نعامة   ليدرك ما قدّمت بالأمس يسبق
قضيت أموراً ثم غادرت بعدها   بوايق في أكمامها لم تفتق

قالت عائشة: فلم ندرِ ذاك الراكب مَن هو؟ فكنا نتحدث انه من الجن، قالت : فقدم عمر من تلك الحجة ، فطعن فمات .

وقد ذكرنا هذا الشعر في هذا الكتاب أكمل من هذا من حديث احمد بن عبد الله .

وأما عثمان بن عفان رضي الله عنه :

فانه لما ولّي أمّر عبد الرحمن بن عوف على الحج ، سنة اربع وعشرين ، وحجّ عثمان سنة خمس وعشرين ، ثم لم يزل يحج الى سنة اربع وثلاثين ، ثم حصر في داره ، وحجّ بالناس عبد الله بن عباس . قال ابن سيرين : وكان عثمان أعلم الناس بالمناسك ، وبعده ابن عمر .

وأما علي بن ابي طالب رضي الله عنه :

فحج كثيراً قبل ولايته الخلافة . وأما ولايته ، فانه ولّي الخلافة اربع سنين وتسعة اشهر وأياماً ؛ وكانت ولايته بعد انقضاء الحج في سنة خمس وثلاثين ، لأن عثمان قُتل يوم الجمعة لثمان عشرة خلت من ذي الحجة من هذه السنة . وكانت وقعة الجمل سنة ست وثلاثين ، وحج بالناس ايضاً عبد الله ابن عباس . واشتغل علي رضي الله عنه بتلك الامور ، فحج بالناس سنة ثمان وثمانين قثم بن عباس . ثم اصطلح النـاس في سنة تسع وثلاثين على شيبة بن عثمان ، فأقام لهم الحج . ثم قتل علي رضي الله عنه سنة اربعين .

ولنا في المحلات ، وهي ست آلات ، وانما سُمّيت محلات لأن من كانت معه حلّ حيث شاء :

ان المحلات ستّ فاسمعنّ لها　　الزند والدلو والسكين والفأس
والقدر والزق لا تبغي بها عوضاً　　فحيث ما كنّ كان الناس والبأس

ولنا في أصناف المياه ونعوتها ، وأصناف الشرب :

ماء فرات نقاح سلسل شبمٌ　　سلاسلٌ وزلال نشرُه عَطِرُ
تسري الحياة به في كل ذي شبح　　النبت والحيوان الكلّ والبشر

وما سواه من الأمواه ليس له هـذي النعوت فما في نعته نكر
مثل الأجاج وماج مالح لغةً فريدة وشريب طعمه خصَر
كذا الشروب وملحٌ والزعاق له على القعاع مقامٌ ليس يستتر
أما النميرُ فنعتٌ لا يخصّ به صنف فذاك الذي ينمى به الشجر
فهذه خمسة من بعد عاشرةٍ من اللغات لها في نفسها سُوَر
والنشج والنضج ثم النقعُ والبغر ونغبة بعدها لفظ هو النجرُ

تفسيره : فالنشج والنضج . هو الشرب دون الريّ . والنقع : الريّ . والبغر والنجر : ان يكثر الشرب فلا يروى . والنغبة : الجرعة من الماء . وكل ما تضمنه البيت الاول هو العذب الطيب ، والشبم : البارد . والسلسل والسلاسل: السهل الدخول في الحلق. والشريب: الذي فيه شيء من العذوبة. والشروب : دونه، وهو الذي يُشرب عند الضرورة. والأجاج : الماء المالح ، وهو ايضاً : الماج ، والقعاع ، والزعاق : فيه مرارة .

ولنا في أسماء العطش :

الصدا والأوام ثم غليلُ ووغيم ولوحة العطش
وكذاك الجواد مهلكة فاذا ما ارتويت تنتعش

ولنا في أسماء الخيل في السباق :

قالوا المجلّى أول ثم المصلّى بعده ثم المسلى ثالث والنال طرف رابع
والخامس المرتاح ثم عاطف سادسهم ثم الخطى بعده وهو الجواد السابع
والثامن المؤمّل ثم اللطيم تاسع سكيتهم عاشرهم أهلّة طوالع
فشكلهم آخرهم فلا يُعدّ فيهم ان المجلّى اوّلٌ فتسعة توابع

المحفوظ عن العرب : السابق ، ثم المصلى ، والسكيب الذي هو العاشر ، والسابق هو الاول ، وهو المجلى والمبرز ايضاً . وسائر ما ذكر من الأسماء ، فان بعض الحفـّاظ من اهل اللغة قال : أراها محدثة ، والله أعلم .

وروينا من حديث عمرو بن بحر الجاحظ قال : ثنـــا سنان بن الحسن التستري، عن اسماعيل بن فهران العسكري، عن أبان بن عثمان، عن عكرمة، عن ابن عباس ، عن علي بن ابي طالب رضي الله عنه ، قال : لما أُمر رسول الله ﷺ ان يعرض نفسه على القبائل ، خرج وأنا معه ، وابو بكر، وكان ابو بكر عالماً بأنساب العرب ، فوقفنـــا على مجلس من مجالس العرب عليهم الوقار والسكينة ، فتقـدم ابو بكر ، فسلـّم عليهم ، فردُّوا عليه السلام ، فقال : ممن القوم ؟ فقالوا : من ربيعة . قال : أَمِن هاماتها أم من لهازمها ؟ قالوا : بل من هاماتها العظمى . قال : وأيّ هاماتها ؟ قالوا : ذهل . قال : أذهل الأكبر أم ذهل الأصغر ؟ قالوا : بل الأكبر. قال : أفمنكم عوف الذي كان يقال : لا حرّ بوادي عوف ؟ قالوا : لا . قال : أفمنكم بسطام بن قيس صاحب اللواء ومنتمي الأحياء ؟ قالوا : لا . قال : أفمنكم جساس بن مُرّة حامي الزمار ومانع الجـــار ؟ قالوا : لا . قال : أفمنكم المزدلف صاحب صاحب الغمام ؟ قالوا : لا . قال : أفأنتم أخوال الملوك من كنـدة ؟ قالوا : لا . قال : أفأنتم أصهار الملوك من لخم ؟ قالوا : لا . قـال : فلستم من ذهل الاكبر ، إذ أنتم من ذهل الاصغر .

فقام اليه اعرابي غلام حين بقل وجهه ، فأخذ بزمام ناقته ، ورسول الله ﷺ واقف على ناقته يسمع مخاطبته ؛ فقال لنـــا : على مَن سألنا ان نسأله ، والعبء لا تعرفه او تحمله. يا هذا ، انك سألتنا أي مسألة شئت فلم نكتمك، فأخبرنا مَن انت : قال ابو بكر : من قريش . قال : بخٍ بخٍ أهل الشرف

والرياسة ، فأخبرني من أي قريش انت ؟ قال : من بني تيم بن مُرّة . قال : أمنكم قصيّ بن كلاب الذي جمع القبائل من فهر ، فكان يقال له مجمعاً ؟ قال ابو بكر : لا . قال : أفمنكم هاشم الذي يقول فيه الشاعر :

عمرو الذي(١) هشم الثريدَ لقومه ورجال مكة مسنتون عجاف

قال ابو بكر : لا . قال : أفمنكم شيْبة الحمْد ، الذي كان وجهه يضيء في الليلة الظلماء الداجية مطعم الطير؟ قال : لا . قال : أفمن المفيضين بالبأس انت ؟ قال : لا . قال : أفمن اهل الرفادة انت ؟ قال : لا . قال : أفمن اهل السقاية انت ؟ قال : لا . قال : أفمن اهل الحجابة انت ؟ قال : لا . قال : أما والله لو شئتُ لأخبرتك أنك لست من أشراف قريش . فاجتذب ابو بكر زمام ناقته منه كهيئة المغضب ، فقال الاعرابي :

صادف درءُ السيل درءٌ يدفعه يرفعه طوراً وطوراً يضعه

فتبسم رسول الله ﷺ . قال علي : فقلت : يا ابا بكر ، لقد وقعتَ من هذا الاعرابي على باقعة . قال : أجل يا ابا الحسن ، ما من طامّة إلا وفوقها طامّة ، وأن البلاء موكل بالمنطق .

سأل عليّ بن ابي طالب رسولَ الله ﷺ : مـا أفضل الصلاة ؟ قال : ما حضرت فيها القلوب، وذرفت فيها العيون ، وخلصت فيها النيات ، وفاضت فيها العبرات .

---

(١) نسخة ٢ : العلا .

وبكى الحسن البشري يوماً في حلقته ، فقيل له : مـا يبكيك ؟ قال : لأني أرى قوماً قد أمروا بالزاد ، ونُودِيَ فيهم بالرحيل ، وحُبس أولهم على آخرهم وهم قُعود يلعبون .

وأنشدني محمد بن عبد الواحد لبعضهم :

قالوا تقدَّم فقلتُ الخوف أخَّرني وقبح فعـلي وزلَّاتي ومجترمي
بأيِّ وجهٍ اذا مـا جئتُ أرفعه وقد تمرَّنتُ بالتوبيخ والندمِ
وكيف أنقلُ أقداماً عصَيْتُ بها الى محل العُلا في القدس والعظم
الى الذي جاد بالإحسان مبتدئاً ومَنَّ بالفضل والآلاء والنِّعَم
وكلُّ جارحةٍ لي غيرُ طاهرةٍ لا ماء وجهي ولاجسمي ولا قدمي
قالوا فدونك من أبواب رحمتـه ومنتهى العفو والإحسان والكرم
فقلتُ وجهي من الزلَّات محتشمٌ ولستُ أملك وجهاً غيرَ محتشِمِ

وقال بعض الأولياء : الفكرة نور ، والغفلة ظلمة ، والجهـــالة ضلالة ، والسعيد مَن وُعظ بغيره .

شعر :

إني لأذكر مولاي وأشكره في كل وقتٍ وفي داجٍ من الظلمِ
فكم له نعمَةٌ في كل جارحةٍ ضاقت لكثرتها عن شكرها هممي
فرضٌ على كل عبدٍ شكرَ خالقه فيما أفاض من الأنعـام والكرم

أوحى الله الى داود عليه السلام : يا داود ، اعرفني واعرف قدر نفسك. ففكَّر ساعة ، ثم قال : إلهي عرفتك بالأحدية ، والقدرة ، والبقاء ؛ وعرفتُ نفسي بالعجز ، والضعف ، والفناء .

قال السريّ : اطلب حيــاة قلبك بمجالسة أهل الذكر ، واستجلب نور القلب بدوام الحزن ، والتمس تعجيل الانتقــال ، وإياك والتسويف ، ونافس الأبرار في إقامة الفرض ، ونافس المقربين في اخلاص النوافل ، واترك فضول الحلال ، واطلب حلاوة المناجاة بفراغ القلب ، واستجلب زيادة النعم بعظيم الشكر ، وأكثر من الحسنات الحديثات للسيئات القديمات ، واستبق الحسنات بترك التبعات ، وسارع في الخيرات ، واحذر ما يوجب العقوبات .

وروينا من حديث ابن ودعان ، قال : أخبرنا ابو نصر احمد بن الخليل ، عن علي بن ابي القاسم ، عن عبد الله بن جعفر ، عن محمد بن الحسن العبدي ، عن أبيه ، قال : حدثنا ابو سلمة موسى بن اسماعيل ، عن حمــاد بن سلمة ، عن حميد وثابت جميعاً ، عن انس بن مالك ، قال : قال رسول الله ﷺ : ان من ضعف اليقين ان ترضي الناس بسخط الله ، وان تحمدهم على رزق الله، وان تذمّهم على ما لم يؤتك الله ، ان رزق الله لا يجدّه حرص حريص ، ولا يرده كراهة كاره، وان الله تبارك وتعالى بحكمته جعل الروح والفرح في الرضا واليقين ، وجعل الهمّ والحزن في الشك والسخط ، إنك ان تدع شيئاً تقرّباً الى الله إلا أجزل لك الثواب عليه . فاجعل همّتك وسعيك لآخرة لا ينفــد فيها ثواب المرضي عنه ، ولا ينقطع فيها عقاب المسخوط عليه .

وروينا من حديث الخطابي ، قال : حدثنا ابن داسة ، حدثنا ابو داود ، ثنا عمرو بن مروان ، قال : أخبرنا شعبة ، عن الأشعث بن سليمان ، عن ابي بردة ، عن ثعلبــة بن ضبيعة ، قال : دخلنا على حذيفة قال : اني لا أعرف رجلاً لا تضرّه الفتن شيئاً . قال : فخرجنا فاذا فسطاط مضروب ، فدخلنا فاذا فيه محمد بن مسلمة ، فسألناه عن ذلك فقــال : ما اريد ان أستمل على شيء من أمصارهم حتى تنجلي عما انجلت .

روينا من حديث ابن الخطاب ، قال : حدثنـــا ابن الاعرابي ، عن ابي سعيد ، عن يحيى بن سعيد القطـّان ، عن محمد بن مهران بن مسلم بن المثنى ، قال : أخبرني مسلم ، قال : كنا مع عبد الله بن الزبير ، والحجاج محاصره ، فكان ابن عمر يصلي مع ابن الزبير ، فاذا فاتته الصلاة معه ، وسمع مؤذن الحجاج ، انطلق فصلى معه ، فقيـل له : تصلي مع ابن الزبير ومع الحجاج ؟ قال : اذا دعونا الى الله أجبناهم ، واذا دعونا الى السلطان تركنـاهم . وكان ينهي ابن الزبير عن طلب الخلافة والتعرض لها . اه . المجلس .

خبر الضبّ الذي آمن برسول الله ﷺ :

روينا من حديث ابي نعيم ، عن سليمان بن احمد إملاءً وقراءة ، عن محمد ابن علي بن الوليد السلمي البصري من كتـابه ، عن محمد بن الاعلى الصنعاني ، عن معتمر بن سليمان ، عن كهمس بن الحسن ، عن داود بن ابي هنـــد ، عن عامر الشعبي ، عن عبـد الله بن عمر ، عن ابيـه رضي الله عنه ، قال : ان رسول الله ﷺ كان في محفل من أصحابه ، إذ جـاء اعرابي من بني سُليم قد أصاب ضبّاً ، وجعله في كمه ليذهب به الى رحله ليأكله ، فقـــال : علي مَن هذه الجماعة ؟ فقالوا : على هذا الرجل الذي يزعم انه نبي . فشقّ النـاس ، ثم أقبل على النبي ﷺ ، فقال : يا محمد ، ما اشتملت النساء على ذي لهجة ، أكذب منك، ولا أبغض لك مني، ولولا ان يسمّوني قومي عَجولاً ، لعجلت عليك فقتلتك ، فسَرَرْتُ بقتلك النـاس جميعاً . قال عمر بن الخطاب ، يا رسول الله ، دعني أقتله . فقـــال رسول الله ﷺ : يا عمر ، أما علمتَ أن الحليم كاد ان يكون نبياً ؟ ثم أقبـل على رسول الله ﷺ ، فقـال : واللات والعُزّى لا آمنتُ بك . فقال رسول الله ﷺ : يا اعرابي ، مـا حملك على الذي قلتَ ، وما قلت وقلت غير الحق، ولم تكرم مجلسي ؟ فقال : وتكلمني

ايضـاً ، استخفافاً برسول الله ﷺ ، واللات والعزّى ، لا آمنتُ بك ، او يؤمن بك هذا الضبّ ؛ فأخرج الضب من كمّه وطرحه بين يديْ رسول الله ﷺ ، وقال : إن آمنَ بك هذا الضب آمنت بك . فقال رسول الله ﷺ : يا ضبّ ، تكلمْ بإذن الله ، فتكلم الضب بلسان عربي مبـين ، يفهمه القوم جميعـاً : لبّيك وسعديك يا رسول رب العالمين . فقـال رسول الله ﷺ : يا ضب ، مَن تعبد ؟ قال : الذي في السماء عرشه ، وفي الارض سلطانه ، وفي البحر سبيله ، وفي الجنة رحمته ، وفي النـار عذابه . قال : فمن انا يا ضب ؟ قال : انت رسول رب العالمين ، وخاتم النبيين ، قد أفلح مَن صدّقك ، وقد خاب مَن كذّبك . فقـال الاعرابي : أشهد أن لا إله إلا الله ، وأشهد أنك رسول الله حقاً. والله لقد أتيتك وما على وجه الارض احد أبغض إليّ منك، والله لأنت الساعة أحبُّ إليّ من نفسي ، ومن ولدي ، وقـد آمنتُ بك بشعري ، وبشري ، وداخلي ، وخارجي ، وسرّي ، وعلانيتي . فقـال له النبي ﷺ : الحمد لله الذي هداك الى هـذا الدين الذي يعلو ولا يُعلى عليه ، لا يقبله الله إلا بصلاة ، ولا يقبل الصلاة إلا بقرآن . فعلّمه رسول الله ﷺ الفاتحة والاخلاص . وقال لرسول الله ﷺ : مـا سمعتُ في البسيط ولا في الرجز أحسن من هذا . فقال رسول الله ﷺ : ان هذا كلام رب العالمين ، وليس بشعر ، فاذا قرأتَ : قل هو الله أحد ، فكأنما قرأتَ ثلث القرآن ، واذا قرأتها مرتين ، فكأنما قرأتَ ثلثيْ القرآن ، واذا قرأتها ثلاث مرات ، فكأنما قرأتَ القرآن كله . فقال الاعرابي : نِعْمَ الإله إلهنا ، يقبل اليسير ، ويعطي الجزيل . ثم قـال رسول الله ﷺ : أعطوا الاعرابي ، فأعطوه حتى أبطروه . فقام عبد الرحمن بن عوف ، فقـال : يا رسول الله ، اني أريد ان أعطيه ناقة أتقرّب بها الى الله دون البختي وفوق العرابي، وهي عشراء تلحق

ولا تُلحَق ، أهديتَ إليّ يوم تبوك . فقال له رسول الله ﷺ : قد وصفتَ ما تعطي ، فأصف لك ما يعطيك الله جزاء . قال : نعم . قال : لك ناقة من دُرّة جوفاء ، قوائمها من زبرجد أخضر ، وعنقها من زبرجد أصفر ، عليها هودج وعلى الهودج السندس والاستبرق ، تمرّ بك الى الصراط كالبرق الخاطف .

فخرج الاعرابي من عند رسول الله ﷺ ، فلقيه ألف اعرابي على ألف دابة ، وألف رمح ، وألف سيف ، فقال لهم : أين تريدون ؟ فقالوا : نقاتل هذا الذي يكذب ويزعم انه نبي . فقال الاعرابي : اني أشهد أن لا إله إلا الله ، وأن محمداً رسول الله . فقالوا له : صبَوْتَ . فقال : صبوتُ ، وحدّثهم الحديث . فقالوا بأجمعهم : نشهد أن لا إله إلا الله ، ونشهد أن محمدا رسول الله. فبلغ ذلك النبي ﷺ ، فتلقّاهم بلا رداء، فنزلوا على ركبهم يقبّلون يديه ، وما ولّوا منه إلا وهم يقولون : لا إله إلا الله ، محمد رسول الله . فقالوا : مُرنا بأمر تحبه يا رسول الله . قال : تكونون تحت راية خالد ابن الوليد . قال : فليس أحد من العرب آمن منهم ألف رجل إلا هؤلاء من بني سُليم .

دلالات التائبين :

روينا من حديث ابن مروان ، عن عبد الرحمن بن مرزوق ، عن عبد الله ابن بكر السهميّ ، قال : قال بعض العبّاد : علامة التوبة الخروج من الجهل، والندم على الذنب ، والتجافي عن الشهوات ، واعتقاد مقت نفسك المسئولة ، وإخراج المظلمة ، وإصلاح الكسرة والشهوة ، وترك الكذب ، وقطع الغيبة، والإنتهاء عن اخدان السوء ، والاشتغال بما عليك ، والاستعداد لما تنقلب

اليه ، والبكاء على ما سلف من عمرك ، وترك ما لا يعنيك، والخوف من ساعة تأتيك فيها رسل ربك لقبض روحك ، والتفجّع والحزن من ليلة تبيتُ في قبرك وحدك بين أطباق الثرى الى يوم المعاد .

ومما قيل في الحنين الى الأوطان للشريف الرضيّ :

لا يذكر الرمل إلا حنّ مُغترب ... له بذي الرمل أوطارٌ وأوطان
تهفو الى البان من قلبي نوازعه ... وما بي البان بل من دارهُ البان
أسُدُّ سمعي اذا غنّى الحمامُ به ... أنْ لا يهيجَ سرُّ الوَجْد إعلان
ورُبّ دارٍ أولّيها مجانبَة ... ولي الى الدار أطرابٌ وأشجانُ
اذا تلفت في أطلالها ابتدرت ... للعين والقلب أمواهٌ ونيرانُ

ومن قول الشريف الرضيّ في الاشتياق :

خذي نفسي يا ريحُ من جانب الحمى ... فلاقي بها ليلاً نسيم رُبا نجدِ
فإنّ بذاك الحيّ حيّاً عهدته ... وبالرغم مني أن يطول به عهدي
ولولا تداوي القلب من ألم الهوى ... بذكر تلاقينا قضيت منَ الوجْدِ
ويا صاحبيَّ اليومَ عوجا لتسألا ... ركيباً من الغورين أينقهم تحدي
عن الحيّ بالجرعاء جرعاءَ مالكٍ ... هل ارتبعوا واخضرّ واديهم بعدي
شممتُ بنجد شيمةً حاجريّةً ... فأمطرتها دمعي وأفرشتها خدّي
ذكرتُ بها ريّا الحبيب على النوى ... وهيهات ذا يا بعدُ بينهما عندي
وإني لمجلوبٌ لي الشوق كلما ... تنفس شاكٍ ، أو تألم ذو وجدِ
تعرّض رسل الشوق والركب جاهدٌ ... فأيقظني من بين نوّامهم وحدي
فما شرب العشاق إلا بقيّتي ... ولا وردوا في الحبّ إلا على وردي

قال بعض العارفين : إن كانت الحاجة الى النــاس فالكسب أولى ، ومن لم ير غير الله ، ولم يخطر له الناس ببال ، ففي أي مقــام أقيم فهو ذاك وهو حال عزيز .

قال بعض الحكماء: بذل الحيلة في طلب الحلال . وقلة الحوايج الى الناس أفضل العبادة .

رويناه من حديث ابن مروان عن عباس بن محمــد بن الجمحي ، عن محمــد ابن سلام .

ومن الأمثال في السعي على العيال ما رويناه من حديث المالكي ، عن علي ابن الحسن ، عن أبيه ، قال : قال لي البناجي : قال بعض العبّاد : إن مثل الرجل لولده ولعياله مثل الدخنة الطيبة تحترق ويلتذ بطيب رائحتها آخرون.

ومن أحوال الدنيا ما رويناه من حديث الدينوري، عن احمد بن الحسن، عن سعيد الجرمي ، قال : قال ابن السماك لجعفر بن يحيى : إن الله عز وجل ملأ الدنيا باللذات ، وحشاهــا بالآفات ، فمزج حلالها بالموبقات ، وحرامها بالتبعات .

حكمة علوية :

أحسن الدنيا ، أقبحها عند من يبصرها ، يعني بعين عقله ، وذلك انهــا تشغل عما هو أحسن منها ، يعني الآخرة، واكتساب الخلق الفاضلة . رويناه من حديث احمد بن مروان بن ابراهيم ، عن نصر ، عن محمــد بن سلام ، عن بعض الحكماء .

ومن باب حنين الإبل وسيَرها ، قول ابي منصور بن الفضل المؤدب :

تزاورن من أذرعاتٍ يميناً نواشز ليس يطعن البرينـــا
كلفن بنجد كأن الرياض اخذن لنجد عليهـــا يمينا
وأقسمن يحملن إلا نحيـلا اليـــه ويبلغن الآخرينـا
ولما استمعن زفير المشوق ونوح الحمام تركن الحنينا
اذا جئتما بآنـة الواديين فأرخو النسوع وخلّـوا الوضينا

وقال ايضاً في هذا الباب :

لأي مرمىً تزجر الأيانقا إن جاوزت نجداً فلست عاشقا
وإنما كان بكائي حاديا ركبُ الغرام وزفيري سائقا

ومن هذا الباب لأبي جعفر البياضي :

نوق تراهـــا كالسّفين اذا رأيت الآل بحرا
كتب النحرُ [1] بدمائهـا في مهرق البيـــداء سطرا
فكأن أرجلهن تطلب عنـــد أيديهنّ وترا
يحملن من أهل الهوى شعثاً على الأكوار غبرا
لاح الهجـــير وجوههم فأحال منهـــا البيض سمرا

ولإبن الخفاجي من هذا الباب :

امتيحتُها فضل الأزمة شمّرُ فمع النسيم تحية من عَرعَرِ
يا بانتي اضم ومن دين الهوى بثّ السؤال لكل من لم يخبرِ
أعلمتما قلبي أقـــام مكانه أم سار في طلب الصباح المسفرِ

(١) نسخه الوحي .

وله أيضاً :

دعوهـا نناضل بالأذرع ... فـأين العواصمُ من لعلعِ
وقودوا أزمتها بالحنين ... فلولا الصبابـة لم تلبعِ

وروينا عن الإمـام ابي الفرج ابن الجوزيّ الحافظ كتابة لنفسه في هذا الباب :

وحرمة شعثٍ على كل نضرٍ ... براهنّ من ألم ما براني
اذا ذكرَتها ُحداةُ الهوى ... قطعن البر اقطع وجدي عنانِ
تطاين والشوق يدني مني ... وكل المنى عند ذاك المكانِ
فلما علون فويق الكثيب ... تراءين ذاك الـبريق اليماني

وله ايضاً من قصيدة في هذا الباب :

لا وشعث فارقوا أوطانهم ... يستلينون الطريق الأوعرا
كلما غنّى بهـم حاديهم ... أخذت عيسُهم تغري البُرا
أعسفتْ في سيرها إذ طربَتْ ... أمِنىً ذكّرها والأجفرا
وافقت مَن حملتْ في شوقهمْ ... فتناست بالهوى طول السُّرى

خبر فيميون وعبادته وما جرى له :

روينا من حديث ابن اسحاق ، عن المغيرة بن ابي لبيد مولى الاحنف[١]، عن وهب بن منبّه اليماني انه حدّثهم ، ان موقع دين النصرانية بنجران ، ان رجلاً من بقايا اهل دين عيسى بن مريم عليه السلام ، يقال له فيميون ، وكان صالحاً زاهـداً مجتهداً ورعاً ، مُجاب الدعوة ، سائحاً نائحاً ينزل القرى ، لا

(١) نسخة ٢ : الأخنس أو الأخفش .

يعرف بقرية إلا خرج منها الى قرية ، لا يعرف بهـا . وكان لا يأكل إلا من كسب يده ، وكان بنّاء يعمل الطين، وكان يعظـّم الأحد اذا كان يوم الأحد، لا يعمل فيه شيئاً ، وخرج الى فلاة من الارض فصـّلى فيها حتى يمسي. قال : وكان في قرية من قرى الشام يعمل عمـله ذلك مستخفياً ، ففطن بشأنه رجل من أهلها يقـال له صالح ، فأحبـّه صالح حباً لم يحبه شيئاً كان قبله ، فكان يتبعه حيث ذهب ، ولا يفطن له فيميون ، حتى خرج مرة يوم الاحـد الى فلاة من الارض ، كما كان يصنع ، وقد تبعه صالح ، وفيميون لا يدري به ، فجلس صالح منه منظر العين مستخفياً منه لا يحب ان يعـلم بمكانه . وقام فيميون يصلي ، فبينـا هو يصلي إذ أقبل نحوه التنين : الحيـة ذات الرؤوس السبعة ، فلما رآها فيميون دعا عليها فماتت ؛ ورآها صالح ولم يدرِ ما أصابها فخافها عليه ، فعيل عوله ، فصرخ : يا فيميون ، التنين قد أقبل نحوك ؛ فلم يلتفت اليه ، وأقبل على صلاته حتى فرغ منها وأمسى ، فانصرف وعرف انه قد ُعرِف ، وعرف صالح انه قد رأى مكانه ، فقـال له : يا فيميون ، تعلم والله اني ما أحببت شيئا قط حبك ، وقد أردت صحبتك ، والكينونة معك حيث كنت . قال : مـا شئت امري كما ترى ، فإن علمتَ انك تقوى عليه فنعم ، فلزمه صالح . وقـد كاد اهل القرية يفطنون لشأنه ، وكان اذا فاجاه العبد به الضرّ دعا له فشفي ، واذا دعا لأحد به ضرٌ لم يأته .

وكان لرجل من اهل القرية ابن ضرير ، فسأل عن شأن فيميون ، فقيـل له : انه لا يأتي أحداً دعاه ، ولكنه رجل يعمل للنـاس البنيان بالاجرة . فعمد الرجل الى ابنه ذلك ، فوضعه في حجرته ، وألقى عليه ثوباً ، ثم جاءه فقال : يا فيميون ، اني قد أردت ان أعمل في بيتي عملاً ، فانطلق معي حتى تنظر اليه فأشارطك عليه . فانطلق معه حتى دخل حجرته ، ثم قـال له :

ما تريد ان تعمل في بيتك هـذا ؟ قال : كذا وكذا ، ثم كشط الثوب عن الصبي ، وقال : يا فيميون ، عبدٌ من عباد الله أصابه ما ترى، فادعُ الله له، فدعا له فيميون ، فقام الصبي ليس به بأس، وعرف فيميون انه قد عُرِف . فخرج من القرية ، واتبعـه صالح ، فبينما هو يمشي في بعض أرض الشام ، إذ مرّ بشجرة عظيمة ، فناداه منها رجل ، فقـال : أفيميون ؟ قال : نعم . قال : مـــا زلت أنظر وأقول متى هو جاء ؟ حتى سمعت صوتك ، فعرفت انك هو ، لا تبرح حتى تقوم عليّ ، فاني ميت الآن . قال : فمات وقام عليه حتى واراه .

ثم انصرف وتبعه صالح حتى وطئا بعض أرض العرب ، فعدّوا عليهما ، فاختطفتهما سيارة من بعض العرب ، فخرجوا بهما حتى باعوهمـا بنجران . وأهل نجران يومئذ على دين العرب ، يعبدون نخلة طويلة بين أظهرهم، لها عيد كل سنة، اذا كان ذلك العيد ، علّقوا عليها كل ثوب حسن وجدوه ، وحلّي النساء ، ثم خرجوا اليها ، فعكفوا عليها يوماً . فابتـــاع فيميون رجل من أشرافهم، وابتاع صالحاً آخر. فكان فيميون اذا قام من الليل في بيته يصلي، أسرج له البيت نوراً حتى يصبح من غير مصباح ، فرأى ذلك سيـــده ، فأعجبه ما رأى منه ، فسأله عن دينه فأخبره ، وقال له فيميون : انما انتم في باطل ، ان هـذه النخلة لا تضرّ ولا تنفع ، فلو دعوت عليها إلهي الذي أعبد أهلكها ، وهو الله وحده لا شريك له. فقال له سيده : فافعل، فانك إن فعلت دخلنا في دينك ، وتركنا ما نحن عليه . قال : فقـــام فيميون ، فتطهّر وصلى ركعتين ، ثم دعا الله عز وجل عليها ، فأرسل ريحاً ، فجعفتها من أصلها فألقتها . فاتبعه عنـــد ذلك اهل نجران على دينه ، فحملهم على

الشريعة من دين عيسى بن مريم عليه السلام قوله : فجعفتها قلعتها ، وقوله : عيل عوله ، يقال : عال الأمر اذا أثقل . وعليه قول الفرزدق :

ترى الغرّ الجحاجح من قريش — اذا ما الأمر في الحدثان عالا

فمعنى عيل عوله أي غلب غلبةً ، وقهرت شدته وجلده .

ومن وقـائع بعض اصحاب شيخنا ابي مَدين شعيب بن الحسن رضي الله عنه ما حدثنا به ابو محمد عبدالله بن الاستاذ صاحبنا، وهو من سادات القوم، قال بعض المريدين : رأيت في واقعتي الشيخ أبا مدين ، والشيوخ قد أحدقوا بـه يسألونه عن المعرفة ، فقـال لهم : اذا تلاشت المعرفة بالمعروف صحت المعرفة ، ثم قالوا له : صف لنا سرّك ، فقال لهم : اسمعوا ولنفسي أسمع :

يا سرّ سرّي وجهر جهري — يا نور نوري وحياة أمري
يا قلبَ قلبي وبحر فكري — ومن به الفلك في البحر يجري
فأنت تكسو — وأنت تعْري

قال عبد الله صاحب الواقعة : ثم أصابتني في واقعتي شبه السنَة، فرأيت أبا مدين ، والأشياخ ، كما كانوا ، فقالوا له : زدنا ، فقال لهم : انكم تحسبون أني أغيبه ، ثم سكت ، فإذا جملة من الديكة مجتمعون فتطاول واحد منهم وهو يبكي بحنين وتطويل ، فقال له ابو مدين : قل ، فنطق بلسان فصيح : إنكم تحسبون أني أغيبه ، المطبوع في البيت هو فيـه ؛ فقال له الشيخ : اين هو؟ فقال : هو فيه ، فأخذته حالة وهو يقول : هو فيه ، فبهت الحاضرون وتحيروا .

أنشدنا ابن الاعرابي :

سقى الله حياً بين ضاوة[1] والحمى حمىً فيه صوب المدجنات الواطر
امـين وادّ الله ركباً اليهم بخير ووقاهم صروف المقـادر

ولمهيار الديلمي في الشيب :

أسفتُ لحلم كان لي يوم بارقٍ فأخرجه جهل الصبابة عن بعدي
ومازلت أبكي منذ حلّت بحاجرٍ قوى جلدي حتى تداعى تجلدي
تحرّس بإحقاف اللوا عمر ساعةٍ ولولا مكان الريب قلت له ازددِ
وقل صاحبٌ لي ضلّ بألبان قلبه لعلك أن يلقاكَ هادٍ فيهتدي
فسلّم على ماءٍ بـــه برد غلتي وظل أراك كان للوصل موعدي
وقل لحمـــام البانتين مهنئاً تغني خليّاً من غرامٍ وغرّدِ
فيا أهل نجد كيف بالغور بعدكم بقـــاء تهاميّ يهيم بمنجـدِ
ملكتم عزيزاً رقه فتعطّفوا على منكر لـلذل لم يتعودِ

وله أيضاً من هذا الباب :

يا ليلتي بحـاجرٍ إن عاد ماضٍ فارجعي
أرضى بأخبار الريا ح والـبروق اللمعِ
وأين من برق الحمى شائمـــةٌ بلعلعِ

وله ايضاً من هذا الباب :

أودع فؤادي حرقاً أودع ذاتك تؤذي أنت في أضلعي
وارم سهام الطرف ، او كفها انتَ بما ترمي مصابٌ معي
موقعها القلب وأنت الذي مسكنه بذاكَ الموضعِ

---

(١) نسخة ٢ : ضارة .

ومن ثمرات المحبة عند أهلها ما حدثني بـه عبد الرحمن ، عن ابي بكر ، عن الجيري، عن ابن باكويه ، عن ابراهيم بن محمد المالكي، عن يوسف بن احمد البغدادي ، عن ابن ابي الحواري ، قال : حججت أنا وأبو سليمان الداراني . فبينا نحن نسير إذ سقطت السطيحة مـني ، وكان بردٌ عظيم ، فأخبرت أبا سليمان ، فقال : سلم وصلّ على محمد ، وقل، يا رادّ الضالة ، ويا هادياً من الضلالة ، ردّ الضالة ، فإذا بواحد ينادي : من ذهبت له سطيحة ، فأخذتها منه ، فقال لي ابو سليمان : لا تتركنا بلا مـاء . فبينا نحن نسير اذا برجل عليه طمران، أي ثوبان خلقان رثان، ونحن قد تدرعنا بالفراء من شدة البرد، وهو يرشح عرقاً ، فقال له ابو سليمان : ألا نؤثرك ببعض ما معنا ؟ فقـال الرجل : يا داراني الحر والبرد ، خلقان لله عز وجل ، إن أمرهما أن يغشياني أصاباني، وإن أمرهما ، أن يتركاني تركاني ، يا داراني ، تصف الزهد، وتخاف من البرد ، أنا شيخٌ أسيح في هذه البرّية منذ ثلاثين سنة ما انتقضتُ ولا ارتعدتُ . يلبسني في البرد فيحـاً من محبته ، ويلبسني في الصيف برد محبته . ثم ولّى، وهو يقول: يا داراني، تبكي وتصيح وتستريح على الترويح. فكان ابو سليمان يقول : لم يعرفني غيره .

قلت : كنت أطلب بيت المقدس ، فدخل عليّ شاب كالعود ، عليه أثر السياحة ، وأنا بمسجد بظاهر بيسان ، وكان صاحبي عبد الرحمن بن عـلي اللواتي يعمل لي شغلاً بين يديّ ، فدنا منا، وأخذ السكين من يد عبدالرحمن، فأصلح به نعلاً كان له ، ثم قال لي : تكون فقيراً وتمشي بعدة ، فقلت له : يا فقير ، تراك قد احتجت اليها ، فلو كانت ، ما يضرك ؟ فقال لي : لمـا احتجت وجدتك ، فأصلحت شأني ، وأراحني الله من حملهـا ، فكن مثلي واتركها ، فإذا احتجت اليها وجدت حاجتك عند مثلك ، وتكون بينهـا

سالم الحال مع الله . ثم خرج مسرعاً ، فطلبته فلم أره حتى الآن . سبحانك اللهم وبحمدك، لا إله إلا أنت وحدك لا شريك لك، استغفرك وأتوب اليك.

موعظة الفضيل بن عياض لأمير المؤمنين هارون الرشيد بمكة زادهـــا الله شرفاً :

رويـنـــا من حديث ابي نعيم ، عن سليمان بن احمد ، عن محمد بن زكريا العلائي ، عن ابي عمر النحوي ، عن الفضل بن الربيع ، قـال : حج هارون الرشيد، فأتاني، فخرجت مسرعاً ، فقلت : يا امير المؤمنين ، لو أرسلت إليّ لأتيتك ، فقال : ويحك قـد حاك في نفسي شيء ، فانظر لي رجلا أسأله . فقلت : ها هنا سفيان بن عيينة . قال : إمض بنـا اليه ، فأتيناه ، فقرعت الباب ، فقال : مَن ذا ؟ فقلت : أجب أمير المؤمنين ، فخرج مسرعـاً ، فقال : يا أمير المؤمنين ، لو أرسلت إليّ لأتيتك ، فقال له : خذ لمـا جئناك له رحمك الله ، فحدثه ساعة ، ثم قال : عليك دين ؟ قال : نعم ، قـال : إقض دينه . فلما خرجنا قال : ما أغنى عني صاحبك شيئاً ، انظر لي رجلا أسأله . فقلت له : هاهنا عبد الرزاق ، فذكر مثل ما جرى له مع سفيان. وقال : ما أغنى عني صاحبك شيئاً ، انظر لي رجلا أسأله . فقلت : هاهنا الفضيل بن عياض ، قـال : إمض بنا اليه ، فإذا هو قائم يصلي يتلو آية من القرآن يرددها ، قال : إقرع الباب ، فقرعت ، فقال : مَن ؟ قلت : أجب أمير المؤمنين ، قال : وما لي ولأمير المؤمنين ؟ فقلت : سبحان الله ، أمـا عليك طاعته ؟ فنزل ففتح الباب ، ثم ارتقى الى الغرفة ، ثم أطفأ السراج ، ثم التجأ الى زاوية من زوايا البيت ، فدخلنا فجعلنا نجول عليه بأيدينـــا ، فسبقت كف هارون الرشيد قبلي اليه ، فقال : يا لها من كف ما ألينها، إن نجت غداً من عذاب الله عز وجل . فقلت في نفسي : ليكلمنا الليلة كلاماً من

قلب نقي ، فقال له : خذ لمـــا جئناك له رحمك الله ، فقال له : ان عمر ابن عبد العزيز لما وّلي الخلافة دعى سالم بن عبد الله،ومحمد بن كعب القرظيّ، ورجاء بن حيوة ، فقال لهم : اني قد ابتليت بهذا البلاء ، فأشيروا عـلّي ، فعَدّ الخلافة بلاء ، وعددتها أنت وأصحابك نعمة . فقال له سالم بن عبدالله: إن أردت النجاة من عذاب الله فصُم عن الدنيا، وليكن إفطارك منها الموت.

وقـــال محمد بن كعبان : إن أردت النجاة من عذاب الله فليكن كبير المؤمنين عندك أباً، وأوسطهم عندك أخاً، وأصغرهم عندك ولداً، فوقر أباك، واكرم أخاك ، وتحنن على ولدك .

وقال رجـاء بن حيوة : إن أردت النجاة من عذاب الله فأحب للمسلمين ما تحب لنفسك ، واكره لهم ما تكره لنفسك ، ثم مت إن شئت . فـإني اقول لك : يا هارون الرشيد ، إني اخاف عليك أشد الخوف يوم تزلّ فيـه الأقدام، فهل معك رحمك الله من يشير عليك بمثل هذا ؟ فبكى هارون بكاء شديداً حتى غشي عليه ، فقلت له : أرفق بأمير المؤمنين ، فقال : تقتله أنت وأصحابك ، وأرفق به أنا ، ثم أفاق فقال له : زدني رحمك الله ، فقـال : يا امير المؤمنين ، بلغني أن عاملاً لعمر بن عبد العزيز شكى اليـه ، فكتب اليه : يا أخي اذكـّرك طول سهر اهل النار في النار مع خلود الأبد ، وإياك أن ينصرف بك من عند الله عز وجل،فيكون آخر العهد وانقطاع الرجاء . فلما قرأ الكتاب طوى البلاد حتى قدم على عمر بن عبد العزيز فقال له : مـا أقدمك ؟ قـال : خلعت قلبي بكتابك ، لا أعود الى ولاية حتى ألقى الله ، قال : فبكى هارون بكاء شديداً ، ثم قال : زدني رحمك الله ، فقـــال : يا امير المؤمنين ، إن العباس عم المصطفى ﷺ ، جاء الى النبي ﷺ فقال : يا رسول الله ، أمّرني على إمارة ، فقال له : إن الإمارة حسرة وندامة يوم

القيامة ، فإن استطعت أن لا تكون اميراً فافعل ، فبكى هارون ، وقال : زدني رحمك الله ، قال : يا حسن الوجه ، أنت الذي يسألك الله تعالى عن هذا الخلق يوم القيامة ، فإن استطعت أن تقي هذا الوجه من النار فافعل ، وإياك أن تصبح او تمسي وفي قلبك غش لأحد من رعيتك ، فإن النبي ﷺ قال : من أصبح عنده غش لم يرح رائحة الجنة ، فبكى هارون ، وقال له: عليك دين ؟ قال : نعم ، لربي ، لم يحاسبني عليه ، والويل لي إن سألني ، والويل لي إن ناقشني ، والويل لي إن لم إلهم حجتي ، قال : إنما أعني من دين العباد ، قال : إن ربي لم يأمرني بهذا ، وقد قال الله عز وجل : إن الله هو الرازق ، فقال له : هذه الف دينار ، خذها وانفقها على عيالك ، وتقوّى بها على عبادتك ، فقال : سبحان الله ، أنا أدلك على طريق النجاة ، وأنت تكافئني بمثل هذا ، سلّمك الله ووفقك . ثم صمت فلم يكلمنا ، فخرجنا من عنده ، فلما صرنا على الباب قال لي هارون : إذ أدللتني على رجل فدلّني على مثل هذا ، هذا سيد المسلمين . فدخلت عليه امرأة من نسائه ، فقالت : يا هذا ما ترى ما نحن فيه من ضيق الحال ؟ فلو قبلت هذا المال لفرّجت به عنا ، فقال لها : مثلي ومثلكم كمثل قوم كان لهم بعير يأكلون من كسبه ، فلما كبر نحروه ، فأكلوا لحمه . فلما سمع هارون هذا الكلام قال : ندخل فعسى أن يأخذ المال ، فلما علم الفضيل بنا خرج فجلس في السطح على باب الغرفة ، فجاء هارون فجلس الى جانبه ، فجعل يكلمه ولا يجيبه . فبينا نحن كذلك إذ خرجت جارية سوداء ، فقالت : يا هذا قد آذيت الشيخ هذه الليلة فانصرف رحمك الله .

وروينا من حديث ابن ودعان ، عن ظاهر بن محمد بن يوسف بن علي ابن وسيم ، عن جعفر بن ابراهيم ، عن عبد الكريم بن الهيثم ، عن ابي اليمان ،

عن شعيب ، عن ابي زياد ، عن عبد الرحمن الأعرج ، عن ابي هريرة ، قال: قال رسول الله ﷺ : إنما يوقى الناس من احدى ثلاث : إمـا من شبهة في الدين ارتكبوها ، او شهوة لذة آثروها ، او غضبة لحمية أعملوها ، فـإذا لاحت لكم شبهة فاجلوها باليقين ، وإذا عرضت لكم شهوة فاقمعوها بالزهد ، واذا عرضت لكم غضبة فادرؤها بالعفو ، إنه ينادي مناد يوم القيـامة : من له أجرٌ على الله فليقم ، فيقومون العافون عن الناس ، ألم تر الى قوله تعالى: فمن عفا وأصلح فأجره على الله .

ومن سماعنا على قول الرضيّ بالنفس :

أما علم الغادون والقلب خلفهم   بضمّ زفير يصدع القلب ضمّه
بأن وميض البرق ما لا أشيمه   وإن نسيم الروض مـا لا أشمّه

ومن سماعنا على قوله ايضاً بالنفس :

ولما أبى الإظعان إلا فراقنا   وللبين وعدٌ ليس فيه كذابُ
رجعت ودمعي جازعٌ من تجلدي   يروم نزولاً للجوى فيهـابُ
وأثقل محمول على العين ماؤها   اذا بان أحبابٌ وعزّ إياب

وعلى قوله في التوديع ايضاً بالنفس :

وإني اذا اصطكت ركاب مطيّكم   وثوّر حـادٍ بالرفاق عجولُك
أخالف بين الراحتين على الحشى   وأنظر إني ملتمٍ فـأميل

ومن وقائع بعض الفقراء ، ما حدثنا به ابو محمـد عبد الله بن الاستاذ المروزيّ بإشبيلية، قال : قال لي بعض الصالحين: رأيت في الواقعة أبا مدين، وأبا حامد ، وأبا طالب ، وأبا يزيد ، وخلقاً كثيراً من الصوفية ، فقـال

أبو يزيد لأبي مدين: زدنا من كلامك في التوحيد، فقال : التوحيد هو الحق ، ومنوّر القلب ، ومحرّك الظواهر ، وعلام الغيوب ، نظر العارفون فتاهوا إذ لم يعمّر قلوبهم إلا هو، فهم به والهون، قلوبهم تسرح في رضاه في الحضرة العليّة ، وأسرارهم ممـــا سواه فارغة خليّة ، جالت اسرارهم في الملكوت فلاحظوا عظمته ، وتجلى لقلوبهم فأنطقهم حكمته ، فهو للعارف ضياء ونور ، وقد أشغله به عن الجنة والقصور، آنسه به فهو جليسه ، وأفناه عنه فتلاشى كثيفه ، فامتزج المعني بالمعنى ، فكان هو . ذهبت الرسوم ، وفنيت العلوم ، ولم يبق إذ ذاك إلا الحي القيوم ، وهو معنى المعاني ، والحي الباقي ، وكشف سرّ العارف مـــاذا يلاقي من البر والإحسان ، ولذة النظر ، وغيبته عن الأغيار وعن جملة البشر ، تنزّه عن تنزيهه فنزّهه به ، وفني عن الاكوان بمشاهدة ربه ، فعـدا عن الاسماء ، وسما عن الصفات ، واضمحلت كليته في مشاهدة الذات .

هذه علوم، وهذه أسرار يكاشف بها من هو لها مختار، فينبتها في الوجود، فيظهر مـــا عنده ويحيي بها القلوب ، وينجز له وعده ، فيرويها الحق بالماء الصافي ، ويعالج علـّتها بالعلم الشافي، فيبري بها من الاسقام، ومن جملة العلل، ويصلحها ويعلـّمها من الاسرار ما لم تكن تعلم؛ فعلم العارف موصول المعرفة، فيظهر له الحق فيألف لمألوفه . فاستمع لهـذه العلوم ، واصغِ اليها بقلبك ، فكلٌ مَن عليها فانٍ ويبقى وجه ربك ذو الجلال والإكرام .

ومن باب البلاغة :

يحكى عن يحيى بن خالد ، أنه وصف الفضل بن سهل وهو غلام على دين المجوسية للرشيد ، وذكر أدبه وحسن معرفته ، فعمل على ضمّه الى المأمون ،

فقال ليحيى يوماً : أدخِل إليّ هذا الغلام المجوسي حتى أنظر اليه . فأوصله، فلمـــا مثل بين يديه ووقف ، تحيّر ، فأراد الكلام فارتجّ عليه ، فأدركته كبوة . فنظر الرشيد الى يحيى نظرة منكرة ، لما كان يقدّم من إفراط ثنائه عليه ، فانبعث الفضل بن سهل ، فقال : يا امير المؤمنين ، ان من أبين الدلالة على فراهة المملوك شدّة إفراط هيبته لسيده ، فقــال له الرشيد : أحسنت ، والله إن كان سكوتك لتقول هذا ، إنه لحسن ، وإن كان شيء أدركك عند انقطاعك ، انه لأحسن ، او حسن . ثم جعل لا يسأله عن شيء إلا رآه فيه فقدّماً ، فضمّه الى المأمون .

حدثني ابو عبد الله بن عبد الجليل ، قال : مرّ الحجاج بن يوسف بشخص من عماله كان قد صلبه ، فوجد عند خشبته صبياً صغيراً ، فاستنطقه الحجاج فقال له : يا صبي ، ما تقول في هذا الراكب ؟ فقال : ايها الامير ، هو زرع نعمتك ، وحصيد نقمتك . فسأل عن الغـلام ، فوجده ابن ذلك المصلوب ، فقرّبه وأقعده مقعد أبيه .

وحدثنا ايضاً : عن الاصمعي ، قال : لقيت بالبادية صبياً لم يدرك الحلم ، فاستنطقته فوجدته بليغاً فصيحاً ، فاستخبرته هل عنـــده شيء من عَرَض الدنيا ، فقال : يا عم، والله ما أملك اليوم درهماً واحداً . قال : فقلت له: تودّ ان تكون لك مائة الف وتكون أحمق ؟ فقـــال له : لا والله يا عم . قلت : ولِمَ ؟ قــال : أخاف ان يجني عليّ حمقي جنــاية تذهب بمالي ، ويبقى عليّ حمقي .

وحدثنا ايضاً من هذا الباب ، قال : كان الرشيد يميل لعبـد الله المأمون اكثر من ميله الى محمـــد الامين ، فقالت زبيدة ، وهي امّ الامين : يا امير المؤمنين ، انك تميل الى المأمون اكثر من ميلك الى ولدي الامين . فقال لها :

مـا انا حيث ظننتِ ، ولكني تفرّست في النجابة اكثر من الامين . قالت : فأحِبُّ من امير المؤمنين ، ان يختبرهما بحضرتي .

قال : فبعث خلف الامين اولاً ، فقال له : يا محمد ، إني جلست هـــذا المقام ، وآليت على نفسي لا يسألني منكم احد شيئاً إلا أعطيته مـا سأل : فقـال : أسألك كلب بني فلان ، وبازي بني فلان ، فكلبٌ مشهور ، وبازي مشهور. فقال له : لك ذلك ، ثم انصرف. فاستدعى المأمون ، فوقف بباب الستر ، فأذن له ، فدخل وسلّم ، فقـال له : أُدنُ فدنا ، وخدم ووقف ، فما زال يقول : ادنُ وهو يدنو ويخدم ، الى ان وقف بين يديه، فأمره بزيادة الدنوّ ، فقال له : يا امير المؤمنين ، هـذا مقام العبد من مولاه . فقال : يا بنيّ ، إني جلست هذا المقام، وآليت على نفسي لا يسألني احد منكم على شيء إلا أعطيته ما سأل . قال : فأطرق واغرورقت عيناه بالدموع ، وقال له : يا امير المؤمنين ، أسألك في الخلافة بعدك ، وأرجو الله ان لا يذيقني فقدك . فقال : انصرف .

وحدثنـا ايضاً ، قال : مرّ عمر بن الخطاب رضي الله عنه بغلمان يلعبون وفيهم عبد الله بن الزبير ، ففرّ الصبيان خوفاً من عمر إلا عبد الله بن الزبير. فقـال له عمر : يا عبد الله ، لِمَ لم تفرّ كما فرّ اصحابك ؟ فقـــال : يا امير المؤمنين، لم أكن على ريبة فأخافك، ولم أكن في الطريق الضيّق فأوسّع لك.

موعظة :

حدّثنا صاحبنا ايضاً ابو عبد الله بن عبد الجليل بمكة قـال : يُحكى أن ملكاً من ملوك اليونانيين انتبه من منامه في بعض الغدوات فاتته قيّمة ملبسه بثيابه فلبسها ، وناولته المرآة فرأى شيبة في لحيته فقال : المقراض يا جارية

فأتته به ، فقصّ الشيبة وناولها إياها ، فتناولتها ووضعتها في كفها وأصغت اليها بأذنها ساعة والملك ينظر اليها، فقال لها: ما الذي تصغين اليه يا جارية ؟ قالت : أستمع الى ما تقول هـذه الشعرة التي عظم مصابها بمفارقة الكرامة العظمى حين سخطها الملك وأقصاها . فقال لها : فما الذي سمعت من قولها ؟ قالت: زعم قلبي أنه سمعها تقول كلاماً لا يجتري لساني على النطق به لاتقائي سطوة الملك . فقال لها : قولي على حال آمنةٍ وعدم توقّ مـا لزمت أسلوب الحكمة . قالت : إنها تقول : أيها الملك المسلّط على أمرٍ قصير ، اني ظننت بك البطش والاعتداء عليّ ، فلم اظهر على سطح جسدك حتى بضت وحضنت بيضي ، فأفرخت وأعهدت لبنـــاتي بالأخذ بثأري عهداً اذ كأنهنّ خرجن فجعلن للأخذ بثأري باستئصالك او تنغيص لذتك وتنحيف قوّتك حتى تعدّ الهلك راحة . فقال : اكتبي كلامك هذا ، فكتبته في صحيفة فناولته إياها. فتأملها مراراً ، ثم قام ودخل بيت النسّاك ولبس زيّ النسك ، وترك الملك حتى لحق بربه .

وأنشدني في هذا المعنى صاحبنا علي بن محمد القفصيّ :

ونادرة بالشيب حلّت بعارضي فبادرتها بالنتف خوفاً من الحتفِ
فقالت على ضعفي استطلت ووحدتي رويدك للجيش الذي جاء من خلفي

ومن هذا الباب ما حدثنا ايضاً به صاحبنا ابو عبدالله قال: دخلت حرقة بنت ابي قابوس النعمان بن المنذر بن مـــاء السماء على سعد بن ابي وقاص وهو بالقادسية اذ ذاك مع جمـلة من جواريها وعليهن المسوح السود والصلبان صلت البنود، فسلمن عليه ، فلم يُميز حرقة من بين جواريها لمشاركتها إياهن في الزيّ وكنّ رواهب ، فقال سعد : أفيكنّ حرقة ؟ فقالت : هـا أناذه ، فقال : انت حرقة ، فقالت : فما تكرارك استفهامي ، اعلم ايها الامير أن الدنيا

دار قلعة وزوال ، فما تدوم على حال ، تنتقل بأهلها انتقال ، وتعقبهم حالاً بعد حال ، وإنا كنا ملوك هذه الارض ، يُجبى الينـــا خراجها ، ويطيعنا أهلها ، فدنى مدى المدة ، وزوال الدولة ، فلما أدبر الامر ، وصاح بنـــا صائح الدهر ، فصدع عصانا ، وشتت ملانا ، وكذا الدهر يا سعد ، إنه ليس من قوم أتحفهم بفرحة إلا أعقبهم بقرحة ، وأنشدت :

بينا نسوسُ الناسَ والامرُ أمرُنا   اذا نحنُ فيهمْ سوقة نتنصّفُ
فـأفّ لدنيا لا يدوم نعيمَها   تقلّب تارات بنـا وتصرّفُ

قـال : فبينا هي تخاطب سعداً رضي الله عنـه اذ دخل عمرو بن معدي كرب، فقال : انت حرقة التي كانت تفرش لك الارض من قصرك الى بيعتك بالديباج المبطن بالوشي ؟ قالت : نعم ، قال لهـا : ما الذي دهمك ، وأذهب محمود شيمك، وغوّر ينابيع نعمك ، وقطع سطوات نقمك ؟ قالت : يا عمرو ان للدهر عثرات تلحق السيد من الملوك بالعبد المملوك ، وتخفض ذا الرفعة ، وتذلّ ذا النعمة . وان هذا امر كنا ننتظره ، فلما حل بنا لم ننكره، فسألها سعد : فيما ذا قصدت له ؟ فاستوصلته، فوصلها وقضى حوائجها،فلما انفصلت عنه سئلت ماذا لقيتِ منه ؟ فأنشدت تقول :

صان لي ذمّتي وأكرم وجهي   إنمـــا يكرم الكريمَ الكريمُ

وحدثنا ايضاً قال : قال الاصمعيّ : بينا أطوف بالبيت اذ بجارية متعلقة بأستار الكعبة وهي تنشد وتقول :

يا ربّ إنك ذو أمن ومغفرةٍ   دارِكْ بعفوكَ أرواحَ المحبّينا
الذاكرين الهوى ليلا اذا هجعوا   والنـائمين على الأيدي مكبّينا
يا ربّ كن لهمُ عوناً اذا ظُلِموا   واعطفْ بقلب الذي يهوون آمينا

قال : فقلت : يا جارية ، أفي هذا المقـــام ، وحول هذا البيت الحرام تذكرين الهوى؟ قالت : أوتعرف الهوى ؟ قلت : وأنتِ تعرفينه ؟ قالت : بليت به صغيرة ، وأحطت به خبراً كبيرة . قلت : صفيه لي . قالت: جلّ أن يخفى ، ودق أن يرى ، فهو كامن ككمون النـار في الحجر ، إن قدحته أورى ، وإن تركته توارى . قـــال الأصمعي : فما سمعت من وصفه بمثل ما وصفته .

وحدثنا محمـد بن سعيد رحمه الله ، قال : قال وهب بن ناجية الرصافي : كنت أحد من وقعت عليه التهمة في مال مصر أيام الواثق ، فطلبني السلطان طلباً شديداً حتى ضاقت عليّ الرصافة وغيرها ، فخرجت الى البـادية مرتاداً رجلاً عزيز الدار، منيع الجـار ، أعوذ به ، وأنزل عليه ، فبينما أنا أسير إذ رأيت خياماً ، فعدلت اليهـا ، فملت الى بيت منها مضروب وبفنائه رمح مركوز، وفرس مربوط، فدنوت فسلمت ، فردّ عليّ نساء من وراء السجف ، وقالت لي إحداهن : اطمئن يا حضريّ فنعم منـــاخ الضيفان بواك القدر ومهدك السفر. قلت: وأنى يطمئن المطلوب، او يأمن المرغوب، من دون أن يأوي الى جبل يعصمه ، او مأمن ، او مفزع يمنعه ، وقليلا مـــا يهجع من السلطان طالبه والخوف غالبه . قالت : لقد ترجم لسانك عن ذنب عظيم ، وقلب صغير، وإيم الله لقد حللت بفناء رجل لا يضام بفنائه أحد، ولا يجوع بساحته كبد ، هـــذا الاسود بن قنان ، أخواله كعب ، وأعمامه شيبان ، صعلوك الحي في ماله ، وسيدهم في حاله ، وسندهم في فعاله ، صدوق الجوار ، وقود النار ، وبهذا وصفته إمامة بنت خزرج حيث تقول :

اذا شئتَ أن تلقى فتىً لو وزنته   بكل معَديّ وكل يمـــاني
وفا بها فضلا وجوداً وسؤدداً   وربّاً فذاك الاسود بن قنان
فتىّ لا يرى في ساحة الأرض مثله   ليوم ضرابٍ او ليوم طعان

قال : فقلت : يا جارية وأنى لي بـه ؟ فقالت : يا خادم ، مولاك ، فلم تلبث ان جاءت وهو معها في جماعة من قومه ، وقال : أي المنعمين علينا أنت ؟ فسبقتني المرأة وقالت : يا أبا المرهف ، هذا رجل بنت به أوطانه ، وأزعجه زمانه ، وأوحشه سلطانه ، وقد ضمنّا له ما يضمن لمثله على مثلك. قال : بل الله قاك ، أشهدكم يا بني عمي ، أن هـذا الرجل في جواري وفي ذمتي ، فمن آذاه فقد آذاني، ومن كاده فقد كادني ، وأمر ببيت فضرب الى جانبه . وقال : هـذا بيتك وأنا جارك وهؤلاء رجالك . فلم أزل بينهم في خفض عيش حتى سرت عنهم .

أنشدني يونس بن يحيى ، قـال : أنشدني ابو الفتوح محمد بن محمد بن علي ابن محمد الطائي ، قال : أنشدني ابو حفص عمر بن محمد الشيرازي ، قـال : أنشدني القاضي ابو علي الحسن بن علي بن محمد الوحشي ، قال : أنشدنا الفضل ابن احمد الحصيني لبعضهم :

أتلعبُ بالدعـاء وتزدريهِ   وما يدريك ما فعل الدُّعاءُ
سهام الليل لا تخطي ولكن   لها أمدٌ وللأمـد انقضاءُ

وحدثني يونس بن يحيى ، قال : أنبأنا محمد بن محمد ، قال : انا ابو بكر محمد بن منصور السمعاني ، قـال : أخبرنا ابو منصور احمد بن الحسين بن علي العموري ، حدثنا ابو سعيد عبد الرحمن بن حمدان البصري ، انا بشر بن احمد المهرجاني ، انا ابو جعفر احمـد بن الحسن الحذّا ، انا بعض اصحابنا ، عن عبد الأعلى بن حماد البُوسيّ ، قال : دخلت على المتوكل فقال : يا ابا يحيى قد هممنا أن نصلك بخير فقد أفـعَـتِ الأيام، فقلت : يا امير المؤمنين سمعت مسلم ابن خالد المكي ، يقول : من لم يشكر الهمة لم يشكر النعمة ، ثم قلت : أفلا أنشدك بيتين قالهما بعض الشعراء ؟ قال : ما هما ؟ فأنشدته :

لأشكرنك معروفاً هممت به   إن اهتمامك بالمعروف معروف
ولا ألومك إن لم يمضه قدرٌ   فالشيء بالقدر المحتوم مصروف

قال : فاستحسنهما وكتبهما بيده من إعجابه لهما ، وأمر لي بجائزة .

روينا من حديث الهاشمي بسنده الى ابن عباس رضي الله عنه ، قال : قال رسول الله ﷺ : أكثر واذكر هازم اللذات ، فإنكم إن ذكرتموه في ضيق وسعه عليكم فرضيتم بـه فأجرتم ، وإن ذكرتموه في غنىً بغّضه اليكم فجدتم به فأثبتم ان ذكر الموت قاطع الآمال ، والليالي مدنيات الآجال ، وإن المرء بين يومين : يوم قد مضى احصى فيه عمله فختم عليه ، ويوم قد بقي لا يدرى لعله لا يصل اليه ، وان العبد عند خروج نفسه ، وحلول رمسه ، يرى جزاء ما أسلف ، وقلة غناء ما أخلف ؛ ولعله من باطل جمعه ، ومن حق منعه .

لما قرأنا هذا الحديث على شيخنا الإمام اللغوي الاديب ابي ذرّ مصعب بن محمد بن مسعود الخشني ، ثم الحياني ، قال لنا : هاذم اللذات بالمعجمة ، وقال : معناه قاطع ، هكذا رواه لنا .

موعظة بعض الصالحين لعبد الملك :

روينا من حديث ابن مروان ، عن ابراهيم الحربي ، عن الرياشي ، عن الاصمعي ، قال : خطب عبد الملك بن مروان بمكة ، لما حجّ يوماً ، فلما صار الى موضع العظة ، قام اليه رجل فقال : مهلاً ، انكم تأمرون ولا تؤمرون ، وتنهوْن ولا تنهوْن ، أفنقتدي بسيرتكم في انفسكم ، أم نطيع أمركم بألسنتكم ؟ فإن قلتم اقتدوا بسيرتنا ، فأين وكيف وما الحجة ؟ وكيف الاقتداء بسيرة

الظلمـــة ؟ وإن قلتم أطيعوا أمرنا واقبلوا نصحنا ، فكيف ينصح غيره مَن يغشّ نفسه ؟ وإن قلتم خـذوا الحكمة من حيث وجدتموها ، فعلامً قلـّدناكم ازمّة امورنا ؟ أما علمتم أن فينا مَن هو أفصح منكم بفنون العِظات،وأعرَف بوجوه اللغـــات ؟ فتلجلجوا عنها ، وإلا فأطلقوا عقـالها يبتدر اليها الذين شردتموهم في البلدان . ان لكل قائم يوماً لا يعدوه ، وكتاباً بعـده يتلوه ، لا يغـــادر صغيرة ولا كبيرة إلا أحصاها ، وسيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون .

روينا من حديث ابن الخطاب ، قال : قال محمد بن احمد بن عمر الزيبقي ، ثنا محمد بن سليان الفرار ، عن ابي بكر الحنفي ، عن بكر بن مسمار ، قال : سمعت عامر بن سعد بن ابي وقـّاص ، قال : كان سعد بن ابي وقاص في إبل وغنم ، فأتاه ابنه عمر ، فلما رآه قال : أعوذ بالله من شر هذا الراكب . فلما انتهى اليه قال: يا أبتِ أرضيتَ ان تكون اعرابياً في إبلك وغنمك،والناس يتنازعون الملك ؟ قال: فضرب سعدٌ صدرَ عمرَ بيده وقال : اسكت يا بني، فإني سمعت رسول الله ﷺ يقول : ان الله يحب العبد التقي الغني الخفي .

وحدثنـا بعض شيوخنا من أهل الادب والتاريخ ، رحمه الله ، في بعض مجالسه، وكان حسن المناظرة، قال : لما كان من أمر عبد الرحمن بن الاشعث الكندي مـا كان ، قال الحجاج : اطلبوا لي شهاب بن خرقة السعدي ، في الأسرى او في القتلى ، فطلبوه فوجدوه في الأسرى. فلما دخل على الحجاج ، قال له: مَن انت ؟ قال : انا شهاب بن حرقة. قال : والله لأقتلنك . قال : لم يكن الامير بالذي يقتلني . قـال : ولِمَ ويلك ؟ قـال : لأن فيّ خصالاً لا يرغب فيهنّ إلا امير . قال : ومـا هنّ ؟ قال : ضروب بالصحفة ، هزوم للكتيبة ، أحمي الجار ، وأذبُّ عن الدمار ، وأجود في العسر واليسر ، غير

بطيء عن النصر . قال الحجاج : ما أحسن هـــذه الخصال . فأخبرني بأشد شيء مرّ عليك . قال : نعم ، أصلح الله الامير .

شعر :

بينـــا أنا أسيرُ ومركبي يسيرُ
في عصبة من قومي في ليلتي ويومي

يمضون كالأجادل في الحرب كالبواسل
أنا المطاع فيهمُ في كل مـا يليهم

فسرت خمساً عوْما وبعـد خمس يومـا
حتى وردت أرضا ما قد ترام عرضا

من بـــلد البحرين عنـد طلوع العـين
فجئتهم نهـارا ألتمس المغـارا

حتى اذا كان السحَر من بعد ما غاب القمر
اذا انا بعِير بقوهـا حقير

موفورة متـاعا مقبـــلة سراعا
فصُلْتُ بالسِّنان مع سادة فتيـان

فسُقتها جميعـا أحثها سريعا
اريد رمل عـالج أنعج بالعنـاعج

أسيرُ في الليـــالي خرقاً بعيـداً خالي
وقد لقينـا تعبـا وبعـد ذاك نصَبا

حتى اذا هبطنـــا من بعــد ما علوْنا
عنتْ لنــا سدانه قد كان فيها عانه

فرمَتْتُها بقوسي في مهمَهٍ كالترسِ
حتى اذا مــا أمعنت في القفر ثم درمت

وردت قصراً منهلا في جوفه طام خلا
وعنـــده خيبمة في جوفهـا نعيْمة

غريرة كالشمسِ فاقت جميع الإنسِ
نعجتُ مهري عنـــدها حتى وقفت معها

حيّيتُ ثم ردّتْ في لطفٍ وحيّتْ
فقلتُ يا لعوب والطفـلة العروب

هل عنــدكم قراء إذ نحن بالعراء
قالت نعم برُحب في اطف وقرب

اربـع هنـــا عتيدا ولا تكن بعيـــدا
حتى يجيك عــامر مثل الهلال الزاهر

فعجتُ عن قريب في باطن الكثيب
حتى رأيت عــامرا يحمـل ليثاً حادرا

على عتيق سابحِ كمثل طرف اللامحِ

قال : وكان الحجاج متكئاً فاستوى جالساً ، ثم قال : ويحك دعني من السجع والرجز وخذ في الحديث، قال : نعم ايها الامير، ثم نزل فربط فرسه

وجمع حجارة ، وأوقد عليها ناراً ، وشقّ عن بطن الاسد ، وألقى مراقه في النار، وجعلتُ اصلح الله الامير اسمع للحم الاسد تشديداً، فقالت له نعيمة : قد جاءنا ضيف وأنت في الصيد ، قال : فما فعل ؟ فقالت : هاهو ذاك بظهر الخيمة ، فأومت إليّ فأتيتها ، فإذا انا بغلام أمرد كأن وجهه دائرة القمر ، فربط فرسي الى جنب فرسه ، ودعـــاني الى طعامه فلم أمتنع من أكل لحم الاسد لشدة الجوع ، فأكلت انا ونعيمة منه بعضه ، وأتى الغلام على آخره ، ثم مال الى زقّ فيه خمر فشرب وسقاني ، فشربت ثم شرب الغلام حتى أتى على آخره . فبينما نحن كذلك إذ سمعنا وقع حوافر خيل اصحـابي ، فقمت وركبت فرسي ، وتناولت رمحي ، وسرت معهم ، ثم قلت : يا غلام خلّ عن الجارية ولك ما سواها ، فقال : ويحك احفظ المهالحة . قلت : لا بد من الجارية . فالتفت اليها وقال لهـــا : قفي وانظري فعلي في هؤلاء اللئام . ثم قال : يا فتيان هل لكم في العافية وإلا فارس لفارس ؟ فبرز اليـه رجل من اصحابي ، فقال له الغلام : من انت؟ فلست أقاتل إلا كفؤاً . قال: انا عاصم ابن كلبة السعديّ ، فشدّ عليه وأنشأ يقول :

إنك يا عاصمُ بي لجـاهلُ ... إذ رُمتَ أمراً أنت عنه ناكلُ
إني كَمِيٌّ في الحروب بازل ... ليثٌ اذا اصطك الليوث باسل
ضَرّاب هامات العدا منازل ... قتال اقران الوغى مقـاتل

قال : ثم طعنه طعنة فقتله ، ثم قال : يا فتيان هل لكم في العـافية وإلا فارس لفارس، فتقدم اليه آخر من اصحابي فقال له الغلام: من انت ؟ قال : انا صابر بن حرقة السعدي ، فشدّ عليه ، وأنشأ يقول :

إنك والإله لست صـــابرا ... على سنان يجذب المقـادرا
ومنصل مثل الشهاب باترا ... في كفّ قرن يمنع الحرائرا
اني اذا ما رمت ان اقاسرا ... يكون فرني في الحروب باترا

ثم طعنه طعنة فقتله ، ثم قال : هل لكم في العافية وإلا فارس لفارس ، فلما رأيت ذلك هالني أمره ، وأشفقت على اصحابي ، فقلت : احملوا عليه حملة رجل واحد ، فلما رأى ذلك أنشأ يقول :

الآن طابَ الموتُ ثم طابا إذ تطلبون رُخصه كعابا
ولا نريد بعدها عتابا فدونها الطعن مع الضرابا

فركبت نعيمة فرسها ، وأخذت رمحها ووقفت ، فما زال يجادلنا ونعيمة حتى قتل منا عشرين رجلاً ، فأشفقت على اصحابي ، فقلت : يا عامر بحق المهالحة يا غلام قد قبلنا العافية ، ثم قال : ما كان احسن هذا لو كان اولاً ، وتركنا وسالمنا . ثم قلت : يا عامر بحق المهاحلة من أنت ؟ قال : عامر ابن حرقة الطائي وهذه ابنة عمي ، ونحن في هذه البرية منذ زمان ودهر ، ما مرّ بنا أنسي غيركم ، فقلت : من أين طعامكم ؟ قال : من حشرات الطير والوحش والسباع ، قلت : من أين شرابكم ؟ قال : الخمر ، أجلبها من بلاد البحرين كل عام مرة او مرتين ، قلت : إن معي مائة من الإبل موفورة متاعاً ، فخذ منها حاجتك ، قال : لا حاجة لي فيها ، ولو أردت ذلك لكنت اقدر عليه ، فارتحلنا عنهم منصرفين . قال الحجاج : الآن طاب قتلك يا عدو الله لغدرك بالفتى ، قال : قد كان خروجي على الامير أصلحه الله أعظم من ذلك ، فإن عفا عني الامير رجوت أن لا يؤاخذني بغيره ، فأطلقه ووصله الى بلاده . قلت : وهذا عامر بن حرقة الطائي منا ، وربما قد ذكرته في بعض قصائدي مع المشاهير من اجدادي في المفاخرة .

ولنا في هذا الباب ، شعر :

أشدّ على قاسي اللجام سناني فيكرع من حوض الدماء سناني

فاروي به من حوض كل غشمشمٍ يحمي قرونتــه ليوم طِعانِ
فيرجع ريّاناً وقد كان يانعاً كما عــاد مبيضّاً لأحمر قاني
حتى اذا ضاق المجال على فتىً ضربتُ على رأس الحسام بناني
وجرّدته من غمده وكسوته غمداً من الهامات والأبدانِ

وحدثني بعض الأدباء ، عن الحجاج بن يوسف الثقفي أنه قــال : قعد الحجاج يوماً في سكرة له فيهــا جماعة من الناس من جملتهم حميد الأرقط ، وكان شاعراً ، فقام وأنشد قصيدة يصف فيها الحرب ، فقــال له الحجاج : أما القول فقد أجدته ، وإني سائلك يا حميد عماذا يسأل الأمير ؟ قال : هل قاتلت قط ؟ قال : لا أيها الأمير إلا في النوم ، فقــال له : فكيف كانت وقعتك ؟ قال : انتبهت وأنا منهزم وقلت :

يقول لي الأميرُ بغير جرمٍ تقدّم حين جَدّ بنا المراسي
وما لي أن أطعتُك من حياةٍ وما لي غير هذا الرأس راسي

قيل لبعضهم : مالك لا تغزو؟ قال : والله اني لأبغض الموت على فراشي، فكيف أذهب اليه ركضاً ؟

مثل :

أحذر من غراب ، وأجبن من صرصار . ويقال : من صافر . ويقــال : أجبن من المنزوف ضرطاً . قال ابو ذرٍّ : كان من حديثه ان نسوة من العرب لم يكن لهن رجل ، فتزوجت واحدة منهن رجلاً كان ينام الى الضحى ، فإذا انتبه ضربنه ، وقلن له : قم فاصطبح ، فيقول : العادية نبهتني . فلما رأين ذلك يكثر منه سررن به ، وقلن: إن صاحبنا والله شجاع جريء ، ألا ترين

الى ما يقول كلما نبهناه ؟ فقالت احداهن : تعالين نجربه ، فأتينه وأيقظنه، فقـــال : أولعادية نبهتني ؟ فقلن له : نواصي الخيل معك ، فجعل يقول : الخيل الخيل ، ويضرّط حتى مات ، فضرب به المثل . يقول الفرّارة :

ما كان ينفعني مقال نسائهم وقتلتُ خلفَ رجالهم لا يبعُد

وقال الآخر عن فراره يعتذر :

وما جبُنتْ خيلي ولكن تذكرت مرابطها من بر بعيص ٍ وميسرا

وقيل لبعض الجبناء : انهزمت فغضب الامير عليك، قال : لغضب الأمير وأنا حي أحب إليّ من أن يرضى عليّ وأنا ميت .

حدثنا بعض الأدباء ، قـال : في اخبار عمرو بن معدي كرب الزبيدي صاحب الصمصامة ، وكان صاحب غارات ، مذكوراً بالشجاعة ، مشهوراً في العرب ، فذكر أنه هجم في بعض غاراته على شابة جميلة منفردة ، فأخذها ، فلما أمعن بها بكت ، فقال : ما يبكيكِ ؟ قالت : أبكي لفراق بنات عمي، هن مثلي في الجمال ، وأفضل مني ، خرجت معهن فانقطعنا من الحي . قال : وأين هنّ ؟ قـالت : خلف ذلك الجبل ، وددت اذا اخذتني انك تأخذهن معي ، وهن يودّن ذلك ، فأعـد الى الموضع الذي وصفته لك . فمضى عمرو الى هناك ، فمـــا شعر حتى هجم عليه فارس شاكي السلاح ، فعرض عليه المصارعة فصرعة الفارس ، ثم عرض عليـه ضروباً من المناوشة فغلبه الفارس في جميع ذلك كله، فسأله عمرو عن اسمه، فإذا هو ربيعة بن مكرم الكنانيّ، فاستنقذ الجارية منه .

حدثنا محمد بن قاسم، ثنا عمر بن عبد الحميد، قال: قال لي بعض الرجال: جلس رجل من المسرفين على نفسه في مجلس راحته مع ندمائه، ثم دعا بغلامه

فدفع اليه اربعة دراهم وأمره أن يشتري بها من المشمومات مـا يليق بمجلس راحته، فمرّ الغلام بمجلس منصور بن عمار وهو يسأل لفقير بين يديه، فسمعه يقول : بقيت لهذا الفقير اربعة دراهم فمن دفعها له دعوت له أربع دعوات، فدفع الغلام له الدراهم، فقال له منصور : ما الذي تريد أن أدعو لك به ؟ فقال : سيدي، أريد أن أتخلص منه، فدعا له بذلك . فقال : ومـا الذي تريد أن ادعو لك به ثانية ؟ فقال : اريد أن تخلف هذه الدراهم، فدعا له . قال : فما الدعوة الثالثة ؟ قال : أحب أن يتوب الله على سيدي . فدعـا له بذلك، وسأله عن الرابعة فقال: أحب أن يغفر الله لي ولسيدي ولك وللقوم الحضور، فدعا منصور بذلك، وانصرف الغلام راجعاً الى سيده وقد أبطأ عليه، فقال له سيده : لِمَ أبطأت عليّ ؟ وأين الحاجة التي أمرتك بشرائها ؟ فقص عليه الغلام القصة، فقال له : اخبرني ما الذي دعا لك بـه ؟ فقال : سألته ان يدعو الله لي بالعتق، فقال له : اذهب فأنت حر لوجه الله تعالى . فما الثانية ؟ قال : ان تخلف عليّ الدراهم . فقال له : لك من مالي اربعمائة درهم، فما الثالثة ؟ قـال : ان يتوب الله عليك . قال : فإني أشهد الله اني تائب . فما الرابعة ؟ قال : ان يغفر الله لي ولك، وللمذكور ولأهل مجلسه . قال : ذلك لله عز وجل . فلمـــا كان الليل وقف للرجل هاتف في منامه، فقال له : يقول الله لك : انت فعلتَ مـا اليك وانت عبد ضعيف، أتراني ما أفعل ما كان إليّ، وأنا المولى الكريم، قد غفرت لك، وللغلام، وللمذكور، ولأهل مجلسه .

ذكر نبذ من الأنساب :

وانتهاء بكل نسب الى الجد الذي مجتمع فيه صاحب ذلك النسب برسول الله ﷺ .

فمن ذلك : قحطان ، وهو ابو اليمن كلها ، واليه مجتمع نسبها ، وهو ابن غابر ، هنا يجتمع .

ومن ذلك : جرهم ، وهو ابن قحطان بن عامر ، وقيل : هو جرهم بن يقطن بن عابر ، هنا يجتمع .

عاد : وهو ابن عوص بن إرَم بن سام ، هنا يجتمع .

ثمود ، وجديس : ابنا غابر بن إرَم بن سام ، هنا .

طسْم ، وعملاق ، أميم ، وأُمَيم ، بضم الهمزة وفتح الميم ، وقيل : بكسر الهمزة والميم وتشديدهما على وزن سكين ، وهؤلاء الثلاثة أبناء لأولاد ابن سام هنا ، وهم عرب كلهم .

عك : هو ابن عدنان هنا .

أشعر : هو ابن بنت ابن ادد بن يزيد بن مهسع بن عمرو بن غريب بن يشخب ابن يزيد بن كهلان بن سبا بن يشخب بن يعرب بن قحطان بن غابر هنا . ويقال : انما هو اشعر بن سبا بن يشخب .

مدحج : قال بعض النسّابين : ليس مدحج أباً ولا أماً ، وانما هو اسم أكمة ولدت عليها دلة بنت منشجان فسمّيت مدحج ، فلما ولدت طيباً ، وهو جلمة بن مالك ، فقيل : طيّ ، وهو الذي سمّي مدحج . وقد قيل : ان هذا مالك هو ابو شعر ، فأشعر على هذا هو أشعر بن مالك ، ومالك هو مدحج فطيّ ، ومالك ، ابنا ازد ابنا زيد بن يشخب . وقيل : انما هو زيد ابن كهلان بن سبا بن يشخب بن يعرب بن قحطان بن غابر هنا . وقد قيل : طيّ بن ازد بن مالك بن ازد بن زيد بن كهلان. فهذا نسب طي قد ذكرناه.

سليم : هو ابن منصور بن عكرمة بن حفصة بن قيسان بن غيلان بن مضر هنا .

غسان : هو اسم ماء بسدّ مأرب باليمن ، وقيل : هو ماء بالمشلك ، فسمّوا به قبائل شربوا منه ، من ولد مازن بن الازد بن الغوث بن بنت مالك بن زيد بن كهلان بن سبا ، وسمّي سبا لأنه اول من سبى العرب ، ابن يشخب بن يعرب بن قحطان بن غابر ، واليه ترجع الازد ، والأوس ، والخزرج ، وغيرهم .

فأما الأوس ، والخزرج ، فهما ولدان لحارثة بن ثعلبة بن عمر بن عامر بن حارثة بن امرىء القيس بن ثعلبة بن مازن بن الازد بن الغوث بن بنت مالك بن زيد بن كهلان بن سبا بن يشخب بن يعرب بن قحطان بن غابر هنا .

وأما الازد ، فهو ابن الغوث ، وقد تقدم سياق النسب .

أنشدني ابن اسحاق :

أما سألتَ فإنا معشرٌ نُجُبٌ الازد نسبتنا والماء غسانُ

بالسين والتاء معاً .

قضاعة ، وضباعة ، واياد : اولاد معدّ هنا .

واما قضاعة الآخر ، فهو قضاعة بن مالك بن حمير بن سبا الاكبر بن يعرب بن يشخب بن قحطان بن غابر هنا .

جهينة : هو ابن زيد بن ليث بن سود بن اسلم بن الجان بن قضاعة بن مالك بن حمير بن سبا بن يعرب بن يشخب بن قحطان بن غابر هنا .

لخم : هو ابن عديّ بن حارث بن مرّة بن ادد بن زيد بن مهسع ، وقد

تقدم سياق النسب في الشعر. وقيل: انما هو لخم بن عدي بن عمرو بن سبا ، ونسب سبا قد ذكر ، والاجتماع بالاصل في غابر .

ربيعة : يجتمع ايضاً في غابر ، وربيعة هو نضر بن ابي حارثة بن عمرو ابن حارثة بن ثعلبة بن امرىء القيس بن مازن بن الازد بن الغوث ، وقد ذكر نسب الازد بن الغوث .

بكر بن وائل بن قاسط بن هنب بن قصيّ بن جليدة بن ازد بن ربيعة ابن نزار هنا . ويقال : اقصى بن دعما بن جليدة .

ثقيف : اسمه قسيّ بن منبّه بن بكر بن هوازن بن منصور بن عكرمة بن حفصة بن قيس بن غيلان بن مضر هنا . وقيل : هو قيس بن الثبت بن منبه بن منصور بن يقدم بن اقصى بن دعما بن اياد بن معدّ هنا .

قال امية بن ابي الصلت الثقفي :

قومي ايادٌ لو انهم أممُ ... ولو أقاموا فتهزل النعمُ
قوم لهم ساحة العراق اذا ... ساروا جميعاً والقِطُّ [1] والقلمُ

وقال ايضاً :

فإن مـــا تسألي عني لبيباً ... وعن نسبي أخبّرك اليقينـــا
فـــإنا للبيب أبي قيسٍ ... لمنصور بن يقـــدم الأقدمينا

قيس ، هو ابن غيلان بن مضرهنا .

---

(١) هو الكتاب ومنه عجل لنا قطنا .

جعدة بن عامر بن صعصعة بن معاوية بن بكر بن هوازن بن منصور ابن عكرمة بن حفصة بن قيس بن غيلان بن مضرهنا .

هذيل بن مدركة هنا .

خولان ، هو ابن عمرو بن الحارث بن قضاعة بن مالك بن حمير بن سبا ابن يعرب بن يشخب بن قحطان بن غابر هنا .

وقيل : بل هو خولان بن عمرو بن سعد العشيرة بن مدحج .

وقيل : بل هو خولان بن عمرو بن مرة بن ادد بن مهيع بن عمرو ابن عريب بن سعد بن كهلان بن سبا .

والعمالقة منسوبون الى عملق ويقال : عمليق ، لغتان ، وقد نسبناه .

جشم ، هو ابن وائل بن زيد بن قيس بن عامرة بن مرة بن مالك ابن الأوس ، وقد ذكرنا نسب أوس .

كلب ، هو ابن وبرة بن ثعلب بن حلوان بن عمرو بن الجاف بن قضاعة ، وقد ذكرنا نسب قضاعة .

همدان ، واسم همدان حلوان بن عمرو بن زيد بن ربيعة بن اوسله بن الحيان بن مالك بن زيد بن كهلان بن سبا ، ويقال له : اوسلة بن زيد بن اوسلة الخا بن زيد بن اوسلة بن حيان بن مالك بن زيد بن كهلان بن سبا ، وقد تقدم اتصال سبا بغابر وهناك يجتمع .

خثعمة ، هو الاسد بن الغوث يشكر بن بشير بن صعب بن دهمان بن نصر بن زهران بن الحارث بن كعب بن عبيد الله بن مالك بن الاسد بن الغوث، وقد قيل: خثعمة بن ميسر بن يشكر بن صعب بن نصر بن زهران

ابن الاسد بن الغوث بن بنت مالك بن زيـد بن كهلان بن سبا بن يشخب ابن يعرب بن قحطان بن غابر ، وهناك يجتمع وغابر وغبيران ، لغتان ، هو ابن شالخ بن ارفخشد بن سام بن نوح عليه الصلاة والسلام .

وقد قيل في سياق نسب خثعمة بدل صعب كعب ، انتهى المجلس .

موعظة شيبان الراعي لهارون الرشيد بمكة :

حدثنا يونس بن سبا، عن ابي بكر بن ابي منصور، عن محمد بن عبدالملك الاسدي ، عن الحسن بن جعفر السلماسي، ثنا المعافي بن زكريا ، عن محمد بن مخلد ، عن حمّاد بن مومل، ثنا زيد بن العباس قال : لما حجّ هارون الرشيد فقيل له : يا امير المؤمنين قد حجّ شيبان الراعي، قال : اطلبوه لي فطلبوه ، فأتوا به ، فقال له : يا شيبان عظني ، قال : يا امير المؤمنين أنا رجل ألكن لا افصح بالعربيـــة ، فجئني بمن يفهم كلامي حتى أكلمه ، فأتى برجل يفهم كلامه ، فقال له : بالقبطية قل له : يا امير المؤمنين ، إن الذي يخوّفك قبل أن تبلغ المأمن أنصح لك من الذي يؤمّنك قبل أن تبلغ الخوف ، فقال له : أي شيء تفسير هذا ؟ قال : قل له يا امير المؤمنين، الذي يقول لك اتق الله فإنك رجل مسؤول عن هذه الأمة ، استرعاك الله عليها، وقلّدك امورها ، وانت مسؤول عنها ، فاعدل في الرعية ، واقسم بالسويّة ، وانفر في السرية، واتق الله في نفسك ، هذا هو الذي يخوّفك ، فإذا بلغت المأمن أمنتَ ، هو أنصح لك ممن يقول لك انت من اهل بيت مغفور لهم، وانت قرابة منقرابة نبيكم ، وفي شفاعته ، فلا يزال يؤمّنك حتى اذا بلغت الخوف عطبت. قال : فبكى هارون حتى رحمه من حوله، قال : زدني، قال : حسبك إن وقفت .

روينا من حديث ابن ودعان ، قـال : حدثنا علي بن عبد الواحد ، عن

ابي الفتح العكبري ، عن العباس بن محمد ، عن محمد بن زكريا ، عن عبد الله ابن مسلمة القعبني، عن مالك بن أنس، عن اسحاق بن عبدالله بن ابي طلحة، عن انس بن مالك ، قال : قيل لرسول الله ﷺ ، مَن اولياء الله الذين لا خوف عليهم ولا هم يحزنون ؟ فقال : الذين نظروا الى باطن الدنيا حين نظر الناس الى ظاهرها ، واهتموا بأجل الدنيا حين اهتم الناس بعاجلها ، فأماتوا منها ما خشوا أن يميتهم ، وتركوا منها ما علموا أن سيتركهم ، فما عرض لهم من نائلها عارض إلا رفضوه ، ولا خدعهم من رفعتها خادع إلا وضعوه ، خلقت الدنيا عندهم فما يجدّدونها ، وخربت بينهم فما يعمرونها ، وماتت في صدورهم فما يُحيونها ، يهدمونها فيبنون بها آخرتهم ، ويبيعونها فيشترون بها ما يبقى لهم ، ونظروا الى أهلها صرعى ، وقد حلّت بهم المثلات ، فما يرون أماناً دون ما يرجون ، ولا خوفاً دون ما يحذرون .

روينا من حديث محمد بن اسحاق ، عن محمد بن شهاب ، عن عبد الله بن عتبة ، عن ابن مسعود ، عن عبد الله بن عباس ، انه قال : كان بين آدم ونوح عشرة آباء ، وذلك الف ومائتا سنة . وبين نوح وابراهيم عليهما السلام عشرة آباء ، وذلك الف ومائة واثنان واربعون سنة . وبين ابراهيم وموسى سبعة آباء ، وذلك خمسمائة وخمس وستون سنة . وبين داود وعيسى الف وثلاثمائة وخمسون سنة ، وهي الفترة .

وعدد الأنبياء عليهم السلام مائة الف نبي ، واربعة وعشرون الف نبي ، الرسل منهم ثلاثمائة وخمسة عشر ، منهم خمسة عبرانيون : آدم ، وشيث ، وادريس، ونوح، وابراهيم. وخمسة من العرب : هود، وصالح ، واسماعيل، وشعيب ، ومحمد ﷺ .

وأرسل بين موسى، وعيسى، الف نبي من بني اسرائيل ، سوى من أرسل من غيرهم ؛ يريد بقوله أرسل مؤيدين لشريعة موسى لا ناسخين . وكان بين عيسى ومحمـــد عليهما الصلاة والسلام ، اربعة من الرسل ، وهو قوله تعالى : « إذ أرسلنا اليهم اثنين فكذبوهما فعزّزنا بثالث » ، وأمـا الرابع فهو خالد ابن سنان ، والله أعلم فيما أحسبه ، وهو خـالد بن سنان بن غيث العبسي . وعاشت مريم بعد رفع عيسى خمسين سنة ، وكان عمرها ثلاثاً وخمسين سنة . وصلّى شيث على ابيه آدم بأمر جبريل، وكبّر عليه اربعاً وتسعين تكبيرة.

وأما اصحاب الاحلام ، والآداب ، والعلم ، اربعة : العرب ، والفرس ، والروم ، والهند ، والباقون همج .

وأولوا العزم من الرسل ثلاثة : نوح ، وابراهيم ، ومحمـد ، عليهم الصلاة والسلام .

وأول أنبياء بني اسرائيل موسى ، وآخرهم عيسى .

والكتب التي أُنزلت على الأنبياء ، مائة كتاب واربعة كتب ، أُنزل منها على شيث خمسون صحيفـة ، وعلى موسى التوراة ، وعلى داود الزبور ، وعلى عيسى الانجيل ، وعلى محمد ﷺ وعليهم اجمعين القرآن .

ذكر سبب تنصّر النعمان بن المنـذر ، ورفعه يوم بؤسه ، ووفاء الطائي ، وفضل شريك بن عمير :

أخبرنا بعض الأدباء من اخواننا من سيس ، ان النعمان بن المنذر ركب في يوم بؤسه ، وكان له يومان : يوم بؤس ، ويوم نعيم ، لم يلقَه احـد في بؤسه إلا قتله، ولا في يوم نعيمه احد إلا حبّاه وأعطاه ، فاستقبله يوم بؤسه اعرابي

من طيّ ، فأراد قتله، فقال : حيّى الله الملك، ان لي صبْية صغاراً لم أوصِ بهم الى احد ، فإن رأى الملك في ان يأذن لي في إتيانهم ، وأعطيه عهد الله ان أرجع اليه اذا أوصيت بهم حتى أضع يدي في يده . فرقّ له النعمان وقال له : لا ، إلا ان يضمنك رجل ممن معنا ، فإن لم تأتِ قتلناه . وكان مع النعمان شريك بن عمرو بن شراحيل ، فنظر اليه الطائي وقال :

يا شريك بن عمير هل من الموت محاله
يا أخا كل مصافٍ يا أخا من لا أخا له
يا أخا النعمان فيك الـ يوم عن شيخ علاله
ابن شيبان قتيل أحسن الله فِعاله

فقال شريك : هو عليّ ، أصلح الله الملك . فمضى الطائي وأجّل له أجلاً يأتي فيه . فلما كان ذلك اليوم ، احضر النعمان شريكاً ، وجعل يقول له : ان صدر هذا اليوم قد ولّى ، وشريك يقول له : ليس لك عليّ سبيل حتى يمسي . فلما أمسى أقبل شخص والنعمان ينظر اليه والى شريك ، فقال له : ليس لك عليّ سبيل حتى يدنو الشخص ، فلعله صاحبي ، فبينما هم كذلك إذ أقبل الطائي ، فقال النعمان : والله ما رأيت أكرم منكما ، وما ادري ايكما أكرم ، أهذا الذي ضمنك في الموت ام انت اذ رجعتَ الى القتل ؟ ثم قال للوزير الذي هو شريك : ما حمَلك على ضمانه مع علمك انه هو الموت ؟ قال: لئلا يُقال : ذهب الكرم من الوزراء. وقال للطائي : ما حمَلك على الرجوع الى القتل؟ قال : لئلا يُقال : ذهب الوفاء من الناس ، ويكون عاراً في عقبي وفي قبيلتي . قال النعمان : فوالله لا أكون ألأم الثلاثة ، فيُقال : ذهب العفو من الملوك . فعفا عنه ، وأمر برفع يوم بؤسه .

وأنشد الطائي يقول :

ولقد دعتني للخلاف جماعةٌ فأبيتُ عند تجهُّم الأقوالِ
اني امرؤٌ مني الوفاء خليقة وفعال كل مهذبٍ مبْذالِ

فقال النعمان : ومع ما ذكرتَ ، ما حملك على الوفاء ؟ قال : ايها الملك، ديني . قال : وما دينك ؟ قال : النصرانية . قال : اعرضها عليّ ، فأعرضها عليه ، فتنصَّر النعمان .

وحدثني ابو جعفر بن يحيى قال : دخل رجل على امير المؤمنين سليمان ابن عبد الملك، فقال : يا امير المؤمنين عندي نصيحة. قال : وما نصيحتك؟ قال : فلان كان عاملاً ليزيد بن معاوية ، وعبد الملك ، والوليد ، فخانهم فيما تولاه في ايامهم ، واقتطع أموالاً جليلة ، فمُرْ باستخراجها منه . قال : انت شر منه وأخوَن حيث اطلعتَ على امره وأظهرته ، ولولا اني انفـّر النصّاح لعاقبتك، ولكن اختر مني خصلة من ثلاث، قال : اعرضهنّ يا امير المؤمنين. قال : إن شئتَ فتشنا على ما ذكرت ، فإن كنت صادقاً مقتناك ، وإن كنت كاذباً عاقبناك ، وإن شئت أقلناك . قال : بل يقيلني امير المؤمنين . قال : قد فعلت ، فلا تعودنّ بعد هذا الى قلة الوفاء ، وإن ظهر لك من ذي جرمة امر فاكتمه .

وحدثنا مصعب الخشني الخطيب ان مخارف بن عفان ، ومعن بن زائدة ، تلقيا رجلاً ببلاد الشرك ومعه جارية لم يرَيا مثلها شباباً وجمالاً وفصاحة ، فصاحا به ليخلـّي عنها ، ومعه قوس فرمى بها ، وهابا الإقدام عليه ، ثم عاود ليرمي فانقطع وتره ، وسلـّم الجارية ، واشتدّ يعدو في جبل كان قريباً منه، فابتدرا الجارية وفي أذنها قرط فيه درّة، فانتزعاها من أذنها ، فقالت :

وما قدر هذه ؟ لو رأيتما درّتين معه في قلنسوته ، وفي قلنسوته وتر قد أعدّه ونسيه من الدهشة . فلما سمعا قول الجارية تبعاه وصاحا به : ارمِ القلنسوة ، وانجُ بنفسك . فلما سمع قولهما ذكر الوتر ، فأخذه وعقده في قوسه ، فولّيا ليست لهما همة إلا النجاء ، وخلّيا عن الجارية .

وحدثنا ايضاً قال : قال سليمان بن عبد الملك : أنشدوني أحسن ما سمعتم من شعر النساء . فقال بعضهم : يا امير المؤمنين ، بينما رجل من الظرفاء في بعض طرقاته اذ أخذته السماء ، فوقف تحت مظلة ليسكن من المطر وجارية مشرفة عليه ، فلما رأته حذفته بحجر ، فرفع رأسه وقال :

لو بتفاحة رميتِ رجونا ومن الرمي بالحصاة جفاءُ

فأجابته :

ما جهلنا الذي ذكرت من الشكل ولا بالذي ذكرتَ خفــاءُ

ودايّة معها فقالت :

قــد بدا التيه بالذي ذكرته ليت شعري فهل لهذا وفاء

وسائلة بالباب :

ولعمري دعوتهـــا فأجابت هي داءٌ وانت منهـا دواء

قال سليمان : قاتلها الله ، وهي والله أشعَرهم .

وقرأت في كتاب (المحاسن والأضداد) للجاحظ : عن عنـــان جارية الناطفي ، قــال عمرو بن بحر الجاحظ في باب المماجنات من الكتاب ، قال السلولي : دخلت يوماً على عنان وعندها رجل اعرابي ، فقالت : يا عم لقــد

أتى الله بك . قلت : وما ذاك ؟ قالت : هذا الاعرابي دخل عليّ فقال : بلغني انكِ تقولين الشعر ، فقولي بيتاً . قال السلولي : فقلت لها : قولي ، فقالت : قد ارتجّ عليّ ، فقل انت . فقلت :

لقد جلّ الفراق وعيل صبري　　عشية عيرهم للبَيْن ذمتْ

فقال الاعرابي :

نظرت الى أواخرها مخبّاً　　وقد بانت وأرض الشام أمّتْ

فقالت عنان :

كتمتُ هواهم في الصدر مني　　على ان الدموع عليّ نمّت

فقال الاعرابي : انتِ والله أشعَرنا ، ولولا انك بحرمة رجل لقبّلتك ، ولكن اقبّل البساط .

وقرأت في الكتاب المذكور : قال عمرو وقال بعضهم : دخلت على عنان فاذا عليها قميص يكاد يقطر صبغه ، وقد تناولها مولاها بضرب شديد وهي تبكي ، فقلت :

ان عنـــاناً ارسلت دمعها　　كالدرّ إذ ينسل من خيطه

فقالت :

فليتَ من يضربهـــا ظالماً　　تجفُّ يمنـــاه على سوطه

فقال مولاها : هي حرّة لوجه الله ، إن ضربتها ظالماً او غير ظالم .

أنشدنا ابو عبد الله بن عبد الجليل ، قال : أنشدني ابو الحسن علي المسفر بنسبته لنفسه :

يا ايهـــا المبتلي بذمّي ... قد علم الله مــا تقولُ
فالقول إن خفّ في لساني ... أخـــانـي وزنه الثقيل
وحـــافظ كاتب شهيدٌ ... يكتب عني الذي أقول
منحاسبَ النفسَ كلّ حين ... لم يتهاون بمـا يقولُ

كان هذا الشيخ المسفر جليل القدر ، حكيماً ، عارفاً ، غامضاً في الناس محمود الذكر ، رأيته بسبته له تصانيف ، منهـا منهاج العابدين الذي يعزى لأبي حامد الغزالي وليس له ، وإنما هو من مصنفات هـذا الشيخ ، وكذلك كتاب النفخ والتسوية الذي يعزى الى أبي حـــامد ايضاً ، وتسميه الناس : المصون الصغير .

ولهذا الشيخ ايضاً القصيدة المشهورة ، وهي هذه :

قل لإخوان رأوني ميتاً ... فبكوني إذ رآوني حزنا
أتظنون بـــأني ميتكم ... لستُ ذاك الميت والله انا
أنا عصفور وهذا قفصي ... كان سجني وقميصي زمنا
أنا في الصور وهذا جسدي ... كانجسمي إذ ألفتُ السجنا
أنا كنزٌ وحجابي طلسمٌ ... من ترابٍ قد تخلى للفنا
فاهدموا البيت ورضّوا قفصي ... وذروا الكل دفيناً بيننا
وقميصي مزّقوه رممـــاً ... وذروا الطلسم بعدي وثنا
لا ترعكم هجمة الموتِ فمـا ... هو إلا نقـلة من ههنا
فحياتي وسَنٌ في مقلتي ... خيبة الموت تطير الوسنا
لا تظنوا الموت موتاً إنه ... لحياةٌ هي غـاياتُ المنا
فاخلعوا الأجساد عنأنفسكم ... تبصروا الحق جهاراً بيّنا

حسِّنوا الظنَّ بربٍّ راحمٍ تشكروا السعي وتأتوا أمنا
ما أرى نفسي إلا أنتمُ واعتقادي أنكم أنتم أنا
عنصرُ الأنفس شيءٌ واحدٌ وكذا الجسمُ جميعاً عمّنا
فمتى ما كان خيراً فلنا ومتى ما كان شرّاً فبنا
أشكر الله الذي خلّصني وبنى لي في المعالي رُكنا
فـأنا اليوم أناجي ملأً وأرى الحق جهاراً علنا
عاكفٌ في اللوح أقرأ وأرى كل ما كان ويأتي ودنا
وطعامي وشرابي واحدٌ وهو رمزٌ فافهموه حسنا
ليس خمراً سائغاً أو عسلاً لا ولا ماءً ولكن لبنـــا
هو مشروب رسول الله إذ كان يسري فطره مع فطرنا
فافهموا السرَّ ففيه نبـأ أي معنىً تحت لفظ كمنا
قـد ترحّلت وخلّفتكمُ لست أرضى داركم لي وطنا
فخذوا في الزاد جهداً لا تنوا ليس بالعاقل منّا من ونا
أسأل الله لنفسي رحمةً رحم الله صديقاً أمّنا
وعليكم من سلامي صَيبٌ وسلامُ الله بدءاً وثنـا

وكتبتْ عنانٌ الى الفضل بن الربيع :

كن لي هديتَ الى الخليفة شافعاً بوركت يا ابن وزيره من مسلم
حثّ الإمام على شراي وقل له ريحانةٌ ذُخرتْ لأنفك فاشمم

وفيها يقول أبو نواس :

عنان يا من تشبه العِينا أنتِ على الحبِّ تلومينا
حسنُك حسنٌ لا يرى مثله قـد صيّر الناس مجانينا

وقالت غريبة جارية المأمون :

وأنتم أناسٌ فيكم الغدر شيمة | لكم أوجه شتى والسنة عشرُ
عجبتُ لقلبي كيف يصبو اليكم | على عُظمِما يلقى وليس له صبرُ

ويقال: أن هذه الجارية هي التي يقول فيها أمير المؤمنين المأمون يخاطبها :

أنا المأمون والملك الهمامُ | على اني بحبك مستهامُ
أترضي أن أموتَ عليكِ وجداً | ويبقى الناس ليس لهم إمامُ

فقالت له : يا أمير المؤمنين ، أبوك الرشيد أعشق منك ، حيث يقول :

ملكُ الثلاثُ الآنساتُ عناني | وحللن من قلبي بكل مكانِ
مـالي تطاوعني البرية كلهـا | وأطيعهنّ وهنّ في عصياني
ما ذاك إلا أن سلطانَ الهوى | وبه قوّينَ أعزُّ من سلطاني

فقـدم ذكرهن على ذكر نفسه ، وأنت قدمتَ نفسك على من تزعم انك تهواها ، قال لهـا المأمون : غير اني منفرد لك ، والرشيد قسمٌ بين ثلاث ، قالت : أعرفهن : الواحدة المقصودة وهي فلانة ، والثنتان محبوبتان لهـا ، فأحبهما لحبّها إذ ذاك مما يسرّها ، كما قال خالد بن يزيد بن معاوية في رملة :

أحب بني العوّام طرّاً لأجلها | ومن أجلها أحببت أخوالها كلبا

وقال الآخر :

أحبّ لأجلها السودان حتى | أحبّ لأجلها سود الكلابِ

فهؤلاء أحبوا القبيلة من أجلها فأحرى من أحبت هذا المخرج لأمير المؤمنين الرشيد ، فأين المخرج لأمير المؤمنين ؟ فسكت وعظم وجد .

ولنا في هذا المعنى في صاحب حبشي أخلص لي في محبته واسمه بدر :

أحب لحبّك الحبشان طرّاً　　　واعشق لإسمك البدر المنيرا

حدثنا مصعب بن محمد الخشنيّ القاضي الخطيب الجناني ، في مجلس كان بيني وبينه في الأدب ، في حق شخص كان وسيم الوجه ، وقد اصاب عينيه رمد فاحمرت عيناه، فقلت له: يا سيدي ما أحسن قول القائل في مثل هذا ؟ فقال : وما قال ؟ قلت :

قالوا اشتكت عينه فقلت لهم　　　من كثرة الفتك نالها وصبُ
حمرتها من دماء من قتلتْ　　　والدم في السيف شاهد عجبُ

فقال رحمه الله لنا في هذا المعنى في زمان الصبا شيء ، قلت : فانشدني :

انكر صحبي إذ رأوا طرفه　　　ذا حمرة يشفي بها المغرمُ
لا تنكروا الحمرة في طرفه　　　فالسيف لا ينكرُ فيه الدمُ

ولنا في هذا المعنى :

لا تنكروا الحمرة في طرف منْ　　　يسفك بالطرف دماء البشرْ
وإنما الإنكار من أنفسٍ　　　أرضيةٍ سالت بعين القمرْ

والنفوس هنا الدماء ، كما قال القائل :

تسيلُ على حد السيوف نفوسنا　　　وليس على غير السيوف تسيلُ

ثم تذاكرنا فيما قال الأدباء في فنون شتى، الى ان وقع ذكر النساء المتقدمات فقال : ما نرى في زماننا من مثل أولئك احداً ، فقلت له : يا سيدي ، هنا

عندنا بالبلد أمّ النساء بنت عبد المؤمن التـاجر الفاسيّ ، وهي تجيد الشعر ، وقـــد أنشدت للسيد أبي علي صاحبك عندما وّلي علينا قصيدتها ، وكنت أحفظها فأنشدته إياها ، فاستحسنها ، ولا أذكر الآن منها إلا أول بيت ، وهو قولها :

جاء البشيرُ بوعدٍ كان ينتظرُ ... فأصبح الحقّ ما في صفوه كدرُ
من خير هادٍ غدا بالهدى يأمرنا ... وفي أوامره التسديد والنظرُ

وفيها تصفه بالحرب :

ليثٌ اذا اقتحم الأبطال حومتها ... يفني الكتائبَ لا يبقي ولا يذرُ

فجرينا في هذا الميدان ساعةً ،فأمتعني منه ما ملأ القلب انساً وطبتُ به نفساً، الى أن جرى في اثناء ذلك المجلس الزاهر ،النام بأعراف هذه الأزاهر. وذكر فضل الشاعرة ، وآدابها ، وأنهـــا ممن جمعت بين الشعر والصوت ، فكانت تقول الشعر وتلحنه ، ثم تغني بـه على العود . فقلت له : هل تحفظ من شعرها الذي لهـا فيه صوت ؟ فقال : كثير ، فقلت : فإن رأي سيدي في ذلك فقال : روينا من حديث قاسم بن عبد الله أنه قـــال : كنت عند سعيد بن حميد الكاتب وقد افتصد ، فأتته هدايا فضل الشاعرة الف جدي ، وألف دجاجة ، وألف طبق رياحين وطيب ، فلما وصل ذلك كتب اليها : إن هذا يوم لا يتم السرور فيه إلا بك وبحضورك . قـــال القاسم يصفها : وكانت من اجود الناس شعراً، وأملحهم صوتاً، وأحسن الناس ضرباً بالعود. فأتته فضرب بينها وبينه حجاباً ، وأحضر ندماه ، فلما استوى المجلس بالقوم وسرى السرور أخذت العود وغنّت ، والشعر لها :

يا من أطلتُ تفرّسي ... في وجهـــه وتنفسي
أفـــديك من متدلل ... يزهو بقتل الأنفسِ

هبني أسأت وما أسأ ت بلى أقولُ أنا المسي
أحلفتني أن لا أسا رق نظرةً في مجلسِ
فنظرتُ نظرةَ عاشقٍ أتبعتهـــا بتنفّسِ
ونسيت أني قد حلفـ ت فما يقالُ لمن نسي

وضربت ايضاً وغنّت :

عـاد الحبيب الى الرضا فصفحت عما قـد مضى
من بعـــد ما بصدوده شمت الحسود وحرّضا
تعس البغيض فلم يزل لصدودنا متعرّضا
هبني أسأت وما أسأ ت وإن أسأت لك الرضا

قال : فما أتى عليّ يوم أسرّ من ذلك اليوم .

حكومة : جرت للمنصور عند محمد بن عمران ، ثنا يحيى ، عن محمد بن ابي منصور ، عن ثابت بن شداد ، عن عبد الوهاب المليحيّ ، عن المعافا بن زكريا ، عن محمد بن مزيد ، وحدّثنا عبد الرحمن بن علي ، عن ابي منصور، عن محمد بن علي بن ميمون ، عن محمد بن علي العلوي ومحمد بن احمد بن علّان قالا : حدثنا محمد بن عبد الله النهرواني ، عن الحسن بن محمد السكواني ، عن احمد بن سعيد الدمشقي ، قالا : حدثنا الزبير بن بكار والسياق لأبي يحيى ، حدثني عمر بن ابي بكر ، عن نمير المدني قال: قدم علينا امير المؤمنين المنصور المدينة ، ومحمد بن عمران الطلحي على قضائه ، وأنا كاتبه ، فاستعدى الحمالون على امير المؤمنين في شيء ذكروه ، فأمرني ان اكتب اليه كتاباً بالحضور معهم وانصافهم ، فقلت : تعفيني من هـــذا ، فإنه يعرف خطي ، فقال : اكتب ، فكتبت ، ثم ختمته ، وقال : لا يمضي به غيرك ، فمضيت بـه الى

الربيع ، وجعلت أعتذر اليه ، فقال : لا عليك ، فدخل عليه بالكتاب ، ثم خرج الربيع فقال للناس ، وقد حضر وجوه اهل المدينة والأشراف وغيرهم : إن امير المؤمنين يقرأ عليكم السلام ، ويقول لكم : إني قد دُعيت الى مجلس الحكم فلا اعلم احداً قام إليّ اذا خرجت ، او بدأني بالسلام . ثم خرج المسيّب بين يديه ، والربيع ، وأنا خلفه ، وهو في ازار ورداء ، فسلم على الناس فما قام اليه أحد ، ثم مضى حتى بدأ بالقبر ، فسلم على رسول الله ﷺ ، وعلى ابي بكر وعمر رضي الله عنهما ، ثم التفت الى الربيع فقال : ويحك يا ربيع أخشى ان يراني ابن عمران فتدخل قلبه هيبة فيتحول عن مجلسه ، وتالله لئن فعل ذلك لأولي لي ولاية ابداً ، قال : فلما رآه ابن عمران وكان متكئاً أطلق رداءه على عاتقه ثم احتبى به ، ودعا بالخصوم والحمالين ، ثم دعى بأمير المؤمنين ، ثم ادعى عليه القوم ، فقضى لهم عليه ، فلما دخل الدار قال الربيع : اذهب فإذا خرج من عنده الخصوم فادعه ، فقال : والله يا امير المؤمنين ما دعى بك إلا بعد ان فرغ من أمور الناس جميعاً ، فدعاه ، فلما دخل عليه سلم عليه ، فرد عليه السلام وقال : جزاك الله عن دينك وعن نبيك ، وعن حسبك ، وعن خليفتك، أحسن الجزاء ، قد أمرت لك بعشرة آلاف دينار فاقبضها ، فكانت عامة اموال محمد بن عمران من تلك الصلة .

وروينا من حديث ابن ودعان ، عن ابي الحسن بن السماك الواعظ ، عن ابيه ، عن ابن عرفة ، عن العباس بن محمد بن كثير ، عن حمّاد بن سلمة ، عن ثابت ، عن ابي رافع ، عن ابي هريرة قال : بينما رسول الله ﷺ جالس اذ رأيته ضحك حتى بدت ثناياه ، فقيل له مم تضحك يا رسول الله ؟ قال : رجلان من امتي جثيا بين يدي ربي عز وجل ، فقال احدهما : يا رب خذ لي بظلامتي من اخي ، فقال الله تعالى : اعط أخاك مظلمته ، فقال : يا رب ما

بقي من حسناتي شيء ، قال : يا رب فليحمل من أوزاري ، وفاضت عيناي رسول الله ﷺ ، ثم قـال : إن ذلك ليوم يحتاج الناس الى ان يحمل من اوزارهم ، ثم قال الله تعالى للطالب بحقه : ارفع رأسك فانظره الى الجنان ، فرفع رأسه ، فرأى ما أعجبه من الخير والنعمة ، فقال : لمن هذا يا رب ؟ فقال : لمن أعطاني ثمنه ، قال : ومن يملك ذلك يا رب ؟ قال : أنت ، قال: بماذا ؟ قال : بعفوك عن اخيك ، قال : يا رب قد عفوت عنه ، قال : خذ بيد اخيك فادخله الجنـة ، ثم قال رسول ﷺ : فاتقوا الله واصلحوا ذات بينكم ، فإن الله عز وجل يُصلح بين خلقه المؤمنين يوم القيامة .

ومن وقائع بعض الفقراء الى الله تعالى ، ما حدثنا به عبد الله بن الاستاذ المروزي باشبيلية غير مرة من لفظه قال : قال لي بعض المريدين : رأيت في أبا حامد الغزالي، وأشياخ الصوفية، ومعهم الشيخ ابو مدين، فقال له بعضهم : أعد علينا كلامك في التوحيد ، فقال لهم : التوحيد اصل في الوجود ، وعليه أخذت المواثيق والعهود ، وهو دليل على كل مفقود ، فمن بقي على أصله فقد وفى ، ومن عدل عن رسمه فقد أخطأ الطريق وجفا ، ومن أتاه بقلب سليم ، تلذذ بالنظر الى وجهه الكريم ، به يسيرون ، وبه يتلذذون ، وبه يهتدون ، وأكثر الخلق للجزاء يعملون ، ولعليين قوم آخرون ، هو قلب الوجود بـــه قام ، وهو المحرّك والمسكّن لسائر الأجرام ، سره في مخلوقاته قد انتشر ، وحكمه في مصنوعاته كما قدّر وأمر ، فما من شيء قلّ او جلّ إلا هو معه ، ولا ظاهر ، ولا باطن ، إلا وقد اتقنه وصنعه، ان قلت فقوله سبق الاقوال، وان علمت فهو خالق الاعمـال ، هو المدّ للحركات والسكون ، واذا أراد امراً فانما يقول له كن فيكون ، فسرُّ هـذا التوحيد مستور بالغيرة ، واذا صحّت الوحدة بطلب الكثرة ، فمن انتهت همته الى هذا المقام ، كان شفعه

بالخالق العلّام ، لا يلتفت الى غيره ، يتخلق بأخلاقه ويسير بسيره ، وهو الاول والغاية، وهو الآخر واليه النهاية ، به حي كل حي ، وبه نشأ كل شيء، ونحن الفقراء وهو الغني ، فسبحانه هو الواحد العلي ، فمن كانت هذه رتبته، فقد علت همته ، بنوره أشرف كل نور وسطع ، وعما سواه انقطع ، تعزز بـه كل عارف وتاه ، وتنزه عن ملاحظة ما سواه ، ولم يقنع من مولاه إلا بمولاه .

وسماعنا على قول الشريف الرضي :

يا طرباً لنفحة نجـدية	أعدل حر القلب باستبرادها
وما الصبا ريحيّ لولا انها	اذا جرت مرت على بلادها

السماع في ذلـك قول النبي ﷺ : ان لله نفحات ، ألا فتعرّضوا لنفحات ربكم العلوية التي تحصل للإنسان عنـد سجوده في مقام القرب عند مناجاته ، قال : اجعلوها في سجودكم ، يقول : وما أتقيد بريح مخصوصة ، إلا ان الصبا لمـا كانت تهب من افق الشروق ، ومطلبنا الشهود والرؤية ، لذلك أريدها ، وأسمع حديثها ، وعلى قوله ايضاً بالنفس :

حلفت بالمقصرين	ركبوا فأوجفوا
لانوا على العيس وخا	فوا فوتهـا فعنفوا
رجوا لأثقال الذنو	ب ساعة تخفّفوا
فاستنقذوا بجهـدهم	سارين حق وقفوا
فلثموا ومسحوا	وجمّروا وطرفوا

وصية خطاب بن المعلّى المخزومي لابنه :

حدثنا يونس بن يحيى بمكة ، قال : ثنا الحاجب ابو الفتح محمـد بن عبد

الباقي بن احمد بن سليمان المعروف بابن البطي ، قال : حدثنا ابو الفضل احمد ابن الحسن بن حبرون ، قال : حدثنا ابو علي الحسين بن احمد بن أبراهيم بن شاذان ، قال : حدثنا ابو الحسن احمد بن اسحاق الطيبي ، قال : أخبرنا ابو عبد الله احمد بن شاكر الريحاني ، قال : انا ابو حاتم ، قال : ثنا محمد بن عطية ، قال : قال خطاب بن المعلى المخزومي القرشي لابنه : يا بني ، عليك بتقوى الله عز وجل وطاعته ، وتجنبْ محارمه باتباعك سنّته ومعاملته ، حتى يصحّ عيشك ، وتقرّ عينك ، فانه لا يخفى على الله خافية ، وإني قد رسمت لك رسماً ، وسمْتُ لك وسماً ، إن انت حفظته ووعيته وعملت به مُلئت بك أعين الملوك. فأطِعْ أباك واقتصر على وصيته، وفرّغ لذلك ذهنك، واشغل به قلبك ولبّك ، وإياك وهدر الكلام ، وكثرة الضحك والمزاح ، ومماراة الاخوان ، فان ذلك يُذهب البهاء، ويوقع الشحناء ، وعليك بالرزانة والوقار، من غير كبر يوصف منك ، ولا خيلاء تُحكى عنك ، والقَ صديقك وعدوّك بوجه الرضا وكفّ الأذى ، من غير ذلة لهم ، ولا مهابة منهم ، وكن في جميع امورك أوسطها ، فان خير الامور أوسطها ، وأقلل الكلام ، وافشِ السلام ، وامشِ متمكناً ، ولا تخطّ برجليك ، ولا تسحب ذيلك ، ولا تلقِ رداءك ، ولا تنظر في عطفيك ، ولا تكثر الإلتفات وراءك ، ولا تقف على الجماعات ، ولا تتخذ السوق مجلساً ، ولا الحوانيت متحدثاً ، ولا تكثر المراء ، ولا تنازع السفهاء ، وإن قضيتَ فاختصر ، وإن مدحتَ فاقتصر ، وإن جلست فتربّع ، وتحفّظ من تشبيك أصابعك وتفقيعها ، والعبث بلحيتك وخاتمك ، وذوابة سيفك ، وتخليل اسنانك ، وإدخال يدك في أنفك ، وطرد الذباب عن وجهك ، وكثرة التثاؤب والتمطي ، وأشباه ذلك مما يستخفه الناس منك ، ويغتمزون به فيك . وليكن مجلسك هادياً ، وحديثك مقسوماً ، واصغِ الى الكلام الحسن ممن يحدثك من غير إظهار عجب

منك ، ولا تسأله إعادة ، وغضّ عن الفكاهات من المضاحك والحكايات ، ولا تحدّث عن إعجابك بولدك ، ولا خادمك ، ولا عن فرسك وسيفك . وإياك وأحاديث الرؤيا ، فانك إن أظهرت الفرح بها والتعجب منها ، طمع فيك السفهاء ، فولدوا لك الاحلام ، واغتمزوا في عقلك . ولا تتصنع تصنّع المرأة ، ولا تبذل ببذل العبد ، وغب بامتشاط لحيتك ، وتوقّ نتف الشيب ، وكثرة الكحل ، والاسراف في الدهن ، وليكن كحلك غبّاً . ولا تلحّ في الحاجات ، ولا تخضع في الطلبات ، ولا تعلم اهلك وولدك فضلاً عن غيرهم عدّة مالك ، فانهم اذا رأوه قليلاً هنتَ عليهم ، وإن كان كثيراً لم يبلغ به مرضاتهم ، واجفهم من غير عنف ، ولِنْ لهم من غير ضعف ، ولا تهازل في حاجتك أمتك ولا عبدك ، فيسقط وقارك من قلوبهم . واذا خاصمت فتوقّر ، وتحفّظ من جهلك ، وتجنب عجلتك ، وتفكّر في حجتك ، وأرِ الحاكم بينكما حلمك ، ولا تكثر الاشارة بيدك ، ولا تحفر على رتبتك ، وتوقّ حمرة الوجه ، وعِرْق الجبين . وإن سُفه عليك فاحلم ، واذا هدأ غضبك فتكلم ، وأكرِم عِرْضك ، وألقِ الفضول عنك . وإن قرّبك السلطان فكن منه على حدّ السنان ، وإن استرسل اليك فلا تأمن انقلابه عليك ، وارفق به كل رفقك ، وكلّمه بما يشتهي ما لم يصنع في ذلك حقاً من حقوق الله ، ولا يحملنك ما ترى من ألطافه ، إياك وخاصته بك ان تدخل بينه وبين احد من أهله وولده ، وحشمه ، إلا بخير ، وإن كان لذلك منك مستمعاً ، وللقول منك فيه مطيعاً ، فان سقطة الداخل بين الملك وأهله صرعة . واذا وعدت فحقق ، واذا حدّثت فاصدُق ، ولا تجهر بمنطقك كمنازع الأصمّ ، ولا تخافت به كمخافتة الاخرس ، وتخيّر محاسن القول بالحديث المقبول ، واذا حدّثت بسماع فانسبه الى أهله ، وإياك والأحاديث الغريبة المستبشعة التي تنكرها القلوب ، وتقف لها الجلود ، وإياك ومضاعف الكلام ، نعم نعم ، ولا ولا ، وأجل

وأجل ، وما أشبه ذلك . واذا توضأت فأجد عَرْك كفيك ، ولا تتنخع في الطست ، وليكن طرحك المـاء من فيك مسترسلا ، ولا تمجّه فينضح على أقرب جلسائك ، ولا تعضّ بعض اللقمة ثم تعيد مـا بقي منها في متصبّغ ، فان ذلك مكروه. ولا تكثر الاستسقاء على مائدة الملوك،ولا تعبث بالمشاش، ولا تعبْ طعاماً ولا شيئاً ممـا يقرّب على المائدة ، من بقل او خلّ او تابل او عسل ، فان اصحابه صيّرت لنفسها المهـابة . ولا تمسك امساك المسكين المثبور ، ولا تبذّر تبذير السفيه المغرور ، واعرف في مالك واجب الحقوق، وحرمة الصديق، واستغنِ عن الناس يحتاجون اليك . واعلم ان الجشع (يعني الطمع) يدعو الى الطبع والرغبة ، كما قيل تدُقّ الرقبـــة ، والأكلة تمنع الأكلات، والتعفف مال جسيم، وخلق كريم ، ومعرفة الرجل قدرَه تشرّف ذكره ، ومن تعدّى القدر هوى في بعيـد القفر ، والصدق زين ، والكذب شين ، والَصدق يسرع عطب صاحبه احسن عاقبة من كذب يسلم عليه قائله ، ومعاداة الحليم خير من مصادقة الأحمق، والزوجة السوء الدمن، الداء العضال، ونكاح العجوز يذهب ماء الوجه ، وطاعة النساء تزري بالعقلاء . تشبّه بأهل الفضل تكن منهم ، واتّضع للشرف تدركه ، واعلم ان كل امرىء حيث وضع نفسه ، وانما يُنسَب الصارم الى صانعه ، والمرء يُعرف بقرينه ، وإياك واخوان السوء فانهم يخونون من رافقهم ، ويخونون من صادقهم ، وقربهم أعدى من الجرَب ، ورفضهم من استكمال الأرب ، وجفوة المستجير لؤم ، والعجلة شؤم ، وسوء التدبير وهم . والاخوان اثنـان : فمحافظ عليك عنـد البـــلاء ، وصديق لك في الرخاء ، فاحفظ صديق البلية ، وتجنّب صديق العافية ، فانه أعدى الأعداء . ومَن اتبع الهوى ، مـال به الى الردا . ولا يعجبنك الظريف من الرجال ، ولا تحقر ضئيلا كالخلال، وانما المرء بأصغريه: قلبـه ولسانه ، ولا ينتفع منه الا بأصغريه . وتوقّ الفساد ، وإن كنت في

بلاد الآعاد . ولا تفرش عرضك لمن دونك، ولا تجعل مالك أكرم عليك من عِرضك . ولا تكاثر الكلام ، فتثقل على الأقوام . وامنح البشر جليسك ، والقبول . وإياك وكثرة التبزيق ، والتلويق ، والتنويق ، فان ظاهر ذلك ينسب الى التأنيث ، والتصنع ، لمغازلة النساء . وكن منتهزاً في فرصتك ، رفيقاً في حاجتك ، متثبتاً في عجلتك ، والبس لكل دهر ثيابه ، وكن مع كل قوم في سلكهم ، واحذر ما يكون بك اللائمة في آخرتك ، ولا تعجل في امر حتى تنظر في عاقبته ، وعليك بالتنوّر في كل شهر ، وإياك وحلق الإبط بالنورة، وليكن السواك من طبعك ، واذا استكتَ فعرضاً ، وعليك بالعمارة فانها أنفع من التجارة، وعلاج الزرع خير من اقتناء الضرع، ومنازعتك اللئيم يطمع فيك ، ومن أكرم عِرضه أكرمه الناس ، ومعرفة الحق من اخلاص الصدق ، والرفيق الصالح ابن عم . من أيسر عظم ، ومن افتقر احتقر . قصّر في المقالة مخافة الإجابة ، والساعي عاتب عليك . طول السفر ملالة ، وكثرة المنى ضلالة ، وليس للمعاتب صديق ، ولا على الميت شفيق ، والادب للشيخ عياء ، والادب للغلام شفاء ، والدين أزين الامور ، والشماتة سفاهة ، والسكران شيطان ، وكلامه هذيان ، والعادة طبيعة لازمة ، إن خيراً فخير ، وإن شراً فشر . ومن حلّ عقداً احتمل حقداً ، والفرار عار، والتقدم مخاطرة ، وكثرة العلل مع الوجود من البخل ، وشر الرجال الكثير الاعتلال (يعني في القول) ، وحسن اللقاء يذهب بالشحناء ، ولين الكلام من أخلاق الكرام .

يا بني ، ان زوجة الرجل سكنه ، ولا عيش له مع خلافها . واذا هممت بنكاح امرأة فاسأل عن أهلها ، فان العروق الطيبة تنبت الثمار الحلوة . واعلم ان النساء أشد اختلافاً من أصابع الكف ، فتوقّ منهن كل ذات يد مجبولة

على الأذى ، فمنهن المعجبة بنفسها ، المزرية ببعلهـا ، إن أكرمها رأت فضلها عليه ، ولا تشكره على جميـــل ، ولا ترضى منه بقليل ، لسانها عليه سفيه صقيل ، قد كشفت اللقحة ستر الحياء عن وجهها ، ولا تستحي من عوارها ولا من جارها ، هدّارة ، ظنّانة ، مهارشة عقاره ، وجه زوجها مكلوم ، وعِرضه مشتوم ، لا ترعاه لدنيـا ولا دين ، ولا تحفظه لصُحبة ، ولا لكبر سنّ . حجابه مهتوك ، وسرّه منشور ، وخيره مدفون ، يصبح كئيبـاً ، ويمسي غائباً ، شرابه شر ، وطعامه غيظ ، وولده صائم ، وبيته مستهلك ، وثوبه وسخ ، ورأسه شعث ، إن ضحك فراهب ، وإن تكلم فمتكاره ، نهاره ليل ، وليله نهـــار ، تلدغه مثل الحية ، وتكرشه مثل العقرب ، صهصلق ختاره ، دُفلس لخناء تهبّ مع الرياح ، وتطير مع كل ذي جناح ، إن قال : لا ، قالت : نعم ، وإن قال : نعم ، قالت : لا ، محتقرة لمـــا في يديه ، تضرب له الامثال ، وتقصر بـه دون الرجال ، وتنقله من حال الى حال ، حتى قلى بيتَه ، وملّ ولده ، وغبّ عيشه ، وهانت عليه نفسه ، حتى أنكره اخوانه ، ورحمه جيرانه .

ومنهن الحمقاء ذات الدلال في غير موضعه ، الماضغة للسانها ، الآخذة في شأنها ، قـد قنعت بحبه ، ورضيت بكسبه ، تأكل كالحمار الراتع ، وترتفع الشمس ولم تسمع لها صوتاً ، ولم تكنس لهـا بيتاً ، طعامها بائت ، وإناؤها وضر ، وعجينها ، وماؤها فاتر ، وماعونها ممنوع ، وخادمها مضروب .

ومنهن العطوف الودود ، المباركة الولود ، المأمونة على غيبتها ، المحبوبة في جيرانهـا ، الحافظة لسرها وعلنها ، الكريمة التبعّل ، الكثيرة التفضل ، الخافضة صوتاً ، النظيفة بيتاً ، خادمها مسمّن ، وابنها مزين ، وخيرها دائم ، وزوجها ناعم ، مصونة الوفـة ، بالخير والعفاف موصوفة ، جعلك الله يا بني

ممن يقتدي بالخير ، ويأتمّ بالتقى ، ويتجنب السخط ، ويحب الرضى ، والله خليفتي عليك ، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم .

ومن الشمائل الأريحية ما ذكره الاصمعي ، قال : دخل اسحاق النديم على امير المؤمنين الرشيد فقال : ما بالك ؟ فقال اسحاق :

سوامي سوام الأكثرين تجملاً ومالي كما قد تعلمين قليلُ
وآمرة بالبخل قلت لها اقصري فذلك شيء ما اليه سبيل
وكيف أخاف الفقر اوأحرم الغنى ورأي امير المؤمنين جميل
أرى الناس خلّان الجواد ولا أرى بخيلاً له في العالمين خليل

فقال الرشيد : هذا والله الشعر الذي صحّت معانيه ، وقويت أركانه ومبانيه ، ولذّ على أفواه القائلين ، وسماع السامعين ، يا غلام ، احمل اليه خمسين الف درهم .

قال اسحاق : يا امير المؤمنين كيف أقبل صلتك وقد مدحت شعري بأكثر ما مدحتك به ؟ قال الاصمعي : فعلمت أنه أصيد للدراهم مني .

ومن هذا الباب ما حكاه الاصمعي قال : دخل المأمون ذات يوم الديوان ، فنظر الى غلام جميل على اذنه قلم ، فقال : من انت ؟ قال : أنا الناشىء في دولتك ، المتقلب في نعمتك ، المؤمّل لخدمتك ، الحسن بن رجاء ، فقال المأمون : بالإحسان بالبديهة تتفاضل العقول ، يُرفع من الديوان الى مرتبة الخاصة ، ويعطى مائة الف درهم تقوية له .

ومن صفات العارفين ما ذكره ابراهيم بن ادهم قال : من علامات العارف

أن يكون أكثر صمته التفكير والعبرة ، وأكثر كلامه الثناء والمدحة ، وأكثر عمله الطاعة والخدمة ، وأكثر نظره الى الطايف صنع رب العزة .

وسُئل بعض المحققين من اهل الله : ما علامة العارف والعابـــد والمحب والخائف ؟ فقال: الخائف ذو هرب، والعابد ذو نصب ، والمحب ذو شغف ، والعارف ذو طرب .

وقال بعضهم : سمعت بعض المنقطعين وهو يتأوه ويقول : آه على أعمـار في المعصية ضاعت ، آه على أسرار بسوء المعاملة ذاعت ، آه على أوقات في المخالفة انقرضت ، آه على ساعات اكتساب المعصية ما حفظت ، آه على توبة أبرمت ثم نقضت ، آه على عهود أكدت ثم لفظت ، آه على نفوس تكفـّل الخالق بأرزاقها فاعترضت ، آه على شباب ولّى بعـــد إقباله ، آه على شيب موذن للجسد بارتحاله ، فأين الاستعداد والاهتمام ؟ وأين التزوّد والاعتزام ؟ وأين المبادرة والاغتنام ؟ ان كنت ممن يبيع معالم الشريعة بالحطام ، فاعلم انه ليس في خسارتك كلام .

وأنشدنا محمد بن عبد الواحد لبعضهم :

اذا وافى بصولته المشيب ... فلا عيش يلذّ ولا يطيبُ
أتطمع في الخلود على الليالي ... وشيب الرأس يتبعه شعوب
اذا نزل المشيب بأرض عبدٍ ... فمنهل موتـــه منه قريب

وأنشدني ابو بكر بن صاف اللخمي لبعضهم :

الحمد لله ثم الحمـــد لله ... فما على الارض من ساهٍ ولا لاهِ
ماذا يعاين ذو عينين من عجب ... يوم الخروج من الدنيا الى الله

وروينا من حديث الهاشمي بسنده الى انس بن مالك قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : أما رأيت المأخوذين على العزة ، والمزعجين بعد الطمأنينة ، الذين أقاموا على الشُبهات ، وجنحوا الى الشهوات ، حتى أتتهم رُسل ربهم، فلا ما كانوا أمّلوا أدركوا ، ولا الى ما فاتهم رجعوا ، قدموا على ما عملوا ، وندموا على ما خلّفوا ، او لم يغنِ الندم، وقد جفّ القلم ، فرحم الله امرءاً قدّم خيراً ، وأنفق قصداً ، وقال صدقاً ، وملك دواعي شهواته ولم تملكه ، وعصى إمرة نفسه فلم تهلكه .

موعظة سفيان الثوري للمنصور بمكة :

حدثنا محمد بن اسماعيل التميمي (١) ، ثنا عبد الله بن علي بن محمد ، ثنا محمد بن ابي منصور ، عن المبارك بن عبد الجبّار، ثنا ابو اسحاق البرمكي، عن احمد بن جعفر بن سالم ، ثنا ابو بكر بن عبد الخالق ، عن يعقوب بن يوسف النسبي ، عن ابي نشيط محمد بن هارون الغرباني قال : سمعت سفيان الثوري يقول : دخلت على ابي جعفر المنصور بمنى ، فقلت له اتق الله ، فإنما أنزلت هذه المنزلة ، وصرت الى هذا الموضع ، بسيوف المهاجرين والانصار، وأبناؤهم يموتون جوعاً . حجّ امير المؤمنين عمر بن الخطاب فما أنفق إلا خمسة عشر ديناراً ، وكان ينزل تحت الشجر ، فقال لي : إنما تريد ان أكون مثلك ، فقلت لا تكن مثلي ، ولكن كن دون ما أنت فيه، وفوق ما أنا فيه ، فقال لي : اخرج ، قال الثوري : فقلت له : اني لأعلم مكان رجل واحد لو صلح صلحت الامة كلها ، قال : من هو ؟ قلت : انت يا امير المؤمنين .

---

(١) نسخة ٢ : التيمي .

ومن وقائع بعض الفقراء الى الله تعالى مـا حدثنا به عبد الله بن الاستاذ المروزي قـال : قال لي بعض الصالحين : رأيت في واقعتي أبا حامد ، وأبا يزيـد ، وأبا طالب ، وأشياخ الصوفية ، وأبا مدين ، فقال احدهم للشيخ ابي مدين : قل لنا شيئاً في المعرفة فقال : المعرفة هي الحجة لبلوغ العافية وثمرتها التوحيد ، واليه النهاية . فالتوحيد هو غاية الامل ، ومـا افترق في الوجود عنده اشتمل ، هو المبدأ ، وله البيان واليه المرجع ، وبـه يحصل الامان ، سره في مخلوقاته خفي وحكمه في مصنوعاته ظاهر جلي ، امره قد انتشر في الورى ، وقضاؤه وقدره في كل شيء قد جرى ، وهو الاول قبل كل شيء ، وهو الآخر ، واليه يرجع الامر كله ، وهو الآمر ، فالمحسوسات كلها هباء ، وهي حجابه سبحانه وبه خفي ، فقلب العارف طاهر مما سواه ، فإذا أعين عليه بادره برحمته فقواه بحياته امتدت حياتـه ، وبصفاته امتدت صفاته ، فمخلوقاته بأسرها اليه مضطرة ، اذ لم يخـل شيء من الاشياء من سره حتى الذرة ، قد شهدت بأسرها اليه ، ونطقت بأنه الواحد ، وأنه ليس له شريك في ملكه ، ولا ولد، ولا والد ، شهادة قد أحكمتها الفطرة ، يشهدها العارف في كل خطرة ونظرة ، فالعارفون به ظهرت لهم الغيوب ، وبذكره اطمأنت منهم القلوب ، فلم يعرجوا على شيء مما سواه ، وما منهم من قنع بشيء عوضاً عن مولاه ، فأسرار العارفين عـن الخلق محجوبة ، وعند من عرفهم ظاهرة بالحسب مطلوبة ، وقلوب الغير بالاسباب في شعب هي من المعرفـة خالية ، ومن الحكمة مسلوبة . لاحظوا أنفسهم فهم منها على غرور ، مـن اسرار العارفين خلوا ، وبظواهرهم تشبهوا ، والناس نيام ، فاذا ماتوا انتبهوا .

روينا من حديث الخطابي قال : كان سعد ممن اعتزل ايام الفتنة ، ولم يكن مع واحد من الفريقين ، فراودوه على الخروج فأبى، وضرب لهم مثلاً:

قال الخطابي : أنا ابن الاعرابي ، حدثنا محمد بن احمد ابن ابي العوام ، حدثنا ابي ، ثنا كثير بن مروان الفلسطيني ، ثنا جعفر ابن برقان ، عن ميمون بن مهران ، قال سعد : لما دعوه الى الخروج معهم اتى عليهم وقال : لا ، إلا أن تعطوني سيفاً له عينا بصيرتان ، ولساناً ينطق بالكافر فاقتله ، وبالمؤمن فاكف عنه ، وضرب لهم مثلاً ، وقال : مثلنا ومثلكم كمثل قوم كانوا على محجةٍ بيضاء ، فبينما هم كذلك اذ هاجت ريح عجاجة فضلوا الطريق ، والتبس عليهم ؛ وقال بعضهم : الطريق ذات اليمين ، فأخذوا فيها فتاهوا وضلوا ؛ فقال آخرون : الطريق ذات الشمال فأخذوا فيها فتاهوا وضلوا وقال آخرون : كنا على الطريق حيث هاجت الريح فننيخ ، فأناخوا واصبحوا فذهب الريح ، فتبين الطريق ، فهؤلاء الجماعة قالوا نلزم ما فارقنا عليه رسول الله ﷺ حتى نلقاه ، ولا ندخل في شيء من الفتن . قال ميمون ابن مهران فصار الجماعة والفئة التي يدعى فيها الاسلام ما كان عليه سعد بن ابي وقاص واصحابه الذين اعتزلوا الفتن ، حتى أذهب الله عزّ وجل الفرقة ، وجمع الألفة ، فدخلوا الجماعة ، ولزموا الطاعة ، وانقادوا ، فمن فعل ذلك ولزمه نجا ، ومن لم يلزمه وقع في المهالك .

وحدثنا يونس بن يحيى الهاشمي، عن ابي الفتح محمد بن عبد الباقي بن احمد ابن سليمان المعروف بابن البطن، عن ابي الفضل احمد بن خيرون، عن ابي علي الحسن بن ابراهيم بن شادان ، عن الحسن احمد بن اسحاق ، عن ابي عبد الله احمد بن محمد ، عن عمّار بن عبد الله المصيصي ، عن مخلد بن الحسين ، عن واصل ؛ ذكر أنه أسر غلام من بطاركة الروم، وكان غلاماً جميلاً ، فلما صار الى دار الاسلام، وقع الى الخليفة، وذلك في خلافة بني أمية، فسمّاه بشيراً ، وأمر به الى الكتّاب ، فكتب ، وقرأ القرآن ، وطلب الأحاديث ، وروى

الشعر ، فلما بلغ أتاه الشيطان فوسوس له ، وذكّره النصرانية دين آبائه ؛ فهرب مرتداً من دار الاسلام الى ارض الروم الذي سبق له في أم الكتاب به ، فأتى به الى الطاغية ، فسأله عن حاله ، وما الذي دعاه الى الدخول في دين النصرانية ؟ فأخبره برغبته فيه ، فعظم في عين الملك ورأسه ، وصيّره بطريركاً من بطاركته ، وأقطعه قرىً كثيرة ، فهي اليوم تعرف به ، يقال لها : قرى بشير .

وكان من قضاء الله وقدره أنه أسر ثلاثين أسيراً من المسلمين، فأدخلوا على بشير، فسألهم رجلاً رجلاً عن دينهم ، وكان فيهم شيخ من اهل دمشق يقال له واصل ، فسأله بشير ، فأبى الشيخ ان يرد عليه شيئاً ، فقال له بشير : مالك لا تجيبني ؟ قال : لست أجيبك اليوم بشيء ، فقال بشير للشيخ : اني سائلك غداً ، فأعدّ لي جواباً ، وأمره بالانصراف . فلما كان الغد بعث اليه بشير ، فأدخل عليه الشيخ ، فقال بشير : الحمد لله الذي كان قبل أن يكون شيء من خلقه ، وخلق سبع سموات طباقاً بلا عون كان معه من خلقه ، ودحى سبع ارضين بلا عون كان معه من خلقه، فعجب لكم يا معاشر العرب، حين تقولون : إن مثل عيسى عند الله كمثل آدم خلقه من تراب ، ثم قال له كن فيكون .

فسكت الشيخ ، فقال : مالك لا تجيبني ؟ قال : كيف أجيبك وأنا أسيرٌ في يديك ؟ فإن أجبتك بما تهوى أسخطتَ عليّ ربي ، وأهلكتَ عليّ ديني ، وإن أجبتك بما لا تهوى أهلكتُ نفسي ، فاعطني عهد الله وميثاقه ، وما أخذ الله عز وجل على النبيين ، وما أخذ النبيون على الأمم، أن لا تغدر بي ، ولا تمحلني ، ولا تبغ لي باغية سوء ، وأنك اذا سمعت الحق تنقاد له . قال بشير : فلك عليّ عهد الله وميثاقه ، ومـا اخذ الله على النبيين ، وما

اخـذ النبيون على الأمم ، أن لا اغدر بك ، ولا احل بك ، ولا ابغي بك باغية سوء ، واني اذا سمعت الحق أنقاد له .

فقال الشيخ: اما ما وصفت من صفة الله عز وجل، فقد احسنت الصفة، ولم يبلغ علمك، ولم يستحكم عليه رأيك اكثر من هذا ، والله عز وجل اعظم وأكبر مما وصفت ، ولا يصف الواصفون صفته ، وأما مـا ذكرت من هذين الرجلين ، فقد أسأت الصفة ، ألم يكونا يأكلان الطعام ، ويشربان الشراب ، ويبولان ، ويتغوطان ، وينامان ، ويستيقظان ، ويفرحان ، ويحزنان ؟ قـال بشير : بلى . قال : فلمَ فرقت بينهما ؟ قال بشير : لأن عيسى كان له روحان اثنان : فروح يبرىء بها الاكمه والأبرص ، وروح يعلم بهـا الغيب ، ويعلم ما في قعر البحار، وما يتحات من ورق الشجر، قال واصل : روحان اثنان في جسد واحد ؟ قال بشير : نعم . قال الشيخ : فهل كانت القوية تعرف موضع الضعيفة منهما ام لا ؟ قال بشير : قاتلك الله ماذا تريد ان تقول إن قلت انها لا تعلم ؟ قال الشيخ : ان قلت : انها تعلم ، فما لهـذه القوية لا تطرد عنه هذه الآفات ، وإن قلت انها لا تعلم ، قلت كيف تعلم الغيوب ؟ ولا نعلم روحاً في محل واحد في جسد واحد .

قال : فسكت بشير، فقال الشيخ : بالله هل عبدتم الصليب مثالاً لعيسى ابن مريم أنه صلب ؟ قال بشير: نعم . قال الشيخ: فبرضى منه أم بسخط ؟ قال بشير : هذه اخت تلك ، ماذا تريد ان تقول ان قلت برضى منه ؟ قال الشيخ : ان قلت برضى منه، قلت فما انتم من قوم أُعطوا ما سألوا وأرادوا، وإن قلت بسخط ، قلت فلمَ تعبدون ما لا يمنع عن نفسه ؟ قـال بشير : والضارّ ، والنافع ، ما ينبغي لمثلك ان يعيش إلا في النصرانية ، أراك رجلاً

قد تعلمت الكلام ، وأنا رجل صاحب سيف ، ولكن آتيك غداً بمن يخزيك الله على يديه ، ثم أمره بالانصراف .

فلما كان الغد بعث بشير الى الشيخ ، فلما دخل عليه اذا عنده قس عظيم اللحية ، فقال له بشير : إن هـذا رجل من العرب له حكم وعقل ، وأصل في العرب ، وقد أحب ان يدخل في ديننا فكلمه حتى تنصّره ، فسجد القس لبشير ، وقال : قديماً ما اتيت إلا بالخير ، وهذا أفضل ما اتيت بـه إليّ . ثم أقبل على الشيخ وقال له : ايها الشيخ ما انت بالكبير الذي ذهب عنـه عقله ، وتفرق عنه حكمه ، ولا انت بالصغير الذي لم يستكمل عقله ، ولم يبلغ حلمه ، غداً أغطسك في المعمودية غطسة تخرج منها كيوم ولدتك امك . قال الشيخ : فما هذه المعمودية ؟ قال القس : مـــاء مقدس . قال الشيخ : مَن قدّسه ؟ قال القس : أنا قدّسته ، والأساقفة من قبلي . قال الشيخ : فهـلا كانت لك ذنوب وخطايا ، وللأساقفة من قبلك، أم انتم مبرؤن من النقص؟ قال القس : نعم ، انها لأكثر من ذلك ، ولا يسلم من الذنب والعيب إلا الله تعالى ، قال الشيخ : هل يقدّس الماء من لم يقدّس نفسه ؟

قال : فسكت القس ، ثم قال : اني لم اقدسه انا . قال الشيخ : فكيف كانت القصة اذاً ؟ قال القس : انها سنـّة من عيسى بن مريم ، قال الشيخ : فكيف كان الأمر اذاً؟ قال القس: ان يحيى بن زكريا أغطس عيسى بن مريم بالأردن غطسة ، ومسح له رأسه ، ودعا له بالبركة . قال الشيخ : واحتاج عيسى الى يحيى بن زكريا أن يمسح له رأسه ويـــدعو له بالبركة ؟ فاعبدوا يحيى ، فيحيى خـــير لكم من عيسى . فسكت القس ، واستلقى بشير على فراشه ، وأدخل فاه في كمه وجعل يضحك ، وقال للقس : قم اخزاك الله ، دعوتك لتنصره ، فإذا انت قد اسلمت .

ثم إن الشيخ بلغ امره الى الملك ، فبعث اليه الملك فقال : ما هذا الذي بلغني عنك من تنقيصك لديني ، ووقيعتك فيه ؟ قال الشيخ : ان لي ديناً كنت ساكتاً عنه ، فلما سئلت عنه، لم اجد بداً من الذبّ عنه . قال الملك: وهل في يدك حجة ؟ قال : أدع لي من شئت حتى يحاورني ، فإن كان الحق في يدي فلمَ تلومني على الذبّ عن الحق ، وان كان الحق في يده رجعت الى الحق . فدعا الملك بعظيم النصرانية ، فلما دخل عليه سجد له الملك ومن عنده اجمعون . فقال الشيخ : ايها الملك من هذا ؟ قال : رأس النصرانية الذي تأخذ النصرانية عنه دينها . قال الشيخ : فهل له من امرأة ؟ ام هل له من ولد ؟ ام هل له من عقب ؟ فقال له الملك : هذا ازكى وأطهر من ان يدنس بالنساء ، هذا ازكى وأطهر من ان ينسب اليه الولد ، ويدنس بالحيض ، هذا ازكى وأطهر من هذا كله . قال الشيخ : فأنتم تكرهون الآدمي ، يكون منه ما يكون من بني آدم من الغائط ، والبول ، والنوم ، والسهر ، وتأخذكم غيرة من ذكر نسبة النساء اليه ، وتزعمون أن رب العالمين سكن ظلمة البطن، وضيق الرحم، ودنس الحيض . قال القس : هذا شيطان من شياطين البحر ، رمى به البحر اليكم فاخرجوه من حيث جاء .

فأقبل الشيخ على القس وقال : عبدتم عيسى بن مريم لأنه لا أب له ، فضمّوا آدم مع عيسى حتى يكون لكم آلهان اثنان ، وإن كنتم عبدتموه لأنه أحيى الموتى ، فهذا حزقيل مرّ بميت تجدونه في الانجيل لا تنكرونه ، فدعا الله عز وجل ، فأحياه له حتى كلمه ، فضمّوا حزقيل مع عيسى وآدم حتى يكون لكم ثلاثة ، وإن كنتم إنما عبدتموه لأنه اراكم المعجزات ، فهذا يوشع ابن نون قاتل قومه حتى غربت الشمس ، فقال لها : ارجعي بإذن الله ، فرجعت اثني عشر برجاً ، فضمّوا يوشع ايضاً الى عيسى يكون رابع اربعة،

وإن كنتم إنمـــا عبدتموه لأنه عرج به الى السماء ، فمن ملائكة الله عز وجل مع كل نفس ، اثنان بالليل، واثنان بالنهار، يعرجون الى السماء ، ما لو ذهبنا نعدّهم لالتبس علينا عقولنا ، واختلط علينا ديننا ، ومـا زاد في ديننا إلا تحيراً . ثم قال : ايها القس اخبرني عن رجل يحل بـه الموت ، الموت اهون عليه ام القتل ؟ قـال القس : بل القتل . قال : فلمَ لم يقتل عيسى بن مريم أمه ، بل عذبها بنزع الروح ؟ ان قلت انه قتلها فما برّ أمـه في قتلها ، وإن قلت إنه لم يقتلها فما برّ أمه في تعذيبها ، بنزع النفس . فقال القس : اذهبوا به الى الكنيسة العظمى ، فإنه لا يدخلها احد إلا تنصّر . قال الملك: اذهبوا به الى الكنيسة . قال الشيخ : لماذا يذهب بي الى الكنيسة ولا حجـة عليّ دحضت حجتي ؟ قال الملك : لا يضرّك شيئاً ، إنمـا هو بيت من بيوت الله تعالى تذكر فيه ربك . قال الشيخ : اما اذا كان هكذا فلا بأس .

فذهبوا به الى الكنيسة ، فلما دخل الى الكنيسة وضع اصبعيه في اذنيه ورفع صوته بالآذان ، فجزعوا لذلك جزعـــاً شديداً ، وصرخوا لذلك ، وكتفوه ، وجاؤا به الى الملك ، فقالوا : ايهـا الملك ، أحل بنفسه القتل . قال الشيخ : ايها الملك اين ذهبوا بي ؟ قال : ذهبوا بك موضعاً تذكر ربك فيه . قال : فقد دخلته وذكرت ربي فيه بلساني ، وعظمته بقلبي ، فإن كان كلما ذكر الله في كنائسكم صغر اليكم دينكم فزادكم الله صغاراً . قـال الملك : صدق ، وما لكم عليه سبيل . قالوا : ايها الملك لا نرضى حتى نقتله . قـال الشيخ : انكم متى قتلتموني فبلغ ذلك ملكنا وضع يـده في قتل القسيسين ، والأساقفة ، ويخرّب الكنايس ، وكسر الصلبان ، ومنع النواقيس . قالوا : وانه ليفعل. قال: فلا تشكّوا في ذلك ؟ قال: فتفكروا في ذلك فتركوه . قال الشيخ : ايها الملك بمَ علا اهل الكتاب على اهل الأوثان ؟ قال : لأنهم

عبدوا ما عملوا بأيديهم. قال : فهذا انتم عبدتم ما عملتم بأيديكم هذه الاصنام التي في كنائسكم ، فإن كان في الانجيل فلا كلام لنا فيه ، وإن لم يكن في الانجيل، فما اشبه دينكم بدين الأوثان . قال: صدق، هل تجدونه في الانجيل ؟ قال القس : لا . قال : فلمَ تشبهوا ديني بدين اهل الأوثان ؟ قال : فأمرهم بتبييض الكنايس ، فجعلوا يبيضونها ويبكون . قال القس : هذا شيطان من شياطين العرب رمى به البحر اليكم ، فاخرجوه من حيث جاء ، ولا يقطر من دمه قطرة في بلادكم فيفسد عليكم دينكم ، فوكلوا به رجالاً ، فأخرجوه من حيث جاء من بلاد دمشق . ووضع الملك يده في قتل القسيسين ، والبطاركة ، والأساقفة ، حتى هربوا الى الشام ، لما لم يجد واحداً يحاجّه ، انتهى .

اخبرني عبد الواحد بن اسمعيل العسقلاني قال : سمعتُ جدّي لأميّ عمر ابن عبد الحميد يقول : أعلمْ ان الناس في الدنيا على ابواب ملوكهم طبقات ، فمنهم الخواص المقرّبون ، والخدم المنتخبون ، والأمناء الثقات ، والكبراء السادات ، والتجار الطالبون للارباح ، والفقراء اصحاب الصدقات . فأحسن احوالك أن تنزل نفسك منزلة الفقراء والسؤال لا مقام ذي الصلة والنوال ، كم يدعون فلا يجيبون ، ويرغبون فلا يرغبون ؟ فما لكم لا تكونون كما قال الله تعالى : اذكروني اذكركم ، وأشرف الذكر ذكر القلب ، لأنه موضع نظر الله عزّ وجل من العبد .

وقال بعضهم يوبخ نفسه : اما تستحي من الله ، كم يكون منك الخطا ، ومنه العطا ، كم يكون منك الجفا ومنه الوفا؟ هلاّ كان منك التوبة فيكون منه القبول ؟ يا نفس ، كم تعصيه ويستر عليك وتمادي في الذنب ويمهلك ؟ أما تخشى عقابه ؟ اما تستحي من عتابه؟ أخاف عليك ان لم تنتهي عن قبيح

فعلك ليصُبنّ عليك سخطه ، وليحرقنك بنار غضبه ، هذا قلبك في فلوات المعاصي ضائع ، وسرك في الاعمال القبيحة رائع ، فبادري بالتوبة والاقلاع ، والندم والاسترجاع ، فكأنك وقـد كشف القناع ، ولا تغتري بالحياة الدنيا فما الحياة الدنيا في الآخرة إلا متاع .

وأنشدني محمد بن عبد الواحد لبعضهم :

انتَ سترى كيف اهتكه ذا طريقٌ لستُ اسلكه
املك الدنيـا بأجمعهـا وفؤادي لستُ املكه

قال بعض العارفين للعارفين اربع علامات : ذكر المنة ، وصدق الهمة ، وعرفان الحرمة ، وخوف الفرقة. وقال بعض الصالحين: من علامات العارف أن ينظر الى الدنيا بعين الاعتبار ، والى الآخرة بعين الانتظار ، والى النفس بعين الاحتقار، والى الطاعة بعين الاعتذار، لا بعين الاستكبار ، والى المغفرة بعين الاستبشار ، والى المعروف سبحانه وتعالى بعين الافتخار .

حدثنا يونس بن يحيى ، ثنا ابن البطيء ، عن ابن شادان ، عن احمد ابن اسحاق ، عن احمد بن محمود ، عن الحسن بن عبد العزيز المخزومي ، انا ابو حفص القيسي ، عن ابي معبد ، قال : سمعت بلال بن سعيد يقول : كان أخوان في بني اسرائيل خرجا يتعبدان، فلما أرادت الطريق تفرق بينهما قال احدهما لصاحبه : خذ انت في هذا الطريق ، وأنا في هذا الطريق ، فإذا كان رأس السنة اجتمعنا في ذلك الموضع ، فلما اجتمعا قال احدهما لصاحبه : أي ذنب فيما عملت أعظم ؟ قال : بينما انا أمشي على الطريق اذا بسنبلة فأخذتها فألقيتها في احدى الارضين ، ارض عن يميني ، وأرض عن شمالي ، ولا أدري أهي للأرض التي ألقيتها فيها أم للأخرى ؟

ثم قال المسؤول للسائل : أي ذنب فيما عملت أعظم ؟ قال : لا أعلم غير اني كنت اقوم الى الصلاة ، وأميل مرة على هذه الرجل ، ومرة على هـذه الرجل ، فلا ادري ، أكنت أعدل فيما بينهما ام لا ؟ فسمعهما ابوهما من داخل الباب ، فقال : أللهمّ ان كانا صادقين فأمتهما ، فخرج فإذا بهما قد ماتا .

وروينا من حديث ابن ودعان ، عن الحسن بن شهاب ، عن ابي الهادي ، عن محمد بن منصور ، عن موسى بن اسماعيل ، عن حمّـاد بن سلمة ، عن ايوب ، عن نافع ، عن ابن عمر قـال : قال رسول الله ﷺ : ليس شيء يباعدكم من النار إلا وقد ذكرته لكم ، ولا شيء يقرّبكم من الجنة إلا وقـد دللتكم عليه ، ان روح القدس نفث في روعي ، انه لن يموت عبد حتى يستكمل رزقه ، فاجملوا في الطلب ، ولا يحملنكم استبطاء الرزق على ان تطلبوا شيئاً من فضل الله بمعصيته ، فإنه لا ينال ما عند الله إلا بطاعته ، ألا وان لكل امرء رزقاً هو آتيه لا محالة ، فمن رضي بـه بورك له فيه ، فوسعه ، ومن لم يرض بـه لم يُبارك له فيه ، ولم يسعه ، ان الرزق ليطلب الرجل كما يطلبه اجله .

خبر الكنيسة التي بناها ابرهة بصنعاء الى جنب غمدان :

روينا من حديث بن اسحاق ، ان ابرهة الأشرم ، لمـا كان من امره ما كان مع ارباط ، وقتله ، وملك اليمن ، وأقره النجاشي على اليمن ، بنى كنيسة بصنعاء الى جنب غمدان ، وسماها القليس ، وحرق غمدان هو وارباط ، وكتب الى النجاشي : اني قـد بنيت لك بصنعاء بيتاً لم تبن العرب والعجم مثله ، ولن أنتهي حتى أصرف حاجّ العرب اليه ، ويتركوا الحج الى بيتهم ، فبنى القليس بحجارة قصر بلقيس التي عمرته صاحبة الصرح المذكور في القرآن ،

وكان سليمان في رواية من قال : انه تزوج بهـا ، فكان اذا جاءها ينزل عليها فيه ، قـــال ابن اسحاق : فوضع ابرهة الرجال نسقاً يناول بعضهم بعضاً الحجارة، والآلة ، حتى نقل ما كان في قصر بلقيس ، مما احتاج من الحجارة، والرخام ، والآلة ، وجدّ في بنائه ، وبناه مربعاً ، مستوى التربيع ، طوله في السماء ستون ذراعاً ، وكبسه من داخله في السماء عشرة أذرع ، وكان يصعد اليـه بدرج الرخام ، وبنى حوله سوراً بينه وبين القليس مائتا ذراع مطيف به من كل جانب،وبنى ذلك كله بحجارة يسموها اهل اليمن الجورب، منقوشة مطابقة لا تدخل بين اطباقها الابرة مطيفة به ، وجعل طول ما بنى بـه من الجورب عشرين ذراعاً في السماء ، ثم فصل ما بين حجارة الجوارب بحجارة مثلثة تشبه الشرف متداخلة بعضها ببعض ، حجر اخضر ، وحجر اسود ، وحجر احمر ، وحجر ابيض ، وحجر اصفر ، فيما بين كل ساقين خشب ساسم مدّور الرأس ، غلظ الخشبة حضن الرجل ، ثابتة على البناء ، وكان مفصلاً بهذا البناء على هذه الصفة ، ثم فصل بإفريز من رخام منقوش ، طوله في السماء ذراعان ، وكان الرخام ثابتاً على البناء ذراعاً ، ثم فصل فوق الرخام بحجارة سود لها بريق ، ثم وضع فوقها حجارة بيضاً لها بريق ، فكان هذا ظاهر حائط القليس ، وكان عرض حائط القليس ستة اذرع ، وكان له باب من نحـاس عشرة اذرع طولاً في اربعة اذرع عرضاً ، وكان المدخل منه الى بيت في جوفه طوله ثمانون ذراعاً في اربعين ذراعاً ، معلق العمل بالساج المنقوش ، ومساميره الفضة والذهب ، ثم يدخل من البيت الى إيوان طوله اربعون ذراعاً، عن يمينه وعن يساره عقد مضروبة بالفسيفساء مشجرة، بينها كواكب الذهب ظاهرة ، ثم يدخل من الإيوان الى قبة ثلاثون ذراعاً في مثلها بالقصير ، فيها صلب منقوشة بالذهب والفضة ، وفيها رخامة ممـا يلي مطلع الشمس من البلق مربعة عشرة اذرع في مثلها ، تغشي عين من نظر اليها من

بطن القبة ، يؤدي ضوء الشمس والقمر الى داخل القبة، وكانت تحت الرخامة منبر من خشب اللبخ وهو الابنوس مفصّل بالعاج الابيض ، ودرج المنبر من خشب الساج ملبسة ذهباً وفضة ، وفي القبة سلاسل فضة ، وكان في القبة ، وفي البيت خشبه من ساج منقوشة طولها ستون ذراعاً ، يقال لهـــا كعيبٌ وخشبة من ساج ، نحوها في الطول ، يقال لها امرأة كعيب ، كانوا يتبركون بها في الجاهلية ، وكان يقال الكعيب الاحوريّ ، وهو في لسانهم ، الحرّ ، وكان ابرهة عند بناء القليس قد أخذ العمال بالعمل اخذاً شديداً ، وقد كان آلى ان لا تطلع الشمس على عامل لم يضع يده في العمل إلا قطع يده . قال : فتخلّف رجل ممن كان يعمل فيه حتى طلعت الشمس ، وكانت له ام عجوز، فذهب بها معه لتستوهبه من ابرهة ، فأتته به وهو بارز للناس ، فذكرت له علة ابنها واستوهبته منه ، فقال : لا أكذّب نفسي ، ولا أفسد على عمالي ، فأمر بقطع يده ، فقالت له :

اضرب بمعولك ساعي بهر اليوم لك
وغداً لغيرك ليس كل الدهر لك

فقال : أدنوها ، وقال لهـا : إن الملك ليكون لغيري ؟ قالت : نعم . وكان ابرهة قـد أجمع ان يبنى القليس حتى يظهر على ظهره ، فيرى منه بحر عدن ، فقال : لا أبني حجراً على حجر بعد يومي هـذا ، فأعفى الناس من العمل . قال ابو الوليد : تفسير قولها : ساعي بهر ، تقول : اضرب بمعولك ما كان حديداً .

قال ابن اسحاق : وانتشر خبر بناء هذا البيت في العرب، وسمع به رجل من النساة احد بني فقيم ، ثم بني مالك بن كنانـة ، فغضب وخرج حتى أتى القليس فدخله ، فأحدث فيه ، فبلغ ذلك أبرهة ، فغضب وقال : لا أنتهي

حتى أهدم بيت العرب الذي يحجّون اليه ، يعني ، الكعبة ، فتجهّز ، وساق الفيلَ الى البيت الحرام ليهدمه ، فكان من شأنه ما ذكرناه في هذا الكتاب.

قال ابن اسحاق : ولم يزل القليس على ما كان عليه حتى ولّي امير المؤمنين ابو جعفر المنصور العباس بن الربيع بن عبيد الله الحارثي ، اليمن ، فذكر للعباس ما في القليس من الذهب والفضة ، وعظم ذلك عنده ، وقيل له : إنك مصيب فيه مالاً كثيراً وكنزاً ، فتاقت نفسه الى هدمه وأخذ ما فيه ، فبعث الى ابن وهب بن منبّه فاستشاره في هدمه وقال : غير أن واحداً من اهل اليمن قد أشار عليّ ان لا أهدمه ، وعظم اليّ امر كعيب ، وذكر ان اهل الجاهلية كانوا يتبركون به ، وأنه كان يكلمهم ويخبرهم بأشياء مما يحبون ويكرهون .

قال ابن وهب : كل ما بلغك ، وإنما كعيب صنم من أصنام الجاهلية ، فتنوا به ، فمر بالذهل وهو الطبل ، وبمزمار ، فليكونا قريناً ، ثم أعله الهدّامين ، ثم مُرهم بالهدم ، فإن الذهل ، والمزمار ، أنشط لهم وأطيب لنفوسهم ، وأنت مصيب مالاً ، مع أنك تأخذ بثأر من الفسقة الذين حرقوا غمدان ، وتكون قد محوت عن قومك اسم بناء الحبش ، وقطعت ذكرهم .

وكان يهودي بصنعاء عالماً ، فجاء قبل ذلك الى العباس بن الربيع يتقرب اليه ، فقال له : ان يهدم القليس يلي اليمن اربعين سنة ، فلما اجتمع له مشورة بن وهب ، وقول اليهودي ، أجمع على هدمه ، فقال مَن شهد هدمه : أصاب منه العباس مالاً عظيماً ، ثم رأيته دعا بالسلاسل فعلّقها في كعيب ، والخشبة التي معه ، فاحتملها الرجال فلم يقربها احد مخافة مما كان اهل اليمن يقولون فيها ، فدعا بالوردين وهو العجل ، وعلّق فيها السلاسل ، ثم جذبها الثيران

حتى أبرزها من السور . فلما لم يرَ الناس شيئاً مما كانوا يخافون من مضرّاتها ، اشترى رجل عراقي الخشبة ، وقطعها لدار له ، واتفق ان العراقي تجذّم فقال: من كان في قلبه تعظيم الخشبة من جهّالهم ، انمـــا أصابه ما أصابه من أجل شرائه كعيباً ، وكان الناس اذا فتشوا في هدم القليس ، وجدوا قطع الذهب والفضة ، وهذا ما كان من هدم القليس .

ومن الالحاد في الحرم المكي ، ما حدثنا بـــه محمد بن اسمعيل ، ثنا عبد الرحمن ، ثنا احمـــد ابن علي ، ثنا ابو بكر الخطيب ، انا ابن بشيران ، ثنا ابن صفوان ، ثنا عبد الله بن محمـــد القرشي ، ثنا ابراهيم بن سعيد ، ثنا ابو سامة مسعر ، عن علقمة بن مرشد ، قال : بينما رجل يطوف بالبيت اذ برق له ساعد امرأةٍ فوضع ساعده على ساعدها يتلذّ بـــه ، فلصقت ساعداهما ، فخرجا من الحرم ملتصقين حياءً لما حلّ بهما ، فقال لهما بعض العلماء : ارجعا الى الموضع الذي اصابكما هـــذا فيه ، فتوبا الى الله ، وأعزما أن لا تعودا ، فرجعا فعاهدا الله ، فخلى عنهما .

ومن باب تعجيل العقوبة ، مـــا كان يحدثنا به عبد الله بن العاص الباجي المالكي في مناقب مالك وفضله في العلم ، ان امرأة غسلت امرأة ماتت ، فلما غسلت فرجها ضربت الغاسلة بيدها على فرج الميتة ، وقالت : ما كان ازناك من فرج ، فلصقت يدها بالفرج ، فسئل علماء المدينة في ذلك ، ومالك صغير طالبٌ للعلم، فاختلف علماء المدينة بين تغليب حرمة الميت على الحي، وحرمة الحي على الميت ، فمن قائل ، تقطع يدها ، ومن قائل ، يقطع الفرج، ومالك حاضر فقال : أرى ان سمعتم أن تجلد حدّ القذف [1] ، فانـــه يخلى عنها ،

---

(١) نسخة ٢ : الفرية .

قال : فجلدت ثمانين جلدة ، فانطلقت يدهـــا ، فمن هنالك علم فضل مالك في العلم .

روينا من حديث ابن باكوية ، عن ابي الفضل القطان ، عن جعفر الخلدي قـال : سمعت الجنيد يقول : حججت على الوحدة فجاورت بمكة ، فكنت اذا جن الليل دخلت أطوف فاذا بجارية تطوف وهي تقول :

أبى الحبُّ أن يخفى وكم قد كتمتُه فأصبح عندي قد أناخ وطنّبا
اذا اشتدّ شوقي هامَ قلبي بذكره وأن رمتُ قرباً من حبيبي تقرّبا
ويبدو فأفنى ثم احيـا بذكرهِ ويسعدني حـــق ألذّ وأطربا

قال : فقلت لها يا جارية ، اما تتقين الله في هذا المكان ؟ تتكلمين بهـذا الكلام ، فالتفتت اليّ وقالت يا جنيد :

لولا التقى لم ترَني أهجرُ طيبَ الوسَن
ان التقى شرّدني كما ترى عن وطني
أفرُّ من وجدي بهِ فحبُّه هيّمني

ثم قالت : يا جنيد ، تطوف بالبيت ام برب البيت ؟ قلت : اطوف بالبيت ، فرفعت رأسها الى السماء وقالت : سبحانك مـــا أعظم شأنك في خلقك ، خلق كالاحجار يطوفون بالاحجار ، ثم انشأت تقول :

يطوفون بالاحجار يبغون قربَه اليك وهم أقسى قلوباً من الصخر
وتاهوا ولم يدروا من النيّة من هم وحلّوا محل القرب في باطن الفكر
فلو صدَقوا في الودّ غابت صفاتهم وقامت صفات الودّ للحق في الذكر

قال الجنيد : فغشي عليّ من قولها ، فلما افقتُ لم ارها . قلت : كنت ليلة في الطواف ، فطلبتُ قلبي فلم أجده ، فهدت أن أجده ، فصعب عليّ الطواف بجسمي بقلب غير حاضر ، وداخلني خوفٌ ، فنزلت ، اطوف في الرمل وحدي ، وأقول ، وأبكي :

جسم يطوف وقلب ليس بالطائف ذات تصدو ذات مالها صارف
هيهات هيهات ما اسم الزور يعجبني قلبي له من خفايا فكره خائف

ثم وجدت لحة برقت ، فدنوت من البيت وأنا اقول : اطوف على طوافي بالمعاني . فهتف لي هاتف خلف الستر فقال :

فغايتك الوصول الى الغواني . فقلت : فكم من طائف ما نال إلا ؟
فقال : ملاحظة من الحور الحسان . فقلت : فكم من طائف ما نال إلا ؟
فقال : عياناً في عيانٍ من عيان ، فقلت : فانبئني بحظي منه وأصدق ؛
فقال : كياناً في كيان من كيانٍ ، فقلت :

فقد اودعته التوحيد عقداً وكان يمينه بدل الجنانِ

فقال :

وربّ الراقصات بقاع سلعٍ وربّ مثالثٍ تتلو المثاني
لقد عاينته كالسلك فيه فابشرْ بالقبول وبالأماني

ولأبي عبد الله احمد بن محمد بن احمد الشيرازي :

اليك قصدي لا للبيت والأثر ولا طوافي بأركان ولا حجر
صفاء دمعي الصّفا لي حين عبرُه وزمزمي دمعة تجري من النظرِ

وفيكَ سعيي وتعميري ومزدَلفي
والهديُ جسمي الذي يغني عن الجزرِ
عِرفـــانهُ عَرَفاني إذ منى منن
ووقفتي وقفـــة في الخوف والحذرِ
وجمرُ قلبي جمـــارٌ تبدها شرَري
والحرم تحريمي الدنيـــا عن الفكرِ
ومسجد الخيْف خوفي من تباعُدِكم
ومشعري ومقـــامي دونكم خطري
زادي رجـــائي له والشوق راحلتي
والمـــاء من عَبَراتي والهوى سفري

واقعة لبعض الفقراء:

حدثنا عبدالله بن الاستاذ المروزيّ ، قال: رأى بعض الفقراء من اصحابنا في واقعة كان الشيخ أبا مدين جالس وعلى رأسه ألوية مركوزة، واذا بشخص عليه مسح من شعر ، فسلم عليه ، ثم قـــال : يا سيدي ، جئت أسألك عن الروح وما سرّه ؟ فقال له الشيخ : السرُّ هو الحقيقة لا تجلى عليه خليقة ، ولا دقيقة ، هو مـــادة الله في الوجود ، يأتي من عين اللطف والجود ، محرّك الحركات ، ومجمّد الجمادات ، ومنتشر في النبـــاتات ، عنصره النور الإلهي ، ومنبعها النور الخفيّ ، به أقام إمداد الوجود الى أمد ، وبـــه رفع السماوات بغير عمد ، فهو العمد الذي هم عنه عمون ، وإنمـــا يراه المبصرون الذين له ينظرون ، وبه يسمعون ، وبه يعقلون .

ثم قال الشيخ : يا من خلق الخلق أطواراً ، وأنطقهم سراً وجهـــاراً ، وبصّرهم في نفوسهم فكرة واعتبـــاراً ، قوم نبّهوا فانتبهوا ، وقوم أغلقوا

فبقوا حيارى . ثم قال : اذا عرفك به أمدّ سرّك من سرّه ، فكنت قريباً بقربه ، ومنعماً في قدسه ، وكشف الك عن وجهه ، فنظرت جماله بـه ، فالفروع راجعة الى الأصول ، منها ظهرت ، وفيها أثرت ، فكل فرع هو أصله ، وكل مفترق هو جمعه .

وروينا من حديث محمد بن سلامة ، عن الحسن بن ميمون بن علي بن عمر الدارقطنيّ ، عن ابي بكر محمـد بن احمد بن اسد ، عن محمد بن عبد الملك ابن زنجويه ، عن عمر بن طـارق ، عن يحيى بن ايوب ، عن عيسى بن موسى ابن اياس بن بكير ، أن صفوان بن سلام حدّثه ، عن انس بن مـالك ، عن رسول الله ﷺ ، أنه قـال : اطلبوا الخير دهركم ، وتعرضوا لنفحات رحمة ربكم ، فإن لله عز وجل نفحات من رحمته يصيب بها من يشاء من عباده ، واسألوا الله أن يستر عوراتكم ، ويؤمن روعاتكم .

خبر ذي الأكتاف كسرى مع ساطرون :

روينا من حديث ابن هاشم ، عن خلاّد قرة بن خلاّد السدوسيّ ، عن جنادة ، قال : كان كسرى سابور ذو الأكتاف ، غزا ساطرون ملك الحضر حصن بشاطىء الفرات ، فحصره سنتين ، فأشرفت بنت ساطرون يومـاً ، فنظرت الى سابور ، وعليه ثيـاب ديباج ، وعلى رأسه تاج من ذهب مكلّل بالزبرجد ، والياقوت ، واللؤلؤ ، وكان جميـلا ، فدست اليه : أتتزوجني ان فتحت لك باب الحصن؟ قال : نعم . فلما أمسى ساطرون شرب حتى سكر، وكان لا يبيت إلا سكران ، فأخذت مفاتيح باب الحصن من تحت رأسه ، فبعثت بها مع مولىً لهـا ، ففتح الباب ، فدخل سابور ، وقتل ساطرون ، واستباح الحصن وخرّبه ، وسار بهـا معه ، فتزوجها ، فبينما هي نائمة على

فراشها ليلاً ، إذ جعلت تتململ لا تنـام ، فدعى لها بالشمع ، ففتش فراشها فوجد عليه ورقة آس ، فقال لها سابور : هذا الذي أسهرك ؟ قالت : نعم . قال : مـا كان ابوكِ يصنع بكِ ؟ قالت : كان يفرش لي الدّيباج ، ويلبسني الحرير ، ويُطعمني المخّ ، ويسقيني الخمر . قـال : أفكان جزاءُ ابيكِ مـا صنعتِ به انتِ اليّ بذلك اسرع ؟ ثم أمر بها فربطت قرون رأسها بذنبِ فرسٍ ، ثم ركض الفرس حتى قتلها . وفي ذلك يقول عديّ بن زيد :

والحصْنُ صارَتْ عليه داهيَة من فوقــهِ ايّد مناكبُهَا
مربيَة لم تبقِ والدَهــا لحينــه اذا ضاع راقبُهَا
اذا غبقته صَهْباء صَافيــة والخمرُ وهـل يهيمُ شارُبها
وأسلمتْ اهلَهـــا بليْلتها تظنّ انّ الرئيسَ خاطبُها
فكانَ حظّ العروس اذ جشر الصبْح دماً يجري سَبَاسبُها
وخرب الحصْن واستبيح وقد احْرق في خدرها مشاجبهَا

ومن قبله في الحضر موعظة ، والحضر بـلد عظيم بين الموصل والفرات ، ونهر الشرثار . وهي :

وتأمّل دبّ الخورنق اذا فكـ رَ يومــاً وللهدى تفكيرُ
واخو الحضْرِ اذ بناه واذ دَجْـ لة تُجبى اليْــه والخابُورُ
شاده مَرْمَراً وَجلـلّهُ كُلْـ ساً فللطيْر في ذُراه وكورُ
لم يَهبْه ريبُ الزمان فبـاد الـ ملْكُ عنه فبابُه مهجُورُ
ثمّ اضحوْا كأنهمْ ورَق جفّ فالقربُ به الصّبا والدّبور

وقرأتُ على باب المدينة الزهراء التي صورتها فيه بعد خرابها ، فهي اليوم مأوى الطير والوحوش ، وبناء بنيانها عجيب في بلاد الأندلس ، قريبٌ من قرطبة ، ابياتاً تذكر العاقل ، وتنبّه الغافل ، وهي :

ديار بأكناف المغيب تلمـعُ ... وما انْ بها من ساكن وهي بلقع
ينوحُ عليها الطير من كل جانبٍ ... فيصمتُ أحياناً وحيناً يرجّع
فخاطبتُ منها طائراً متفرداً ... له شجَنٌ في القلب وهو مروّع
فقلتُ على ماذا تنوحُ وتشتكي ... فقال على دهرٍ مضى ليس يرجعُ

اخبرني بعض مشيخة قرطبة ، عن سَبب بنيان المدينة الزهراء ، فقال : انّ عبد الرحمن احد خلفاء بني امية بقرطبة ماتت سِرّيّة له ، فتركت مالاً كثيراً ، فأمر الخليفة أن يفك بذلك المـال اسرى من المسلمين ، وطلب في بلد الافرنج اسيراً فلم يجد ، فشكر الله على ذلك ، فقالت له الزهراء : اشتهيتُ لو بنيتَ لي مدينةً سمّيتها بإسمي ، تكون خاصةً لي ، فبناهـا تحتَ جبَل العروس من قبلة الجبَل وشمال قرطبة ، وبينها وبين قرطبة اليوم قـدر ثلاثة أميال أو دون ذلك ، وأتقن بناءها ، وأحكمه ، وأحكم الصّنعة فيه . وقد ذكر تاريخها ابنُ حيّان ، وجعلها منتزهاً ومسكناً للزّهراء ، وحاشية أرباب دولته ، ونقش صورتها على الباب ، فلمّا قعدت الزهراء في مجلسها على الجبَل الأسود ، علتها فنظرت الى بياض المدينة وحسْنها في حجر ذلـك الجبل الأسود ، قالت : يا سيدي ، ألا ترى الى حسن هذه الجارية الحسناء في حجر هذا الزنجيّ ؟ فأمر بزوال الجبل ، فقال بعضُ جلسائه : أعيذ امير المؤمنين من أن يخطر له ما يشين العقل بسماعه ، لو اجتمع الخلق وعمر الدنيا معهم ما أزالوه حفراً ، ولا قطعـاً ، ولا يزيله إلا من أنشأه ، فأمر بقطع شجره ، وغرسه تيناً ولوزاً ، ولم يكن منظراً أحسن منها ، ولا سيما في زمن الازهار ، وتفتح الاشجار ، وهي بين الجبل والسّهل .

تذكرتُ احبابي ، ورسم ديارهم فقلت :

درَست ربوعهم وإنّ هواهم ... ابداً جديداً بالحشى لا يُدْرَسُ

هذي طلولهم وهذي الاربُعُ ولذكرها ابداً تذوب الانفسُ
ناديتُ خلف ركابهم من حبهم يا منْ غناه الحسن ها انا مفلسُ
مرّغتُ خدّي رقةً وصبابةً فبحقّ حق هواكُمُ لا تؤيسوا
منْ ظلّ في عبراته عرقاً وفي نار الأسى حرقاً ولا متنفِس
يا موقد النار الرويدا هـــذه نارُ الصَّبابة شانكم فلتقبسوا

ولنا من اللّطايف العِرفانية في الإشارات :

ألا يا ترى نجدٍ تباركت من نجدِ سقتك سحابُ المزن جوداً على جود
وحيّاكِ منْ حيّاكِ خمسين حجّةً بعودٍ على بدءٍ وبدءٍ على عودِ
قطعتُ اليها كلّ قفرٍ ومَهْمَهٍ على الناقة الكوماءِ والجمل العود
الى ان تراءى البرق من جانب الغضا وقد زادني مسراه وجداً على وجد

أردت ترى نجدٍ، مركّب العقل، وسحاب المعارف، تسقيه علماً على علم، وخمسين حجة، عمر الركب في هذا الوقت، والتحية سلام الحق مردداً بلطايف التحف، والاشارة بإلبئها للحضرة، والقفر، والمهمه، الرياضة النفسية والمجاهدة البدنية ، والناقة الكوماء ، الشريعة ، والجمل العود ، العقل المجرّد ، والبرق المطلوب، والغضى ، الاشراق النوراني الذي لحجاب العزة الأحمى ، ومسراه، لمعانه من جانب الكون ، فإن السر لا يكون إلا ليلاً ، والكون الليل .

حدثنا محمد بن قاسم ، ثنا ابو الطاهر احمد بن الحسن ، عن أبيه محمد بن الحسن ، عن السادكوي ، عن النعمان بن عبد السلام ، عن سفيان الثوري ، عن ابي اسحاق ، عن ابي بردة ، عن ابي موسى، قال : قال رسول الله ﷺ: لا تسبوا الدنيا ، فنعمت مطية المؤمن، عليها يبلغ الخير، وبها ينجو من الشر، اذ قال العبد : لعن الله الدنيا ، قالت الدنيا : لعن الله أعصانا لربه .

بناء ابن الزبير الكعبة وسببه :

روينا من حديث الازرقي ، قال : حدثني جدي احمد بن محمد ، عن سليم ابن مسلم ، عن ابي جريج ، قال : سمعت غير واحـد من اهل العلم ممن حضر ابن الزبير حين هدم الكعبة وبناها ، قالوا : لمـا أبطأ عبد الله بن الزبير عن بيعة يزيد بن معاوية ، وتخلّف وخشي منه ، لحق بمكة ليمتنع بالحرم ، وجمع مواليه ، وجعل يُظهر عيب يزيد بن معاوية ، ويذكر أنه لا يصلح للخلافة ، لما هو عليه من الفسوق ، ويثبّط الناس عنه ، ويجمع الناس اليه ، فيقوم فيهم بين الأنام ، فيذكر مساوىء بني أمية ، وقد كان رسول الله ﷺ ذكر فيهم ما رويناه أنهم من أشرّ الملوك . فبلغ يزيد بن معاوية ، فأقسم أن لا يؤتى به إلا مغلولاً ، وأرسل اليه رجلاً من اهل الشام في خيل ، فعظم على ابن الزبير الفتنة ، وقال له الرجل : لا تستحل الحرم بسببك ، فإنه غير تاركك ، ولا تقوى عليه ، وقد اجّ في أمرك ، وأقسم ان لا يؤتى بك إلا مغلولاً ، وقد عمل لك غلاً من فضة ، وتلبس فوقه ثيابك ، وتبرّ قسم امير المؤمنين ، فالصلح خير عاقبة ، وأجمل بك وبه .

فقال : دعوني أياماً حتى أنظر في امري ، فشاور أمه أسماء بنت ابي بكر الصديق في ذلك ، فأبت عليه أن يذهب مغلولاً ، وقالت : يا بُنيّ عش كريماً ، ومت كريماً ، ولا تمكّن بني أمية من نفسك ، فتلعب بك ، فالموت أحسن بك من هذا ، فأبى أن يذهب اليه في غلّ ، وامتنع في مواليه ومن يألف اليه من اهل مكة وغيرهم ، فكان يقال لهم الزبيرية .

فبينا يزيد على بعثه الجيوش اليه ، اذ أتى يزيد خبر المدينة بما فعل أهلها بعماله ، ومن كان بالمدينة من بني أمية ، وإخراجهم إياهم منها إلا ما كان من

ولد عثمان بن عفان رضي الله عنه ، فجهّز اليهم مسلم بن عقبة المزني في أهل الشام ، وأمره بقتال اهل المدينة ، فإذا فرغ من ذلك سار الى ابن الزبير بمكة ، وكان مسلم مريضاً ، في بطنه الماء الأصفر ، فقال له يزيد : ان حدث بك حدث الموت ، فولّ الحصين بن نمير الكندي على جيشك ، فسار حتى قدم المدينة ، فقاتلوه ، فظفر بهم ودخلها ، وقتل من قتل منهم ، وأسرف في القتل ، فسمي بذلك مسرفاً ، وانتهب المدينة ثلاثة ايام ، ثم سار الى مكة ، فلما كان في بعض الطريق حضرته الوفاة ، فدعى الحصين بن نمير فقال: يا برذعة الحمار ، لولا أني أكره ان أتزوّد عند الموت معصية امير المؤمنين ، ما ولّيتك ، انظر اذا قدمت مكة فاحذر أن تمكن قريشاً من أُذنك فتبول فيها ، لا يكون إلا الوقاف ، ثم التقاف ، ثم انصراف ، فتوفي مسلم ، ومضى الحصين بن نمير الى مكة ، فقاتل بها الزبير أياماً ، وجمع ابن الزبير مواليه ، فتحصن بهم في المسجد الحرام حول الكعبة ، وضرب اصحاب ابن الزبير في المسجد الحرام خياماً زقاقاً يكتنّون فيها من حجارة المنجنيق ، ويستظلون فيها من الشمس ، وكان الحصين بن نمير قد نصب لهم المنجنيق على ابي قبيس ، وعلى الاحمر ، وهما اخشبا مكة ، فكان يرميهم بها فتصيب الحجارة الكعبة حتى تخرقت كسوتها عليها ، فصارت كأنها جيوب النساء .

فوهن الرمي بالمنجنيق الكعبة ، فذهب رجل من اصحاب ابن الزبير ليوقد ناراً في بعض تلك الخيام ، مما يلي الصفا بين الركن اليماني . والمسجد الحرام يومئذ ضيق صغير ، فطارت شرارة في الخيمة فاحترقت . وكانت في ذلك اليوم ريح شديدة ، والكعبة يومئذ مبنية بناء قريش : مدماك من ساج ، ومدماك من حجارة ، من أسفلها الى أعلاها ؛ فأطارت الرياح لهب تلك النار فأحرقت كسوة الكعبة ، فاحترق الساج الذي بين البناء . وكان احتراقها

يوم السبت ، ثالث شهر ربيع الاول قبل ان يأتي نعي يزيد بن معاوية بسبعة وعشرين يوماً ، وجاء نعيه في هلال شهر ربيع الآخر ليلة الثلاثاء، سنة اربع وستين [١] . وكانت خلافته ثلاث سنين وسبعة أشهر .

فلما احترقت الكعبة ، واحترق الركن الأسود وتصدّع ، كان ابن الزبير بعد ربطه بالفضة ضعفت جدران الكعبة ، حتى انه ليقع الحمام عليها فتتناثر حجارتها ، ففزع لذلك اهل مكة والشام جميعاً. والحصين بن نمير مقيم يحاصر ابن الزبير ، فأرسل ابن الزبير رجالاً من قريش وغيرهم ، فيهم عبد الله بن خالد ، ورجالاً من بني أميّة الى الحصين ، فكلموه وعظموا عليه ما أصاب الكعبة ، وقالوا : ان ذلك كان منكم ، رميتموها بالنفط . فأنكروا ذلك ، وقالوا : قد توفي يزيد ، فعلى ماذا تقاتل ؟ ارجع الى الشام حتى تنظر ماذا يجمع عليه أمر صاحبك ، يعنون معاوية بن يزيد ، وهل يجتمع الناس عليه ؟ فلم يزالوا به حتى لان لهم . وقال له خالد بن عبد الله بن أسد : تراك تتهمني في يزيد حتى رجع الى الشام .

فلما أدبر جيش الحصين بن نمير، وكان خروجه من مكة لخمس ليال خلون من شهر ربيع الآخر ، سنة اربع وستين ، دعا ابن الزبير وجوه الناس وأشرافهم ، فشاورهم في هدم الكعبة ، فأشار عليه ناس غير كثير بهدمها . وقال عبد الله بن عباس : دَعْها على ما أقرّها عليه رسول الله ﷺ ، فإني أخشى ان يأتي بعدك مَن يهدمها ، فلا تزال تُهدَم وتُبنى ، ويُتهاوَن بحرمتها ، ولكن ارقعها . فقال ابن الزبير : ما يرضى أحدكم ان يرقع بيت أبيه وأمه ، فكيف أرقع بيت الله ، وأنا أنظر اليه على ما ترون من الوهن؟

---

(١) وكانت وفاته لأربع عشرة خلت من ربيع الاول سنة اربع وستين .

وكان ممن أشار بهدمها : جابر بن عبد الله ، وعبيد الله بن عمير ، وعبد الله ابن صفوان بن أمية .

ثم أجمع ابن الزبير رأيه على هدمها ، وكان يحب ان يكون هو الذي يردّها على ما قال رسول الله ﷺ ، على قواعد ابراهيم ، وعلى ما وصف رسول الله ﷺ لعائشة . وأراد ان يبنيها بالورس ، ويرسل الى اليمن في ورس يشترى له ، فقيل له : ان الورس يذهب ، لكن ابنِها بالفضة. فأرسل الى صنعاء بأربعمائة دينار ، ليُشترى له قضة ، ويُكترى عليها . ثم سأل رجلاً من اهل مكة : من أين أخذت قريش حجارتها ؟ فأخبروه، فنقل من الحجارة قدر ما يحتاج اليه .

فلما أراد هدمها خرج اهل مكة الى منى ، فأقاموا بها ثلاثاً فرقاً ، من ان ينزل عليهم عذاب لهدمها ، فأمر ابن الزبير بهدمها ، فما اجترأ على ذلك أحد . فلما رأى ذلك علاها هو بنفسه ، وأخذ المعول وجعل يهدمها ويرمي بحجارتها . فلما رأوا انه لم يصبه شيء، اجترؤوا فصعدوا وهدموها . وأرقى ابن الزبير فوقها عبيداً من الحبش يهدمونها ، رجاء ان يكون فيهم صفة الحبشي الذي قال رسول الله ﷺ: انه يخرب الكعبة ذو السويقتين من الحبش.

وقال مجاهد : سمعت عبد الله بن عمرو بن العاص يقول : كأني به أصيلع أفيدع قام عليها يهدمها بمسحاته . قال مجاهد : فلما هدم ابن الزبير الكعبة ، جئت أنظر الصفة التي قال عبد الله بن عمرو ، فلم أرَها . فهدموا وأعانهم الناس حتى ألصقها كلها بالارض من جوانبها . وكان هدمها يوم السبت للنصف من جمادى الآخرة سنة اربع وستين .

ولم يقرب ابن عباس مكة حتى هدمت الكعبة حتى فرغ منها . وأرسل

الى ابن الزبير : لا تدع النـاس بلا قبلة ، انصب لهم حول الكعبة الخشب ، واجعل عليها السور حتى يطوف الناس من ورائها ويصلـّوا اليها ؛ ففعل ذلك ابن الزبير ، وقال ابن الزبير : أشهد لسمعت عائشة تقول : قال رسول الله ﷺ : إن قومكِ استقصروا في بناء البيت ، وعجزت بهم النفقة فتركوا في الحِجر منها أذرعاً ، ولو حداثة قومكِ بالكفر لهدمتُ الكعبة ، وأعدت ما تركو منها ، وجعلت لها بابين موضوعين : باباً شرقياً يدخل فيها منه الناس ، وباباً غربياً يخرج منه الناس ، وهل تدرين لِمَ كان قومكِ رفعوا بابهـا ؟ قالت : قلت : لا . قال : تعززاً لئلا يدخلها إلا من ارادوا ، فكان الرجل اذا كرهوا أن يدخلها يدعونه يرتقي حتى اذا كاد أن يدخلها دفعوه فسقط ، فإن بـدا لقومكِ هدمها فهلمي أريكِ ما تركوا في الحجر منهـــا ، فأراها قريباً من سبعة أذرع .

فلمـــا هدّم ابن الزبير الكعبة وساواها في الارض ، كشف عن اساس ابراهيم ، فوجده داخلاً في الحجر نحواً من ستة اذرع وشبر ، كأنها اعناق الإبل ، اخذ بعضها ببعض ، تحرّك الحجر من القواعد ، فتحرّك الأركان كلها . فدعى ابن الزبير خمسين رجلاً من وجوه الناس وأشرافهم ، فأشهدهم على ذلك الأساس ، فأدخل رجل من القوم كان يقال له عبدالله بن قطيع عتلة كانت في يده في ركن من اركان البيت ، فتزعزعت الأركان كلها جميعاً .

ويقال ان مكة رجفت رجفة شديدة حين زعزع الاساس ، وخاف الناس خوفاً شديداً حتى ندم كل من أشار على ابن الزبير بهدمهـا ، وأعظموا ذلك إعظاماً شديداً ، وسقط في ايديهم . فقال لهم ابن الزبير : اشهدوا ، ثم وضع البناء على ذلك الاساس ، ووضع حذاء الباب ، باب الكعبة ، على مدماك على الشاذروان اللاصق بالأرض ، وجعل الباب الآخر بإزائه في ظهر الكعبة مقابله ،

وجعل عتبته على الأخضر الطويل الذي في الشاذروان الذي في ظهر الكعبة قريباً من الركن اليماني ، وكان البناؤن يبنون من وراء الستر ، والناس يطوفون من خارج ، فلما ارتفع البنيان الى موضع الركن ، وكان ابن الزبير حين هدم الكعبة جعل الركن في ديباج ، وأدخله في تابوت ، وأقفل عليه ، ووضعه عنده في دار الندوة، وعمد الى ما كان في الكعبة من جليل، ووضعه في خزانة الكعبة في دار شيبة بن عثمان، فلما بلغ البنيان موضع الركن اليماني، أمر ابن الزبير بموضعه ، فنقر في حجرين : حجر من المدماك الذي تحته ، وحجر من المدماك الذي فوقه ، بقدر الركن ، وطوّق فوقه بينهما ، فلما فرغوا منه أمر ابن الزبير ابنه عبّاد بن عبد الله بن الزبير ، وجبير بن شيبة ابن عثمان ، أن يحملوا الركن في ثوب ، وقال لهم ابن الزبير : اذا دخلتُ في صلاة الظهر فاحملوه واجعلوه في موضعه ، فأنا أطوّل الصلاة ، فإذا فرغتم فكبّروا حتى أخفف صلاتي، وكان ذلك في جرّ الشمس . فلما اقيمت الصلاة كبّر ابن الزبير وصلى بهم ركعتين ، فخرج عبّاد بالركن من دار الندوة وهو يحمله ومعه جبير بن شيبة بن عثمان ، ودار الندوة يومئذ قريب من الكعبة ، فخرقا به الصفوف حتى أدخلاه في الستر الذي دون البناء ، فكان الذي وضعه في موضعه هذا عبّاد بن عبد الله ، وأعانه عليه جبير بن شيبة ، فلما أقروه في موضعه ، وطوّق عليه الحجر ، كبروا ، فأخف بهم ابن الزبير صلاته ، وتسامع الناس بذلك ، وغضب فيه رجال من قريش ، حيث لم يُحضِرهم ابن الزبير في ذلك ، وقالوا : والله لقد رفع في الجاهلية حين بنته قريش ، فحكموا فيه أول من يدخل عليهم من باب المسجد ، فدخل رسول الله ﷺ ، فجعله في ردائه ، ودعى رسول الله ﷺ من كل قبيلة من قريش رجلا ، فأخذوا بأركان الثوب، ثم وضعه رسول الله ﷺ في موضعه ، وكان الركن قد تصدع من الحريق ثلاث فرق ، وانشظّت منه شظية كانت عند

بعض آل بني شيبة بعد ذلك بدهر طويل، فشدّه ابن الزبير بالفضة الى تلك الشظية من أعلاه ، موضعها بأعلى الركن ، ولما بلغ ابن الزبير بالبناء ثمانية عشر ذراعاً قصرت بحال الزيادة التي زاد من الحجر فيها ، واستمسح ذلك ، وصارت عريضة لا طول لها ، فقال : قد كانت قبل قريش تسعة أذرع حتى زادت قريش تسعة أذرع أخرى طولاً في السماء ، فأنا أزيد فيها تسعة أذرع اخرى ، فبناها سبعاً وعشرين ذراعاً ، فيها ثلاث دعائم ، فأرسل ابن الزبير الى صنعاء فأتى من رخام بها يقال : انها الابلق ، فجعله في الروازن التي في سقفها للضوء ، وجعل الباب مصراعين ، وكان في بناء قريش مصراعاً واحداً وجعل ميزابها في الحجر ، فلما فرغ منها خلّقها من داخلها وخارجها ، من اعلاها الى اسفلها، وكساها القباطيّ ، وقال : من كانت عليه طاعة فليخرج فليعتمر من النعيم ، ومن قدر ان ينحر بدنةً فليفعل ، ومن لم يقدر فليذبح شاةً ، فمن لم يقدر فليتصدّق بقدر طوله ، وخرج ماشياً ، وخرج الناس معه مشاة حتى اعتمر من التنعيم شكراً لله . ولم يرَ يوماً كان اكثر عتيقاً ولا اكثر بدنة منحورة ، ولا شاة مذبوحة ، ولا صدقة من ذلك اليوم . ونحر ابن الزبير مائة بدنة ، فهذه هي العمرة التي يعتمرها الناس اليوم في السابع والعشرين من رجب التي يسمونها عمرة الا كمه .

ومـا زال البيتُ على حاله الى أن قتل الحجّاجُ ابن الزبير ، فاستأذن الحجاج عبد الملك فيما احدثه ابن الزبير في البيت ، فكتب اليه عبد الملك أن يهدم الجانب الذي يلي الحجر خاصة ، ويكبس البيت بـه ، ويغلق الباب الغربي ، ويرفع الباب الشرقي الى حده الاول . ففعل الحجاج ذلـك ، فبلغ بعد ذلـك عبد الملك أن الذي فعله ابن الزبير على حديث عائشة صحيح ، حدث به الحارث بن عبد الله ابن ربيعة المخزومي انه سمع هذا من رسول الله

ﷺ . فقال عبد الملك وددت والله اني كنتُ تركتُ ابن الزبير ومـا تحمل من ذلك .

سماع العارف على قول القائل :

هيّجتني الى الحجون شجونٌ ... ليلة قـد بدا لعيني الحجونُ
حلّ في القلب ساكنوه محـلاً ... من فؤادي يحلّ فيـه المكينُ
كلّ داءٍ له دواءٌ وداءُ الـ ... حُبّ يا صاحِ داءٌ دفـين
ليتَ شعري عمّن احبُّ يميني ... عنـد ذكري كما اكون يكون

الحجون العطف الإلهي على القلوب المتعلقة به المواصلة الاحزان له ، قوله: حلّ في القلب ، بين بـه . قوله تعالى : وسعني قلب عبدي المؤمن يطلع على تلك السّعة ، ليت الى قوله كما اكونُ يكون قوله تعالى : اذكروني أذكركم ، ومن ذكرني في نفسه ذكرته في نفسي . وهذا بابٌ واسعٌ في الشريعة .

وسماعنا على قول قيس المجنون ايضاً :

ألا حبذا نجدٌ وطيب ترابـه ... وارواحه إن كان نجد على العهد
ألا ايت شعري عن عوارضتي قبا ... بطول الليالي هل تغيّرتا بعدي
وعن جارتينا بالأثيل الى الحمى ... على عهدنا ام لم يدوما على عهد
وعن اقحوان الرمل ما هو صانع ... اذا مـا تراءى ليلة بثرى نجد

يقول : ألا حبّذا المراتب العليا ورفارفها وأرواحها ان كان يناسبها مني ممّنْ أخذ عليها العهد ، فليس نجد الاول هو نجدٌ الثاني وعوارضتيْ قبا موضع القدمين من الكرسيّ ، والقدمين من النفس ، هـل تغيّرتا بعدي لتغييري ؟ فإنها بصفتي تقابلان إلا أن يمن فضلاً بغير ذلك والجارتان ، القوتان بلا شك،

والأثيل ، الاصل الذي مرجعها اليه والحمى ، مقام العزة والمنع على عهدنا ام لم يدوما على العهد . إنما هي اعمالكم ترد عليكم ، وشغل اقحوان الرمل مـ بينه من المعرفة في الشجرة الانسانية .

وسماعنا على قول الشريف الرضي :

يا قلبُ ما انت من نجدٍ وساكنه | خلّفت نجداً وراء المدبح الساري
اهفو الى الركب تحدو لي ركائبهم | من الحمى في اسيحات وأطهار
تفوح ارواح نجـدٍ من ثيابهم | عند النزول لقرب العهد بالدار
يا راكبان قفالي فأقضيا وطري | وخبراني عن نجـــدٍ بأخبار
هل روّضتْ قاعة الوعساء امطرت | خميلة الطلح ذات البان والغار
ام هل أبيت ودارٌ عند كاظمةٍ | داري وُسمّار ذاك الحيّ سُمّاري
فـلم يزالا الى أن لمّ بي نفسي | وحدّث الدمعُ عني دمعي الجاري

السماع في ذلك ، يقول لنفسه : أنتِ من عالم الخليقة ونزلت الى عـــالم الشهوة والطبع ، لكني ، أهفو الى العلى بمـا فيّ من أصالته فيما بقي عليّ من أطهار ما كان كساني ذلـك المجد عند الاشهار . قال : تفوح أرواح العلى في أخلاقهم عنـــد التنزّلات لقرب مشاهدة المنزل الذي يجمعهم . والراكبان ، خاطران عُلويان مرّا به على حاله ، فسالهما الخبر عن المقام العالي الأنزه : هل روّضت قاعة الطبيعة ؟ وهل نزلت غيوث الحياة لساحتها ؟ فأنبتت ما يؤدي الى البينونة من الكون والغيرة من ظهور الغير هنالك ، فأثبت له الحق الخاطر ، ان يكرمه على ما أخبر ، الى ان نزل عليه روحه الخاص به الذي كني عنه بالنفس ، فعقل عنها ما جاء بـه وأودعها حديثه بلسان الحال من جري الدموع على مفارقة الاوطان والربوع .

قوله : أم هل أبيت ، أي سترى عن ظلام الغيب ، ودار عند كاظمة من كظم غيظه خلقاً جميلاً ، وسُمَّار ذلك الحي سماري ، بالترداد بيني وبينهم بما يكون فيه علو مقامي وارتفاع شأني .

ومن باب الفخر :

سمع رسول الله ﷺ رجلاً ينشد :

إني امرؤٌ حِمْيَريّ حين تنسبُني ... لا من ربيعة آبائي ولا مُضرِ

فقال : ذلك الأمر لك أبعد من الله ورسوله .

ومرّ العباس بن عبد المطلب بنفر من قريش يقولون : إنما مثل محمد في أهله مثل نخلة نبتت في كناسة ، فبلغ رسول الله ﷺ ، فوَجَد منه ، فخرج حتى قام فيهم خطيباً ، ثم قال: أيها الناس من انا ؟ قالوا : انت رسول الله، قال : فأنا محمد بن عبد الله بن عبد المطلب بن هاشم ، إن الله تعالى خلق خلقه ، فجعلني من خير الفريقين ، ثم جعلهم شعوباً ، فجعلني من خيرهم شعباً ، ثم جعلهم بيوتاً ، فجعلني من خيرهم بيتاً ، فأنا خيركم بيتاً ، وخيركم والداً ، واني لمباهٍ لكم ، قم يا عباس ، فقام عن يمينه ، ثم قال : قم يا سعد، فقام عن يساره ، فقال : فربّ لأمرىءٍ منكم عماً مثل هذا وخالاً مثل هذا .

ولبعضهم يفتخر :

اذا مُضرُ الحمراءُ كانت ارومتي ... وقام بنصري حازمٌ وابن حازم
عطستُ بإنفٍ شامخ وتناولت ... يداي الثريا قاعداً غير قائم

قلت : ولقد فخرت بأحسن من هذا فقلت :

لنا همّة ان الثريا لدُونها ... نعم ولنا فوق السِّماكين منزلُ
تقدمتُ سبقاً في المكارم والعُلى ... وفي كل ما ينكي العِدا أنا أول

ولم ألفِ صمصاماً بقدر عزيمتي ... ولو جمعوا الأسياف عزمي أفضل
كذلك جودي لا يفي الغيث والثرى ... اذا كان أموالاً بـــه حين أبذل
اذا التحم الجمعان في حومة الوغى ... وكانت نزالاً مـــا عليها معوّل
نضيت حساماً الردى في فرنده ... شعاعٌ له بين الفريقين فيصل
له عزمة لا تبتغي غير كبشهم ... فليس له عن قمة الهام معدل
حملتُ به لا أرهب الموت والردى ... ولا ابتغي حمداً له النفس تعمدُ
ولكن ليعلو الدين عزّاً وشرعةً ... الى موضع عنه الطواغيت تسفل
أنا العربي الحاتمي أخو الندى ... لنـــا في العلا المجد القديم المؤثل
فكلاّ فعزمي ليس يسمو الى العلا ... ألا كيف يسمو والعلا منه أسفل

ولنا أيضاً من قصيدة افتخرُ فيها :

أنـــا ابن الرابعين اذا انتسبنا ... وعنـــدي صار خمس المسلمينا

بشرى سيف بن ذي يزن لعبد المطلب برسالة محمد ﷺ ، وخلافة بني العباس حين وفد عليه في وفد قريش :

روينا من حديث احمد بن عبد الله قال : ثنا سليمان إملاءً ، ثنـــا احمد ابن يحيى بن خالد الراقي ، نبـــأ عمرو بن بكر بن بكـّار القصيّ ، عن احمد ابن قاسم الطائي ، عن الكلبي ، عن أبي صالح ، عن ابن عباس ، قال : لمـــ ظهر سيف بن ذي يزن على اليمن فظفر بالحبشة ونفاهم عنها وذلك بعد مولد النبي ﷺ بسنتين أتته وفود العرب وأشرافها وشعراؤها تهنئه ، وتمدحه ، وتذكر مـــا كان من بلائه في طلب ثأر قومه ، فأتاه وفد قريش وفيهم عبد المطلب بن هاشم ، وأمية بن عبد شمس ، وعبد الله بن جدعان ، وخويلد ابن أسد بن عبد العزّى ، ووهب بن عبدمناف بن زهرة ، في أناس من وجوه

قريش ، فقدموا عليه بصنعاء ، وهو في رأس قصر له يقال له : غمدان ، وهو الذي قال فيه أمية بن أبي الصلت :

لا تطلب الثأر إلا كابن ذي يزنٍ ... يُتمّمُ البحرْ للأعداء أخوالا
أتى هرقلٌ وقد شالت نعامتُه ... فلم يجد عنده النصرُ الذي شالا
ثم انتهى عنه كسرى بعد تاسعة ... من السنين يهين النفس والمالا
حتى أتى ببني الأحزان يحملهم ... تخالهم فوق متن الأرض أجبالا
من مثل كسرى شهنشاه الملوك لهم ... ميلٌ وهديٌ يؤم الجيش ارسالا
لله درهم من فتيـــة صبروا ... ما إن رأيت لهم في الناس أمثالا
بيضٌ مرازبة غلبٌ حجاحجة ... أسدٌ يُربَين في الغيضات أشبالا
يرمون عن شدفٍ كأنها غيَظٌ ... بزجل تعجل المرمى إعجالا
لا يضجرون وإن كلّت نوائلهم ... ولا ترى منهمُ في الطعن ميّالا
أرسلت أسداً على سود الكلاب فقد ... أضحى شديدُهمُ في الناس إقلالا
فاشرب هنيئاً عليك التاج مرتفعاً ... في رأس غمدانَ دارٌ منك محلالا
واشرب هنيئاً فقد شالت نعامتهم ... واسبل اليومَ في بُردَيْك إسبالا
تلك المكارم لا قعبان من لبنٍ ... شيباً بماءٍ فعادا بعدُ أبوالا

قال : فاستأذنوا عليه ، فأذن لهم ، فإذا الملك متضمّخ بالعنبر ينطف ، وبيض المسك من مفرقه ، وعن يمينه ، وعن شماله الملوك ، وأبنـاء الملوك ، والمقاول ، فلما دخلوا عليه دنا منه عبد المطلب ، فاستأذن في الكلام ، قال له سيف بن ذي يزن : إن كنت ممن يتكلم بين يدي الملوك فقد أذنّا لك. فقال عبد المطلب : أيها الملك إن الله قد أحلّك محلا رفيعاً، شامخاً ، منيعاً، وأنبتك منبتاً طابت أرومته، وعَذبت جرثومته، وثبت أصله، وبسق فرعه، في أطيب موطن ، وأكرم معدن ، فأنت أبيتَ اللعن رأس العرب، وربيعُها

الذي تخصبُ به ، وأنت أيها الملك رأس العرب الذي له تنقـاد ، وعمودها الذي عليه العماد ، ومعقلها الذي يلجأ اليه العباد ، سلفك لنـا خير سلف ، وأنت لنا منهم خير خلف ، فلم يهلك من أنتَ خلَفه ، ولم يخمد ذكر من أنت سلفه ، نحن أيهـا الملك أهل حرم الله ورسوله ونبيّه ، أشخصنا اليك الذي أبهجنـــا لكشف الكرب الذي فدَحَنـا ، ونحن وفد التهنية لا وفد المرزية .

فقال سيف بن ذي يزن : وأيهم أنت أيها المتكلم ؟ قال : أنا عبد المطلب ابن هاشم بن عبد مناف . قال : ابن اختنا . قـــال : نعم . فأدناه ثم أقبل عليه وعلى القوم . قال : مرحباً وأهلاً ، وناقة ورحلا ، ومناخاً سهلاً ، وملكاً رعلا ، يعطي عطاء جزلاً . قد سمع الملك مقالتكم ، وعرف قرابتكم ، وقبل وسيلتكم ، وأنتم اهل الليل والنهار ، لكم الكرامة اذا أقمتم ، والحبـــاء اذا أظعنتم ، انهضوا الى دار الضيافة والوفود . وأمرهم بالإنزال ، فأقاموا شهراً لا يصلون اليه ، ولا يؤذن لهم في الإنصراف . ثم انتبه لهم انتباهة ، فأرسل الى عبد المطلب دونهم ، فلمـا دخل عليه أدناه وقرّب مجلسه واستحباه ، ثم قال له : يا عبد المطلب اني مفوّض اليك من سرّ علمي مـا لو غيرك يكون لم أبح به ، ولكن وجدتك معدنه ، فأطلعتك طلعه ، فليكن عندك مطوياً حتى يأذن الله فيه ، فإن الله تعالى بالغ أمره، اني أجد في الكتاب المكنون ، والعلم المخزون، الذي اخترناه لأنفسنا ، واحتقبناه دون غيرنا ، خبراً عظيماً ، وخطراً جسيماً ، فيه شرف الحياة ، وفضيلة الوفاة ، للناس كافة ، ولرهطك عامة ، ولك خاصة .

فقال عبد المطلب : مثلك أيها الملك مَن سرّ وبرّ ، فما هو ؟ فذاك أهل الوَبر زمراً بعد زمر . قـال : اذا وُلد بتهامة غلام به علامة ، بين كتفيه

شامة، كانت له الإمامة، ولكم به الزعامة الى يوم القيامة . قال عبد المطلب: أبيتَ اللعن ، لقد أبتَ بخير مـــا آب به وافد قومك ، ولولا هيبة الملك وإعظامه وإجلاله، لسألته من سآراه إياي ما ازداد به سروراً. قال سيف بن ذي يزن : هذا حين يولد فيه او قد وُلد ، اسمه محمـد ، بين كتفيه شامة ، يموت أبوه وأمه، ويكفله جده وعمه، قد وجدناه مراراً ، والله باعثه جهاراً، وجاعل له منا انصاراً ، يعزّ بهم أولياءه ، ويذل بهم اعداءه ، ويضرب بهم النـــاس عن عرض ، ويستبيح بهم كرائم الأرض ، يعبد الرحمن ، ويزجر الشيطان ، ويخمد النيران ، ويكسر الأوثان ، قوله فصل ، وحكمه عـدل ، يأمر بالمعروف ويفعله ، وينهي عن المنكر ويبطله . قال عبد المطلب : أيهـا الملك عز جارك ، وسعد جدك ، وعلا كعبك ، ونما أمرك ، وطال عمرك ، ودام ملكك ، فهل الملك سارّي بإفصاح ، فقـــد اوضح بعض الايضاح . قال سيف بن ذي يزن : والبيت ذي الحجب ، والعلامات ذي النقب ، انك يا عبد المطلب لجده بلا كذب .

قال : فخرّ عبد المطلب ساجداً . فقال سيف : إرفع رأسك ، فقد ثلج صدرك، وعلا امرك، فهل احسست شيئاً مما ذكرت لك ؟ قال عبد المطلب: نعم أيها الملك ، إنه كان لي ابن، وكنت به معجباً ، وعليه رفيقاً ، فزوّجته كريمة من كرائم قومي : آمنة بنت وهب بن عبد مناف بن زهرة ، فجاءت بغلام وسمّيته محمداً ، ومات ابوه وكفلته انا وعمه ، بين كتفيه شامة ، وفيه كلما ذكرت من علامة . فقـال سيف : إن الذي ذكرت لكما ذكرت ، فاحتفظ به، واحذر عليه اليهود ، فإنهم له اعداء ، ولن يجعل الله لهم عليـه سبيلاً ، واطوِ ما ذكرت لك دون هذا الرهط الذي معك ، فإني لست آمن أن يدخلهم التحاسد من أن يكون لك الرياسة فيبغون لك الغوائل، وينصبون

له الحبائل ، وهم فاعلون او ابناؤهم ، ولولا اني أعلم أن الموت مجتاحي قبل مبعثه ، لسرت بخيلي ورجلي حتى أصير بيثرب دار ملكه ، فإني اجد في الكتاب الناطق ، والعلم السابق، أن بيثرب استحكام أمره ، وموضع قبره · وأهل نصرته ، ولولا اني أقيه من الآفات ، وأحذر عليه من العاهات · لأوطأت اسنان العرب كعبه ، ولأعلنت على حداثة من سنّه ذكره، ولكني صارف اليك من غير تقصير بمن معك .

ثم أمر لكل رجل منهم بمائة من الإبل ، وعشرة أعبد ، وعشرة إماء ، وعشرة أرطال فضة ، وخمسة أرطال من الذهب ، وكرش مملوء عنبراً ، وأمر لعبد المطلب بعشرة اضعاف ذلك ، وقال له : اذا كان رأس الحول فأتني بخبره ، وما يكون من أمره .

فهلك سيف بن ذي يزن قبل رأس الحول ، وكان عبد المطلب يقول : لا يغبطني يا معشر قريش رجل منكم لجزيل عطاء الملك وإن كثر ، فإنه الى نفاد ، ولكن يغبطني بما يبقي له شرفه وذكره، ولعقبي من بعدي، فكان اذا قيل له : وما ذاك ؟ قال : سيعلمن ولو بعد حين .

وفي ذلك يقول أمية بن ابي الصّلت :

جلبنا النصح معقبة المطايا ... على أكوار جمال ونوق
مغلغلة مرافقها تعالى ... الى صنعاء من فجّ عميق
نؤمّ بها ابن ذي يزنٍ وتفري ... بطون خفافها أمّ الطريق
ونلمح من مخايله بروقاً ... مواصلة الوميض الى بروق
فلما واقعت صنعاء صارت ... بدار الملك والحسب العتيق

وفي الحديث المشهور عن ابن عباس ان الحبر قال لعبد المطلب : أشهد ان في احدى يديك ملكاً ، وفي الاخرى نبوءة ، وذلك قبل تزويج عبد الله في بني زهرة ، فكان كما قال : النبوّة ، والخلافة العباسية .

شرح :

شدف المعوجّ من كل شيء: وارد به القسي. والزّجر: النشاب. والارسال: الجماعات . والنوانك: جمع نانك، وهي الناقة الحسناء ذات الشحم، يقال لها: نانك الناقة، تنوك، نوكاً. اذا سمنت. والمرزية بفتح الميم، والرزية: المصيبة. الربحل، والسبحل : الضخم. احتجناه : أي اخترناه . والزعامة : السيادة، والتقدم . احتقبت البعير : اذا شددت رجله بالحقب ، وهو الحبل الذي يشدّ به .

ذكر الامام ابو الفرج ابن الجوزي في كتابه مثير الغرام الساكن الى أشرف الاماكن قال : قال شاه بن شجاع الكرماني : دخلت البادية فرأيت غلاماً أمرد كأنه موسوس لا يألف اهل القافلة ، فساعة يشير الى السماء ، وساعة يصبح، فقمت لأنظر في شأنه ومن أين معاشه، ولم يكن معه زاد، ولا غطاء، ولا وطاء. فراقبته يوماً فدخل وسط اشجار ام غيلان، فتبعته فاذا هو يجني من شجره شيئاً يأكله ، فلما بصر بي أنشأ يقول :

باعتزالي عنكمُ في الخلوات صار طعمي التمر وسط الفلوات

من استنصر ببسم الله الرحمن الرحيم :

روينا من حديث الدنهوري قال : حدثنا ابراهيم بن سهلويه ، عن عبدالله ابن عبد الوهاب ، عن نافع ، عن ابن عمر قال : بينما عمر بن الخطاب رضي

الله عنه في مسجد رسول الله ﷺ ، في جماعة من أصحاب رسول الله ﷺ ، يتذاكرون فضائل القرآن . فقائل منهم خـاتمة سورة البقرة ، وقائل خـاتمة بني اسرائيل ، وقائل كهيعص ، وطه . وأكثروا في القول ، وفي القوم عمرو ابن معدي كرب الزبيدي في ناحية إذ قال : يا امير المؤمنين ، فأين انتم من عجيبة بسم الله الرحمن الرحيم ؟ فوالله إن في بسم الله الرحمن الرحيم لعجيبـة من العجب . فاستوى عمر جالساً وكان متكئاً ، وكان يعجبه حديث عمرو فقال له : يا ابا ثور ، حدّثنا بعجيبة بسم الله الرحمن الرحيم . فقال : يا امير المؤمنين ، انه أصابنا في الجاهلية مجـــاعة شديدة ، فاقتحمت بفرسي البرية أطلب شيئاً ، فوالله ما أصبت إلا بيض النعام ، وان فرسي لتلتثم من فنـاء البرية . فبينما انا كذلك ، إذ رُفعتْ لي خيمة وماشية ، فأتيت الخيمـة فاذا بجارية كأحسن البشر ، واذا بفناء الخيمة شيـخ متكىء ، فقلت لمـا داخلني من هول الجارية، ومن ألم الجوع : استأسرْ ، ثكلتك امك. فقال : يا هذا ، إن أردت القِرى فانزل، وإن أردت معونة أعنّـاك . فقلت : استأثر ثكلتك امك . فقال لي مثل قوله الاول ، ونهض نهوض شيخ لا يقدر على القيـام ، فدنا مني وهو يقول : بسم الله الرحمن الرحيم ، ثم جـــذبني اليه فاذا انا تحته وهو فوقي ، فقال : أقتلك أم اخلـّي عنك ؟ فقلت : بل خلّ عني . فنهض عني وهو يقول :

عرضنا عليك النزل منا تكرّماً   فلا ترعوي جهلاً كفعل الأشائم
وجئت بعدوان وظلم ودون مـا   تمنيتَه في البيض حرّ الغلاصم

فقلت في نفسي : يا عمرو، انت فارس العرب الموت أهون من الهرب من هذا الشيـخ الضعيف ، فدعتني نفسي الى معاودته ثانية ، وأنشأت أقول :

رويدك لا تعجل بليتَ بصارم   سليل المعـــالي هزبريٌ قماقمِ

لئن ذلّ عمروٌ ثم ذلّ عجيبة ولم يكُ يوماً للبراز بحاجم
طمعتَ لما منّتك نفسُك تسلمن سقتكَ المنايا كأسها بالصرائم
فمالك بدلٌ دون نفسك تسلمن هنالك او تصبر لحزّ الفلاصم
فما دون ما تقواه للنفس مطمع سوى ان أجزّ الرأس منك بصارم

ثم قلت له: استأسرْ ثكلتك امّك؛ فدنا مني وهو يقول: بسم الله الرحمن الرحيم ، ثم جذبني جذبة مثلتُ تحته ، فاستوى على صدري وقال : أقتلك أم اخلّي عنك ؟ فقلت : بل خلّ عني . فنهض وهو يقول :

ببسم الله والرحمن فُزنا قديماً والرحيم به قهَرْنا
وهل تغني جلادة ذي حفاظٍ اذا يوماً لمعركةٍ نزلنا
وهل شيء يقوم لذكر ربي وقدماً بالمسيح هناك عُذنا
سأقصم كل ذي جنّ وإنسٍ اذا يوماً لمعضلة حللنا

فعاودتني نفسي ، فقلت : استأسرْ ثكلتك امك . فدنا مني وهو يقول : بسم الله الرحمن الرحيم ، فمُلِئت منه رعباً يا امير المؤمنين ، وكنا لا نعرف مع اللات والعزّى شيئاً . ثم دنا مني وجذبني جذبة فصرتُ تحته ، فقلت : خلّ عني . فقال : هيهات ! بعد ثلاث مرات ما انا بفاعل ، ثم قال : يا جارية ائتِني بشفرة ، فأتت بها ، فجزّ ناصيتي ، ثم نهض وهو يقول :

مننّا على عمروٍ فعاد لحينه وثنّى فثنّينا فساءَ وما فعل
وفي اسم ذي الآلاء عزٌ ورفعة ومحترَزٌ لو كان سامعه عقل

وكنا يا امير المؤمنين اذا جزّت نواصينا استحينا ان نرجع الى أهلنا حتى تنبت . فرضيت ان اخدمه حولاً فلما حال الحوْل قال يا عمرو اني أريد ان

تنطلق معي الى البرّية وما بي من وجل ، واني لواثق ببسم الله الرحمن الرحيم فانطلقتُ معه حتى اتى وادياً فهتف بأهله ببسم الله الرحمن الرحيم فـلم يبق طائر في وكره الاطار ، ثم هتف الثانية فلم يبق سبع في مربضه إلا نهض ، ثم هتف الثالثة فـــإذا هو بأسود كالنخلة السحوق ، واذا هو لابسٌ شعراً فرعبت ، فقال الشيخ : لا ترع يا عمرو اذا نحن اصطرعنا، فتلا عليه صاحبي: بسم الله الرحمن الرحيم ، قـال : فاصطرعا . فقلتُ : عليه باللّات والعزّ ، فلطمني لطمةً كاد يقلع رأسي ، فقلتُ له : لستُ بعائد ، فاصطرعا، فقلت: عليه ببسم الله الرحمن الرحيم ، قـال : فعلاه الشيخ فبعجه كما تبعج الفرس ، وشق بطنه ، واستخرج منه كهيئة القنديل الاسود . فقال لي : يا عمرو هذا غشه وكفره فقلت له : فداك ابي وأمي مالك ولهذا القوم ؟ فقال : يا عمرو ان الجارية التي رأيتها في الخباء هي الفارعة بنت المسور ، وكان رجـــلاً من الجنّ ، وكان مؤاخياً لي ، وكان على دين المسيح عليه السلام ، وهؤلاء قومها يغزوني كل سنة منهم رجلٌ فينصرني الله عليـــه ببسم الله الرحمن الرحيم : فانطلقنا حتى امعنا في البرية قال : يا عمرو قد رأيت ما كان مني وأنا جائع فالتمس لي شيئاً آكـله فالتمست فما وجدت له إلا بيض النعام ، فأتيته وهو نائم ، وقد توسد إحدى يديه ، وتحته سيفه وهو سيف طوله سبعة أشبار ، وعرضه اقـــلّ من شبرين ، وهو الصمصامة ، فاستخرجتُ سيفه من تحته فضربته ضربة قطعت منه الساقين ، فقال : يا غدّار مـا اغدرك . فلم أزلْ أضربه حتى قطعته إرباً إرباً . فغضب عمرو رضي الله عنه وقال : وأنا اقول كما قال العبـــد : ظفر بك رجل من المسلمين ، فأنعم عليك ثلاث مرات ووجدته نائماً فقتلته . والله لو كنت مؤاخذك في الاسلام بما فعلت في الجاهلية لقتلتك به .

ثم أنشأ عمر يقول :

اذا قتلت اخاً في السلم تظلمه أفٍّ لما جئتَه في سالف الحقُبِ
الحرُّ يأنفُ ممـا انت تفعله تباً لما جئته في العُجم والعربِ
لو كنتُ آخذ في الاسلام ما فعلت في الجاهلية اهل الشرك والصلبِ
اذاً لنالتك من عدلي مشطبة يدعى لذائقها بالويل والحربِ

ثم قال : مـا كان من حديثه يا عمرو ، قال : فأتيت الخيمة فاستقبلتني الجارية فقالت : يا عمرو مـا فعل الشيخ ؟ قلتُ : قتله الحبشيّ ، قالت : كذبت قتلته انتَ يا غدّار ؛ ثم دخلت الخيمة فجعلت تبكي وتقول :

عـين جودي لفارسٍ مغوارِ فاندبيـه بواكفاتٍ غزارِ
سبع وهو ذو وفـاءٍ وعهدٍ ورئيس الفخار يوم الفخارِ
لهفَ نفسي على بقائك يا عمـ ـرو وأسلمته الحمـاة للأقدارِ
بعد مـا جزَّ ما به كنتَ تسمو في زبيدٍ ومعشر الكفّـارِ
ولعمري لو رُمته انت حقاً رمت منـه كصارمٍ بتّـارِ
فجزاك المليكُ سوءاً وهونـاً عشت منـه بذّلة وصَغارِ

قال : فدخلت الخيمة أريد قتلها فلم أرَ احداً كأنّ الارض قد ابتلعتها ، فاقتلعت الخيمة ، وسقت الماشية حتى اتيتُ بها قومي بني زبيد .

دعاء مأثور لذنب مغفور :

حدثنا ببغداد سنة ثمان وستمائة صاحبنا الإمام سراج الدين عمر بن مكي بن علي بن محمد بن عبد الله الجوزي قـال : رأيت رسول الله ﷺ في المنام ، فقال : من أراد ان يغفر الله له فليدع بهـذا الدعاء وهو : اللهم اني أسئلك

الهدى ، والتقى ، والعفـّة ، والغِنى ، فأتنا سؤلنا ، وأرزقنا امنيّتنا . و
قـال : فأتني في الدنيا والآخرة حسنة برحمتك يا أرحم الراحمين . الشك من
الراوي ولا يدري ايهما ؟ قال النبي ﷺ : قال : فينبغي أن يجمع بينهما .

وحدثنا ببغداد في التاريخ ابو عبد الله محمد بن سعيد بن يحيى بن عـلي بن الرئيس لفظاً قـال : حدثنا ابو نصر يحيى بن هبة الله بن محمد البزار بواسط قراءة مني عليه . قـــال : سمعت ابا المكرم خميس بن علي الحافظ يقول : سمعت ابا محمد طلحة بن علي الرازي الصوفي يقول رأيت النبي ﷺ ببغداد في مسجد عتّاب ، والمسجد غاص بأهله ، وهو عليه الصلاة والسلام في المحضر، وعليه بردة كحلاء ، وهو متقلد سيفاً ، وفي الجماعـــة ابو محمد التميمي وهو يقول له : يا رسول الله ادع الله لنا ، فبسط كفيه وقال: وأنا اقول معه اللهم إني أسئلك حسن الاختيار في جميع الأقدار. ومما قلته وأنا منفرد بفلاة يتماً:

وليّ الله ليس له أنيس — سوى الرحمن فهو له جليسُ
يذكـّره فيذكره فيبكي — وحيد الدهر جوهره نفيس

ولنا في المعارف من باب التشبيب :

طلع البدر في رُجى الشعر — وسقى الورد نرجس الخفرِ
غادة تاهت الحسان بها — وزها نورها على القمر
هي أسنى من المهاة سنا — صورة لا تقاس بالصور
فلك النور دون أخمصها — تاجها خارج عن الاكر
ان سرت في الضمير يجرحها — ذلك الوهم كيف بالبصر
لعبـــة ذكرنا يذوّبها — اطلعت من مسارح النظر
طلب النعت أن يبيّنها — فتعالت فعـاد ذا حصر

واذا رام ان يُكيّفها لم يزل ناكصاً على الاثر
ان أراح المطيّ طالبها ما أراحوا مطيّة الفكر
روحنت كل من أشبّ بها نقله عن مراقب البشر
غيرة أن يشاب رائقها بالذي في الحياض من كدر

تمّ المجلس .

روينا من حديث ابن اسحاق عن الكلبيّ عن أبي صالح مولى ام هانىء عن ابن عباس ، قال : كانت العرب على دينين : حلة ، وحمس . فالحمس ، قريش ، وكل من ولدت العرب ، كنانة ، وخزاعة ، وأوس ، وبنو ربيعة ابن عامر بن صعصعة ، وازد شنوءة ، وحوم ، وزبيد ، وبنوا ذكوان من سُليم ، وعمرو اللّات ، وثقيف ، وغطفان ، وعوف ، وعدوان ، وعلاق ، وقضاعة .

وكانت قريش اذا أنكحوا غريباً امرأة منهم اشترطوا عليه ان كل من ولدت فهو احمس على دينهم . وزوّج الاردم تيم بن غالب بن فهر بن مالك ابنة محمد بن تيم بن ربيعة بن عامر بن صعصعة ، على ان ولدها منه أحمس على سنة قريش . وفيها يقول لبيد بن ربيعة الكلبيّ :

سقى قومي بني مجد وأسقى نميراً والقبائل من هلالِ

وتزوج منصور بن عكرمة بن حفصة بنت سلمى بنت ضبيعة بن علي بن يعصر بن قيس بن غيلان ، فولدت له هوازن ، فمرض مرضاً شديداً ، فنذرت سلمى لئن برىء لتحمسنه ، فلما برىء أحمسته . فلم تكن نساؤهم ينسجن ، ولا يغزلن الشعر ، ولا يسلئن السمن اذا أحرموا .

وكانت الحمس اذا أحرموا لا يأقطون الاقط ، ولا يأكلون السمن ، ولا يسلونه ، ولا يمخضون اللبن ، ولا يأكلون الزبـد ، ولا يلبسون الوبر ، ولا يلبسون الشعر ، ولا الوبر ، ولا ينسجونه ، وانمـا يستظلون بالادم ، ولا يأكلون شيئاً من نبات الحرم ، وكانوا يعظمون الأشهر الحرم ، ولا يخفزون فيها بدنة ، ويطوفون بالبيت وعليهم ثيابهم . وكانوا اذا أحرم الرجل منهم في الجاهليـة وأول الاسلام ، فإن كان من اهل المدر يعني من اهل البيوت ، والقرى ، نقب نقباً في ظهر بيته ، فمنه يدخل ، ومنه يخرج ، ولا يدخل من بابه .

وكانت الحمس تقول : لا تعظـّموا شيئاً من الحل ، ولا تجاوروا الحرم في الحج، فلا يهاب الناس حرمكم، فقصّروا عن مناسك الحج والمواقف من عرفة، وهو من الحلّ ، فلم يكونوا يقفون به ، ولا يفيضون منه ، وجعلوا موقفهم في الحرم ، ومن نمرة ، وكانوا يدفعون في غروب الشمس .

وكانت الحمس اذا أحرمت وأرادت دخول بيتها تسوّرت من ظهور البيوت وأدبارها . ويحرّمون الدخول من أبوابهـا حتى بعث الله محمداً ﷺ فأحرم عام الحديبية ، ودخل بيته ، وكان معه رجل من الانصار ، فوقف الأنصاري بالباب فقال له : ألا تدخل ؟ فقال الأنصاري : أنا أحمس يا رسول الله ، فقـال رسول الله ﷺ : وأنا أحمس ، ديني ودينك سواء . فدخل الأنصاري مع رسول الله ﷺ لما رآه دخل من بابه، فأنزل الله تعالى : وليس البرُّ بأن تأتوا البيوت من ظهورها ولكن البرّ من اتقى ، وأتوا البيوت من أبوابها .

وكانت الحلة تطوف بالبيت، اول ما يطوف الرجل والمرأة في اول حجة يحجّها عراة ، فكانت المرأة تضع احدى يديها على قبلهـا ، والاخرى على

دبرها ، ثم تقول : اليوم يبدو بعضه ، او كله ، وما بدا منه ، فما أحلّه الا ان يستعيروا من الحمس ثياباً يطوفون بها . حتى انهم كانوا يقفون عنــد باب المسجد فيقولون للحمس : من يعير معوزاً ، من يعير مَصُوناً ؟ فإن أعاره احمسي ثوبه طاف بــه ، ولا يرون انهم يطوفون بالثيـــاب التي قارفوا فيها الذنوب .

وحدثنا محمد بن قاسم ، حدثنا احمد بن محمد ، ثنا ابن علي ، ثنا محمــد بن احمد ، ثنا ابن الجارحي ، ثنا محمد بن يحيى ، ثنا عبــد الله بن المغيرة ، ثنا عقارة بن مسلم ، ثنــا حمّاد بن سلمة ، عن ايوب ، عن نافع ، عن ابن عمر ، قال: قال رسول الله ﷺ : لا يكمل ايمان عبد حتى يكون فيه خمس خصال: التوكل على الله ، والتفويض الى الله ، والتسليم لأمر الله ، والرضا بقضاء الله ، والصبر على بلاء الله . انه مَن أحبّ لله ، وأبغض لله ، وأعطى لله ، ومنع لله ، فقد استكمل الايمان .

وحدثنا عبد الواحد بن اسمعيل حدثني ابي ، ثنا عمر بن عبد الجيد ، ثنا احمد بن محمد ، ثنا ابو نصر بن عــلي ، ثنا احمد بن عبد الله ، حدثنا نصر بن احمد ، حدثنا ابو يعلى ، حدثنا احمد بن كامل ، ثنا ابو قلابــة نبأ الحسين بن حفص ، نبأ سفيان ، عن احمد ، عن سهيل ، عن ابي صالح، عن ابي هريرة، قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : ان العبد لا يكتب في المسلمين حتى يسلم الناس من يده ولسانه ، ولا ينال درجة المؤمنين حتى يأمن جاره بوائقه ، ولا يعد من المتقين حتى يدع ما لا بأس به حذراً مما به بأس، انه من خاف البيات أدلج ، ومن أدلج في المسير وصل ، وإنما تعرفون عواقب اعمالكم ، لو قــد طويت صحائف آجالكم ايهــا الناس : ان نية المؤمن خيرٌ من عمله ، ونية الفاسق شرٌ من عمله .

وسماعنا على قول كُثيّر عزّة :

لقد حلفت جهداً بما حلفت له ... قريش غداة المأزمين وصلّتِ
وكانت لقطع الحبل بيني وبينها ... كناذرةٍ نذراً فأوفت وحلّتِ
فقلتُ لها يا عزّ كلّ مصيبة ... اذا وطنت يوماً لها النفس ذلّتِ

السماع في ذلك : المأزمين ، المضيق الذي بين عالم الغيب ، والشهادة ، هنالك تنحر النفوس عن أغراضها ، تنحرها حال الجمعية التي كنى عنها بقريش. التقريش: التضييق. وصلت: دعت الى مقامها . وذاني: هي الخالفة. وقطع الحبل بيننا : انفصالها عن ظلمة هذا الهيكل لما تقاسي فيه من ذلّ الحجاب . ولولا قوتها على الذلّ فيما يصيبها من المقام الاعز الاحمى لهلكت رأساً واحداً ، ولكن الشيء لا يهلك عن حقيقته فالذلّ لها ذاتي ، فإن الإمكان افتقار وعجز محض ، فالذلّ وصف لازم ، وهو في غير ذلك المقام بالعرض .

وسماعنا على قول ابن الدمينة :

ألا يا صبا نجدٍ متى هجت من نجد ... لقد زادني مسراك وجداً على وجدِ
لئن هتفت ورقاء في رونق الضحى ... على فنن غضّ النبات من الرندِ
بكيت كما يبكي الوليد ولم يكن ... جليداً وأبديت الذي لم يكن يبدي
وقد زعموا أن المحب اذا دنا ... يمل وأن النأي يشفى من الوجدِ
بكل تداوينا فلم يشف ما بنا ... على أن قرب الدار خير من البعدِ
على أن قرب الدار ليس بنافعٍ ... اذا كان من تهواه ليس بذي ودِّ

السماع في ذلك : النفس طالع من المقام الأعلى كني عنه بالصّبا. والسؤال بالزمان لإحساسه به في عالم التركيب أثراً لا عيناً لعلوّها عن ذلك . وكلما

توالى السرى زادت المعـارف ، فيمكن الشوق ، ويضاعف الوجد والبلوى . ثم قال : لئن هتفت النفس الأبية العلوية في زمان قوة النور الأجلي صارخة على فتن الاعتدال الأكمل، الذي نشأ الكامل عليه في اول أمره ، وجعله زنداً للدهن الذي به مادة بقاء الأنوار، وما فيه من المنافع، يكتب يقول : للنفس الحرية كما يبكي الوليد من الولادة ، لأنها منها . فجاء بما يشير به من الألفاظ اليها ، وكيف يكون جليداً فرع دعاه أصله اليه فأبدى ما لديه .

وقد زعموا وهو حق ان المحبّ اذا دنى من عـالم الملك يمل وان النأي البعيد عنه يريح من الألم صحيح ، فهذا أنبأ عن أمر محقق ، فالتجلي هناك لا يتكرر ، والنعيم به مثله فلا ملل ، وقد تداوى المجنون بهما ، وقرب دار كل محب حيث كان حبيبه خير له من بعدها ، وكنى عن النفس بالورقاء ، كما كنّت الحكماء عنها بهذا الاسم ، وفيها يقول بعضهم القصيدة التي شهرت بين العلماء[1] :

هبطت اليك من المحل الارفع	ورقـــاء ذات تعزّز وتمنّع
محجوبـــة عن كل مقلة ناظر	وهي التي سفرت ولم تتبرقع
وصلت على كره اليك وربما	كرهت فراقك وهي ذات تفجع
أنفت وما سكنت فلما واصلت	ألِفت مجاورة الخراب البلقع
وأظنها نسيت عهوداً في الحمى	ومنازلاً لفراقهـــا لم تقنع
حتى اذا نزلت بهـاء هبوطها	عن ميم مركزها بذات الاجرع
علقت بها تاء الثقيل فأصبحت	بين المنـازل والطلول الخضّع
تبكي اذا ذكرت دياراً بالحمى	بمدامع تهمي ولم تتقطع
وتظل ساجعة على الدّمن التي	درست بتكرار الرياح الأربع
حتى اذا قرب المسير من الحمى	ودنى الرحيل الى الفضاء الاوسع

(١) قصيدة النفس المعروفة للشيخ الرئيس ابن سينا .

اذ عاقها الشرك الكثيف وصدها نقص عن الاوج الفسيح المربع
هجعت وقد كشف الغطاء فأبصرت ما ليس يُدرك بالعيون الهجّع
وغدت مفارقة لكل مخالف عنها حليف الترب غير مشيّع
فلأي شيء أهبطت من شاهق سام الى قعر الحضيض الأوضع
فهبوطها ان كان ضربة لازبٍ فتكون سامعة لما لم يسمع
فتصير عارفة بكل حقيقة في العالمين فخرقها لم يرقع
ان كان أرسلها الإله لحكمة خفيت عن الفطن اللبيب الاروع
فهي التي قطع الزمان طريقها حتى لقد غربت بعين المطلع
وغدت تغرّ دفوق ذروة شاهق والعلم يرفع كل من لم يرفع
فكأنها برق تألق بالحمى ثم انطوى فكأنه لم يلمع

وكتبت الى صاحب لي ببلاد الروم اسمه اسحاق بن محمد من اصحاب السلطان ممن تخدمه الدولة وتظهر به السنة :

اسحاق فاسمع لوعظ من اخي ثقة ولا يغرّنك تقريب السلاطينِ
ان الملوك قد استغنوا بملكهم عنا وعما بأيديهم من الدين
فاستغن بالله عن ملك الملوك وعن سؤال من هو مسكين بن مسكين
فالله يكفيك يا عيني ويا ولدي شرّ الملوك وأشرار الشياطين
بالبيت بالحجر بالاركان أسأله باللوح بالقلم الاعلى وبالنون
إن قلت صدقني او بتّ سامرني ولا يزال يناديني ويسليني

ولنا من الرموز العلوية ، ومن الاشارات الغزلية :

أيا روضة الوادي اجب ربة الحمى وذات الثنايا الغرّ يا روضة الوادي
وظلّ عليها من ظلالك ساعة قليلا الى ان يستقر بها النادي

وتنصب بالأجواز منك خيامها فما شئت من ظلّ غداء لميّاد
وما شئت من ظل ظليل ومن جنى شهي لدى الجاني يميس بميّاد
ومن ناشد فيها زرود ورملها ومن منشدٍ حادٍ ومن مرشد هاد

ولنا من هذا الباب :

وأحربا من كبدي وأحربا وأطربا من خلدي وأحربا
في كبدي نار جوى محرقة في خلدي بدر رُجىً قد غربا
يا مسك يا بدر ويا غصن نقي ما أورق ما أنور ما أطيبا
يا مبسماً أحببت منه الحببا ويا رضاباً ذقت منه الضربا
يا قمراً في شفق من خفرٍ نجـــده لاح لنا منتقبا
لو انـــه يسفر عن برقعه كان عذاباً فلهذا احتجبا
شمس ضحى في فلك طالعه غصن نقي في روضة قد نصبا
ظللت لها من حذر مرتقباً والغصن أسقيه سماء صيّبا
ان طلعت كانت لعيني عجباً أو غربت كانت لحيني سببا
مذ عقد الحسن على مفرقها تاجاً من التبر عشقت الذهبا
لو أنـ ابليس رأى من آدمٍ نور محياها عليه مـــا ابا
لو أن ادريس رأى ما رقم الـ حسن بخدّيها اذاً ما كتبا
لو أن بلقيس رأت رفرفها ما خطر العرش ولا الصرحُ ببا
يا سرحة الوادي ويا بان النقا أهدي لنا من نشركم مع الصّبا
مسكاً يفوح ريّاه لنـــا من زهر اهضابك او زهر الربا
يا بانة الوادي أرينـــا فنناً في لين اعطافٍ لها أو قضبنا
ريح صبا تخبر عن عصر صبا بحاجر او بمنىً او بقبـــا
او بالنقا فالمنحنى عند الحمى او لعلعٍ حيث مراتع الظبا

لا عجبٌ لا عجبٌ لا عجبا   من عربيّ يتهـــادى العربا
يغني اذا مـــا صدَحت قمرية   بذكر من يهواه فيها طربا

ولنا من هذا الباب ، وفيه تنبيه على قوله تعـــالى : « قل ادعوا الله أو ادعوا الرحمن أيّاً ما تدعوا فله الأسماء الحسنى» وكون الحق تعالى ما ذكر في القرآن من الأسماء التي هي أمهات إلا ثلاثة : الله ، والرحمن ، والرب . وما عداها فهي نعوت لله ، وقد يقع الرحمن نعتاً . ايضاً قولنا :

بذي سَلم والدير من حاضر الحمى   ظباء تريك الشمس في صور الدّما
فأرقب افلاكاً وأخدم بيعـة   واحرس روضاً بالربيع منمنما
فوقتاً أسمّي راعي الظبي بالفلا   ووقتاً أسمّي راهباً ومنجّما
تثلث محبوبي وقد كان واحداً   كما صيّروا الأقنام بالذات أقنما
فلا تنكرن يا صاحِ قول غزالةٍ   تضيء لغزلان يطفن على الدّما
فللظبي أجياداً وللشمس أوجهـاً   وللدّمية البيضاء صدراً ومعصما
كما قد أعرنا للغصون ملابساً   وللروض أخلاقاً وللبرق مبسما

طفتُ ليلة بالبيت فأدركني التعب ، فقلت : أعتبُ نفسي على البديهة من غير رويّة :

يا أيهـــا البيت العتيق تعالى   نورٌ لكم بقلوبنـــا يتلالا
أشكو اليك مفاوزاً قد جئتها   أرسلتُ فيها أدمعي إرسالا
أمسي وأصبح لا ألذّ براحةٍ   أصِلُ البُكورُ، وأقطعُ الآصالا
هذي الركاب اليكم سارت بنا   شوقاً وما ترجو بذاك وصالا
ان النياق وإن أضرّ بها الوجا   تسري وترفل في السُّرى ارفالا
قطعت اليك سباسباً ورمالاً   وجداً وما تشكو لذاك كلالا
ما تشتكي ألم الوجا وأنا الذي   أشكو الكلال لقد أتيتُ محالا

ولنا في باب الأرواح واللطايف :

ناحت مطوّقةٌ فحنَّ حزينُ ... وشجاه ترجيعٌ لها وحنينُ
جرت الدموع من العيون تفجعاً ... لحنينهـــا فكأنهن عيونُ
طارحتها ثكلى بفقد وحيدها ... والثكل من فقد الوحيد يكون
طارحتها والشجو يمشي بيننـا ... ما ان تبينُ وانني لأبين
بي عالج من حبّ رملة عالج ... حيث الخيام بهـا وحيث العين
من كل فاتكة اللحاظ مريضة ... أجفانها لظبيَ اللحاظ جفون
ما زلتُ أجرع دمعتي من غلبتي ... أخفي الهوى عن عاذلي وأصون
حتى اذا صاح الغرابُ بينهم ... فصاح الفراق صبابة المحزون
وصَـلوا السرى قطعوا البرى فلعيسهم ... تحت المحـامل رنـّـة وأنين
عاينت أسباب المنية عندما ... أرخوا أزمّتها وشدّ وضين
إن الفراق مع الغرام لقاتلٌ ... صعب الفراق مع اللقاء يهون
ما لي عذول في هواها انهـا ... معشوقة حسناء حيث تكون

ولنا ايضاً في هذا الباب :

بـين النقـا ولعلع ... ظباء ذات الأجرع
ترعى بهـا في خمري ... خمـائلا وترتـع
مـا طلعتْ أهلةٌ ... بـأفق ذاك المطلع
ألا وددت انهـا ... من حـدر لم تطلع
ولا بدت لامعـةٌ ... من برق ذاك البرقـع
ألا اشتهيت انهـا ... لما بنـا لم تلمع

يا دمعتي وانسكبي		يا مقلتي لا تقلعي
يا زفرتي خذ صَعداً		يا كبدي تصدّع
وأنت يا حادي اتئد		فالنار بين أضلعي
قد فنيتْ مما جرى		خوف الفراق أدمعي
حتى اذا حلّ النوى		لم تلفِ عيناً تدمعِ
فارَحلْ الى وادي اللّوى		مربعهم ومصرعِ
إنّ به احبّتي		عند مياه الاجرَعِ
ونادهم منْ لفتىً		ذي لوعةٍ مودّعِ
رمتْ به أشجانه		وسط خرابٍ بلقعِ
يا قمراً تحت دُجىً		خذ منه شيئاً ودعِ
وزوّديه نظرةً		من خلف ذاك البرقعِ
فإنه يضعفُ عن		درك الجمال الاروعِ
او علّليه بالمنى		عساه يحيى ويعي
ما هو إلا ميتٌ		بين النقا ولعلعِ
فمتُ اياساً وأسىً		كما أنا في موضعي
ما صدّقتْ ريح الصّبا		حين اتت بالجزعِ
قد تكذب الريح اذا		تقول ما لم تسمعِ

ولنا ايضاً في هذا الباب :

انجد الشوق وأتهم الغرام		فأنا ما بين نجدٍ وتهامْ
وهما ضدّان لن يجتمعا		فشتاتي ما له الدّهرِ نظامْ
ما صنيعي ما احتيالي دّلني		يا عذولي لا ترعني بالملامْ
زفرات قد تعالت صعدا		ودموعِ فوق خدّي سجامْ

حنّت العيسُ الى اوطانها من وجا السير حنين المستهام
ما حياتي بعدهم إلّا الفنا فعليها وعلى الصبر السلام

ولنا ايضاً في هذا الباب :

لمعتْ لنا بالابرقين بروقُ فصفت لها بين الضلوع رعودُ
وهمت سحائبها بكل خميلة وبكل ميّادٍ عليك يميد
فجرت مدامتها وفاح نسيمها وهفت مطوقة وأورق عود
نصبوا القباب الحمر بين جداولٍ مثـل الاساود بينهن قعود
بيض او انس كالشموس طوالعٌ عــين كريمات عقائل غيد

ولنا ايضاً من هذا الباب :

عند الكثيب من جبال زرود صيدٌ وأسد من لحاظ الغيدِ
صرعى وهم ابناء ملحمة الوغى ابن الاسود من العيون السود
فتكت بهم لحظاتهن وحبذا تلك الملاحظ من بنات الصيد

ذكر ابو الفرج بن الجوزي رحمه الله في كتاب مثير الغرام الساكن ، اخبرنا به كتابة ، قال : حكى عن بعض السلف انه نوى الحج ومعه ثمانمائة درهم ، وعرضت له ذات يوم حاجة ، فبعث ولده الى بعض جيرانه ، فرجع الولد يبكي ، فقال : مالك ؟ قال : دخلت على جارنا وعندهم طبيخ فاشتهيته فلم يطعموني . فذهب الرجل الى جاره فعاتبه على مـــا فعل ، فبكى الجار وقال : ألجأتني الى كشف حالي ، انا منذ خمسة ايام لم نطعم ، فطبخنا ميتة فأكلناها ، وعلمت أن ولدك يجد مـــا يحل له أكله ، ولا يحل له معنا اكله فتعجب الرجل ، وقال لنفسه : كيف النجاة وفي جوارك مثل هـذا وأنت

تتأهب للحج ؟ فرجع الى بيته وأعطاه الثلاثمائة درهم . فلما كانت عشية عرفة رأى ذو النون المصري في منامه وهو بعرفات كأنّ قائلاً يقول له : يا ذا النون ترى هذا الزّحام على هذا الموقف ؟ قال: نعم. قال : ما حج منهم إلّا رجل تخلف عن الموقف فحج بهمّته ، فوهب الله عز وجل اهل الموقف له . فقال ذو النون : من هو ؟ قيل له : رجل يسكن دمشق . فذهب ذو النون الى دمشق ، وبحث عنه حتى عرفه وسلم عليه . أهـ المجلس .

ولمهيار الديلمي في حنين الإبل ، وقيل بل هو للمتنبي :

أركائب الأحباب أن الأدمعا تطس الخدود كما تطسن اليرمعا
فأعرفن من حملت عليكن النوى وأمشين هوناً في الأزمة خضعا

وله ايضاً في هذا الباب :

اراك حبستها تشكو المضيقا اثرها ربما وجدت طريقا
اجزها تطلب القصوى ودعها سدىً ترمي الغروب بها الشروقا

وله ايضاً في هذا الباب :

يا سائق البكرات استبق فضلتها على الرويدا فظهر العود معقورُ
حبساً ولو ساعة تروي بها مقل هيمٌ عليها الدهر منه مشكور
فالعيس طائعة والارض واسعة وإنما هو تقديم وتأخير
تغلّوا من زرودٍ وجه يومهم وحظهم بظلال البان تهجير

وله ايضاً في هذا الباب :

مرت بنعمان على طول المدا دعها فليس كل ماءٍ موردا
لحاجة أمس ما حاجاتها تخطات أرزاقها تعمدا

ترعى وفي مشروبها ضراعة حرارة على الكبود أبردا
لا حملت ظهورها ان حملت رحلاً على الضم تفراً وبـدا

استجلاب وصية حكيم :

روينا من حديث الدينوري قال : حدثنا ابن ابي الدنيا قال : سمعت محمد ابن الحسين يقول: قال حكيم لحكيم : أوصني. قال : اجعل الله همك، واجعل الحزن على قدر ذنبك ، فكم من حزين به حزنه على سرور الأبـد ، وكم من فرحٍ نقله فرحه الى طول الشقاء .

ومن كلام ابراهيم بن ادهم في الكمد :

روينا من حديث المالكي ، عن ابراهيم بن سهلويه، عن ابن حنيف ، قال: قال ابراهيم بن ادهم : ما من العمل شيء أشد على اهله من طول الكمد ، والكمد جرح لا يندمل دون الموت .

تقلّب الأحوال ، وتنوّع الأشكال :

فيوم علينا ويوم لنـــا ويوم نُساءُ ويوم نسرّ

وروينا من حديث الدينوري ، عن ابراهيم الحربي ، عن ابي نصر ، عن يعقوب بن داود ، عن السائب بن الاقرع انه قـال : هكذا الدنيا تصبح لك مسرّة ، وتمسي عليك مكرّة ، ثم أنشأ يقول :

ألا قد أرى ان لا خلود وانه سينعق في داري غراب ويحجلُ
ويقسم ميراثي رجـال أعزّة وتذهل عني الوالدات وتشغل

ومن خبر اسعد تبّع الذي كسا الكعبة ، وتوجه الى مكة ، وما اتفق له في نار اليمن :

روينا من حديث ابن اسحاق ، قال : كان تبّع وقومه اصحاب أوثان يعبدونها ، فوجّه الى مكة وهي طريقه الى اليمن حتى اذا كان بين عسفان والح ، أتاه نفرٌ من هذيل بن مدركة بن الياس بن مضر ، فقالوا : أيها الملك ألا ندلك على بيت المال وأثر غفلته الملوك قبلك ؟ فيه اللؤلؤ ، والزبرجد ، والياقوت ، والذهب ، والفضة . قال : بلى . قالوا : بيت مكة يعبده اهله، ويصلّون عنده ، وإنما أراد الهذليون هلاكه بذلك ، لما عرفوا من هلاك من أراده من الملوك ، وبغى عنده ، فلما أجمع رأيه ، قالوا : أرسل الى حبرين كانا عنده ، فسألهما عن ذلك ، فقالا : ما أراد القوم إلا هلاكك ، وهلاك جندك ، ما نعلم بيتاً لله اتخذه في الارض لنفسه غيره . ولئن فعلت ما دعوك اليه لتهلكن ، ويهلكن من معك جميعاً . قال : فماذا تأمراني ان اصنع ؟ قالا : اذا قدمت عليه تصنع عنده ما يصنع اهله ، تطوف به ، وتكرمه ، وتعظمه ، وتحلق رأسك عنده ، وتذلل حتى تخرج من عنده . قال : فما يمنعكما أنتما من ذلك ؟ قالا : أما والله انه لبيت أبينا ابراهيم ، وانه لكما أخبرناك ، ولكن أهله حالوا بيننا وبينه بالأوثان التي نصبوها حوله ، بالدماء التي يهرقون عنده وهم نجس اهل شرك . فعرف نصحهما ، وصدق حديثهما ، وقرّب النفر من هذيل ، فقطع أيديهم وأرجلهم . ثم مضى حتى قدم مكة ، فطاف بالبيت، ونحر عنده، وحلق رأسه ، وأقام بمكة ستة ايام فيما يذكرون ينحر بها للناس ، ويطعم اهلها ، ويسقيهم العسل. ورأى في المنام ان يكسو البيت، فكساه الخصف، وهي ثياب غلاظ جداً . ثم رأى ان يكسوه احسن من ذلك ، فكساه المغافر . ثم رأى انه يكسوه احسن من ذلك ، فكساه

الملا والوصايل . وأوصى بالبيت وُلاته من جُرْهم ، وأمرهم بتطهيره ، وان لا يقربوا اليه دماء ولا ميتة ، ولا ميلغاً ، وهي المحايض. وجعـل له باباً ، ومفتاحاً ، فكان تبّع فيما يروى إنه اول من كسى البيت ، وقـال تبع في ذلك وفي مسيره :

وكسونا البيت الذي حرّم الله ملاءً معصباً وبرودا
وأقمنا به من الشهر عشراً وجعلنا لنا بـه اقليدا
وخرجنا منه نؤم سهيلاً قد رفعنا لواءنا معقودا

وفي ذلك تقول سبيعة بنت الأجبّ بن ربيبة بن حذيمة بن عوف بن نصر ابن معاوية بن بكر بن هوازن لابنها خالد بن عبد مناف بن كعب بن سعد ابن تيم [1] بن مرة بن كعب بن لؤيّ ، تعظم عليه حرمة مكة وتنهاه عن البغي فيها ، فذكرت تبّعاً وما كان منه في تعظيم الكعبة حيث يقول :

أبنيّ لا تظلم بمكة لا الصغير ولا الكبيرِ
واحفظ محارمها ولا يغررك بالله الغرور
أبني من يظلم بمكة يلقَ أطراف الشرور
أبني يضرب وجهـه ويلح بخديه السعير
أبني قـــد جرّبتها فوجدت ظالمها يبور
الله آمنها ومـــا بنيت بعرصتها قصور
والله آمن طيرها والعصم تامن في ثبير
ولقـــد غزاها تبّع وكسا لبنيتها الحرير

---

(١) نسخة ٢ تيم وحرر اه.

وأذلّ ربي ملكه فيها فأوفى بالنذور
يمشي اليهـــا حافيـاً بفنائها ألفـــا بعير
ويظل يطعم أهلهـا لحم المهاري والجزور
يسقيهم العسل المصفّى والرخيص من الشعير
والفيـل أهلك جيشه يرمون فيها بالصخور
والملك في أقصى البلاد وفي الأعاجم والجزير
فاسمع اذا حدّثت واف‍ ‍هم كل عاقبة الامور

قـال ابن اسحاق : ثم خرج تبع متوجهاً الى اليمن بمن معه من جنوده وبالحبرين حتى اذا دخل اليمن دعا قومه الى الدخول فيما دخل فيه، فأبوا عليه حتى يحاكموه الى النار التي كانت باليمن ، وقيل : لما جاء يدخل اليمن حالت حمير بينه وبين الدخول ، قالوا : لا تدخلها علينا وقد فارقت ديننا ، فقال لهم تبـع : انه خير من دينكم ، قالوا : فحاكمنا الى النار ، قال تبع : نعم. وكان في اليمن نار تحكم بينهم فيما يختلفون فيه تأكل الظالم ولا تضر بالمظلوم ، فخرج قومه بأوثانهم وما يتقربون بـــه في دينهم ، وخرج الحبران بمصاحفهما في أعناقهما متقلديها حتى قعدوا للنار عند مخرجها الذي تخرج منه ، فخرجت النار اليهم ، فلما أقبلت نحوهم حادوا عنها وهابوها ، فزأرهم من حضرهم من الناس وأمروهم بالصبر لها ، فصبروا حتى غشيتهم ، فأكلت الاوثان وما قرّبوا معها وما حمل ذلك من رجـال حمير ، وخرج الحبران بمصاحفهما في أعناقهما تعرق جباههما لم تضرّهما ، فأصفقت حمير عند ذلـك على دينه . فمند ذلك كان اصل اليهودية باليمن .

فتنة آلهية أضل بها من شاء :

أخبرني بمكة رجل ثقـــة من التجار ، يقال له ابن صوّاف من اهل

الاسكندرية ، وكان عدلاً صالحاً ، ثبت الحديث فطناً ، ولا ازكى على الله احداً ، قال لي : أخبرني بعض التجار أنــه أتجر ببعض بلاد الهند ، فعامل رجلاً من اهل ذلك البلد الى أجل معلوم ، فتوفي التاجر الهندي قبل حلول الاجل بغتة ، فأسف التاجر الغريب على تلاف ماله ، فقصد دار الهندي ليشهد جنازته ، باكياً على ما كان له قبله ، فقــال له بعض اهل الميت : ما شأنك تكثر البكاء ؟ فذكر ماله قِبلَ الميت ، فقال له : لا بأس عليك تأخذ مالك موفاً ، فقال : وكيف ذلك ؟ فقال له : ان الميت عندنا يحييه الله بعد ثلاثة ايام من دفنه ، فيفتح دكانه ان كان صاحب دكان ، ويذكر ما له وما عليه في جريدته ، ويعطي للنــاس ما لهم في قِبله من الحقوق ، فإذا لم يبق عليه تبعة قام وأغلق دكانه ، وسلم المفاتيح للورثة ، وانصرف من حيث جــاء لا يتبعه احد ، فلا نراه بعد ذلك. قال التاجر : فتعجب لخبره وهان عليّ تلف المال بمشاهدة هذه الاعجوبة .

قال : ثم إنا تبعنا الجنازة حتى دفناه ، وبقيت أترقب ، فلما كان بعد ثلاثٍ نادى مناد في البلد : معشر الناس ، من كان له عند فلان الذي مــات حق فليأت الى دكانه ، فقد قعد يعطي الناس حقوقهم .

قـــال : فأسرعت الى الدكان فوجدت صاحبي بعينه لا أنكر منه شيئاً وجريدته في يده ، ومن له عنده شيء قد حضر ، فمــا زال ينظر في الجريدة ويقول : أين فلان ؟ فيجيبه ، فيقول : كم تسألني ؟ فيقول له : كذا وكذا ، فيعطيه ، الى أن دعاني بإسمي فقال : كم تسألني ؟ فقلت : كذا وكذا ، فنظر في الجريدة ، فقــال : صدقت ، فوافاني حقي ، وشكرني ، واعتزلت انظر آخر أمره وإلامَ يؤل ، فلما جـــاء وقت العصر وتمكن ، فرغ من شغله ، وقفل الحانوت ، وانصرف الناس ، وأخذ المفاتيح ، وأسلمها للورثة ، وسلم

عليهم ، وانصرف ، فلم يتبعه أحد ، فانصرفت خلفه أسأله عن شأنه ، فإني رأيت عجباً ، فما دخل زقاقاً إلا وأنا خلفه أجهد نفسي في أثره ، فلما ألححت عليه وقف وقال : يا هذا ألم تأخذ حقك ؟ قلت : بلى . قال : فانصرف . قلت له : أريد أن أعرف شأنك ، فإني ما شككت في موتك ودفنك فكيف قضيتك ؟ وأقسمت عليه أن يخبرني . فقال : نعم أخبرك ، أما صاحبك التاجر الهندي فقد انتقل الى لعنة الله، وأما أنا فملكٌ على صورته أرسلني الله تعالى ، ففعلت ما رأيت ليفتنهم الله تعالى ، وقد أجرى الله لهم العادة في ذلك ، فلست صاحبك ، فانصرف عافاك الله حتى انصرف .

قال التاجر : ثم التفتّ فلم أره ، وقد عرفت خبره ، وكتمته في نفسي، وجبر الله عليّ مالي .

واقعة :

حدثنا صاحبنا عبد الله بن الاستاذ المروزي ، قال : رأى بعض المريدين من أصحابنا في واقعته الشيخ أبا مدين وقد استوى في الهواء، ومعه أبوحامد الغزالي ، فقال الشيخ : يا أبا حامد ، السرّ بالله ناظر ، والروح يتلقف منه الأوامر ، والقلب للسكينة والساكن ، والعقل حكم حاكم ، والنفس تحت قهر القاهر، والحق به ظهر الوجود، وهو الواحد المعبود . ثم قال : يا أبا حامد، اذا تلاشت المعاني فاقرأ السبع المثاني ، فإنك تراه كما لم يزل ، وأنت كما لم تكن ، فرأيت عند هذا الكلام قد خصّ الشيخ بالتجلي الإلهي ، وأبو حامد معه مشارك ، فقال أبو حامد للشيخ : كيف مادة الله للسرّ ؟ فقال له الشيخ : اسمع ان نظرت به وجدتهما معاً لم يفترقا ولم يجتمعا . ثم قال له : فالسرّ ما هو ؟ فقال : هو خزانة النظر . قال له : والروح ؟ قال : هو

خزانة النظر ، قال له : والقلب ؟ قال : هو خزانة الفكر ، قال: والعقل ؟ قال : هو خزانة العدل . والعلم ؟ قال : والنفس ؟ فقال : خزانة الأرض . ثم قال الشيخ : يا أبا حامد على هذا صنعه ، وكل متفرق جمعه .

تذكرة :

حدثنا محمد بن قاسم ، قال : سمعت عمر بن عبد الجيد يقول : تقـدّم في العمل الصالح دهرك ، واغتنم زمانك وعمرك، واعلم أن الآخرة مرآة الدنيا، فما عملت في هذه رأيت في تلك ، فأنت اليوم تعمل، وغداً ترى ، فإن كنت عاقلا فإبك على مـــا جرى ، واذكر ما قدمت ، فكأنك قد وصلت . ثم أنشد :

ذكرتُ إساءتي فازددت حزناً ومثلي من تذكّـر ثم ناحـا
قطعت العمر عصياناً وجهلاً وجانبت المسَرّة والصلاحا
سيبدي العرض مني يوم حشرٍ لأهل الجمع أحوالاً قِباحـا

وأنشدني أيضاً :

معاصيك العظام عليك دَين ويوم الحشر تبديهـــا جميعا
فكن متجافياً عن كل ذنبٍ فخير النـاس من أمسى مطيعا

اجتماع سليمان بن عبد الملك مع ابي حازم :

روينا من حديث المالكي ، عن ابي غسان عبد الله بن محمد ، عن ابي سلمة يحي بن المغيرة المخزومي ، عن عبدالجبار بن عبد العزيز، عن جده ابي حازم،

قال : دخل سليمان بن عبد الملك المدينة فأقام بهـــا ثلاثاً ، فقال : ما ههنا رجل ممن أدرك أصحاب محمد ﷺ يحدثنا ؟ فقيل له: بلى ههنا رجل يقال له أبو حازم . فبعث اليه ، فجاءه .

فقال له سليمان بن عبد الملك : يا ابا حازم ما هذا الجفاء ؟ فقال له ابو حازم : وأي جفاء رأيتَ مني ؟ قال له سليمان : أتاني وجوه اهـــل المدينة كلهم ولم تأتني ، فقال له : أعيذك بالله أن تقول مـــا لم يكن ما جرى بيني وبينك معرفة آتيك هكذا ، فقال سليمان صدق الشيخ ، ثم قال سليمان : يا ابا حازم مـــا لنا نكره الموت ؟ فقال ابو حازم : لأنكم أخربتم آخرتكم ، وعمرتم دنياكم ، فأنتم تكرهون أن تنقلوا من العمران الى الخراب . قـــال : صدقت يا ابا حازم ، كيف القدم على الله ؟ فقال أما المحسن فكالغائب يقدم على اهله ، وأما المسيء فكالآبق يقدم على مولاه. قال : فبكى سليمان وقال: يا ليت شعري ما لنا عند الله يا ابا حازم ؟ فقال ابو حازم : اعرض نفسك على كتاب الله عز وجل تعلم مالك عند الله . فقال : يا ابا حازم اين نصيب تلك المعرفة في كتاب الله عز وجل ؟ قال ابو حازم : عند قوله عز وجل : إن الأبرار لفي نعيم ، وإن الفجّار لفي جحيم . فقـــال سليمان : يا ابا حازم فأين رحمة الله ؟ قال ابو حازم : قريب من المحسنين قال سليمان : يا ابا حازم من أعقل الناس ؟ قال ابو حازم : من تعـــلّم الحكمة وعلّمها الناس ؟ قال سليمان : يا ابا حازم من احمق الناس ؟ قال ابو حازم : من باع آخرته بدنيا غيره . فقال سليمان : ما أسمع الدعاء ؟ قال ابو حازم : دعاء المخبتين اليه . قال سليمان : ما أزكى الصدقة ؟ فقال ابو حازم : جهد المقل . فقال سليمان: يا ابا حازم ما تقول فيما نحن فيه ؟ فقال ابو حازم : اعفنا من هـــذا . فقال سليمان : نصيحة بلغتها . قال ابو حازم : إن أناساً أخذوا هذا الأمر من غير

مشورة من المؤمنين ، ولا إجماع من رأيهم ، فسفكوا فيها الدماء على طلب الدنيا ، ثم ارتحلوا عنها ، فليت شعري ما قالوا وما قيل لهم ؟ فقال بعض جلسائه : بئس مـا قلت يا شيخ ، فقال ابو حازم : كذبت ، إن الله تبارك وتعالى أخـذ على العلماء ليبيننه للناس ، ولا يكتمونه . فقال سليمان : يا ابا حازم كيف لنـــا بصلح ؟ قال : تدعوا التكلّف وتمسكوا بالمروءة . قال سليمان : يا ابا حازم كيف الأخذ بذلك ؟ قال ابو حازم : تأخذه من حقه ، وتضعه في أهــله . فقال له سليمان : اصحبنا يا ابا حازم ، وتصيب منا ، ونصيب منك . فقال : اعيذك من ذلك . قال سليمان : ولم ؟ قال : اخاف أن أركن اليكم شيئاً قليلاً فيذيقني الله منها ضعف الحياة وضعف المهات . قال سليمان : يا ابا حازم فأشر عليّ فقال ابو حازم : اتق الله أن يراك حيث نهاك وأن يفقدك حيث أمرك . قال سليمان : يا ابا حازم أدع لنا بخير . فقال ابو حازم : اللهم إن كان سليمان وليك فبشره بخير الدنيا والآخرة ، وإن كان عدوك فخذ الى الخير بنا صيته . فقال سليمان : عظني يا ابا حازم ، قــال : فقد أوجزت إن كنت وليّه ، وإن كنت عدوه ، فمـــا ينفعك اذ أرمى بقوسٍ بغير وتر . فقال سليمان : يا غلام ائتِ بمائــة دينار ، ثم قال : خذها يا ابا حازم ، فقال ابو حازم : لا حاجة لي بها ، اني أخاف أن تكون لمـــا سمعت من كلامي أن موسى عليه السلام ، لما هرب من فرعون ، وورد ماء مدين ، وجد عليه الجاريتين تذودان ، قال : ما خطبكما ؟ قالتا : لا نسقي حتى يصدر الرعاء وأبونا شيخ كبير ، فسقى لهـما ، ثم تولى الى الظل فقال : رب اني لما أنزلت اليّ من خير فقير ، ولم يسأل على عون الله أجراً على دينه فلما أعجل بالجاريتين الانصراف ، انكر ذلـك ابوهما وقال : ما أعجلكما ؟ قالتا : وجدنا رجلاً صالحاً فسقى لنا ، قال : فمـــا سمعتماه يقول ؟ قالتا :

سمعناه يقول : رب اني لما أنزلت اليّ من خير فقير، قال : ينبغي أن يكون هذا جائعاً ، تنطلق احداكما فتقول له : إن ابي يدعوك ليجزيك أجر ما سقيت لنا ، قال : فجزع من ذلــك موسى عليه السلام ، وكان طريداً في فيافي الصحراء ، فأقبل والجارية أمامه ، فهبت الريح فوطتها له ، وكانت ذ خلق ، فلما بلغ الباب دخل واذا طعام موضوع ، قال شعيب : أصب يا فتى من هذا الطعام ، قال موسى عليه السلام : اعوذ بالله ، قال شعيب : ولِمَ ؟ قال موسى : لأننا من بيت لا نبيع ديننــا بملء الارض ذهباً . قال شعيب عليه السلام : لا والله ، لكنها عادتي، وعادة آبائي؛ نطعم الطعام ، ونقري الضعيف . فجلس موسى فأكل . فإن كانت هذه الدنانير هي عوضاً لما سمعت من كلامي ، فالآن أرى أكل الميتــة والدم في حال الضرورة أحب إليّ من أخذها . فكان سليمان أعجب بأبي حازم ، فقــال بعض جلسائه : يا امير المؤمنين ، أيسرّك ان يكون الناس كلهم مثله ؟

قال الزهري : إنه لجاري منذ ثلاثين سنة ما كلّمته بكلمة قط . قال له أبو حــازم : صدقت انك نسيت الله فنسيتني ، ولو أحببت الله لأحببتني . قال الزهري : صدقت أتشتمني ؟ قال سليمان : بل أنت شتمت نفسك ، أما علمتَ أن للجار على جاره حقاً . قال أبو حازم : إن بني إسرائيل لمــا كانوا على الصواب ، وكانت الأمراء تحتاج الى العلماء ، وكانت العلمــاء تضنّ بدينها عن الأمراء ، فاستغنت الأمراء عن العلمـــاء ، واجتمع القوم على المعصية ، فشغلوا وانتكسوا ، ولو كانوا علمــاؤنا هؤلاء يصونون علمهم ، لكانوا لم تزل الأمراء تهابهم . قال الزهري : كأنك لي تريد ، وبي تعرّض ، قــال : هو ما تسمع .

وبالاسناد :

قال : وفد هشام الى المدينة ، فأرسل الى ابي حازم ، فقال له : يا أبا حازم عظني وأوجز ، قال ابو حازم : اتق الله ، وازهد في الدنيا ، فإن حلالها حساب ، وحرامها عذاب ، قال : لقد أوجزت يا أبا حازم ، ارفع حوائجك الى امير المؤمنين ، فقال ابو حازم : هيهات هيهات قد رفعت حوائجي الى من تنجز الحوايج دونه ، فما أعطاني منها قنعت ، وما منعني منها رضيت، وقد نظرت في هذا الامر فإذا هو نصفين: احدهما لي ، والآخر لغيري ، فأما ما كان لي فلو احتلت بكل حيلة ما وصلت اليه قبل أوانه الذي قدّر لي فيه ، وأما الذي لغيري، فذاك الذي لا أطمع نفسي فيما مضى، ولا أطمعها فيما بقى ، وكما منع غيري رزقي ، كذلك منعت رزق غيري ، فعلامَ أقتل نفسي ؟.

حدثنا محمد بن الفضل ، ثنا محمد بن ابي منصور، أنا عبد القادر بن يوسف، انا ابو الحسن بن الاينوسي ، انا ابن شاهين ، نبأ اسماعيل بن علي ، حدثني القاسم بن الخطابي ، نبأ عبيد الله بن محمد العبسي، ثنا جعفر بن سليمان الصفي، قال : سمعت أبا يحيى مالك بن دينار يقول شعراً :

أتيت القبور فناديتها ... فأين المعظّم والمحتقرْ
وأين المذلّ بسلطانه ... وأين العزيز اذا ما قدر
وأين الملبي اذا ما دعا ... وأين العزيز اذا ما افتخر

قال فهتف بي هاتف يقول :

تفادوا هناك فما مخبرٌ ... وبادوا جميعاً وبادَ الخبرْ
تروح وتغدي بنات الثرى ... فتمحو محاسن تلك الصور
فيا سائلي عن أناسٍ مضوا ... أمالك فيما مضى معتبر

أخبرني احمد بن مسعود قـال : وقع بعض الخلفاء لبعض الأدباء بشيء ، فتردد الى الديوان زماناً، فلم ينفـّذ له صاحب الديوان ما وقع له به ، فكتب الى الخليفة يقول :

خليفة الله قـد وقـّعت لي كرماً | بذلك الرسم لكن من يتممهُ
وكل من جئته بالطرس ينبذه | نبذ الحصاة كأن الطرس يؤلمه
فآه ان كان هذا قد علمت به | وآه ان كان هذا لست تعلمه

قال : فغضب الخليفة على صاحب ديوانه ، وعزله ، ونفـــذ توقيعه ، وضاعف له .

روينا من حديث الهاشمي بسنده الى ابي‌هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: أيها الناس لا تعطوا الحكمة غير اهلها فتظلموها ، ولا تمنعوها اهلها فتظلموهم ، ولا تعاقبوا ظالماً فيبطل فضلكم ، ولا تراؤا الناس فتحبط أعمالكم، ولا تمنعوا الموجود فيقلّ خيركم . أيها الناس إن الأشياء ثلاثـــة : أمر استبان رشده فاتبعوه ، وأمر استبان غيّه فاجتنبوه ، وأمر اختلف عليكم فردّوه الى الله ورسوله، أيها الناس ألا أنبئكم بأمرين خفيف مؤنتهما، عظيم أجرهما، لم يلقَ الله بمثلهما : الصمت وحسن الخلق .

ذكر من حج من خلفاء بني أمية :

حجّ معاوية بن أبي سفيان بالناس سنة خمسين ، وحجّ عبدالملك بن مروان سنة خمس وسبعين ، وحج الوليد بن عبد الملك سنة احدى وتسعين .

ومن وقائع بعض الفقراء مـــا حدثني به عبد الله بن الاستاذ المروزي ، قـال : قال لي بعض الصالحين : رأيت في الواقعة أبا طالب ، وأبا حامد ،

وأبا يزيد ، وجمعاً من الصوفية ، وقد اجتمعوا على أبي مدين ، وقال بعضهم لأبي مدين : قل لنا في التوحيد ، فقال : التوحيد أصل وهو مع كل دقيقة ، والوجود سر وهو ظل الحقيقة، والتوحيد أحصى كل شيء عدداً ، وهو الباقي أزلاً وأبداً ، الكافي لمن هو حسبه ، فمن وفقه عَمِر بـــه قلبه ، هو المظهر للأشياء ، وبحياته كانت الحياة ، فالتوحيد ثمرة المعرفة ، ولا ينال إلا بقلب الأخلاق ، والصفة ، فمن انقلبت صفته ، كان المحمود ، ومن وقفت همته على ما سواه نال المقصود ، فالعارف به له تظهر اسراره ، والى حضرة سيّده تمتد افكاره ، يلاحظ الجمــال العليّ ، وينزّه ذات المالك الوفيّ ، فالتوحيد حياة القلوب ، ومظهر الأشياء ، وساتر العيوب ، ستر بــه مخلوقاته فبطن ، وأظهر به قدرته فيهم سبحانه فظهر للعارف اسرار بها يقتدي ، وأنوار بهــا يهتدي ، وأنواره من نور سيّده ملأت وجوده ، وأشرقت اسراره فكاشفت معبوده ، صَفت همته فباشرت المعاني ، وتنزهت صفاته فظل فانيـــاً ، فبالتوحيد العارفون يقولون ويسمعون ، فبذلك فليفرحوا هو خير ممـــا يجمعون .

روينا من حديث الخطابي قال: أنا ابن الاعرابي، قال: حدثنا بكر فرقد، ثنـــا يحيى بن سعيد القطان ، عن اسماعيل بن ابي خالد ، عن قيس بن ابي حازم ، عن طلحة بن عبد الله ، أن أقل : لعيب الرجل أن يجلس في داره .

حدثنا محمد بن قاسم ، قال : قيل لحاتم الأصمّ : كيف أصبحت ؟ قال : كيف يصبح من أجله قريب ، وأمله بعيد ، والموت امامه ، والقبر مسكنه ، وهو مع ذلك مطالَب بتسع خلال ، قلت : وما هن ؟ قال : أصبحت والله سبحانه يطالبني بالفرض ، والنبي ﷺ يطالبني بالسنّة ، والعيــال بالنفقة ، والنفس بالقوت ، والوالدان بالبرّ ، والملكان بصدق اللسان ، والقبر بالجسم ،

والدود باللحم ، ومنكر ونكير بالحجة ، فهؤلاء غرمائي ، وهـــذه ديوني ، فكيف يجب أن يكون من يصبح كل يوم على هذه الصفة وقد غلب تقصيري عن الوفاء .

شعر :

داويت قلبي بالهموم فما اشتفى وعتبت طرْفي بالدموع فما اكتفى
ووقفت أندبُ في منازل وصلكم حزناً على زمن المودة والصّفا

مثل :

هو أحمق من هبنّقة ، وله حكايات في هذا الفن عجيبة ، فمما بلغ من حمقه انه ضلّ له بعير يوماً ، فجعل ينادي : من وجد بعيري فهو له ، فقيل له : فلِمَ تنشده ؟ قال : فأين حلاوة الوجدان ؟

ومن اخباره : انـه اختصمت اليه في رجل بنو طفاوة ، وبنو راسب ، فادّعى هؤلاء فيه ، وادّعى هؤلاء فيه ، فقالوا : رضينا بأول طالع علينـا حكماً ، فطلع عليهم هبنّقة ، فلما رأوه قالوا : بالله انظروا من طلع علينا ، فلما دنا قصّوا عليه قصتهم ، فقال هبنقة : الحكم في هذا بيّن ، اذهبوا بـه الى نهر البصرة ، فالقوه فيه ، فإن كان من بني راسب رسب ، وإن كان طفاوياً طفا ، فقال الرجل: لا أريد أن اكون من هذين الجنسين، ولا حاجة الى الديوان .

ومما يقرب من هذا الحكم ما اتفق في بلدنا بإشبيلية ، كان عندنا رجل من سفلة الناس يقال له : جمعة ، يبيع الخبز ، وكان يتحاكم اليه أطراف الناس ، فجاء اليه رجلان يوماً، فقال احدهما : يا جمعة إن هذا الرجل زنى بإمرأتي،

فقال : ومن أين علمت ذلك ؟ قال: زعم انه رأى امرأتي في نومه فنكحها ، قال : كذلك كان ؟ فقال الخصم : نعم ، فقال جمعة : وجب الحد عليه ، اذهبوا به الى الشمس ، فإذا امتد ظله في الأرض فاجلدوا ظلّه مائة جلدة ، فقال الرجل : وما عليّ في ذلك ؟ فقال له جمعة : وما على امرأة الرجل في ذلك اذا نكح خيالها في منامها ، مالك عندي حكم غير ذلك .

واختصم اليه مرة اخرى في اشبيلية هذا رجل طباخ يطلب حق ادامه من رجل آخر ، فقال : كيف ترتب لك ما تدعيه على هذا الرجل ؟ فقال : اني رجل طباخ ، ابيع في الدكان ما أطبخه ، فجاء هذا الرجل وبيده قرصة من خبز ، فجعل يأخذ اللقمة ويعرضها على بخار القدر الصاعد ويأكل حتى فرغت ، فطلبتُ منه حق بخار القدر ، فقال جمعة : وجب عليك يا هذا أعندك قطعة فضة ؟ قال : نعم ، فأخرج المدعي عليه قطعة فضة ، فقال جمعة للطباخ : اصغ باذنك ، ورمى القطعة على الحجر، فسمع لها طنين، فقال : يا طباخ خذ هذا الطنين في حق بخارك ، وردّ القطعة الفضة لخصمك، فقال الطباخ : ما نقصه شيء . فقال جمعة : ولا أخذ من قدرك شيئاً .

افتخر الحسين عليه السلام يوماً في مجلس معاوية في كلام جرى ضربنا عن ذكره ، لأنا قد عزمنا ان لا نذكر ما شجر بين الصحابة من قبيح القول والفعل ، لما يحصل في القلوب الضعيفة من ذلك . قال الحسين : انا ابن ماء السماء ، وعروق الثرى ، انا ابن من ساد اهل الدنيا بالحسب الثاقب، والشرف الفائق ، والقديم السابق ، انا ابن من رضاه رضى الرحمن ، وسخطه سخط الرحمن ، ثم رد وجهه للخصم فقال له : هل لك ابٌ كأبي او قديمٌ كقديمي؟ فإن قلت : لا تغلب ، وإن قلت : نعم، تكذب ، فقال الخصم : لا تصديقاً

لقولك . فقال الحسين عليه السلام : الحق أبلج لا يزيغ سبيله ، والحق يعرفه ذوو الالباب .

وقال معاوية يومـــاً وعنده اشراف الناس من قريش وغيرهم : اخبروني بأكرم الناس ابا ، وأماً ، وعماً ، وعمة ، وخالاً ، وخالة ، وجداً ، وجدة ، فقال مالك بن عجلان : وأومأ الى الحسن بن علي عليهما السلام فقال : هـــا هوذا ابوه علي بن ابي طالب ، وأمه فاطمة بنت رسول الله ﷺ ، وجدتـه خديجة بنت خويلد ، وجده رسول الله ﷺ ، وعمه جعفر الطيار في الجنة ، وعمته ام هانيء بنت ابي طالب ، فسكت القوم ، ونهض الحسن ، فقام رجل من بني سهم ، وقال : أنت أمرت ابن عجلان على مقاتلته ، فقال ابن عجلان : ما قلتُ إلّا حقاً ، وما احد من الناس يطلب مرضات مخلوق بمعصية الخالق ، إلا لم يعطِ امنيته في دنياه ، وختم له بالشقاء في آخرته ، بنو هاشم أنضركم عوداً ، وأوراكم زنداً ، كذلك يا معاوية ، فقال معاوية : اللهم نعم .

وروينا من حديث ابن عباس قال : قدمت على معاوية وقـــد قعد على سريره وجمـــع بنو امية ووفود العرب عنده ، فدخلتُ وسلمتُ وقعدت ، فقال : يا ابن عباس من الناس ؟ قلتُ : نحن ، قال : فاذا غبتم ، قلتُ فـلا احد ، قال : فكأنك ترى اني قعدت هذا المقعد بكم ، قلتُ : نعم ، فبمن قعدت ؟ قال : بمن كان مثل حرب بن امية ، يعني جده ، قلت : من انكفأ عليه اناؤه ، وأجاره بردائه ، أراد بذلك ابن عباس ، مـــا اتفق لحرب بن امية جد معاوية مع عبد المطلب لمـا استجار به حرب حين اراد قتله الزبير ابن عبد المطلب من اجل التميمي ، وذلك ان حرب بن امية لم يلق احداً من رؤوساء قريش في عقبة ، ولا مضيق إلا تقدمـه حرب حتى يجوزه ، فلقيه يوماً رجل من بني تميم في عقبة ، فتقدمه التميمي ، فقال حرب : انا حرب بن

امية ، فلم يلتفت التميمي ، وجاوزه وقال : موعدك مكة ، فخاف التميمي ثم أراد التميمي دخول مكة فقال : من تجيرني من حرب بن امية ، فقيل له عبد المطلب ، فقال : عبد المطلب أقــل قدراً من أن يجيرني على حرب بن امية ، فأتى ليلاً دار الزبير بن عبد المطلب ، فدق بابه ، فقال الزبير لعبده: قد جاءنا رجل اما طالب حاجة ، وأما طالب قرى ، وأما مستجير ، وقد اجبناه الى ما يريد ، ثم خرج الزبير اليه ، فقال التميمي :

لاقيت حربــاً في الثنية مقبلاً — والصبح أبلج ضوءه للساري
فدعا بصوت واكتنى ليريعني — وسما عليّ سموّ ليث ضاري
فتركته كالكلب ينبح ظله — وأتيت قوم معــالم وفخار
ليثاً هزبراً يستجار بعزّه — رحب المياه ومكرماً للجار
ولقد حلفت بمكة وبزمزم — والبيت ذي الاحجار والاستار
ان الزبير لما نعى من خوفه — ما كبّر الحجاج في الامصار

فقدّمه الزبير ، وأجاره ، ودخل به المسجد ، فرآه حرب ، فقــام اليه اليه ولطمه ، فحمل عليه الزبير بالسيف ، فولى حرب يعدو هارباً حتى دخل دار عبد المطلب ، فقال : أجرني من الزبير ، فألقى عليه عبد المطلب جفنة كان هاشم يُطعم فيها الناس ، فبقي تحتها ، ثم قال له : اخرج ، فقــال : وكيف اخرج وعلى بابك تسعة من ولدك قد اجتذبوا السيوف ؟ فألقى عليه رداء كان كساه إياه سيف بن ذي يزن له طرّتان خضراوتان ، فخرج عليهم ، فعلموا انه قد أجاره ، فتفرقوا عنه .

روينا من حديث ابن عباس رضي الله عنه قال : قــال رسول الله ﷺ : لا تفخروا بآبائكم في الجاهلية فوالذي نفسي بيده لما يدحرج العجل برجله خير

من آبائكم الذين ماتوا في الجاهلية، أخذها القطب المطهّر واعظ العجم ، وكان بليغاً في اللسان الفارسي ، فوعظ الناس يوماً ، فقام اليه بعض الناس فقال : أيها الواعظ انت خير أم الكلب؟ قال : فأطرق ساعة واستعبر، وكان صالحاً فقال : يا اخي أما اني ان فزت بالجنة ، ونجوت من النار ، فأنا خير من الكلب ، وان كان غير ذلك، فالكلب خير مني. أخبرني بهذه الحكاية تلميذه صاحبنا مجد الدين ابو ابراهيم اسحاق بن محمد بن يوسف القونوي .

وكان الحسن بن ابي اسحاق البصري يقول : يا ابن آدم لمَ تفتخر وانما خرجت من سبيل البول نطفة تنسحب بأقذار ؟ قال بعض الحكماء ، وكان من الصالحين لرجل آخر يفتخر : أيفتخر مَن أوّله نطفة مَذِرة ، وآخره جيفة قذرة ، وهو فيما بينهما وعاء عذرة ؟.

وأنشدنا ابن البطين لعليّ بن ابي طالب القيرواني ، وقيل : لعليّ بن ابي طالب رضي الله عنه :

الناس من جهة التمثل أكفاء ... أبوهم آدم والأم حواءُ
ما الفخر إلا لأهل العلم انهم ... على الهدى لمن استهدى أدلاء
وقدر كل امرء ما كان يحسنه ... والجاهلون لأهل العلم أعداء

وكان ابي كثيراً ما ينشد :

الحمد لله ليس الرزق بالطلب ... ولا العطايا على فهم ولا أدبِ
ان قدّر الله شيئاً كنت نائله ... وليس ينفعني حرصي ولا نصبي

وخطب بعض الخلفاء وقد خطر له حسن الظن بالله تعالى فقال : الحمد لله الذي أنقذني من ناره بخلافته .

ومن حسن كلام الحجاج ان كان ينفعه ذلك وقد أشاع موته بعض من يكرهه ، قال الناس يوم مات الحجاج : مات الحجاج ، فقال : مَه ، ما أرجو الخير كله إلا بعد الموت ، والله ما رضي البقاء إلا لأهون الخلق عليه ابليس ، اذ قال: ربّ انظرني الى يوم يبعثون ، قال : فإنك من المنظرين الى يوم الوقت المعلوم أطمع الحجاج في ربه حسن ظنه به واتساع عفوه وكرمه.

شعر :

تعاظمني ذنبي فلما قرنته بعفوك ربي كان عفوك أعظما

وقال الآخر :

ذنبي اليك عظيم وأنت اعظم منه

وحديث السجلّاتي ، وهو الرجل الذي ذكره رسول الله ﷺ انه ينشر له يوم القيمة تسعة وتسعون سجلاً ، كل سجل مدّ البصر ليس فيها خير قط إلا كلمة التوحيد ، فألقاها الله له في كفة ، والسجلّات في كفة ، فثقلت كلمة التوحيد ، وطاشت السجلات ، فدخل الجنة ، وهذا بلا شك اعظم ذنوباً من الحجاج ، فكيف لا يطمح الحجاج وكان من الذين خلطوا ؟

وروينا من حديث انس بن مالك قال: دخلنا على قوم من الانصار وفيهم فتى عليل، فلم نخرج من عندهم حتى قضى نحبه، فإذا عجوز عند رأسه،فالتفت اليها بعض القوم فقال: استسلمي لأمر الله واحتسبي،قالت: أمات ابني؟ قال: نعم ، قالت : أحق ما يقوله ؟ قلنا : نعم ، فمدت يدها الى السماء وقالت : اللهم انك تعلم اني أسلمت لك، وهاجرت الى نبيك محمدﷺ رجاء ان تعينني عند كل شدة ، فلا تحملني هذه المصيبة اليوم ، قال : فكشف ابنها الذي سجيناه عن وجهه ، وما برحنا حتى طعم وشرب ، وطعمنا وشربنا معه .

في الكتاب الاول يقول الله تعالى يا ابن آدم أحدث لـــك سفراً أحدث لك رزقاً .

قـال الكميت : ولن تريح هموم النفس ان حضرت . حاجات مثلك ؛ الرجل والجمل .

وجد في بعض خزائن ملوك فارس لوح من حجارة مكتوب عليه : كن لما لا ترجو أرجى منك لما ترجو ، فإن موسى عليه السلام خرج يقتبس ناراً فنودي بالنبوة .

روينا من حديث الاصمعي قال : حججتُ مرة فإذا اعرابي قـــد كوّر عمامته على رأسه ، وقـــد تنكب قوساً ، فصعد المنبر ، فحمد الله ، وأثنى عليه ، ثم قال : ايها الناس إنما الدنيا دار ممر ، والآخرة دار مقر ، فخذو من ممركم لمقركم ، ولا تهتكوا استاركم عند من يعلم اسراركم .

أما بعد فإنــه لن يستقبل احد يوماً من عمره إلا بفراق آخر من أجله ، فاستعملوا لأنفسكم لما تقدمون عليه ، لا لمـــا تظعنون عنه ، وراقبوا من ترجعون اليه، فإنه لا قوي أقوى من خالق ، ولا ضعيف أضعف من مخلوق، ولا مهرب من الله إلا اليه، وكيف يهرب من يتقلّبُ في يدي طالبه ؟ وإنما توفون اجوركم يوم القيمة ، فمن زحزح عن النار وأدخل الجنة فقد فاز ، وما الحياة الدنيا إلا متاع الغرور .

وروينا من حديث ابن ودعان ، حدثنا الحسن بن محمد الصيرفي ، نبأ ابو بكر بن محمد بن القاسم ، نبأ اسماعيل بن اسحاق ، نبأ نصر بن علي ، عـــن الاصمعي ، عن ابي عمرو ، عن عيسى بن عمير ، عن معاوية انه قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول في خطبة احد العيدين الدنيا دار بـــلاء ومنزل قلعة

وعناء ، نزعت عنها نفوس السعداء ، وانتزعت بالكره من ايدي الاشقياء ، وأسعد الناس بها أرغبهم عنها ، وأشقاهم بهـا أرغبهم فيها ، هي الغاشة لمن استنصحها ، والمغوية لمن أطاعها ، والجائرة لمن انقادها ، والفائز من أعرض عنها ، والهالك من هوى فيها ، طوبى لعبد اتقى فيها ربه ، وناصح نفسه ، وقدم توبته ، وأخر شهوته ، من قبل ان تلفظه الدنيا الى الآخرة فيصبح في بطن مقفرة موحشة غبراء مدلهمة ظلماء ، لا يستطيع أن يزيـد في حسنة ، ولا ينقص من سيئة ، ثم ينشر فيحشر ، إما الى جنة يدوم نعيمها ، أو نار لا ينفك عذابها .

لـما مات عبد الملك ابن عمر بن عبد العزيز جزع عليه ابوه جزعاً شديداً فقال ذات يوم لمن حضر : هل من منشد شعر يعزيني بـــه أو واعظ يخفف عني فأتسلى به ؟ فقال رجل من اهل الشام: يا امير المؤمنين كل خليل مفارق خليله ، بأن يموت أو بأن يذهب ، فتبسم عمر وقال : مصيبتي فيك زادتني مصيبة .

وفي الكتاب الاول ان الله تعالى يقول : يا عبدي إن رضيت حكمي واليتك ، وإن اتقيتني قربتك ، وإن استحييت مني اكرمتك ، وإن توكلت عليّ صدقاً كفيتك، وإن ظلمت نفسك بمصيتي عاقبتك ، انت بيدك جرحت فؤادك لما بلغت من المعصية مرادك ، أما علمت انك لما نزعت لباس التقوى عرضت نفسك للمحن والبلوى ؟

ومن كلام علي بن ابي طالب رضي الله عنـــه : الدنيا دار صدق ، ودار عافيـة لمن فهم عنها ، ودار غنى لمن تزود منها ، مسجد انبياء الله ، ومهبط وحيه ، ومصلى ملائكته ، ومتجر اوليائه ، يكسبون فيها الرحمة، ويرجون فيها الجنة ، فمن ذا يذمها وقد أذنت بنعيمها ، ونادت بفراقها ، ونعت نفسها،

وشوقت بسرورها الى السرور ، وببلائها الى البـــلاء ، تخويفاً ، وتحذيراً ، وترغيباً ، وترهيباً ؟ فيا ايهـا الذام للدنيا ، والمفتتن بغرورها ، متى غرتك بمصارع آبائك من البلا ؟ ام بمضاجع امهاتك تحت الثرى ، كم تملكت بكفيك وكم مرضت بيديك ؟ تبتغي لهم الدواء ، وتستوصف لهم الاطباء ، وتلتمس لهـــم الشفاء ، لم تنفعهم بطلبتك ، ولم تشفعهم بشفاعتك ، ولم تستشفعهم باستشفائك ، تظنك مثلت لهم الدنيـا بمصرعك ومضجعك حيث لا ينفعك بكاؤك ، ولا يغني أحباؤك ، ثم التفت الى قبور هناك وقال : يا ايهـا الثروة والعز ، الازواج قد نكحت ، والاموال قد قسمت ، والدور قد سكنت ، هذا خير ما عندنا ، فما خير ما عندكم ؟ ثم قال لمن حضر : والله لو أذن لهم لأجابوكم بأن خير الزاد التقوى .

ثم أنشد :

ما أحسن الدنيا وإقبالها اذا أطاع الله مَن نالهـــا
مَن لم يواسِ الناس من فضلها عرّض لـلإدبار إقبالهـــا

وروينا من حديث الخطابي ، قال : حدثني الخلديّ موسى بن هارون ، عن هدية بن خالد ، عن حزام القطعيّ ، قال: سمعت الحسن يقول : المداراة نصف العقل ، وأنا أقول : هو العقل كله .

وقـال محمد بن الحنفيّة : ليس بحكيم من لم يعاشِر بالمعروف مَن لم يجـد من معاشرته بداً حتى يجعل الله له فرَجاً ومخرجاً .

وروينا من حديث الخطابيّ ، قال : أنا محمــد بن هاشم ، عن الديريّ ، عن عبد الرزاق ، عن ثابت بن رافع ، قـال : اخبرني شيخ من أهل صنعاء

يقال له ابو عبد الله ، قال : سمعت وهب بن منبّه يقول : اني وجدت من حكمة آل داود : حق على العالِم ان لا يشتغل عن اربع ساعات : ساعة يناجي فيها ربه ، وساعة يحاسب فيها نفسه ، وساعة يفضي فيها الى اخوانه الذين يصادقونه على عيوبه وينصحونه في نفسه ، وساعة يخلو فيها بين نفسه وبين لذّاتها فيما يحلّ ويحمد ، فإن هذه الساعة عون لهذه الساعات ، والاستجمام للقلوب ، وفضل وبلغة ، وعلى العاقل أن يكون عارفاً بزمانه ، ممسكاً للسانه ، مقبلاً على شأنه .

وأنشدنا محمد الكتانيّ لبعضهم :

عليك بالقصد لا تطلب مكاثرة ... فالقصد أفضل شيء أنت طالبه
واقنع بما لك لا تحسد أخا نشبٍ ... فمن قليل يردّ المال واهبه
فالمرء يفرحُ بالدنيا وبهجتها ... ولا يفكرُ ما كانت عواقبه
حتى اذا ذهبت عنه وفارقها ... تبين الغبنُ فاشتدت مصائبه
وصار يروي بأن لو كان ذا عدم ... ولم يكن عظمت فيها مكاسبه

وأنشدنا أيضاً لبعضهم :

يا من تخلّف عن محل نجاته ... متشاغلاً باللهو والعصيان
كفّر بحزنك في مقامي ما مضى ... واندب فهذا موقف الأحزان
واذرِ الدموع على الخدود بحسرة ... لتنال عفو الواحد المنّان

وروينا من حديث محمد بن سلامة ، أنا موسى الكاتب ، قال : اخبرنا ابن دريد ، انا عبد الله الرياشي ، وأبو حاتم ، عن الأصمعي ، قال : رأيت اعرابياً وقد وضع يده على الكعبة وهو يقول : يا رب سائلك عبدٌ ببابك ،

قد مضت أيامه ، وبقيت آثامه ، وانقطعت شهوته ، وبقيت تبعته ، فارضَ عني ، واعف عني ، فإنما يُعفى عن الجاني ، ويثاب المحسن ، وأنت أفضل من عفوت ، وأكرم من رجوت .

ولنا من اللطايف والإرشادات العُلوية :

غادروني بالأثيل والنقا ... أسكبُ الدمع وأشكو الحرَقا
بابي من ذبتُ فيه كمَداً ... بابي من متُّ منه فرَقا
حمرة الخجلة في وجنته ... وضح الصبح يناغي الشفقا
قوّض الصبر وطلب الأسى ... وأنا ما بين هذين لقا
من لبثّي من لحزني دلّني ... من لوجدي من لصبّ عشقا
كلما صنتُ تباريح الهوى ... فضح الدمعُ الجوى والأرقا
فإذا قلتُ هبُوا إلي نظرةً ... قيل ما تمنع إلا شفقا
ما عسى تغنيك منهم نظرة ... هي إلا لمح برق برقا
لست أنسى إذ حدى الحادي بهم ... يطلب البين ويبغي إلا برقا
نعقت أغربة البين بهم ... لا رعى الله غراباً نعقا
ما غراب البين إلا جمل ... سار بالاحباب نصاً عنقا

وروينا من حديث ابي داود سليمان بن الأشعث قال: مات رسول الله ﷺ عن مائة الف صاحب كلهم روي عنهم حديث .

روينا من حديث بن باكويه ، عن محمد بن يحيى ، عن محمد بن عيسى القرشي ، حدّثنا ابو الاشهب السائح قال : بينما انا اطوف اذا نحن بجويرية قد تعلقت بأستار الكعبة وهي تقول : يا وحشتي بعد الانس ، ويا ذلتي بعد العز ، ويا فقري بعد الغنى ، فقلت لها : ما لك؟ أذهب لك مال ؟ او أصبت

مصيبة ؟ قالت : لا ، ولكن كان لي قلب فقدته ، قلت : وهذه مصيبة ؟ قالت : وأي مصيبة اعظم من فقد القلوب ؟ وانقطاعها عن المحبوب ، فقلت لها : ان حسن صوتك قد عطّل على سامعيه الطواف، قالت : يا شيخ البيت بيتك أم بيته ؟ قلت : بل بيته ، قـالت : فالحرم حرمك أم حرمه ؟ قلت : حرمه ، قالت : فدعنا نتدال عليه على قدر ما استزادنا عليه ، ثم قالت : بحبك لي إلا ما رددت عليّ قلبي ، فقلت لها : من أين تعلمين انـه يحبك ؟ قالت : بالعناية القديمة جيّش من اجلي الجيوش ، وأنفق الأموال ، وأخرجني من بلاد الشرك فأدخلني في التوحيد ، وعرّفني نفسي بعـد جهلي إياه ، فهل هـذه إلا العناية ؟ قلت : كيف حبّك له ؟ قالت : اعظم شيء وأجلّه ، قلت : وتعرفين الحب ؟ قالت : فـاذا جهلت الحب فأي شيء أعرف ؟ قلت : فكيف هو ؟ قالت : هو أرق من السراب ، قلت : وأي شيء هو ؟ قالت : عجنت طينته بالحلاوة ، وخمرت في إناء الجلالة ، حلو المجتنى، ما اقصر، فإذا أفرط عاد خبلاً قاتلاً ، وفساداً معضلاً ، وهو شجرة غرسها كربة ، ومجتناها لذيذ ، ثم ولّت وأنشأت تقول :

وذي قلق لا يعرف الصبر والعزا   له مقلة عبرا أضرّ بها البكا
وجسم عليل منشجا لاعج الهوى   فمن ذا يداوي المستهام من الضنا
ولا سيا والحب صعب مرامه   اذا عطفت منه عواطف بالفنا

ولنا في باب الاشارات العلوية :

ألا يا حمامات الاراكة والبان   ترفقن لا تضعفن بالشجو أشجاني
ترفقن لا تُظهرن بالنوح والبكا   خفي صباباتي ومكنون أحزاني
اطارحها عند الاصيل وبالضحى   بحنّة مشتاق وأنـة هيمانِ

تناوحت الارواح في غيضة الفضا فمالت بأفنان عليّ فأفنني
وجاءت من الشوق المبرّح والجوى ومن طرق البلوى اليّ بأفنانِ
ومن لي بجمع والمحصّب من منى ومن لي بذات الأثل من لي بنعمان
تطوف بقلبي ساعة بعد ساعة بوجـد وتبريح وتلثم أركاني
وكم عهدت ان لا تخون وأقسمت وليس لمخصوب وفـاء بإيمان
ومن أعجب الأشياء ظبي مبرقع يشير بعنّاب ويومي بأجفان
ومرعاه ما بين الترائب والحشا ويا عجب من روضة وسط نيران
لقد صار قلبي قابلاً كل صورة فمرعى لغزلان ودير لرهبان
وبيت لأوثان وكعبة طائف وألواح توراة ومصحف قرآن
أدين بدين الحبّ أنى توجهت ركائبه فالدين ديني وإيماني
لنا أسوة في بشر هند وأختها وقيس وليلى ثم ميّ وغيلان

ولنا ايضاً في هذا الباب :

أطارح كل هـاتفةٍ بأيكٍ على فنن بإفنـان الشجونِ
فتبكي إلفها من غـير دمعٍ ودمع العين يهمل من جفوني
أقولُ لها وقد سمحت جفوني بأدمعهـا تخبرُ عن شؤني
أعندكِ بالذي أهواهُ عـلمٌ وهل قـالوا بإفياء الغصون

وروينا من حديث ابن الأشعث ، قـال : ثنا عبد الله بن سلمة ، عن عبد العزيز بن محمـد ، عن محمد بن طلحة ، عن محصن بن عليّ ، عن عوف ابن الحارث ، عن ابي هريرة ، قال: قال رسول الله ﷺ : مَن توضأ فأحسن الوضوء ، ثم راح فوجد الناس قد صلـّوا أعطاه الله مثل أجر من صلاّهـا وحضرها ، لا ينقص ذلك شيئاً من أجرهم .

ومن باب الترغيب في إتباع السنّة ، روينـا من حديث أبي داود ، عن عبيد الله بن مسعود ، نبأ عمي عن إسحاق ، عن هشام بن عروة ، عن أبيه، عن عائشة رضي الله عنها ، قالت : ان النبي ﷺ بعث الى عثمان بن مطعون فجاءه ، فقال : يا عثمان أرغبتَ عن سنّتي ؟ قـال : لا والله يا رسول الله ، ولكن سنّتك أطلب ، قال : فأنا أنام وأصلي ، وأصوم ، وأفطر ، وانكح النساء ، يا عثمان : إن لعينك عليك حقاً ، وإن لضيفك عليك حقـاً ، وإن لنفسك عليك حقاً ، فصم ، وافطر ، وصلِّ ، ونم .

حديث بناء قريش الكعبة :

روينا من حديث الأزرقي ، قال : حدثني جدي ، نبأ مسلم بن خـالد الزنجي ، عن ابن أبي نجيح ، عن أبيه ، قال : جلس رجـال من قريش في المسجد الحرام ، فيهم حويطب بن عبد العزيز ، ومخزمة بن نوفل ، فتذاكروا بنيان قريش الكعبة ، وما هاجهم عن ذلك ، وذكروا كيف كان بناؤها قبل ذلك ؟ قالوا : كانت الكعبة مبنية برضم يابس ليس بمدد ، وكان بابهـا بالأرض ، ولم يكن لها سقف ، والكسوة إنمـا تدلى على الجدُر من خارج ، وتربط من أعلى الجدر من بطنهـا بصخور عظام ، وكان في بطن الكعبة عن يمين من دخلها جبٌ يكون فيه ما يهدى للكعبة من مال وغير ذلك ، وان الله تعالى لما سرقت جُرهم من ذلك المال مراراً بعث حيّةً تحرسه ، فلم تزل حارسة لما في الكعبة ، وكان فيها قرنا كبش اسماعيل عليه السلام الذي فداه الله به من الذبح ، فاتفق أن امرأة ذهبت تجمّر الكعبة فطاردت من مجمرتها شرارة فأحرقت كسوتها ، فأضعفت النار حجارتها ، وجـاء سيل عظيم ، فدخل البيت ، وصدع حيطانه ، ففزعت قريش ، وهابت هدمها ، وخشوا

إن مسّوها أن ينزل الله عليهم عذابـاً من عنده ، ثم انهم اجمعوا رأيهم على هدمها ، والذي حرّضهم على ذلك، وحثهم عليه، أن سفينة للروم انكسرت بالشعيبة ، ساحل مكة قبل جدة ، وكان في تلك السفينة روميّ يحسن البناء والنجـــارة ، يسمى : ماقوم ، فأخذت قريش خشب تلك السفينة ، فكان وجود الصانع ، والآلات ، والخشب ، حثهم على ذلك ، فأجمعوا وتعـاونوا وترافدوا وربعوا قبائل قريش ارباعاً ، ثم قترعوا عند هبل في بطن الكعبة على جوانبها ، فطار قدح بني عبد مناف ، وبني زهرة على الوجه الذي فيـه الباب ، وهو الشرقي، وطار قدح بني عبد الدار، وبني أسد بن عبد العزّي ، وبني عديّ بن كعب على الشق الذي يلي الحجر وهو الشق الشامي ، وطـار قدح بني سهم، وبني جمح ، وبني عامر بن لؤي على ظهر الكعبة ، وهو الشق الغربي ، وطار قدح بني تيم ، وبني مخزوم ، وقبـائل من قريش ضموا معهم على الشق اليماني الذي يلي الصفا واجياد ، فنقلوا الحجارة ، ورسول الله ﷺ غلام لم ينزل عليه وحيٌ ينقل معهم الحجارة على رقبته ، فبينا هو ينقلها إذ انكشفت نمرة كانت عليه ، فنودي : يا محمد عورتك ، وذلك أول ما نودي والله اعلم، فما رؤيت لرسول الله ﷺ عورة بعد ذلك، وأدرك رسول الله ﷺ الفزع حين نودي ، فأخذه العباس بن عبد المطلب فضمه اليه ، وقـــال : لو جعلت نمرتك على عاتقك تقيك الحجارة ، قال : ما أصابني هذا إلا من التعري ، فشدّ رسول الله ﷺ إزاره ، وجعل ينقل معهم ، وكانوا ينقلون بأنفسهم تبرراً وتبركاً بالكعبة .

فلما اجتمع اليهم ما يريدون من الحجارة والخشب مـــا يحتاجون اليه ، وغدوا على هدمها ، فخرجت لهم الحية التي كانت في بطنها تحرسها ، سوداء الظهر ، بيضاء البطن ، رأسها مثل رأس الجدي، تمنعهم كلما أرادوا هدمها ،

فلما أرادوا ذلك اعتزلوا عند مقام ابراهيم عليه السلام ، وهو يومئذ في مكانه الذي هو فيه اليوم ، فقال لهم الوليد بن المغيرة : يا قوم ألستم تريدون بهدمها الإصلاح ؟ قالوا : بلى ، قال : فإن الله لا يهلك المصلحين . ولكن لا تدخلوا في عمارة بيت ربكم إلا من أطيب أموالكم ، لا تدخلوا فيه مالاً من ربا ، ولا مالاً من ميسر ، ولا مالاً من مهر بغيّ ، وجنّبوه الخبيث من أموالكم ، فإن الله لا يقبل إلا طيباً . ففعلوا ، ثم وقفوا عند المقام ، فقاموا يدعون ربهم ، ويقولون : اللهم إن كان لك في هدمه رضاً فأتمه ، واشغل عنا هذا الثعبان ، فأقبل طائر من جو السماء كهيئة العقاب ، ظهره أسود ، وبطنه أبيض ، ورجلاه صفراوان ، والحية على جدار البيت فاغرة فاها ، فأخذ برأسها ثم طار بها حتى أدخلها اجياد الصغراء .

فقال الزبير بن عبد المطلب :

عجبتُ لما تصورت العقاب ... الى الثعبان وهي لها اضطرابُ
وقد كانت يكون لها كشيشٌ ... وأحياناً يكون لها وثاب
اذا قمنا الى التأسيس شدّت ... تهيّبنا البناء ولا تهاب
فلما أن خشينا الزجر جاءت ... عقاب بالسكات لها انصباب
فضمتها اليها ثم خلت ... لنا البنيان ليس لها حجاب
فقمنا حاشدين الى بناءٍ ... لنا منه القواعد والتراب
غداة نرفع التأسيس منه ... وليس على مساوينا ثياب
أعز به المليك بني لؤيّ ... فليس لأصله منهم ذهاب
وقد حشدت هناك بنو عديّ ... ومرة قد تقدمها كلاب
فبوّأنا المليك بذاك عِزّاً ... وعند الله يلتمس الثواب

فقالت قريش: إنا لنرجو أن يكون الله قد رضي عملكم ، وقبل نفقتكم ، فاهدموها ، فهابت قريش هدمه ، فقالوا : مَن يبدأ فيهدمه ؟ فقال الوليد ابن المغيرة : أنا أبدأوكم فاهدمه ، فإني شيخ كبير ، فإن أصابني أمر كان قد دنا أجلي . فعلا البيت ، وفي يده عتلة يهدم بها ، فتزعزع تحت رجله حجر ، فقال : اللهم لم نرع ، إنما أردنا الإصلاح . ثم جعل يهدمها حجراً حجراً بالعتلة ، فهدم يومه ذلك ، فقالت قريش : نخاف ان ينزل به العذاب مساء ، فلما أمسى لم يرَ بأساً ، فأصبح الوليد على عمله ، فهدمت قريش معه حتى بلغوا الأساس الأول الذي وضعته الملائكة ، وهو الذي رفع عليه ابراهيم القواعد من البيت ، وهي حجارة كبار كالإبل الخلّف ، يحرّك الحجر منه فترتج جوانبها ، وقد تشبكت بعضها ببعض ، فأدخل الوليد عتلة بين الحجرين، فانفلقت منه فلقة، فأخذها ابو وهب بن عمرو بن عمران بن مخزوم، ففرت من يده حتى عادت في مكانها ، وطارت من تحتها برقة كادت تخطف أبصارهم ، ورجفت مكة بأسرها ، فلما رأوا ذلك أمسكوا عن أن ينظروا ما تحت ذلك ، فلما جمعوا ما أخرجوا من النفقة ، قلّت النفقة ان تبلغ عمارة البيت، فتشاوروا في ذلك، فأجمعوا رأيهم على ان يقتصروا على القواعد، ويحجروا ما يقفون عليه من بناء البيت ، ويتركوا بقيته في الحجر عليه جدار مدار ، ويطوّفون الناس من ورائه ، ففعلوا ذلك ، وبنوا في بطن الكعبة اساساً يبنون عليه من شق الحجر ، وتركوا من البيت في الحجر ستة أذرع وشبراً ، فبنوا على ذلك ، فلما وضعوا ايديهم في بنائها ، قالوا : ارفعوا بابها من الأرض ، واكسوها حتى لا يدخلها السيول ، ولا ترقى إلا بسلّم ، ولا يدخلها إلا من أردتم .

ففعلوا ذلك ، وبنوها بساف من حجارة ، وسافٍ من خشب بين الحجارة ، حتى انتهوا الى موضع الركن ، فاختلفوا في وضعه ، وكثر الكلام

فيه ، وتنافسوا في ذلك ، فقالت بنو عبد مناف ، وزهرة : هو في الشق الذي وقع لنا ، وقالت تيم ، ومخزوم . هو في الشق الذي وقع لنا ، وقالت سائر القبائل : لم يكن الركن ممن استهمنا عليه ، فقال أبو أمية بن المغيرة : يا قوم إنما أردنا البرّ ، ولم نرد الشر ، ولا تحاسدوا ، ولا تنافسوا ، فإنكم اذا اختلفتم تشتت أمركم ، وطمع فيكم غيركم ، ولكن حكّموا بينكم أول من يطلع عليكم من هذا الفجّ، قالوا : رضينا وسلمنا . فطلع رسول الله ﷺ ، فقالوا : هذا الأمين ؛ وقد رضينا به فحكّموه، فبسط رداءه ، ثم وضع فيه الركن ، فدعا من كل رَبع رجلاً ، فأخذوا بأطراف الرداء ، وكان في الربع الأول عبد مناف بن عتبة ابن ربيعة ، وكان في الربع الثاني ابو زمعة الأسود ، وكان أسنّ القوم ، وكان في الربع الثالث العاص بن وائل ، وفي الربع الرابع ابو حذيفة بن المغيرة ، فرفع القوم الركن ، وقام النبي ﷺ على الجدار ، ثم وضعه عليه الصلاة والسلام بيده الشريفة ، وذهب رجل من أهل نجدٍ ليناول النبي ﷺ حجراً يشدّ به الركن ، فنحى النبي ﷺ الرجل النجدي ، فغضب النجدي حيث نُحي ، فقال النجدي : واعجباً لقوم أهل شرفٍ ، وعقل ، وسن ، وأموال ، عمدوا الى اصغرهم سناً ، وأقلهم مالاً ، فرأسوه عليهم في مكرمتهم ، وحرزهم ، كأنهم خدمٌ له ، أما والله ليفوتنهم سبقاً ، وليقمن عليهم حظوظاً وحدوداً ، وإن ذلك النجدي كان ابليس لعنة الله ، ثم بنوا حتى بنوا اربعة أذرع ، ثم كسوها ، وبنوا حتى بلغ ارتفاع البيت ثمانية عشر ذراعاً ، زادوا التسعة أذرع على بناء ابراهيم ، وجعلوا سقفها مسطحاً ، وأقاموا سقفه على ستة دعائم في صفين ، وبنوا درجة من خشب في بطنها من الركن الشامي ، يصعد بها الى سقف البيت ، وزوّقوا البيت ، وصوّروا الانبياء ، والشجر ، والملائكة ، وجعلوا لها باباً واحداً وكسوها من الحبرات اليمانية .

روينا من حديث الخطابي قال : أخبرني ابو الطيب طبطب الوراق ، عن محمد بن يوسف النحوي قال : حدثني بعض مشايخنا ، قال : ركبت في سفينة ومعنا شاب من العلوية ، فمكث معنا سبعاً لا نسمع له كلامـاً ، فقلنا له : يا هذا قـــد جمعنا الله وايّاك منذ سبعٍ لا نراك تخالطنا ، ولا نراك تكلمنا ، فأنشأ يقول :

قليل الهمّ لا ولد يموت — ولا أمر يحاذر أن يفوت
قضى وطر الصّبا فأفاد علماً — فغايته التفرّد والسكوت

واقعة لبعض الفقراء :

أخبرني صاحبي ابو محمد عبد الله ابن الاستاذ المروزي قـال : رأى بعض الفقراء في واقعة ابا مدين وأبا حامد الغزالي ، فسأل ابو حامد الشيخ ابا مدين عن سرّ معرفته ومحبته ، فقال له ابو مدين : المحبة مركبي، والمعرفة مذهبي، والتوحيد وصولي ، للمحبة سرّ لا يُكشف ، وإدراكات لا يعبّر عنها ، ولا يوصف سرها ، ومنبعها وفيّ ، وأصلها الجود العـــليّ ، فهي للخواص سنّة مسنونة، دلّ على ذلك قوله تعالى: «يحبهم ويحبونه». فالمعرفة يا أخي فخري، وهي قاعدة سرّي وأمري ، ثمرتهـا التوحيد ، ومنها وفيها يكون المزيد ، فالتوحيد أصل ، ومـا سواه فرْع ، وهو غاية المقامات ، ونهاية الأحوال ، وماذا بعد الحق إلا الضلال ؟

ثم سأله عن تنزيهه ، فقال : نزهت الحق بما نزّه به نفسه ، وحمدته حمد من به قدسه ، ومجدته تمجيد من كان معناه وحسّه ، فهو المحرّك للظواهر ، ومعلن العلانية ، ومسرّ السرائر ، فسرّه لسرّي لاح ، ولُحفـــه تغمرني في المساء والصباح ، إن نظرته وجدته معي، وإن تحققته كان بصري ومسمعي،

فهو الممدّ لوجودي، ومقلّبُ قلبي، وناصر وجودي ، فحياتي بحياته ظاهرة، وصفاتي بصفاته مطهرة ، وخلقي بأخلاقه متخلّقة ، امدّني بتوحيده ، وملأ ظاهري وباطني بجلاله وتمجيده .

ثم قال : يا واحد يا احد يا فرد يا صمد يا من لم يلد ولم يولد، جمّل ناظري بالنظر اليك غداً .

وحدثنا عبد الرحمن بن عليّ ، انبأ ابو سعيد البغدادي ، عن ابي العباس الظهرانيّ ، وابو عمرو بن منبّه ، قـــالا : حدثنا ابن بوه ، عن ابي الحسن اللبياني ، عن ابي بكر القرشي ، عن ابي حاتم الرازي ، عن احمد بن عبد الله ابن عياض ، عن عبد الرحمن بن كامل ، عن علوان بن داود ، عـــن علي بن زيد ، قال : قـال طاوس : بينما أنا بمكة إذ بعث اليّ الحجاجُ ابن يوسف فأجلسني الى جنبه ، واتكأني على وسادته ، إذ سمع ملبّياً يلـبّي حول البيت رافعاً يديه فقال : عليّ بالرّجل ، فأتي به ، فقال : ممن الرجل ؟ قال : من المسلمين ، قال : ليس عن الاسلام سألتُ ، قال: فعمّ سألت ؟ قال: سألتك عن البلد ، قال من اهل اليمن ؟ قال : كيف تركت محمد بن يوسف ؟ يريـد أخاه ، قال : تركته عظيماً جسيماً لباساً ركاباً خراجاً ولّاجاً . قال : ليس عن هـــذا سألتُ . قال : فعمّ سألت ؟ قال : سألتك عن سيرته . قال : تركته ظلوماً غشوماً مطيعاً للمخلوق ، عاصياً للخالق . فقال له الحجاج : ما حملك على هذا على أن تتكلم به وأنت تعلم مكانت مِني ؟ قال الرجل : أتراه بمكانه منك أعز مني بمكانه من الله عز وجل ، وأنا وافد بيته ، ومصد نبيّه ، وقاضي دينه ؟ فسكت الحجاج ، وقـــام الرجل من غير أن يؤذن له . قال طاوس : فقمتُ في اثره وقلت : الرجـــل حكيم ، فأتى البيت وتعلّق بأستاره ثم قال : اللهمّ بك أعوذ ، وبك ألوذ ، اللهمّ اجعل لي في الكهف

الى جودك ، والرضى لضمانك مندوحة ، عـــن منع الباخلين ، غنىّ عمّا في ايـــدي المستأثرين . اللهمّ فرجك القريب ، ومعروفك القديم ، وعادتك الحسنة . ثم ذهب في الناس ، فرأيته عشيّة عرفـة وهو يقول : اللهمّ ان كنت لم تقبل حجي وتعبي ونصبي ، فـلا تحرمني الأجر على مصيبتي بتركك القبول مني . ثم ذهب في الناس ، فرأيته غداة جمع يقول : وأسوأتاه منك ، والله وأن عفوت . يردّد ذلك مراراً .

حدثنا ابو الحسن بن الصائغ بسبتة قال: سمعتُ ابا عبد الله محمد بن رزق، وكان صاحب رواية ، وعلم ، يقول : مررت يومـاً في سياحتي بجبل فرأيت رجلا ساجداً يتضرّع ويبكي ، فقلتُ : هـــذا رجل سائح متبتلٌ الى الله عز وجل ، أدنو منه فأسمع مـــا يقول في سجوده . فدنوت منه بلطف ، فسمعته يقول : اللهمّ كما صنت وجهي عن السجود لغيرك ، صُنْ يـدي عن مدّها الى غيرك . قال ابن رزق : فلزمت هـــذا الدعاء ، فرأيتُ له بركة عظيمة .

وبالاسناد قـال ابن رزق : مررت بمسجد بفلاةٍ من الارض في سياحتي ، فدخلتُ لأركع فيه ركعتين ، فوجدت فيه قلبي ، فأقمت فيه عامين ، أتعبد الله تعالى .

خبر سلمان الفارسي واسلامه :

روينا من حديث احمد بن عبد الله قال : حدثنا محمد بن احمد بن الحسن ، نبأ محمد بن عثمان بن ابي شيبة ، وحدثنا ايضاً ابو عمرو بن عمران ، نبأ الحسن ابن سفيان، قالا : حدثنا مسروق بن المرزبان الكندي عن يحيى بن زكريا بن ابي زائدة ، ثنا محمد بن اسحاق ، ثنا عاصم بن عمرو بن قتادة ، عن محمود بن

لبيد ، عن ابن عباس ، قال : حدثني سلمان فيه ، قال : كنت رجلاً فارسياً من أهل اصبهان من قرية يقال لها جي ، وكان ابي دهقان في قريته ، وكنت من أحبّ الخلق اليه ، فما زال حبه إياي حتى حبسني في بيتٍ كما تحبسُ الجارية ، وكنت قد اجتهدت مع المجوسية حتى كنت قطن النار أوقدها ، لا اتركها تخبو ساعةً ، اجتهاداً في ديني ، وكان لأبي ضيعة في عمله، وكان يعالج بيتاً له في داره ، فدعاني فقال : أي بُني انه قد شغلني بنياني كما ترى ، فأنطلق الى ضيعتي هذه ، ولا تحتبس عليّ فإنك أن احتبست عليّ كنت أهمّ اليّ من ضيعتي ، ومن كل شيء ، وشغلتني عن كل شيء من امري . قال : فخرجتُ أريد الضيعة التي بعثني اليها ، فمررت بكنيسة من كنائس النصارى فسمعت أصواتهم وهم يصلون ، وكنت لا أدري ما امر الناس لحبس ابي إياي في بيته ، فلما سمعت أصواتهم ، دخلت عليهم انظر ماذا يفعلون، فلما رأيتهم أعجبتني صلاتهم ورغبت في أمرهم ، فقلت : والله هذا خيرٌ من الدين الذي نحن عليه ، فوالله ما برحتهم حتى غابت الشمس ، وتركت ضيعة ابي فلم آتها ثم قلتُ لهم : أين أصل هذا الدين ؟ قالوا بالشام ، قال : ثم رجعت الى ابي، وقد بعث في طلبي، فشغلته عن عمله كله ، فلما جئته قال : يا بني اين كنت ؟ ألمْ اكن عهدت اليك ما عهدت ؟ قال : قلت يا ابي مررت بناس يصلّون في كنيسة لهم ، فأعجبني ما رأيت من دينهم، فوالله ما زلت عندهم حتى غربت الشمس . قال : أي بُني ليس في ذلك الدين خير ، بل دينك ودين آبائك خير ، قلت : كلا والله إنه لخيرٌ من ديننا . قال : فخافني ، وجعل في رجلي قيداً ، ثم حبسني في بيتي . قال : وبعثتُ الى النصارى فقلتُ : أن قدم عليكم ركب من الشام فأخبروني . قال : فقدم عليهم ركب من الشام تجار من النصارى . قال : فأخبروني . قال : قلت : اذا قضوا حوائجهم ، وأرادوا الرجعة الى بلادهم . اعلموني بهم . قال : فألقيت الحديد من رجلي ، ثم

خرجت معهم حتى قدمت الشام . قلت : من أفضل هذا الدين علماً ؟ قالو : الاسقف في الكنيسة . قال : فجئته فأعلمته اني قد رغبت في هـذا الدين ، وأكون معك اخدمك في كنيستك ، وأتعـلم منك ، وأصلي معك . قال : فأفعل وأدخل ، فدخلت معه ، قال : فكان رجل سوءٍ يأمرهم بالصدقة ، ويرغبهم فيها ، فـإذا جمعوا له شيئاً كنزه لنفسه ، ولم يعط المساكين منه شيئاً . قال : فما لبث إن مات فعرّفتُ النصارى بأمره ، قالوا : وما علمك بذلك ؟ قلت : أنا أدلكم على كنزه . قال : فأريتهم موضعه . قـال : فاستخرجوا منه سبع قلال مملوءة ذهباً وفضة ، وورقاً . فلما رأوها قالو : والله لا ندفنه ، وصلبوه ، ثم رموه بالحجارة ، ثم جاؤا برجل آخر ، فجعلوه مكانه . قال : فما رأيت رجلاً يصلي الخمس أرى إنه أفضل منه ، وأزهد في الدنيا ، ولا أرغب في الآخرة ، و لآداب ، ليلاً ، ونهاراً . قال : فأحببته حباً لم احب شيئاً كان مثله ، فأقمت معه زماناً ، ثم حضرته الوفاة . قال : قلت له : يا فـلان اني كنت معك ، وأحببتك حباً لم احب شيئاً كان قبلك مثله ، وقـد حضرك ما ترى من امر الله تعالى ، من تأمرني ؟ قال : أي بني والله ما اعلم احداً اليوم على ما كنت عليه ، لقد هلك الناس ، وبدّلوا كثيرً مما كانوا عليه إلا رجلاً بالموصل وهو فلان ، وهو على ما كنت عليه ، فالحق به . قال : فلما غيب لحقت بصاحب الموصل فقلت: يا فلان إن فلاناً اوصاني عند موتـــه إن الحق بك ، وأخبرني انك على امره . فقال : أقم عندي . قال : فأقمت عنده فوجدته خير رجل على امر صاحبه ، فلم يلبث أن مات فلما حضرته الوفاة قلت له : يا فلان إن فلاناً أوصاني اليك، وأمرني باللحوق بك ، وقد حضرك من أمر الله ما ترى ، فالى من توصيني ؟ قال : والله إني ما اعلم رجلاً على ما كنت عليه إلا رجلاً بنصيبين ، وهو فلان ، فالحق به . فلما مات وغيّب لحقت بصاحب نصيبين ، فجئته وأخبرته خبري وما أمرني

بـه صاحبي ، فقال : اقم عندي ، فوجدته على أمر صاحبه ، فأقمت معه ، فكان خير رجل ، فوالله ما لبث ان نزل به الموت، فلما حضرته الوفاة قال: قلت يا فلان إن فلانـاً أوصاني الى فلان ، وأوصاني فلان اليك ، فالى من توصيني وما تأمرني ؟ قال : أي بـني ما اجد احداً بقي على امرنا آمرك ان تأتيه إلا رجل بعمورية من ارض الروم ، فانه على مثل امرنا ، فان احببت فأته . فلما مات وغيب لحقت بصاحب عمورية ، وأخبرتـه خبري . فقال : اقم عندي ، فأقمت عنـده فوجدته خير رجل على هدي اصحابه وأمرهم . قال : ثم اكتسبت حتى كان لي بقرات وغنيمة . قال : ثم نزل به امر الله ، فلما حضرته الوفاة قلت له : يا فلان اني كنت مع فلان فأوصاني الى فلان ، ثم أوصاني فلان الى فلان ، ثم أوصاني فلان اليك ، فالى من توصيني وتأمرني؟ فقال : اي بني والله ما اعلم اصبح على ما كنا عليه احد من الناس آمرك ان تأتيه ، ولكن قد اظلك زمان بـني هو مبعوث بدين ابراهيم ، يخرج بأرض العرب ، مهاجرة الى ارض بين الحرتين بها نخل . به علامات لا تخفى ، يأكل الهدية ولا يأكل الصدقة ، بين كتفيه خاتم النبوّة ، فان استطعت ان تلحق به بتلك البلاد فافعل . قال : ثم مات وغيّب . ومكث بعمورية ما شاء الله ان أمكث .

ثم مرّ بي نفر من كلب تجار ، فقلت : أتحملوني الى أرض العرب وأعطيكم بقري هذا وغنمي هذه ؟ فأعطيتهم إياها ، وحملوني معهم حتى اذا قدموا بي وادي القرى ظلموني وباعوني من رجل يهودي ، فكنت عنـــده ، ورأيت النخل ، فرجوت أن يكون البـلد الذي وصفه لي صاحبي ، فبينما أنا كذلك إذ قدم ابن عم له من المدينة من بني قريضة ، فابتاعني منـــه ، فحملني الى المدينة ، فوالله ما هو إلا أن رأيتها فعرفتها بصفة صاحبي ، فأقمت بهـــا ،

وبُعِث رسول الله ﷺ ، فأقام بمكة ما أقام لا أسمع له بذكر ، على ما أنا عليه من شغل الرقّ ، ثم هاجر الى المدينة ، فبالله اني لفي رأس عذق لسيدي ، اعمل فيها بعض عمله ، وسيدي جالس تحتي ، إذ أقبل عم له ، فوقف عليه فقال : يا فلان قاتل الله بني قيلة ، والله انهم الآن مجتمعون بقبا على رجل قدم عليهم من مكة اليوم ، يزعم انه نبيٌّ ، قال : فلما سمعته اخذتني العراء حتى ظننت اني ساقط على سيدي ، قال : فنزلت عن النخلة ، وجعلت اقول لابن عم سيدي : ما تقول ؟ فغضب سيدي فلطمني لطمة شديدة ، ثم قال لي : مالك ولهذا ؟ اقبل على عملك ، قال : قلت لأي شيء أردت تستبين عما قال ؟ وكان عندي شيء قد جمعته ، فلما أمسيت أخذته ثم ذهبت به الى رسول الله ﷺ وهو بقبا ، فدخلت المسجد عليه فقلت له : بلغني انك رجل صالح ، معك اصحاب لك غرباء ذوو إحاجة ، وهذا شيء عندي للصدقة ، فرأيتكم أحق به من غيركم ، ثم قربته اليه ، فقال رسول الله ﷺ : كلوا ، وأمسك يده ولم يأكل ، قال : فقلت في نفسي : هذه واحدة ، ثم انصرفت عنه فجمعت شيئاً ، ولما تحوّل رسول الله ﷺ الى المدينة فجئته ، فقلت له : اني رأيتك لا تأكل الصدقة ، وهذه هدية أكرمتك بها ، قال : فأكل رسول الله ﷺ ، وأمر أصحابه فأكلوا معه ، قال : فقلت في نفسي : هاتان اثنتان ، قال : ثم جئت رسول الله ﷺ ، وهو ببقيع الفرقد ، تبع جنازة رجل من اصحابه ، عليه شملتان ، فسلمت عليه ، ثم استدبرته انظر الى ظهره ، هل أرى الخاتم الذي وصف لي صاحبي ، فلما رآني رسول الله ﷺ استدبرته عرف اني أستثبت في شيء وُصف لي ، فألقى رداءه عن ظهره ، فنظرت الى الخاتم فعرفته ، فأكببت عليه أقبّله ، وأبكي . فقال رسول الله ﷺ : تحوّل ، فتحولت ، فجلست بين يديه ، فقصصت حديثي كما حدثتك يا ابن عباس ، فأعجب ذلك رسول الله ﷺ أن يسمع

أصحابه . ثم قال رسول الله ﷺ : كاتب يا سلمان ، فكاتبت صاحبي على ثلاثمائة نخلة ، أجيبها بالفقر ، وبأربعين أوقية ذهب، فقال رسول الله ﷺ : أعينوا أخاكم ، فأعانوني بالنخل : الرّجل بثلاثين ، والرجل بخمسة عشر ، والرجل بقدر ما عنده ، حتى جمعوا ثلاثمائة ودية ، فقال رسول الله ﷺ : اذهب يا سلمان ففقرها ، فإذا فرغت اكون انا أضعها بيدي ، قال : ففقرت لها ، فأعانني أصحابه ، حتى اذا فرغت ، جئته ، فأخبرته ، فخرج رسول الله ﷺ معي اليها ، فجعلنا نقرب له الودي ، ويضعه رسول الله ﷺ بيده الشريفة ، حتى فرغنا ، فوالذي نفس سلمان بيده ما مات منها ودية واحدة، فأديت النخل ، وبقي عليّ المال ، فأتى رسول الله ﷺ بمثل بيضة الدجاجة من ذهب، فقال رسول الله ﷺ : ما فعل الفارسي المكاتب ؟ قال : فدعيت له ، قال : خذ هذه ، فأدّها بما عليك يا سلمان ، قال : قلت : ما تقع هذه يا رسول الله مما عليّ ؟ قال : خذها فإن الله سيؤدي بها عنك ، فأخذتها فوزنت لهم منها ، والذي نفسي بيده اربعين أوقية ، فأوفيتهم حقهم ، وعتق سلمان ، فشهدت مع رسول الله ﷺ الخندق ، وأحداً ، ثم لما نعتني الفقر مخرج الماء من القناة ، فقرّت للودية تفقيراً، وهو أن يحفر حفرةً حول النخلة اذا غرست .

وصية إلهية :

روينا من حديث ابن مروان، عن عبيد بن شريك، عن ابي صالح الفرّا، عن سالم بن ميمون الخوّاص ، عن مكرم بن يوسف العابد ، قال : أوحى الله الى نبي من الأنبياء أن قف على المدائن ، والحصون ، فأبلغهم عني حرفين ، وقل لهم : لا يأكلون إلا حلالاً ، ولا يتكلمون إلا بالحق .

وكان الحسن بن صالح كثيراً ما ينشد هذين البيتين :

اذا أنت لم تزرع وأبصرت حاصداً ندمت على التفريط في زمن البذر
فما لك يوم الحشر شيء سوى الذي تزوّدته يوم الحساب الى الحشر

ولنا من قصيدة قريب من هذا :

سيحصد عبد الله ما كان حارثاً فطوبى لعبـــد كان لله يحرث

روينا من حديث المالكي ، عن معاذ بن المثنى ، عن يحيى بن معين ، عن ابي معاوية ، عن هشام ، قال : قيـل للحسن : لمَ لم تغسل قميصك ؟ قال : الأمر أسرع من ذلك .

وقـدم هند بن عوف من سفر ، فمهدت له امرأته فراشاً ، فنام عليه ، فكانت له ساعة يصلي فيها من الليل ، فنام عنها ، فلما اصبح حلف ان لاينام على فراش ابداً .

روينا من حديث الدينوري ، عن عباس بن محمد الدوري ، عن يحيى بن معين ، عن جرير ، عـن طلق بن معاوية وهو جد حفص بن غياث ، قال : الغفلة سنة الكريم .

سأل رجل عمران بن مسلم ، فأعطاه وبكى ، فقيـل له : وما يبكيك وقد قضيت حاجته ؟ قال : بكيت حيث أحوجته الى مسئلتي .

روينـــا هذا من حديث ابراهيم الحربي ، عن ابي الحسن الباهلي ، قال : حدثني بعض أهل المعرفة وذكره .

كتاب طاووس الى عمر بن عبدالعزيز :

روينا من حديث ابن مروان ، عن احمد بن عبّاد التميمي ، عن سليمان ابن ابي شيخ ، عن محمد بن احمد القرشي، قال بن عبدالعزيز : ما وعظني احد احسن مما وعظني به طاوس ، كتب إلي : استعن بأهل الخير يكن عملك خيراً كله ولا تستعن بأهل الشر فيكون عملك شراً كله .

وروينا من حديث ابن ابي الدنيا ، قال: حدثنا قاسم بن هشام نبأ عصمة ابن سلمان ، نبأ فضل بن جعفر ، قال : خرج الحسن من دار ابن هبيرة ، واذا هو بالقراء على الباب ، قال : ما اجلسكم هنا ؟ تريدون الدخول على هؤلاء، أما والله ما مخالطتكم مخالطة لأبرار، تفرقوا ، فرق الله بين ارواحكم وأجسامكم ، خصفتم نعالكم ، وشمّرتم ثيابكم ، وجززتم رؤوسكم ، فضحتم القراء ، فضحكم الله ، اما والله لو زهدتم فيما عندهم ، لرغبوا فيما عندكم ، ولكنكم رغبتم فيما عندهم ، فزهدوا فيما عندكم ، فأبعد الله من أبعد .

خبر اساف ونائلة الاصنام :

روينا من حديث ابن اسحاق ، ان جرهم لما طغت في الحرم دخل رجل منهم بامرأة الكعبة ، ففجر بها ، ويقال : بل قبّلها ، فمسخا حجرين اسم الرجل: اساف بن بقاء، واسم المرأه: نائلة بنت ذئب . فأخرجا من الكعبة، فنصب احدهما على الصفاء علماً ، والآخر على المروة . وانما نصبا هناك ليعتبر بهما الناس ، وينزجروا عن مثل ما ارتكبا ، لما يرون من الحال الذي صار اليه فلم يزل الأمر يدرس ويتقادم حتى صار يتمسح بهما من وقف على الصفا والمروة. فلما كان عمرو بن لحيّ امر بعبادتهما وتعظيمهما والتمسح بهما، وقال: انهما كانا معبودين لمن قبلكم . فلما كان قصيّ بن كلاب حولهما من الصفا

والمروة ، فجعل احدهما ملصقاً بالكعبة ، وجعـل الآخر في موضع زمزم وكان يطرح بينهما ما يهدي للكعبة ، وكان يسمى ذلك الموضع الحطيم . وكـ ينحر عندهما ويذبـح ، ولم يكن يدنو منهما امرأة ظلمت . وفي ذلك يقو بشر بن ابي حازم الأسدي اسد خزيمة بيتاً مفرداً :

عليه الطير ما يدنون منـــه مقـامات العوارك مـن اساف

فكان الطائف اذا طاف بالبيت يبـــدأ باساف ومستلمة ، فاذا فرغ من طوافه خـتم بنائلة فاستلمها . فكان كذلك حتى كسرهما رسول الله ﷺ مع الاصنام يوم فتح مكة ، دخل رسول الله ﷺ يوم الفتح ، فكان بها ثلاثمائة وستون صنماً حول الكعبة قد شد بالرصاص منها ، فطاف على راحلته وهو يقول: جاء الحق وزهق الباطل ان الباطل كان زهوقا ، ويشير اليها بقضيب في يـده الكريمة على بعد لا يمسُّها فما منها صنم اشار الى وجهه الا وقـع على دبره ، ولا اشار الى دبره الا وقـع على وجهه ، حتى وقعت كلها ، فلما صلى العصر أمر بها فجمعت ، ثم احرقت بالنار ، وكسرت. وفي ذلك يقول فضالة ابن عمير ابن الملوّح الليثي في يوم الفخ شعراً :

لمـا رأيت محمـداً وجنوده بالفتح يوم تكسّر الاصنام
لرأيت نور الله اصبح بيّناً والشرك يغشى وجهه الاظلام

وقيل : بل كان الرجل أساف بن عمرو ، والمرأة نائلة بنت سهيل ، فلما كسرا يوم الفتح مـع الاصنام ، خرج من احدهما امرأة سوداء شمطاء تخمش وجهها ، عريانة ناشرة شعرها ، تدعو بالويل والثبور . فقيل لرسول الله ﷺ في ذلك. فقال : تلك نائلة أيست أن تعبد ببلادكم ابداً . ويقال : إن ابليس رنّ ثلاث رنات ٍ رنة حين لعن فتغيرت صورته عن زيّ الملائكة ، ورنة حين

رأى النبي ﷺ قائماً يصلي بمكة ، ورنة حين افتتح رسول الله ﷺ مكة ، فاجتمعت اليه ذريته ، فقال ابليس : أيسوا أن تردوا امـة محمدٍ الشرك بعد يومهم هذا ابداً ، ولكن افشوا فيهم النوح والشعر .

ومن محاسن المكاتبة :

ما كتب بـه عبد الله بن معاوية بن عبد الله بن جعفر الى بعض اخوانه : اما بعد فقد عاقني الشك عن عزيمة الرأي ، ابتدأتني بلطف من غير خبرة ، ثم اعقبتي جفاءً من غير ذنب ، فاطمعني اوّلك في إخائك ، وأيسني آخرك من وفائك ، فلا انا في حين الرّجا بجمع لك اطراحاً ، ولا انا في غدٍ بنصرة منك على ثقـــة ، فسبحان من لوشا وكشف ايضاح الرأي فيك ، فأقمنا على ائتلاف ، او افترقنا على اختلاف .

وقيل الولاية حلوة الرضاع مرة الفطام .

لما ولى الحجاج المدينة ، وجاز فيها ، وقدم وفد المدينة وفيهم عيسى بن طلحة بن عبيد الله ، على عبد الملك بن مروان ، فأثنى الوفـد على الحجاج ، وعيسى ساكت ، فلما قاموا ثبت عيسى حتى خلا له وجـه عبد الملك ، فقام فجلس بـــين يديه فقال : يا امير المؤمنين من انا ؟ قال عيسى بن طلحة بن عبيد الله : قال : فمن انت ؟ قال عبد الملك ابن مروان : قال : فجهلتنا ام تغيرت بعدنا ؟ قال : وما ذاك ؟ قال : وليت علينا الحجاج بن يوسف يسير فينا بالباطل ، وتحملنا أن نثني عليه بغير الحق ، والله أن اعدتـــه علينا لنعصينّك ، وإن قاتلتنا وغلبتنا وأسأت الينا قطعت ارحامنا ، ولئن قوينا عليك لنغصبنّك ملكك . فقـال له عبد الملك : انصرف وألزم بيتك ، ولا تذكرن من هذا شيئاً . قال : وقـــام من منزله ، وأصبح الحجاج غادياً على

عيسى بن طلحة ، فقال : جزاك الله خيراً عن خلوتك بأمير المؤمنين ، فقد أبدلني بكم خيراً ، وأبدلكم بي غيري ، وولاني العراق .

وحدثنا ابو الربيع الكتاني ، عن ابي محمد بن عبد الله بن عبد الرحمن ، عن عبد الرحمن بن محمد، قال: حج الشبلي، فلما وصل الى مكة جعل يقول :

ابطحاء مكة هـذا الذي أراه عيانـاً وهـذا انا

ثم غشي عليه فأفاق وهو يقول :

هـذه دارهم وأنت محبٌ مـا بقاء الدموع في الآماق

وقال الآخر :

اذا هزّنا الشوق اضطربنا الهزه على شعب الرحل اضطراب الأراقم

فمن صبوات تستقيم بمائـل ومن اريحيّات تهب بنـائم

واستشرف الأعلام حين تدلّني على طيبها مرّ الرياح النواسم

ومـا أنسم الأرواح إلا لأنها تمرُّ على تلك الرُّبا والمعـالم

ولنا من المعاني الغزلية :

رأى البرق شرقياً فحن الى الشرق ولو لاح غربياً لحنّ الى الغربِ

فإن غرامي بالبريق ولمعـه وليس غرامي بالأماكن والترب

روت لي الصّبا عنهم حديثاً معنعناً
عن البيت عن وجدي عن الحزن عن كرب

عن السكر عن عقلي عن الشوق عن جوىً
عن الدمع عن جفني عـن النار عن قلبي

بأن الذي تهواه بين ضلوعكم تقلبه الأنفاس جنباً الى جنب

فقلتُ له بلــغ اليه بأنـه هو الموقد النار التي داخل القلب
فان كان اطفاء فوصل مخلـَّد وان كان احراق فلا ذنب للصَّبّ

ولنا في هذا المعنى مقطوع :

قــل للذي مسكنه اضلعي ومــن له في القلب إضمارُ
ما خفتَ إذ أضرمَت نار الأسى في اضلعي تحرقك النــارُ

سلمنا الأمر إليه فقلنا :

ايهــا العذب التجني والجنا ايهــا البدْرُ سَنَاءً وسَنَا
نحن حكـّمناك في أنفسنــا فاحْكم ْ انْ شيتَ علينا ولنا

(ذكر المؤاخاة التي كان واخاها النبي ﷺ بين اصحابه من المهاجرين والأنصار رضي الله عنهم) .

روينا من حديث محمـد بن اسحاق المطلبيّ قال : واخى رسول الله ﷺ بين المهاجرين والأنصار . قال رسول الله ﷺ : تواخوا في الله ، ثم اخـذ بيد عليّ بن ابي طالب فقال : هــذا أخي ، فكان عليّ ورسول الله ﷺ أخوين . وكان حمزة بن عبد المطلب عمّ رسول الله ﷺ ، وزيـد بن حارثة مولى رسول الله ﷺ ، أخوين. وكان معاذ بن جبل ، وجعفر بن ابي طالب ، أخوين . وكان أبو بكر الصديق ، وخارجة بن أبي زهـير ، أخوين . وكان عمر بن الخطاب ، وعتبان بن مالك ، أخوين . وكان أبو عبيدة بن الجراح ، وإسمـه عامر بن عبد الله ، وسعيد بن معاذ ، أخوين ، وكان عبد الرحمن بن عوفٍ ، وسعد بن الربيع ، أخوين . وكان الزبــير ابن العوّام ، وسلمة بن سلامة بن وقسٍ ، أخوين . ويقال : بــل الزبير ، وعبد الله ابن مسعود ، أخوين . وكان عثمان بن عفان ، وآوس بن ثابت بن المنـذر ، أخوين . وكان

طلحة بن عبد الله ، وكعب ابن عدن أخوين. وكان سعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل ، وأبي بن كعب ، أخوين . وكان مصعب بن عمير بن هشام، وأبو ايوب خالد بن زيد ، أخوين . وكان ابو حذيفة بن عتبة بن ربيعة ، وعبّاد بن بشر ابن وقص ، أخوين . وكان عمّـــار بن ياسر ، وحذيفة بن اليمان ، أخوين . ويقال : بـل ثابت بن قيس بن شمّاس خطيب النبي ﷺ ، وعمّار بن ياسر ، أخوين . وكان ابو ذرّ وإسمه يزيـــد ، وقيل : كان اسمه جندب بن جنادة الغفاري ، والمنـذر بن عمرو ، أخوين . وكان حاطب بن ابي بلتعة ، وعويمر ابن ساعدة ، أخوين . وكان سلمان الفارسي ، وابو الدرّداء عويمر بن زيـد ، والخلاف في ابيه أخوين . وكان بـلال ، وابو رويحة عبد الله بن عبد الرحمن الختعمي . قال ابن اسحاق : فهؤلاء من سمّي لنا ممن كان عليه الصلاة والسلام آخي بينهم من اصحابه رضي الله عنهم .

ذكر خراب البلاد الذي يكون في آخر الزمان :

روينا من حديث المياسي ، اسنده الى حذيفة ، قـال حذيفة : قال لي رسول الله ﷺ : وذكر الحديث بطوله ، وقـد أوردناه في الكتاب في رقم ٢٢ وفيه أن مصر آمنت من الخراب حتى تخر البصر. ثم ذكر رسول الله ﷺ أن خراب البصرة من العراق ، وخراب مصر ، من جفاف النيل ، وخراب مكة ، من الحبشة ، وخراب المدينة ، من السّيل، وخراب اليمن من الجراد، وخراب الايلة ، من الحصار ، وخراب فارس ، من الصعاليك من الديـــلم ، وخراب الديلم ، من الأرمن ، وخراب الأرمن ، من الجزر، وخراب الجزر، من الترك ، وخراب الترك ، مـن الصواعق ، وخراب السّند ، من الهند ، وخراب الهند ، من الصين ، وخراب الصين ، من الرمل ، وخراب الحبشة، من الرجفة ، وخراب الزوراء ، من السفياني ، وخراب الرّوحاء ، مـــن

الخسف ، وخراب العراق من القحط .

وحدثني عبد الواحد بن اسماعيل ابن ابراهيم العسقلاني الكتاني قـــال : حدثني ابي ، قال : قرأت في كتاب ابن عصمة في القران العاشر مـن المثلثة الترابية الموافقة لسنة خمسمائة واحد وستين من الهجرة النبوية ، تكون امور هائلة في الأقاليم ، الثالث ، والرابع ، بتقدير العزيز العليم الذي أودع علـــم ذلك في جري الكواكب ، وحركات الافلاك ، كما أودع السحاب ، المطر ، والأرض ، والنبات . وسائر الأسباب الإلهية ، المصنوعات بسياقها . فمـــن ذلك ظهور ملك المشرق ، فيعظم أمره ، ويشتد في الآفـاق خبره ، ويعلو شأنه ، الى أن تصعد جناحاه الى الغرب ، والقبلة ، ويكون مؤيداً منصوراً في جميع اموره ، وذلـــك في اول القران ، وهو قران زحل ، والمشتري العلويين ، في برج الجدي في الثلث الاخير منه . ويستولي هذا الملك المذكور على مملكة مصر ، ويضعفها ، ويسقيها بكاس الحمـــام ، وينغصها ، ويهلك اعوانها ، ومن يقول بقولها ، وذلك من اول القرن الى ربعه . ويهلك الله به السودان هلاكاً لا يرجى جبرانه الى أن يعودون ذمـةً تحت يديه ، ويقوى على بني الاصفر ، ويكسرهم ثـــلاث مرات ، ويفتح بنو الاصفر على ايامهم قرية بلبيس ، ويهلك بهـا خلق كثير . فإذا كان الربع الثاني من القرن ظهر منه غضب ، ويتفرق ملكه على ثـلاث فرق ، فيجوز كل منهم مكاناً يحوزه برجاله ، وعساكره ، ويكون احد الثلث قوياً ، والثلثان فيهم ضعف ، ويبقى الملـك في عقبهم الى نصف القرن ، ثم ينتقل الكوكبان الى الديران ، وهو الثلث الثالث من القرن ، ففي ذلك الزمان يتحرك صاحب الغرب في جيوش كثيرة ، وعساكر غزيرة ، وينزلون شرقاً وغرباً ، ويعمر مدينة يقال لهـــا شبرة او صبرة ، ويملؤن بنيان القيروان ، فيبلغ الروم ذلك ، فيتحركون في

الاساطيل العظيمة ، فيفتحون سواحل البحر ، ويخـاف على الجزيرتين ، والاسكندرية ، فـإذا انزل حركة كيوان وجسده في البرج الغربي ، وحرك سبحانه عند ذلـك جيوش المغرب ، فينزلون قريباً من الحجر الابيض ، فيقسمون جيوشهم على ثلاث فرق فرقة تقصد الصعيد الأعلى ، وفرقـة تأخذ الطريقة الوسطى ، وفرقة تأخذ على طريق البحر فيجتمعون بأسرهم على نيل مصر ، ويكون النيل سبعة من اثنى عشر حـتى تغور بحيرة طبرية ، وتجف العيون في جميع الاقاليم ، وتغور الميـاه في قرار الأرض ، ويعدم القوت ، وتسيب البلاد ، ويجوز كل واحد موضعه ، ويفيض اللسان الأعوج في جميع الاقاليم ، وتحرق في مصر ثالثة ، ويستباح مـا فيها ، وتستباح دماء أهل الذمـة ، وأموالهم ، ويملك اكثرهم ، ويخرب الصعيد ، والريفان ، ويكون امر الخلق في ضلال من بعد أن تستباح أموالهم ، وتضعف احوالهم ، ويموت كثير منهم ، والويل لمن يقيم في اقليم مصر ، اذا أنزل الله كيوان برج السرطان وذلك في الربع الأخير من القران ، فإذا نزل تحرّك بنو الاصفر بقوة عظيمة في الأساطيل ، ويفتحون مدينة الاسكندرية من بين البابين ، ويدخلون فيها الى أن يبلغوا سوق الريحان ، فيقتلون خلقاً كثيراً ، وينقلع بنو الاصفر من الشام جميعه حتى السواحل ، ويكون سبب خروجهم يظهر عليهم رجل من المشرق بغتة لا يعلمون بخروجه ، وينضاف اليهم عساكر من الترك ، يفتحون بيت المقدس ، والشام جميعه ، ويقيمون بها دون الحول ، فعند ذلك يتحرّك ملك الجزر ، يقال له : ذو العرف ، يخرج بعساكره براً وبحراً ويقصد بعضهم الى الدروف ، وبعضهم الى الشام ، وبعضهم الى الاسكندرية وجزائر البحر. ويقع بينه وبين الترك خمس وقعات الى أن تجري دماؤهم كالنهر ، وفي عقب ذلك تنتصر جيوش الغرب بقوة عظيمة مائة ألف ، او اكثر ، وتعود دفعة ثانية الى مصر ، ويضربون خيامهم مـن الترك ، وعسقلان وطبرية ، ثم يخرج

السفياني بعساكر عظيمة ، فيقتلهم حتى لا يبقى منهم احد ، ويوجه السفياني جيشين جيشاً الى الكوفة فيقتل حتى لا يبقى منهم احد اصلا وأما الجيش الآخر فيأتي الى مدينة يثرب ، فيستبيحها ثلاثة ايام ، ثم يرحل يطلب مكة فيخسف به في البيداء فلا يسلم منهم احد سوى رجلين ، احدهما من جهينة ، فهو الذي يأتيه بالخبر ، ثم يخرج المهدي ، فيقتل السفياني ذبحاً تحت شجرة بخارج دمشق ، ويبايع بين الركن والمقام ، فيملأ الارض قسطاً وعدلاً ، ثم يغزو القسطنطينية بعساكر في جملتهم سبعون الفاً من ولد اسحاق فيكبرون عليها فينهدم ثلثها ، ثم يكبرون ثانية ، فينهدم الثلث الثاني ثم يكبرون ثالثة فينهدم سورها كله فيدخلونها فيكسبون فيها اموالاً عظاماً، ثم يخرج الدجال فيلبث اربعين يوماً ، يوم كسنة ويوم كشهر ويوم كجمعة ، وسائر ايامه كأيامكم فينزل عيسى عليه السلام ، بين مهرودتين ، عند المنارة البيضاء ، بشرقي دمشق ، فيصلي العصر بالناس ، ويطلب الدجال فيقتله بباب لُدّ ويخرج يأجوج ومأجوج .

وقد ذكرنا حديثهم في هذا الكتاب ، فينحصروا في جبل الطور ، في القلعة التي بناها الملك المعظم ابن الملك العادل ، بنيان عيسى لعيسى ، وأرجو أن يدعو لبانيها ، فلا يزال محصوراً بها ، داعياً في هلاك يأجوج ومأجوج ، فيموتون موت رجل واحد بداء النغف كما ذكرنا . ثم يخرج عيسى عليه السلام وتخرج الارض خيرها وبركتها ، فيتزوج ، ويولد له ، ثم يموت ، فيدفن بالمدينة ، بين النبي ﷺ ، وأبي بكر ، ويرسل الله ريحاً لينة تحت العرش ، تأخذ المؤمنين من تحت أباطهم فيموتون ، فيبقى شرار الخلق عليهم تقوم الساعة .

ومن وقائع بعض الفقراء الى الله تعالى، ما حدثنا به عبد الله بن الاستاذ ،

قال: رأى بعض المريدين في الواقعة الشيخ أبا مدين جالساً في روضة من نور، وأشياخ الصوفية قد أحدقوا به، وأحدقت بالجميع صورٌ لم أرَ أحسن منه ولا اجمل، وعليهم من نفائس الجواهر، واللآلىء، ما لا أستطيع وصفه، ولا أحسن العبارة عن نقشه، وعلى رأس أبي مدين ثلاثة ألوية من نور، مركوز واحد عن يمينه مكتوب عليه: حسبي الله، وواحد على رأسه وهو أعلاها مكتوب عليه: الله، والآخر على يساره مكتوب عليه: لا حول ولا قوة إلا بالله. فقال ابو حامد لأبي مدين: يا شيخ تكلم لنا على هذه الأسماء المكتوبة على هذه الألوية، فقال الشيخ: اما هذا الاسم الذي هو الله، فهو الاسم الاعظم الذي هو رأس الأسماء، واليه يرجع كل معنى، وهو المنزّه المتبوع الذي به ظهرت المخلوقات، وعليه أسست الأرضون والسماوات، وعنه صدرت الأسماء والصفات، فالمصنوعات بأسرها، من العرش الى الثرى، تشهد بأنه موجدها. وما من ذرّة في الأرض ولا في السماء، ولا رطبٍ، ولا يابس إلا وهو معها. فقال له ابو حامد: فما معنى حسبي الله؟ فقال: هو أمن وأمان من ان تغدو عليه النيران، فمن تخلّق به سلم وصفا، وكان ممن وفا حين وفا. فقال: ما معنى لا حول ولا قوة إلا بالله؟ فقال: هو التبرّي من باطن الاحوال، وردّها الى ظاهر الاقوال والافعال، ثم ردّها الى ذي الكرم والجلال. فهذه وما عداها راجعة الى الاسم الاعظم الذي هو مبدأها ومنتهاها، فهو الاسم الذي حنّ به بعض كل شيء الى بعض، وهو نور السماوات والارض، فإذا تجلى من نوره لمعه، كان الله ولا شيء معه، ثم قال له: قل لنا في التوحيد شيئاً. فقال: التوحيد سرّي، ووطني، ومستقري، وسكني، وهو مبدأي، ومنتهاي، وهو الاساس لبناي، خصّني الله منه بفضائل، وأكرمني منه بدلائل، ان نزعت الى سبب من الاسباب، نوديت: اذكر ربك لا تذكر الاسباب. فالتوحيد يجلي كل ظلمة،

وهو الرافع لكل ذي همة ، هو القطب الذي عليه المدار ، وبـــه أشرق الوجود واستنار .

ثم قال ابو حامد : ما هي مادة الله في الوجود ؟ فقال : مـــادة الله في الوجود تسري ، وعلى ما سبقت به المقادير تجري ، قد سترها الغيب ، فهي منزّهة عن النقص والعيب ، فقد اخفاهـا الله سبحانه عن الكائن والبائن ، وجفّ القلم بما هو كائن فسترها عن خلقه من وجوه الرحمة والعطف، وتغيّبها عنهم من كمال الجود واللطف .

ولنا من باب الرموز والإشارات العلوية :

قالت عجبت لصبّ من محاسنه يختال ما بين أزهار ببستانِ
فقلت لا تعجبي مما ترين فقد ابصرت نفسك في مرآة انسانِ

ولنا من باب اللطائف الربانية :

بأثيلات النقا سربُ قطاً ضربَ الحسن عليه طنبا
وبأجواز الفلا من أضمٍ نـَعَمٌ ترعى لديها وظبا
يا خليليّ قفـا واستنطقا رسم دارٍ بعدهم قد خربا
واندُبا قلبَ فتىً فارقهم يوم باتوا وابكيا وانتحِبا
عـله يخبرُ حيث يمموا الجِرعاء الِحمَى أم لقِبا
رحّلوا العيسَ ولم أشعر بهم السهو كان أم طرف نبا
لم يكن ذاك ولا هذا وما كان إلا وله قـد غلبا
يا هموماً شرّدت وافترقتْ خلفهمْ تطلبهمْ أيدي سبا
أي ريح نسمت ناديتها يا شمالي يا جنوبي يا صبا
هل لديكم خبرٌ مما بنـــا قد لقينا من هواهم نصبا

اسندت ريح الصبا اخبارهم … عن نبات الشيح عن زهر الرُّبا
إن من امراضه داء الهوى … فليملْ بأحاديث الصبّا
ثم قالت يا شمال خبّري … مثل ما خبّرته او أعجبا
ثم أنتِ يا جنوبُ حدّثي … مثل ما حدّثته او اعذبا
قالت الشمأل عندي فرج … شاركت فيه الشمال الازيبا
كل سوءٍ في هواهم حسنٌ … وعذابٌ برضاهم عَذُبا
فإلامَ وعلامَ ولما … تشتكي اللبث وتشكو الوصبا
واذا ما وعدوكم ما ترى … برقه إلا بريقاً خُلّبا
رقم الغيم على رُدن الغما … من سنان البرق طرازاً مذهبا
فجرَت أدمعها منها على … صحن خدّيها فأذكت لهبا
وردة نابتة من أدمعٍ … نرجسٍ يمطر غيثٍ عجبا
ومتى رمتُ جناها ارسلت … عطف صدغيها عليها عقربا
تشرق الشمسُ اذا ما ابتسمتْ … ربّ ما أنور ذاك الحببا
يطلعُ الليلُ اذا ما اسدلت … فاحماً جثلاً اثيثاً غيهبا
يتجارى النحل مهما تفلتْ … ربّ ما أعذب ذاك الشنبا
واذا مالت أرتنا فنناً … أي رنَت سلّت من اللحظ ظبا
كم تناغي بالنقا من حاجرٍ … يا سليل العربيّ العربا
أنا إلا عربيٌّ ولذا … أعشق البيض وأهوى العربا
لا أبالي مشرق الوجد بنا … حيثما كانت به او غربا
كلما قلتُ إلا قالوا أماً … واذا ما قلتُ هل قالوا أبا
ومتى ما انجدوا او اتهموا … أقطعُ البيدا أحثُّ الطلبا
سامريّ الوقتِ قلبي كلما … أبصر الآثار يبغي المذهبا
واذا ما غرّبوا أو أشرّقوا … كان ذو القرنين يقفو السّببا

كم دعونا بالوصال رغبـــاً　　كم دعونا من فراق رهبا
يا بني الزوراء هذا قمرٌ　　عندكم لاح وعندي غربا
خربي والله منــه حربي　　كم أنادي خلفه واحربا
لهفَ نفسي لهفَ نفسي لفقٌ　　كلما غنّى حمامٌ غيّبا

حدثنا محمـد بن علي ابن اخت المقري ، حدثنا محمـــد بن احمد بن علي ، حدثنا محمـــد بن برار ، نبأ عبد الله بن قاسم ، حدثنا محمد بن القاسم ، عن أبيه ، عن علي بن حرب ، عن اسباط بن محمـد ، عن هشام بن حسان ، عن عكرمة ، عن ابن عباس ، قـال : قال رسول الله ﷺ : من انقطع الى الله كفاه الله كل مؤنة ، ومن انقطع الى الدنيا وكّله الله اليهـــا ، ومن حاول أمراً بمعصية الله كان أبعد له مما رجا ، وأقرب مما اتقى ، ومن طلب محامد الناس بمعاصي الله عـــاد حامده منهم ذامّاً ، ومن أرضى الناس بسخط الله وكّله الله اليهم ، ومن ارضى الله بسخط الناس كفاه الله شرهم ، ومن أحسن فيما بينه وبين الله كفاه الله ما بينه وبين الناس ، ومن أصلح سريرته أصلح الله علانيته ، ومن عمل لآخرته كفاه الله أمر دنياه .

وحدثنـــا علي بن عبد الله بن عبد الرحمن ، نبأ شعبة ، عن الحكم ، عن نافع ، عن ابن عمر ، قال : قال رسول الله ﷺ : رحم الله عبداً تكلم فغنم ، او سكت فسلم ، إن اللسان املك شيء للانسان ، ألا وأن كلام العبـد كله عليه ، إلا ذكر الله ، او امر بمعروف ، او نهي عن منكر ، او اصلاح بين المؤمنين . فقال له معاذ بن جبل : يا رسول الله أنؤاخذكم بما نتكلم به ؟ قال : وهل يكبّ الناس على مناخرهم في النـــار ، إلا حصائد ألسنتهم ؟ فمن أراد السلامة فليحفظ ما جرى به لسانه ، وليحرص على ما انطوى عليه جنانه ،

وليحسن عمله، وليقصر أمله . ثم لم تمض اياماً حتى نزلت هذه الآية: « لا خير في كثير من نجواهم إلا من أمر بصدقة او معروف او إصلاح بين الناس .

عناية ازلية :

روينـــا من حديث ابي عبد الرحمن ، قال : سمعت عن ابن عبد الرحمن الطوسيّ ، قال : سمعت علوس الدينوري ، قـــال : سمعت المزنيّ يقول : كنت مجاوراً بمكة فخطر لي خاطر في الخروج الى المدينة ، فخرجت ، فبينما انا بين المسجد أمشي ، فإذا انا بشاب مطروح ينزع ، فشهق شهقة كانت فيها نفسه ، فكفنته في اطمار ، ودفنته ، ورجعت .

وبه قال الخوّاص: كنت بمكة ، فبينما انا اطوف بالبيت نوديت في سرّي : امضي الى بلاد الروم . فقلت: يا عجباً ، أكون ببيت الله الحرام ، فأتركه ، وأمضي الى بلاد الروم ؟ ثم هممت بالطواف ، فلم استطع ، فسرت الى بــلاد الروم ، فلما دخلتها سمعت الناس يقولون : إن بنت الملك قد صرعت ، وقد عرضت على الاطباء فما عرفوا لها دواء . فقلت : احملوني اليها ، فأنا غلامٌ طبيب . فحملت ، فلما دخلت عليها ، قالت : مرحباً يا خوّاص ، فقلت : مالك ؟ قالت : كنت على ديننا حتى البارحة ، واني نمت فرأيت في المنـــام عرش ربي بارزاً ، فانتبهت كما ترى ، لا ينطق لساني إلا بقول لا إله إلا الله محمد رسول الله ، فلما رأوني هكذا ، نسبوني الى الجنون . فقلت : لعل الله عز وجلّ يخلصك منهم . قلت : فمن أين عرفت اسمي ؟ قالت : نوديت : سنبعث لكِ من تسلمين على يديه، وألهمت ذكرك . فهممت بالنهوض، فقالت: الى أين ؟ قلت : الى مكة . قالت : ها هي مكة . فنظرت ، فإذا مكة . فسرت قليلاً ، فإذا انا بالبيت .

ومن باب سماع العارفين قوله :

قفا ودّعا نجداً ومن حل بالحمى وقلْ لنجد عندنا أن تودّعا
وليست عشيّات الحمى برواجعٍ اليك ولكن خلّ عينيك تدمعا
واذكر ايام الحمى ثم انثني على كبدي من خشية أن تصدّعا

تفسيره : يقول لعقله ولنفسه : ودّعا الرفيق الأعلى ، والأرواح العلى التي محلها الحمى الإلهي ، على انه لا يصح مفارقته بالكنه الرقائق التي بينهما وبينه . وليست عشيّات الحمى برواجع ، أي الأنوار التي تغشى ، حمّتها إلا لطاف الخفيّة عنها ، فهي بحجابها في عالم الأكوان تذكر ايامها بالحمى الإلهي ، فتنعطف على كبدها ، إشارة الى عنصر الحياة التي سرَت مادته في جميع الموجودات ، وتصدعه ، وتفرقه .

ولنا نظم في هذا الباب :

وزاحمني عند استلامي او انسٌ اتين الى التطواف معتجراتِ
حسرن عن أمثال الشموس وقلن لي تودّع فموت النفس في اللحظات
فكم قد قتلنا بالمحصّب من منىً نفوساً ابيّاتٍ لدى الجمرات
وفي سرحة الوادي وأعلام رامةٍ وجمع وعند النفر من عرَفات
ألم تدرِ ان الحسن يسلبُ من له عفافٌ فيدعى سالب الحسنات
فموعدنا بعد الطواف بزمزمٍ لدى القبة الوسطى لدى الصخرات
هنالك من قد شفه الوجد يشتفي بما شاقه من نسوة عطرات
اذا خفنَ أسدلنَ الشعور فهنّ من غدائرها في الحُف الظلمات

ولنا من باب المفاريد في باب الفخر قولنا :

في كل عصرٍ واحدٌ يسمو به وأنا لباقي العصر ذاك الواحدِ

خبر الفيل وأصحابه وما أظهر الله في ذلك من البينات على تعظيم الحرم :

روينا من حديث أبي الوليد ، وأبي هشام ، وابن اسحاق، وبعضهم يزيد على بعض ، والسياق لابن اسحاق ، غير اني قد ادخل في اثنـــاء حديثه الزيادات في اماكنها .

ولما بنى ابرهة الكنيسة التي سماها : القليس . وكتب الى النجاشي بأنــه عزم على ان يصرف حاجّ العرب اليه ، ويتركوا مكة . ومـــا قال في هدم الكعبة شيئاً ، غضب رجل من النساة ، احـــد بني فقيم بن عدي بن عامر ابن ثعلبة بن الحارث بن مالك بن كنانة بن خزيمة بن مدركة بن الياس بن مضر، فجاء الى الكنيسة المذكورة ، فقعد فيها .

قـــال ابن هشام : يعني أحدث فيها . ثم خرج الكنانيّ فلحق بأرضه ، فبلغ ابرهة ذلك ، فقال : من صنع هذا ؟ فقيل له صنعه رجل من أهل هذا البيت الذي تحج اليه العرب بمكة، لما بلغه قولك : أصرف اليها حج العرب، غضب فجاء فأحدث فيها ، أي انهـــا ليست لذلك بأهل . فغضب أبرهة ، وحلف ليسيرن الى البيت فيهدمـــه . ثم امر الحبشة فتهيأت ، وتجهزت ، ثم سار وخرج بالفيل معه ، وسمعت بذلك العرب ، فأعظموه ، ودعوا بـــه ، ورأوا ان جهاده حق عليهم ، حين سمعوا أنـــه يريد هدم الكعبة بيت الله الحرام ، فخرج اليه رجـــل من اشراف اليمن وملوكهم ، يقال له ذو نفر ، فدعا قومه ، ومن أجابه من سائر العرب ، الى حرب أبرهة ، وجهاده عن بيت الله . وما يريد من هدمه وإخرابه . فأجابه من أجابه الى ذلـــك . ثم عرض له فقاتله ، فهزم ذو نفر ، فأتى به اسيراً . فلما اراد أبرهة قتله ، قال ذو نفر : لا تقتلني ، فإنه عسى أن يكون بقائي معك خيراً لـــك من قتلي

فتركه من القتل ، وحبسه عنده في وثاق ، وكان أبرهة رجلاً حليماً ورعاً ذا دين في النصرانية . ومضى أبرهة على وجهه ذلك يريد ما خرج اليه ، حتى اذا كان بأرض خثعم ، خرج له نفيل بن حبيب الخثعمي ، من اكمل بني ربيعة بن عفرس في قبيلتي خثعم شهران ، وباعس ، وهما ابنا عفرس بن خلف بن اقبل ، وهو خثعم ، ومن تابعه من قبائل العرب ، فقاتلهم ، فهزمهم أبرهة ، وأخذ له نفيل اسيراً فأتى به ، فلما همّ بقتله، قال له نفيل : لا تقتلني فإني دليلك بأرض العرب ، وهاتان يدان لك على قبيلتي خثعم شهران ، وباعس ، بالسمع ، والطاعة . فخلى سبيله ، فخرج به معه يدّله ، حتى اذا مرّ بالطائف ، خرج اليه مسعود بن معتب بن مالك بن كعب بن عمرو بن سعد بن عرف بن ثقيف ، في رجال ثقيف . فقالوا : ايها الملك إنما نحن عبيدك ، سامعون لك ، مطيعون ، وليس لك عندنا خلاف ، وليس بيتنا هذا بالبيت الذي تريد ، يعنون اللّات والعزى ، إنما نريد البيت الذي بمكة ، ونحن نبعث معك من يدلك عليه فتجاوز عنهم ، فبعثوا معه أبا رغال يدّله على الطريق الى مكة ، وفي ثقيف يقول ضرار بن الخطاب الفهري لما فعلت هذا :

وقرب ثقيف الى لاتها ... بمنقلب الخائب الخاسر

فخرج أبرهة ، ومعه ابو رغال ، حتى انزله بالمغمّس فلما انزله به مات ابو رغال ، فرجمت قبره العرب ، فهو قبره الذي يرجم بالمغمّس ، وهو الذي قال فيه جرير بن الخطفاء :

اذا مات الفرزدق فارجموه ... كما ترمون قبر ابي رغال

فلما نزل أبرهة بالمغمّس ، بعث رجلاً من الحبشة يقال له الاسود ابن

مقصود ، على خيل له حتى انتهى الى مكة ، فساق اليه اموال أهل تهامة من قريش ، وغيرهم ، وأصاب فيها مائتا بعـــير لعبد المطلب ابن هاشم ، وهو يومئذ كبير قريش وسيدها . فهمت قريش ، وكنانة ، وخزاعة ، وهذيل ، ومن كان في الحرم بقتاله . ثم عرفوا انــه لا طاقة لهم به . فتركوا ذلك . وبعث أبرهة حناطة الحميري الى مكة ، وقال : اسأل عن سيد هذا البلد ، وشريفهم . ثم قل له : إن الملك يقول لكم : اني لم آت لحربكم ، إنمـا جئت لهدم هذا البيت . فإن لم تعرضوا الى الحرب والقتال ، فلا حاجة لي بدمائكم فإن هو لم يرد حربي ، فأتني بـه . فلما دخل حناطة مكة ، سأل عن سيد قريش وشريفها ، فقيل له : عبد المطلب بن هاشم . فجاءه ، فقال له : مـا أمره به أبرهة . فقال عبد المطلب : والله ما نريد حربه ، وما لنا بذلك من طاقة ، هذا بيت الله الحرام ، وبيت خليله ابراهيم عليـه السلام ، فإن يمنعه فهو بيته وحرمه ، وإن يخلّ بينه وبينه ، فوالله ما عندنا دفع عنه . فقـال حناطة : فانطلق معي اليه ، فإنه أمرني أن آتيه بك . فانطلق معـه عبد المطلب ، ومعه بعض بنيه ، حتى أتى العسكر ، فسأل عن ذي نفر ، وكان له صديقاً ، حتى دخل عليه وهو في مجلسه ، فقـال : يا ذا نفر ، هل عندك غنا فيما نزل بنا ؟ فقال له ذو نفر : وما غنا عند رجل اسير بين يدي ملكٍ ينتظر ان يقتله بكرةً وعشية ؟ ما عندي غنا في شيء ممـا نزل بك ، إلا انيساً سائس الفيل ، وكان صديقـاً له ، فأرسل اليه ، فأوصيه بك ، وأعظم عليه حقك ، واسأله ان يستأذن لك على الملك ان يكلمك فيما بدا لك ، ويشفع عنده بخير ان قدر على ذلك . فقـال : حسبي . فبعث ذو نفر الى انيس ، فقـال له : ان عبد المطلب سيد قريش ، وصاحب عِيَر مكة ، وعينها ، وعظيمها ، يطعم النـاس بالسهل والجبل ، والوحوش في رؤوس الجبال ، وقد أصاب له الملك مائتي بعير ، فاستأذن له عليه ، وانفعه عنده

بما استطعت . قال : افعل . فلما كلّم انيس أبرهة ، قال له : أيها الملك سيد قريش ببابك ، يستأذن عليك ، وهو صاحب مكة ، وعِيرها ، وهو يطعم الناس في السهل والجبل ، والوحوش في رؤس الجبال ، فأذن له عليك يكلمك في حاجته . قال : فأذن له ابرهة . وكان عبد المطلب اوسم الناس ، وأعظمهم ، وأجملهم ، فلما رآه ابرهة ، أجله ، وأكرمه عن أن يجلس تحته ، وكره أن تراه الحبشة أن يجلسه معه على سرير ملكه ، فنزل أبرهة عن سريره فجلس على بساطه ، وأجلسه معه عليه الى جنبه . ثم قال لترجمانه : قل له : ما حاجتك ؟ قال له الترجمان : يقول لك الملك : ما حاجتك ؟ قال : حاجتي أن يرد عليّ الملك مائتي بعير أصابها لي . فلما قال ذلك قال أبرهة لترجمانه : قل له كنت اعجبتني حين رأيتك ، ثم قد زهدت فيك حين كلمتني . أتكلمني في مائتي بعير أصبتها لك ؟ وتترك بيتاً هو دينك ودين آبائك ، وقد جئت لهدمه ، لا تكلمني فيه . فقال عبد المطلب : ان هذه الإبل لي وأنا ربها ، وإن للبيت رباً سيمنعه . قال : ما كان ليمنع مني . قال : أنت وذاك . قال ابن اسحاق : وقد كان ذهب مع عبد المطلب الى أبرهة حين بعث اليه حناطة الحميري يعمر بن نعامة بن عدي بن الديل ابن بكر بن عبد مناف بن كنانة ، وهو سيد بني بكر . وخويلد بن واثلة الهذلي وهو يومئذ سيد بني هذيل ، فعرضوا على أبرهة ثلث اموال تهامه على أن يرجع عنهم ، ولا يهدم البيت فأبى عليهم ، فلما انصرفوا عنه ، انصرف عبد المطلب الى مكة ، فأخبرهم الخبر ، وأمرهم بالخروج من مكة ، والتحرّز في شعب الجبال ، تخوّفاً عليهم من مضرّة الجيش . ثم قام عبد المطلب ، فأخذ بحلقة باب الكعبة ، وقام نفر معه من قريش ، يدعون اليه ويستنصرون على أبرهة وجنوده . فقال عبد المطلب وهو آخذ بحلقة باب الكعبة :

يا رب إن المرء ي — نع رحله فامنع رحالك
وانصُر على آل الصّليـ — ب وعابديه اليوم آلك
لا يغلبن صليبهم — ومحالهم ابـداً محالك
إن كنت تاركهم وقبـ — لتنا فأمرٌ مـا بدالك
فلئن فعلتَ فإنـه — أمرٌ يتم بـه فعالك

ثم قال عكرمة بن عامر بن هاشم بن عبد مناف بن قصى بن عبد الدار :

لا هم اخذ الاسود بن مقصود — الأخذ الهجمة فيها لتقليد
بـين حراّ وثبير والبيد — يحبسُها وهي اولات التطريد
فضمّها الى جماجم سود — احقره يا رب وأنت محمود

ثم أرسل عبد المطلب حلقة الباب ، وانطلق هو ومن معه من قريش الى شعب الجبال ، ليتحرّزوا فيها ، ينظرون ما أبرهة فاعل بمكة إذا دخلها . فلما اصبح أبرهة ، تهيـأ لدخول مكة ، وهيأ فيله وعبّا جيشه ، وكان اسم الفيل محموداً ، وأبرهة مجمع بهـدم الكعبة ، ثم الانصراف الى اليمن . فلما وجهوا الفيل الى مكة اقبل نفيل بن حبيب الخثعمي حتى قـام الى جنب الفيل ، ثم اخذ بإذنه فقال : ابرك محموداً ، وأرجع راشداً من حيث جئت ، فإنك في بلد الله الحرام . ثم أرسل اذنـه ، فبرك الفيل ، وخرج نفيل يشتد حـتى اصعد في الجبل . وضربوا الفيل ليقوم ، فأبى ، فضربوه في رأسه بالطبرزين فأبى ، فأدخلوه محاجن لهم لي مراقه فنزعوه بهـا ليقوم فأبى ، فوجهوه راجعاً الى اليمن ، فقام يهرول ، ووجهوه الى الشام ففعل مثل ذلك ، ووجهوه الى الشرق ففعل مثل ذلك ، ووجهوه الى مكة ، فبرك ، فأرسل الله عليهم طيراً من البحر امثال الخطاطيف والبلسان مع كل طير منهـا ثلاثة

احجار يحملهـــا : حجر في منقاره ، وحجران برجليه ، امثال الحمص ، والعدس ، ولا يصيب منهم احد إلا هلك ، وليس كلهم اصابتهم ، فخرجوا هاربين يبتدرون الطريق الى اليمن ، فقال نفيل ايضاً حين رأى ما أنزل الله بهم من نقمة شعراً :

أين المفرّ والإله الطالبُ والأشرمُ المغلوب ليس الغالبُ

وقال ايضاً حين ولّـوا :

ألا حيّيت عنا يا رُدَيْنا نعمناكم مع الاصباحِ عيْنا
رديْنة لو رأيت ولن تريه لدى جنب المحصَّب ما رأينا
إذاً لعذرتنا وحمدت أمري ولن تأسى على ما فات بينا
حمدت الله إذ عاينت طيراً وخفت حجارة تلقى علينا
وكل القوم يسأل عن نفيل كأنْ عليٌّ للحبشان دينا

فقال عبد المطلب :

قلتُ والأشرم تردي خيله ان ذا الأشرم غرباً بالحَـرَمْ
كاده يتبعُ فيمن جنّدتْ حِميَرٌ والحي من آل قدم
فانثنى عنه وفي أوداجهِ جارحٌ أمسك فيه بالكظم
نحن أهل الله في بلدتـــهِ لم يزل ذاك على عهدِ ابرم
نعبدُ الله وفينـــا شيمة صلة القربى وأبناء الذمّم
إنْ للبيت لربـــاً مانعاً من يرده بـــإثامٍ يُظطلم

وقال ايضاً :

وكنتُ اذا أتى باغٍ نُسلَم ونرجو ان يكون لنا كذلكْ
فولّـوا لم ينالوا غير خزيٍ وكان الحينُ مهلكهم هنالك
ولم اسمع بأرجسَ من رجالٍ ارادوا بانتهــاكهم حرامك

يريد : ارادوا العزّ ، فلما لم يبرز ، حذف لدلالة المعنى عليه . وقد روينـ بانتهـاكهم حرامك ، فخرجوا يتساقطون بكل طريق ، ويهلكون على كل منهل ، وأصيب ابرهة في جسده ، وخرجوا بـــه يسقط أنملة أنملة ، كلما سقطت انملة منه ، تبعتها مدة تمث قيح ودم ، حتى قدموا به صنعاء ، وهو مثل فرخ الطائر ، فما مات حتى انصدع صدره عن قلبه فيما يزعمون .

قال ابن اسحاق : حدثني يعقوب بن عيينة انه حدث ان اول مـا رأيت الحصبة ، والجدري بأرض العرب ذلك العام ، وأنه اوّل اوّل ما رئي بـــه مرائر شجر الحرمل ، والحنظل ، والعشر ، ذلك العام .

قال ابو الوليد فيما حدّث : انه اول ما كانت بمكة حمام اليمام حمام مكة الحرمية ذلك الزمان . وقال : انهـا من نسل الطير التي رمت اصحاب الفيل حين خرجت من بحر جدة .

ولما ردّ الله الحبشة عن مكة ، وأصابهم ما أصابهم من النعمة ، عظـّمت العرب قريشاً . وقالوا : أهلّ الله قاتل عنهم ، وكفاهم مؤنـــة عدوّهم ؟ وجعلوا في ذلك يقولون الأشعار ، ويذكرون فيها ما جرى .

فمن ذلك ما قال عبدالله بن الزبعري بن عديّ بن قيس بن عديّ بن سعيد ابن سهم بن عمرو بن هصيص بن كعب بن لؤي :

يتكلموا عن بطن مكة انها	كانت قديماً لا يرامُ حريمُها
لم يخلق الشـّعري ليالي حرّمت	إذ لا عزيز من الأنام يرومها
سائل امير الجيش عنها ما رأى	ولسوف ينبىء الجاهلين عليمها
ستون الفاً لم يَؤبوا ارضهم	بل لم يعش بعد الإياب سقيمها
كانت بها عادٌ وجـَرهم قبلهم	والله من فوق العباد يقيمها

وقـــال صفيّ بن خيثم بن وائل ، ثم الخطميّ بن زيد بن قيس بن عامر ابن مرة بن مالك بن الأوس الانصاري :

ومن صنعه يوم فيل الحبوش إذاً كلمـــا بعثوه رزمْ
محاجنهم تحت اقرابـــه وقد شرموا أنفــه فانخرم
وقد جعلوا سوطهم معولاً اذا يمموه قفـــاه كَـلَـم
فولـّى وأدبر درّاجـــه وقـد باء بالظلم من كان ثم
فأرسل من فوقهم حاصباً يلفـّهم مثل لفّ القزمْ
تحرّ على الصبر اجسادهم فقد ثاجوا كثواج الغنم

وقال ايضاً :

فقوموا فصلـّوا ربكم فتمسـّحوا بأركان هذا البيت بين الأخاشبِ
فعندكم منـــه بلاء ومصدق غداة ابي يكسوم هادي الكتائب
كتيبته بالسهل تمشي ورحله على العادقات في رؤس المناقب
فلما أتاكم نصر ذي العرش ردّهم جنود مليك بين ساقٍ وصاحب
فولـّوا سراعاً هاربين ولم يؤبْ الى اهله بالحبش غير عصائب

وقال طالب بن أبي طالب بن عبد المطلب :

ألم تعلموا ما كان في حرب داحسٍ وجيش أبي يكسوم إذ ملؤا الشـّعبا
فلولا دفاع الله لا شيء غيره لأصبحتم لا يمنعون لكم سربا

وقال أمية بن الصلت بن ربيعة : كذا قال ابن هشام .

وقال ابن اسحاق ، وأبو الوليد ، قال ابو الصلت بن ربيعة الثقفي ، وهو جاهلي بذكر الحنيفية ، وساق الشعر من حديث ابن هشام :

إن آيات ربنـــا باقياتٍ ما يماري فيهن إلا الكفورُ
يخلق الليل والنهار فكلٌّ مستنير حسابـــه مقدور
ثم يجلو بهـــا وربٌّ رحيم بمهـــاة شعاعُهـــا منشور
حبس الفيل بالمغمّس حتى ظلّ يحبو كأنــه معقور
لازمـــاً خلقة الجرَان كما قطـّر من رأس كوكب محدور
حوله من ملوك كندة ابطا ل ملاويث في الحروب صُقور
خلـّفوه ثم ابذعرّوا جميعاً كلهم عظم ساقـه مكسور
كل دين يوم القيـــامة عند الله إلا دين الحنيفـــةِ بُور

وقال المغيرة بن عبد الله بن عمرو بن مخزوم، وهو من حديث ابي الوليد، وابن اسحاق، رحمهما الله تعالى :

أنت حبست الفيل بالمغمسْ حبسته كأنه مُكردسْ
مذ ما همُ همّ بشرّ مجلس بمجلس تزهق فيـه الأنفس
وقت بباب ربنا لم يدنس يا واهب الحيّ الجميع الأخمس
وما لهم من طارف ومنفس وجاره مثل الجواري الكنـّس
أنت لنا في كل أمرٍ مضرّس ونفثات اخـذت بالأنفس

وقال الفرزدق، واسمه همام بن غالب احد بني مجاشع بن دارم بن مالك ابن حنظلة بن مالك . ويذكر الحجاج والفيل :

فلما طغى الحجاج حين طغى به غناً قال اني مرتقٍ في السلالمِ
فكان كما قال ابن نوحٍ سارتقي الى جبل من خشية الماء عاصم
رمى الله في جثمانه مثل ما رمى عن القبلة البيضاء ذات المحارم
جنوداً لسَوق الفيل حتى أعادهم هباءً وكانوا مطرخمي الطراخم
نصرت كنصر البيت إذ ساق فيله اليه عظيم المشركين الأعاجم

وقـال عبد الله بن قيس الرّقيات احد بني عامر بن لؤي بن غالب يذكر أبرهة الأشرم وفيله :

كاد الأشرم الذي جاء بالفيـ ـل فولّى وجيشه مهزومُ
واستهلت عليهم الطيرُ بالجنـ ـدل حــتى كأنه مرجوم
ذلك من يغزو من الناس يرجع وهو فلّ من الجيوش رميم

قول ابن عمر رضي الله عنه لحنين في استلام الركن :

روينا من حديث ابي الوليد، عن جده ، عن يحيى بن سليم، عن اسماعيل ابن كثير ، عن مجاهد ، قـال : كنا مع عبد الله بن عمر في الطواف ، فنظر الى رجل يطوف كالبدويّ لا يستلم الركن ، ولا يكبّر ، ولا يـذكر الله ، فقال له ابن عمر : أي شيء تصنع ههنا ؟ قال : اطوف . قـــال ابن عمر : مثل الجمل يخبط ، لا تستلم ، ولا تكبّر ، ولا تذكر الله ؟ ثم قال له : مـا اسمك ؟ قال : حنين . قال : فكان ابن عمر اذا رأى الرجل لا يستلم الركن قال : احنينيّ هو ؟ قلت : وقد رأيت أنا في مجاورتي رجلاً من المجاورين ، يسكن برباط تون بباب السدّة ، يقال له : اسماعيل الموصلي، يطوف بالبيت كثيراً ، مثل طواف حنين ، وربما يستدبر البيت أحياناً في طوافه ، فسألت عن صنعته ، فقيل لي : يبيع القفع . فاتفق ان حضرني أبيـات ، فذكرتها موعظة وتنبيهاً واعتذاراً عنه :

يطوف بالبيت من يدين بــه لكنه خارجٌ عــن البشرِ
كأنـــه في طوافه جمـلٌ يخبط لا يــلوي على الحجر
مثل حنين وقـد رآه فتىً من أعلم الناس من بني عمر
فقال هذا الذي اقول بـه في حق هذا الانيس فازدجر

لكنني قد وجدت معذرةً كان عليها في سالف العمر
كان له قفع يطوف بـــه ومن أتى عـــادةً فقد يحر

ولنا من باب اللطائف والإشارات :

يا حادي العيس لا تعجل بها وقفاً فإنني زمنٌ في أثرها غادي
قف بالمطايا وشمر عن ازمتها بالله بالوجد بالتبريح يا حادي
نفسي تريد ولكن لا تساعدها رجلي فمن لي باسعافٍ وإسعاد
ما يفعل الصانع النحرير في شغل آلاتـــه أذنت فيه بإفساد
عرج ففي أيمن الوادي خيامهم لله درك ما تحويه يا وادي
جمعت قوماً هم نفسي وهم نفسي وهم سواد سويدا خلب اكبادي
لا درّ در الهوى ان لم أمت كمداً بحاجر او بسلعٍ او بأجياد

ولنا في هذا الباب :

يذكرني حال الشبيبة والشرخ حديثٌ لنا بين المدينة والكرخ
فقلت لنفسي بعد خمسين حجة وقد صرت من طول التفكر كالفرخ
يذكرني اكناف سلعٍ وحاجر ويذكر لي حال الشبيبة والشرخ
وسوقي المطايا منجداً ثم متهماً وقدحي لها نار الغفار مع المرخ

روينا من حديث ابن مروان ، عن محمد بن عبد العزيز ، قـال : حدثنا المضا بن جارود ، عن محمد بن عبد الله القرشي ، عن ابيه ، قال ابو الدرداء : ما من رجل من المسلمين اذا اصبح إلا اجتمع هواه وعمله ، فـإن كان هواه تابعاً لعمله ، فيومه صالح ، وإن كان عمله تابعاً لهواه ، فيومه يوم شر .

ولنا من باب الإشارات العلوية :

بان العزاء وبان الصبر اذ بانوا | بانوا وهم في سويد القلب سكانُ
سألتهم عن مقيل الركب قيل لنا | مقيلهم حيث فاح الشيح والبان
فقلت للريح سيري والحقين بهم | فإنهم في ظلال الأيك قطان
وبلغيهم سلاماً من اخي شجن | في قلبه من فراق القوم اشجان

قول النبي ﷺ انا ابن الذبيحين :

يريد اسمعيل، وأباه عبد الله . فأما اسمعيل، فما ذكر الله من قصة ابراهيم عليه السلام في رؤياه في ذبح ولده على اختلافٍ بين اسحاق ، واسمعيل ، وما فداه الله بـه ، على انه يحتمل اذا صح قول النبي ﷺ ، انه ابن الذبيحين ، انـه يريد ابراهيم ، وولده اسمعيل ، عليهما السلام . فإن وزن فعيل يكون للفاعل ، ويكون للمفعول ، فذبيح ، بمعنى ذابح ، وهو ابراهيم ، ومذبوح ، وهو اسمعيل . وقد يصح نسب النبوّة للعم ، كما تنسب للأب، على أن يكون الذبيح اسحاق. قال تعالى في قول بني يعقوب : قالوا نعبد آلهك وآله آبائك ابراهيم واسمعيل وإسحاق . وكان اسمعيل عم يعقوب ، ولم يكن آباه ، وإنما ابوه إسحاق . فإما ما كان من خبر عبد الله بن عبد المطلب والد رسول الله ﷺ ، وهو مـــا رويناه من حديث ابن إسحاق ، قال ابن إسحاق : كان عبد المطلب بن هاشم ، قد لقي من قريش شدّة عند حفر زمزم ، فلما نصره الله عليهم نذر لئن ولد له عشرة اولادٍ ذكوراً ، ثم بلغوا معه حتى يمنعوه لينحرن احدهم لله عند الكعبة . فلما توافا بنوه عشرة، وعرف انهم سيمنعوه جمعهم ، ثم اخبرهم بنذره ، ودعاهم الى الوفاء لله بذلك ، فأطاعوه ، وقالوا: كيف ذلك تصنع ؟ فقال ليأخذ كل رجل منكم قدحاً، ثم يكتب عليه اسمه، ثم ائتوني . ففعلوا ، ثم اتوه ، فدخل بهم على هبل في جوف الكعبة ، فقال لصاحب القداح : اضرب على بني هؤلاء بقداحهم هذه ، وأخبره بنذره الذي

نذره ، فأعطاه كل رجل منهم قدحه الذي فيــه اسمه ، فلما اخذ صاحب القداح القداح ، ليضرب بها ، قام عبد المطلب عند هبل يدعو الله، ثم ضرب صاحب القداح ، فخرج القدح على عبد الله ، وكان احب اولاده اليه ، فأخذ شفرة ، ثم أقبل الى اساف ، ونائلة، ليذبحه . فقامت اليه قريش من انديتهم . فقالوا : ما تريد يا عبد المطلب ؟ قال : اذبحه . قالت له قريش ، وبنوه : والله لا تذبحه ابداً حتى تعذّر فيه ، ولئن فعلت هذا ، لا يزال الرجل يأتي بإبنه حتى يذبحه ، فما بقي الناس على هذا . فقال له المغيرة ابن عبد الله بن عمرو بن مخزوم : وكان عبد الله من احب الناس اليه : والله لا تذبحه ابداً حتى تعذر فيه ، فإن كان فداؤه بأموالنا فديناه . وقالت له قريش وبنوه : لا تفعل ، وانطلق الى الحجاز ، فإن بها عرافة لهـا تابع ، فسألها ، ثم أنت على رأس امرك ، ان أمرتك بذبحه ذبحته ، وإن أمرتك بأمرٍ لك وله فيه فرج قبلته . فانطلقوا حتى قدموا المدينة ، فوجدوها بخيبر ، فركبوا حتى جاؤها ، فقصّ عليها عبد المطلب خبره ، والقصّة كما جرت . فقالت لهم : ارجعوا عني اليوم حتى يأتيني تابعي فاسأله . فرجعوا مـن عندها ، وعبد المطلب يدعو الله ، ثم غدوا عليها ، فقالت لهم : جـاء في الخبر : كم الدّية فيكم ؟ قالوا : عشرة من الابل . قالت : ارجعوا الى بلادكم، وقرّبوا صاحبكم وقرّبوا عشراً من الإبل . ثم اضربوا عليها ، وعليه ، فـإن خرجت على صاحبكم ، فزيدوا من الإبل حتى يرضى ربكم ، وإن خرجت على الإبـل ، فأنحروها عنه ، وقد رضي ربكم ، ونجا صاحبكم فخرجوا حتى قدموا مكة . فلما أجمعوا لذلك الأمر ، قام جانباً عبد المطلب يدعو الله، ثم قربوا عبدالله، وعشراً من الإبل ، ثم ضربوا فخرج القدح على عبد الله ، فزادوا عشراً من الإبل ، فـلم يزالوا يضربون عليها ، وعلى عبد الله ، فتخرج على عبد الله ، فيزيدون عشراً ، حتى بلغت مائة، ثم ضربوا فخرج القدح على الإبل، فقالت

قريش ومن حضر : انه رضي ربك يا عبد المطلب . فزعموا ان عبد المطلب قال : لا والله حتى اضرب عليها ثلاث مرات ، فضربوا على عبد الله ، وعلى الإبل ثلاثاً ، كل ذلك تخرج القداح على الإبل ، فنحرت ، ثم تركت لا يصدّ عنها إنسان ، ولا يمنع . وانصرف عبد المطلب مسروراً آخذاً بيد عبد الله ، فمرّ به على امرأةٍ من بني أسد بن عبد العزّى ، وهي اخت ورقة بن نوفل ، فنظرت اليه وهي عند الكعبة ، فقالت له وهي تنظر في وجهه : أين تذهب يا عبد الله ؟ قال : مع ابي . قالت : هل لك مثل الإبل التي نحرت عنك ، وتقع عليّ الآن ؟ قال : أنا مع ابي ، ولا استطيع فراقه الآن . وانصرف ، فأتى به عبد المطلب الى وهب بن عبد مناف سيد بني زهرة يومئذ ، فزوّجه آمنة بنت وهب ، فدخل عليها حين املكها مكانه ، فوقع عليها ، فحملت برسول الله ﷺ . ثم خرج من عندها ، فأتى اخت ورقة التي عرضت عليه نفسها ، فقال لها : مالك لا تعرضين عليّ ما كنت عرضت ؟ قالت له : فارقك النور الذي كنت رأيته في وجهك ، فليس لي بك اليوم حاجة .

وفي رواية ابن إسحاق بن يسار ، من حديث ابن اسحاق عنه : انه حدث او اخبر إن عبد الله لما دخل على امرأة كانت له مع آمنة بنت وهب وقد عمل في طين له ، وبه أثر من الطين ، فدعاها الى نفسها ، فأبطأت عليه لما رأت من أثر الطين ، فغسل ما كان به من الطين ، ثم خرج عامداً الى آمنة ، فمرّ بها ، فدعته الى نفسها ، فأبى عليها ، ودخل على آمنة ، فأصابها ، ، فحملت بمحمد ﷺ . ثم مرّ بإمرأته تلك ، فقال لها : هل لك ؟ قالت : لا مررت بي ، وبين عينيك غرّة ، ودعوتك ، فأبيت ، ودخلت على آمنة ، فذهبت بها :

تخـبّرك الله من آدمٍ فما زلت منحدراً ترتقي

ﷺ ، فقيل لآمنة : انك حملت بسيد هذه الأمة يقول لك الملك : فإذا وقـــع على الارض ، فقولي : أعيذه بالواحد ، من شر كل حاسدٍ ، وقائم وقاعدٍ ، يأخذ بالمراصدِ ، في طرق المواردِ ، وسميته محمداً .

وروينا من حديث ابن جهضم ، عن محمد بن القاسم ، عن محمد بن عبيد ، عن محمد بن صالح ، قال : بينما أنا في الطواف، نظرت إعرابياً متعلقاً بأستار الكعبة، وقد شخص ببصره نحو السماء ، وهو يقول : يا من وفد العباد اليه، ذهبت أيامي ، وضعفت قوتي ، وقـد فررت اليك الى بيتك المعظم المكرم بذنوب كثيرة لا تسعها الارض ، ولا تغسلها البحار ، مستجيراً بعفوك منها ، وحططت رحلي بفنائك ، وأنفقت مالي في رضاك . فمـــا الذي يكون من جزائك يا مولاي ؟ ثم أقبل على الناس بوجهه ، فقال : معاشر الناس ادعوا لمن وكزته الخطايا ، وعمرته البلايا ، ارحموا اسير ضرٍّ ، غريب فاقـــة ، سائلكم : بالذي قد عمتكم الرغبة اليه ، ألا سألتم الله عز وجل ، أن يهب لي جرمي ، ويغفرلي ذنوبي . ثم عـــاد فتعلق بأستار الكعبة ، وقال : إلهي وسيدي عظيم الذنب مكروب ، وعن صالح الأعمال مطرود ، ذا فاقةٍ الى رحمتك . قال محمد بن صالح : ثم رأيته بعرفات ، وقـد وضع يساره على ام رأسه ، وهو يصرخ ، ويبكي ، ويشهق ، ويقول : آلهي وسيدي ومولاي ، اضحكت الأرض بالزهر ، وأمطرت السماء بالرحمة ، والذي أعطيت الموحدين إن نفسي لواثقة لي منك ، وكيف لا يكون كذلك ؟ وأنت حبيب من تحبب اليك ، وقرة عين من لاذبك ، وانقطع اليك ، حقاً حقاً اقول : لقد أمرت بمكارم الأخلاق ، فاجعل قرائي منك عتق رقبتي من النار .

ومن دعا فهتف بإجابته ، ما كتب الينا عبد الرحمن، عن احمد بن ظفر، عن احمد ، عن الحسن ، عن هلال بن محمد ، عن عمر بن احمد ، عن عبيدالله، عن زكريا ، عن الاصمعي ، عن سفيان بن عيينة ، قال : سمعت اعرابياً متعلقاً بأستار الكعبة وهو يقول : السائل سائل انقضت أيامه ، وبقيت آثامه ، وانقضت شهواته ، وبقيت تبعاته . ولكل ضعيف قرىً ، فاجعل قراي الجنة .

ثم كتب : وحدثنا احمد ، عن الحسن ، عن عبد العزيز بن جعفر ، عن حمزة بن محمد بن عيسى المدائني ، قال : تعلّق شاب بأستار الكعبة ، وقال: إلهي لا لك شريك فيؤتى ، ولا وزير فيرشى ، ان أطعتك فبفضلك ، ولك الحمد ، وإن عصيتك ، فبجهلي ولك الحجة عليّ ، فبإثبات حجتك عليّ ، وبانقطاع حجتي لديك ، إلا غفرت لي . فسمع هاتفاً يقول : الفتى عتيقنا من النار .

موعظة نبوية :

حدثنا محمد بن قاسم ، عن احمد بن محمد ، عن محمد بن علي ، عن احمد ابن محمد ، عن علي بن قاسم ، عن الشيباني ، عن ابن زهير ، عن موسى ابن معاذ، عن يحيى بن عبدالحميد، عن قيس بن الربيع، عن حر بن الصباح، عن خليفة بن الحصين ، عن قيس بن عاصم ، قال : قال رسول الله ﷺ : يا قيس ، إن مع العز ذلاً ، وإن مع الحياة موتاً ، وإن مع الدنيا آخرة ، وإن لكل سيئة عقاباً ، وإن لكل اجل كتاباً ، إنه لا بد يا قيس من قرين يدفن معك وهو حي ، وتدفن معه وأنت ميت ، فإن كان كريماً أكرمك ، وإن كان لئيماً أسلمك، ثم لا يحشر إلا معك، ولا تبعث إلا معه ، ولا تُسئل

إلا عنده ، فلا تجعله إلا صالحاً ، فإنه ان كان صالحاً لم تستأنس إلا به ، وإن كان فاحشاً لم تستوحش إلا منه ، وهو فعلك .

شعر في هذا المعنى :

تزوّد قريناً من فعالك إنما ... قرين الفتى في القبر ما كان يعملُ
وإن كنت مشغولاً بشيء فلا يكن ... بغير الذي يرضى به الله تشغل
فلن يصحب الانسان من بعد موته ... الى قبره إلا الذي كان يفعل
ألا إنما الانسان ضيف لأهله ... يقيم قليلا عندهم ثم يرحل

وقال الآخر في القبر :

القبر بيتٌ كريهٌ سوف تسكنه ... ماذا عملتَ ليوم القبر يا ساهي

ولأبي العتاهية من قصيدة :

يا بيت بيت الرجا يا بيت منقطعي ... يا بيت بيت الردى يا بيت وحشتهِ

ورأيت على قبر بسبا مكتوباً :

ولقد وقفت كما وقفت ... ولكم نظرتُ فما اعتبرتُ
حصّل لنفسك منزلاً ... قبل الحصول لما حصلت

ورؤي على قبر مكتوب :

أنا في قبري وحدي ... قد تبرأ الأهل مني
أسلموني لذنوبي ... خِبتُ ان لم يعفَ عني

وسماعنا على قول ابن حبوسٍ حيث يقول :

أسكّان نعمان الأراك تيقنوا　　بأنكم في ربع قلبي سكانُ
ودوموا على حسن الوداد فإنني　　بليتُ بأقوامٍ اذا احفظوا خانوا
سلوا الليل عني مذتناءت دياركم　　هل اكتحلت بالنوم لي فيه أجفان

السماع الروحاني في ذلـــك ، سكان نعمان الأراك ، هم العارفون في نعيم حضرة المشاهدة ، ومحلها قلوبهم يقول لطيفته الربانية لهـذه الهمم : داوموا فإني دفعت الى نفوسٍ أُخذ عليها العهد الإلهي في الميثاق الأول ، فخانوا ، ثم أخذ يصف نفسه بالقيومية ، تخلقاً إلهياً ، أي قدر على التجرّد من عـــالم التركيب الذي هو محل النوم ، الى العالم الأنزه الأقدس الذي لا نوم فيـــه ، ميراثاً نبوياً من أنـه لا ينام قلبه ﷺ . ثم أخذ يخاطب الهمم : إن لمان سيوفها اذا برقت من منازلها منازل الأحبة ، فغمد هاتيك السيوف أجفاني ، أي لا أنام ، يكادسنا برقه يذهب بالأبصار .

وسماعنا على قول مهيار حيث يقول :

من ناظرٌ لي بـــين سلعٍ وقبا　　كيف أضاء البرق أم كيف خبا
نبّهني وميضه ولم تـــنمْ　　عيّني ولكن ردّ عقلاً غربا
قرب له قد صار قلبي خافقاً　　واستبردته أضلعي ملتهبا
يا لبعيد مـــن منىً ناديته　　يوهمني الصدق بريـــق كذبا
وللنسيم سحراً بحـاجرٍ　　ردّت به عهد الصباريح الصّبا
آلية مـــا فتح العطار عن　　أعبق منهـــا نفساً وأطيبا
سل من يدلّ الناشدين بالغضا　　على الطريـــد ويرد السلبا
أراجع لي والمنى هـل هـّلةٌ　　وطالع نجم والزبانُ غرّبا
وطوله بـــين القباب يمنى　　لا خائفـاً عتباً ولا مرتقبا

السماع الروحاني للعارف في ذلك : من ناظرٌ لي بين المقامات المحمدية
كيف لمع برق المعرفة ؟ ام كيف خبا مطوياً في غيم الكون ؟ أيقظني لمعنه ،
على أن عيني ما نامت عنه ، ولكن كان العقل منصرفاً الى عالم التدبير ،
فردّه الى العالم المدبر ، فسكنت له همم القلوب بعد طيرانها خضعاً كسلمة
على صفوان ، واستبردت برد السرور عطفات الجنوح ، ما كان حامياً بنور
التنزلات الإلهية . فلما لاح له المعين من خلق خلقة الرصد مثال النور المتنزل
ليقبله منه ، عرفه بالحفظ الإلهي ، فقال : يوهمني الصدق بريق كذباً ، ثم
رجع ينادي أيضاً بالبعد من عالم الانفاس ، في البرزخ المشترك بين النور
والظلمة ، دلّ عليه وعلى عصر شبابه ريح الصبا ، شروق نفس التنفس من
نفس الرحمن ، بما هو أطيب من المسك عرفاً ونشراً . ثم قال : سل من
يدل الناشدين قلوبهم بمقام الاشتياق على الطريق ، عن البناء الأعز ، ويرد
قلبه الذي أخذ منه على عزّة . ثم قال : اراجع لي ذلك السلب ؟ والمنى قد
يكون أماني، وهل يطلع نجم سعد غرباً ؟ أي صار في الحجاب. وهل أراني
طائفاً متردداً بين القباب الساترة شموساً ؟ لا خائفاً عتباً . يقول : لم وأمن
ولا مترقباً ، وعدل الحصول : الاتصال ، وانتظام الشمل بالأحباب .

ومما نظمنا في هذا الباب قولنا :

بأبي الغصون المائسات عواطفاً ... العاطفات على الخدود سوالفا
المرسلات من الشعور غدائراً ... الليّنات معاقداً ومعاطفا
الساحبات من الدلال دلادلاً ... اللابسات من الجمال مطارفا
الباخلات بحسنهنّ صيانةً ... الواهبات متالداً ومطارفا
المونقات مضاحكاً ومباسماً ... الطيبات مقبلاً ومراشفا
الناعمات مجرّداً والكاعبا ... ت مهنداً والمهديات طرائفا

الخالبات بكل سحرٍ معجب	عند الحديث مسامعاً ولطايفا
الساترات من الحياء محاسناً	تسبي بها القلب التقي الخائفا
المبديات من الثغور لآلئاً	تشفي بريقتها ضعيفاً تالفا
الراميات من العيون رواشقاً	قلباً خبيراً بالحروب مثاقفا
المطلعات من الجيوب اهلةً	لا يلفين مع التمام كواسفا
المنشيات من الدموع سحائباً	المسمعات من الزفير قواصفا
يا صاحبي بمهجتي خمصانة	اسدت الي أياديا وعوارفا
نظمت نظام النمل فهي نظامنا	عربية عجماء تلهي العارفا
مهما رنت سلت عليك صوارماً	ويريك مبسمها بريقاً خاطفا
يا صاحبيّ قفا بأكناف الحمى	من حاجرٍ يا صاحبي قفا قفا
حتى اسائل أين سارت عيسهم	فقد اقتحمت معاطباً ومخاوفا
وقطعت أبغي رسم دار قد عفى	من أجلهنّ مهالكاً ومتالفا
ومعالماً ومجاهلاً بشملة	تشكو الوجا وسباسباً وتنايفا
مطوية الأقراب أذهب سيرها	بجثيثه منها قوّى وسدايفا
حتى وقفت بها برملة حاجر	فرأيت نوقاً بالأهيل خوالفا
يقتادها قمرٌ عليه مهابة	فطويت من حذر عليه شراسفا
قمرٌ تعرّض للطواف فلم أكن	بسواه عند طوافه بي طائفا
يمحو بفاضل برده آثاره	فتحار لو كنت الدليل القائفا

ولنا من هذا الباب :

ثلاث بدور ما يزن بريبة	خرجن الى التنعيم معتجرات
حسرن عن أمثال الشموس اضاءة	ولبين بالأهلال معتمرات
وأقبلن يمشين الرويد كمثلما	تمشي القطافي الحف الحبرات

ولنا من هذا الباب ايضاً :

قف بالمنازل واندب لا للألا ... وسل الربوع الدارسات سؤالا
أين الأحبة أين سارت عيسُهم ... هاتيـك تقطع في البيداء الآلا
مثل الحدائق في السراب تراهم ... للآل تعظم في العيون الآلا
ساروا يريدون العُذيب ليشربوا ... ماءً بـــه مثل الحياة زلالا
فقفوت أسأل عنهم ريح الصَّبا ... هل خيموا واستظلوا الضالا
قالت تركت على زرود قبابهم ... والعيس تشكو من سراه كلالا
قد أسدلوا فوق القباب مصاونا ... يسترن من حرّ الهجير جمالا
فانهض اليهم طالبـــاً آثارهم ... وارقـل بعيسك نحوهم أرقالا
فاذا وقفت على معالم حاجرٍ ... وقطعت أغواراً بهـــا وجبالا
قربت منـــازلهم ولاحت نارهم ... ناراً قـد أشعلت الحشا اشعالا
فانخ بهـــا لا يرهبَنك أسدها ... فالاشتياق يريكها اشبـــالا

ومن وقائع بعض الفقراء الى الله تعالى ، ما حدثنا به عبدالله بن الاستاذ المروزي قال : رأى بعض الفقراء في واقعته الشيخ أبا مدين ، ومعه ثلاثة من الصوفية، فيهم أبو حامد ، وهم جلوس، فقدم لهم صحفة فيها ثريد ، فأكلوا، ثم حمدوا ، وأثنوا . ثم قال أبو حامد : يا أبا مدين نحب غذا الروح ، فقال لهم : سرّي مسرور بأسرار ، تستمد من البحار الآلهية الأبدية الأزلية التي لا ينبغي كشفها ، ولا يجوز بثها لغير أهلها ، إذ العبارة والإشارة تعجز عن دركها ، وأبت الغيرة إلا سترها ، هي البحار المحيطة بالوجود ، لا يلجها إلا من وطنه مفقود ، وفي عالم الحقيقة بسرّه موجود ، يتقلب بالحيـاة الأبدية ، وينطق بالعلوم الأزلية ، فهو بجسمه ظاهر ، وبسرّ حقيقته ظافر ، يطير في عالم الملكوت ، ويسرح في عالم الجبروت ، تخلق بالأسماء والصفات ، وفـني

عنها بمشاهدة الذات ، هناك قراري ، ووطني ، وقرة عيني ، وسكني ، به دام فرحي ، وهو علانيتي وسرّي ، والممدّ لوجودي ، ومالكي ، ومعبودي ، أظهر في وجودي قدرتــه ، ورتب في بدائع صنعه حكمته ، فهـو الباطن الظاهر ، الملك القاهر ، فمن رقت همته عـن ملاحظة نفسه ، لم يلتفت الى غده وأمسه ، وإنمـا هو ابن وقته ، بالحق سبحانه يجري علمه أفعاله ، وهو راض به مسروراً ، إذ لم يكن شيئاً مذكوراً ، فمن نزّه أقواله ، وأفعاله ، فقد صفى همته ، وأحواله ، فمن كان نطقه به ، يصول ، ومن كان هو دليله ، فقد نال الوصول ، ومن حقق نظره به ، يسمع وبـه يقول ، ويسمع عنه ، ويسأل به منه ، إذ الوجود كله فاني والباقي فيه المعاني ، به كل شيء يعرف ، ولولاه لم يفهم ، ولم يوصف ، فهو المظهر سبحانه للأكوان ، وسرّ السرائر ، ومظهر الاعلان ، فرحمته لخلقه عامة ، ونعمته لهم شاملة تامة ، فهم فيهـا يغدون ويروحون ، وبأسباغها عليهم ظاهرة وباطنـة يتنعّمون ، فكل شيء بجملتها يشهد له بالوحدانية ، ويقرّ له بالحدوث والعبودية ، هو سبحانه منطقها بكرمه ومجده ، وإن من شيء ألا يسبح بحمده .

وأنشدنا من كتاب ابن زنجويه :

أيا عجبـاً كيف يعصى الآلـهُ ... أم كيف يجحده الجـاحد
ولله في كل تحريـكةٍ ... وتسكينة عـالم شاهد
وفي كل شـيء له آيـه ... تـدل على أنـه واحد

ذكر ما قيل على لسان الحرمين وحكم الجدي بينهما:

حدثنا محمد بن اسماعيل ، نبأ الحسن بن علي ، نبأ الحسن بن مخلف بن هبة الله قاسم الشامي ، نبـأ الحسن بن احمد بن فراس ، نبأ أبي عن أبيـه ابراهيم

ابن فراس ، عن ابي محمد اسحاق بن نافع الخزاعي ، عن ابراهيم بن عبدالرحمن المالكي ، عن محمد بن العباس المكي ، قال : أخبرني بعض مشايخي المكيين : أن داود بن عيسى بن موسى ، لما ولي مكة والمدينـة ، وأقام بمكة ، وولي ابنه سليمان المدينة ، فأقام بمكة عشرين شهراً ، فكتب اليه أهـل المدينة ، وقال الزبير بن أبي بكر : كتب اليه يحيى بن مسكين بن أيوب بن محراق ، يسأله التحوّل اليهم ، ويُعلمونه ان مُقامه بالمدينة افضل من مقـامه بمكة . وأهدوا اليه في ذلك شعراً .

قال شاعرهم يقول فيه :

أداودُ قد فزت بالمكرمات | وبالعدل في بلد المصطفى
وصرت ثمالاً لأهل الحجاز | وسرت بسيرة اهل التقى
وأنت المهذّبُ من هاشمٍ | وفي منصب العزّ والمرتجى
وأنت الرضا للذي نابهم | وفي كل حال ونجل الرضا
وبالفيء أغنيت اهل الخصاص | فعدلك فينا هو المنتهى
ومكة ليست بدار المقام | فهاجر بهجرة من قد مضى
مقامك عشرون شهراً بهـا | كثير لهم عند اهل الحجا
فضم بلاد الرسول الـــتي | بها الله خصّ نبيّ الهدى
ولا ينفينّـك عن قربـه | مشير مشورتـه بالهوى
فقبر النـــبيّ وآثاره | أحقّ بقربك من ذي طوى

قـال : فلما ورد الكتاب ، والأبيات ، على داود بن عيسى ، ارسل الى رجال من اهل مكة ، فقرأ عليهم الكتاب ، فأجابه رجل منهم ، يقـال له عيسى بن عبد العزيز السلعوسي ، بقصيدة يردّ عليه ، ويذكر فيهـــا فضل

مكة ، وما خصّها الله تعالى بـــه من الكرامة والفضيلة ، ويذكر المشاعر والمناقب ، فقال :

أداودُ أنت الإمام الرضى ... وأنت ابن عم نبي الهدى
وأنت المهذب من كل عيب ... وكبر ومن قبله في الصبا
وأنت المؤمّل من هاشمٍ ... وأنت ابن قومٍ كرامٍ تقى
وأنت غياث لأهل الخصاص ... تسدّ خصاصتهم بالغنى
أتاك كتابُ حسودٍ جحود ... أساء في مقالته واعتدى
يخيّر يثرب في شعره ... على حرم الله حيث ابتنا
فإن كان يصدق فيما يقول ... فلا يسجدن الى هاهنـا
وأي بلادٍ تفوق أمهـا ... ومكة مكة أم القرى
وربي دحى الارض من تحتها ... ويثرب لا شك فيها دحا
وبيت المهيمن فينا مقيمٌ ... نصلي اليــه برغم العِدا
ومسجدنا بيّنٌ فضـــله ... على غيره ليس في ذا مِرا
صلاة المصلـي تعدّ له ... مئين ألوفاً صلاة وفـا
كذاك أتى في حديث النبي ... وما قال حقٌ به يقتدى
وأعمالكم كل يومٍ وفودٌ ... الينا شوارع مثل القطا
فيرفع منها إلهي الذي ... يشاء ويترك ما لا يشا
ونحن تحجّ الينــا العباد ... فيرمون شعثاً بوتر الحصى
ويأتون من كل فجّ عميق ... على انيق ضمّر كالقنـا
ليقضوا مناسكهم عندنا ... فمنهم سُعاة ومنهم معّا
فكم من ملبّ بصوت حزين ... يرى صوته في الهوى قد علا
وآخر يذكر رب العباد ... ويثني عليه بحسن الثنا

فكلهم أشعث أغبرٌ يؤمّ المعرّف أقصى المدا
فظلوا به يومهم كله وقوفاً يضجّون عند المسا
حفاة عراة فيا ما لهم عجيب ينادون رب السما
رجاء وخوفاً لما قدّموا وكلا يسائل دفع البلا
يقولون يا ربنا اغفر لنا بعفوك والصفح عمن أسا
فلما دنا الليل من يومهم وولى النهار أجدّوا البكا
وسار الحجيج اليهم دجىً فحلوا بجمع بُعيد العشا
فباتوا جميعاً فلما بدا عمود الصباح وولى الدجا
دعوا ساعة ثم شدّوا الشسوع على قلص ثم أمّوا منا
فمن بين من قد قضى نسكه وآخر يبدأ بسفك الدما
وآخر يهوى الى مكة ليسعى ويدعوه فيمن دعا
وآخر يرمل حول الطواف وآخر ماض يؤم الصفا
فأبوا بأفضل مما رجوا وما طلبوا من جزيل العطا
وحجّ الملائكة المكرمون الى ارضنا قبل فيا مضى
وآدم قد حجّ من بعدهم ومن بعدهم احمد المصطفى
وحج الينا خليل الإله وهجر بالرمي فيمن رمى
فهذا لعمري لنا رفعة حبانا بهذا شديد القوى
ومنا النبي نبي الهدى وفينا تنبّا ومنا ابتدى
ومنا ابو بكر ابن الكرام ومنا ابو حفصٍ المرتجى
وعثمان منا فمن مثله اذا عدّد الناس اهل التقى
ومنا علي ومنا الزبير وطلحة منا وفينا انتشا
ومنا ابن عباس ذي المكرمات نسيب النبي وحلف الندا
ومنا قريش وآباؤها ونحن الى فخرنا المنتهى

ومنا الذين بهم تفخرون — فلا تفخرون علينا بنا
ففخر أولاء لنـا رفعـة — وفينا من الفخر ما قد كفى
وزمزم والحجر فينا فهل — لكم مكرمات كما قد لنا
وزمزم طعم وشربٌ لمن — أراد الطعام وفيه الشفا
وزمزم ينفي هموم الصدور — وزمزم من كل سقم دوا
ومن جاء زمزم من جائع — اذا ما تضلع منه اكتفى
وليست كزمزم في ارضكم — كما ليس نحن وأنتم سوا
وفينا سقاية عم الرسول — ومنها النبي امتلا وارتوى
وفينا المقام فاكرم به — وفينا المحصّب والمنحنا
وفينا الحجون ففاخر به — وفينا كداءٍ وفينا كدا
وفينا الأباطح والمروتين — فبخ فبخ فمن مثلنا
وفينا المشاعر منشا النبي — واجياد والركن والمتّـكا
وثور فهل عندكم مثل ثور — وفينا ثبيرٌ وفينا حِرا
وفينا اجتبى نبي الإله — ومعه ابو بكر المرتضى
فكم بين أحدٍ دجا فاخر — وبين القبيس فيما ترى
وبلدتنا حرم لم تزل — محرّمة الصيد فيما خـلا
ويثرب كانت حلالاً فـلا — تكذّبن كم بين هذا وذا
فحرمها بعـد ذاك النبي — فمن اجل ذلك جاز كذا
فلو قتل الوحش في يثربٍ — لما فدى الوحش حق اللقا
ولو قتلت عنـدنا نملة — أخذتم بها او تؤدّوا الفدا
ولولا زيارة قبر النبي — لكنتم كسائر من قد بدا
وليس النبي بهـا ثاوياً — ولكنه في جنان العلا
فإن قلت قولاً خلاف الذي — أقول فقد قلت قول الخطا

فلا تفحشن علينا المقــال ⁂ ولا تنطقنّ بقول الخَنا
ولا تفخرن بما لا يكون ⁂ ولا ما يشينك عند الملا
ولا تهجُ بالشعر ارض الحرام ⁂ وكف لسانك عن ذي طوى
وإلا لجاءك ما لا تريــد ⁂ من الشتم في ارضكم والاذى
وقد يمكن القول في ارضكم ⁂ بسبّ عقيق ووادي قبا

فأجابها رجل من بني عجل ناسك كان مقيماً بجـــدة مرابطاً هناك فحكم بينهما فقال :

اني قضيت على اللذين تماريا ⁂ في فضل مكة والمدينة فأسألوا
فلسوف اخبركم بحق فافهموا ⁂ فالحكم حيناً قد يجور ويعدلُ
فأنا الفتى العجليّ جدة مسكني ⁂ وخزانة الحرم التي لا تجهل
وبها الجهاد مع الرّباط وانها ⁂ لبها الوقيعة لا محالة تنزل
من آل حام في أواخر دهرها ⁂ وشهيدها بشهيد بدر يعدل
شهداؤنا قـد فضّلوا بسعادة ⁂ وبها السرور لمن يموت ويقتل
يا أيها المدني ارضك فضلها ⁂ فوق البلاد وفضل مكة افضل
ارض بها البيت المحرّم قبلة ⁂ للعــالمين له المساجـد تعدل
حرمٌ حرامٌ ارضها وصيودها ⁂ والصيد في كل البلاد محلل
وبها المشاعر والمناسك كلهـا ⁂ والى فضيلتها البريّة ترحل
وبها المقام وحوض زمزم مترعاً ⁂ والحجر والركن الذي لا يجهل
والمسجد العالي الممجّد والصفا ⁂ والمشعران ومن يطوف ويرمل
هل في البلاد محلة معروفـة ⁂ مثل المعرّف اذ يحل محلل
او مثل جمع في المواطن كلها ⁂ اومثل خيْف ِ منىً بأرض منزل
تلكم مواضع لا يرى محرابها ⁂ إلا الدعاء ومحرمٌ ومحلل

شرفاً لمن وافى المعرّف ضيعة ... شرفاً له ولأرضه اذ ينزل
وبمكة الحسنات يضعف أجرها ... وبها المُسيء عن الخطيئة يُسئل
يجزي المسيء على الخطيئة مثلها ... وتضاعف الحسنات منه وتقبل
ما ينبغي لك ان تفاخر يا فتى ... أرضاً بها ولد النبي المرسل
بالشعب دون الروم مسقط رأسه ... وبها نشا صلي عليه المرسل
وبها أقام وجاءه وحي السما ... وسرى به الملك الرفيع المنزل
ونبوّة الرحمن فيها أنزلت ... والدين فيها قبل دينك اول
هل بالمدينة هاشمي ساكن ... او من قريش ناشيء او مكهل
إلا ومكة أرضه وقراره ... لكنهم عنها نبوا فتحولوا
فكذاك هاجر نحوكم لما أتى ... ان المدينة هجرة فتحملوا
فأجرتم وقريتم ونصرتم ... خير البرية حقكم ان تفعلوا
فضل المدينة بيّنٌ ولأهلها ... فضل قديم نوره يتهلل
من لم يقل ان الفضيلة فيكم ... قلنا كذبت وقول ذلك أرذل
لا خير فيمن ليس يعرف فضلكم ... من كان يجهله فلسنا نجهل
في ارضكم قبر النبي وبيته ... والمنبر العالي الرفيع الأطول
وبها قبور السابقين بفضلهم ... عمر وصاحبه الرفيق الأفضل
والعترة الميمونة اللاتي بها ... سبقت فضيلة كل من يتفضل
آل النبي بنوا عليّ انهم ... أمسوا ضياء للبرية يشمل
يا من تبضّ الى المدينة عينه ... فيك الصغار وصغر خدك أسفل
إنا لنهواها ونهوى أهلها ... وودادها حق على من يعقل
قل للمديني الذي يزداد دا ... ود الامير ويستحث ويعجل
قد جاءكم داود بعد كتابكم ... قد كان حبلك في اميرك يفتل
فاطلب اميرك واستزره ولا تقع ... في بلدة عظمت فوعظك افضل
ساق الإله لبطن مكة ديمة ... تروي بها وعلى المدينة تسبل

قلت : اذكر الجبل الأمين الذي هو ابو قبيس وكان اولاً اسمه الأمين . فإنه أودع الله فيه الحجر الاسود الى زمن ابراهيم عليه السلام . فلما بنى البيت ناداه الجبل ، لـك عندي وديعة مخبوءة من زمن الطوفان ، فأعطاه الحجر الاسود ، وانما حدث له اسم ابي قبيس برجل بنى فيه داراً يسمى ابو قبيس . فسمي به الجبل ، وكان اسمه الامين ، فغلبت عليه اسم ابي قبيس . واذكر سواد الحجر ، وصلابته ، وتعظيمه ، وتقبيله ، وفضل ما جاء فيه من كونه يمين الله ، والسجود عليه ، وغير ذلك . وعددها احد عشر بيتاً ، وهي :

وبالجبل الأمين يمـــين ربي ... قد اودعه به الروح الأمينُ
الى ان جــاء ابراهيمُ يبني ... مكان البيت ناداه الأمين
لديّ وديعة خُبئت زمانــاً ... مطهَّرة يقال لهـــا اليمين
فخذهــا يا خليل الله تربح ... فهذا السوق والثمن الثمين
وكبّر واستلم واسجد وقبّل ... ليشرف عند سجدتك الجبين
وقل هــذا اليمين يمين ربي ... وإني الوالهُ الدنِفُ الحزين
ينادي من طباق القرب عبدي ... أتاك المجـــدُ والعزّ المكين
ولبّتك المشاعر والمساعي ... وقال بفضلك البـلد الامين
ألا أيهـــا الحجرُ المعلّى ... تغيّر وجهك الغض المصون
سوادك من سويدا كل قلبٍ ... ويبسك من قساوتها يكون
يهون عليّ فيك سوادُ عيني ... اذا بخلت بأسودها العيون

ولنــا ايضاً في الحجر ومبايعته بالتقبيل . ونبّهت فيها على رتبة المعرفة والمعارف :

يمين المؤمن الركن اليماني ... أبايعه لأحظى بالأماني
يمين ما لها حجبٌ تعالت ... عن الحجّاب والحجب المباني

آمنتُ بلثمها من كل سوءٍ — يصيّرني الى دار الهوانِ
فانعم بالكثيب وساكنيه — على مرأى من الحور الحسانِ
تنادي من اريكتها تأملْ — جمالاً ما له في الحسن ثاني
فليس الزهد في الاكوان شيئاً — لأن الكون من سر العيانِ
فلا أنوي ولا أرعيه سمعي — فاحجب بالمغانِ عن المعاني

ولنا في الفرق بين داخل الكعبة وخارجها وما يتعلق من المعرفة بذلك:

ما داخل البيت مثل خارجه — يعمّـــه داخـــلاً برحمتهِ
وما خارج البيت ان نوى جهة — منه له مـــا نوى بهمّتهِ
مـــا يبتدي من سرّه علمٌ — إلا لمن يعترف بنعمتـــه
فاز بما في الغيوب من عجبٍ — مَن فاز من بيته بحرمته

وُجد بالمدينة ورقة طمست كتابتها إلا اربعة ابيات وهي :

دع الأتراك والعرَبا — وكنْ في حرب مَن غلبا
فقد قـــال الذين مضوا — الى رجَبٍ ترى العجبا
بمكة اصبحت فتنٌ — تجرّ الويل والخرَبا
وإنْ تعطب فوا أسفا — وإنْ تسلم فواعجبا

وأنشدني محمد بن ابي بكر لأبي النصير الأسديّ في الوطن :

أحبّ بلاد الله ما بين ضارج — الى قفواتٍ إذ تسحّ سحابُها
بلادٌ بها نيطت عليّ تمائمي — وأول ارضٍ مسّ جلدي ترابُها

ومن ذلك قول حبيب بن اوس :

كم منزل في الارض يألفه الفتى — وحنينه ابداً لأول منزلِ
نقـّل فؤادك حيث شئت مع الهوى — ما الحب إلا الحبيب الأولِ

شرح :

اول منزل حضرة الميثاق الاول حيث كان الصفا الذي لم يشبه كدر . فلما انتقلوا في الاطوار الوجودية ، تحنّ نفوس العارفين الى أوّليتها العليا . ومكانتها الزلفى ، وسدرتها المنتهى .

ومن سماعهم على قول ابراهيم بن صول :

باتت تشوّقني برَجع حنينها — وأزيدها شوقاً برجع حنيني
نضوين مفتريين بين مهامهٍ — طوّيا الضلوع على هوىً مكنونِ
لو سويلت عنا القلوص لاخبرت — عن مستقرّ صبابة المحزونِ

تفسيره :

حنين النفس للروح ، وحنينه لها نضوّين من عالم اللطف ، مفتريين وجودهم في عالم الابدان ، بين مهامه مقامات التبرّي ، طوايا الضلوع على لطف الهمم على الحب الخفي لو سويلت الخواطر على محل رقة العشق، لأخبرت بما هما عليه من الجوى ، والتلهف .

نصيحة عليم ومقالة حكيم :

روينا من حديث الدينوري عن يوسف بن عبد الله ، عن عثمان بن السمرقندي ، عن عوف ، عن الحسن ، انه قال : من استتر عن طلب العلم بالحياء لبس الجهل سربالاً ، فقطّعوا سرابيل الحياء ، فإنه من رقّ وجهه رقّ علمه . ومن حديثه ايضاً ، عن محمد بن يونس ، عن محمد بن الحارث ، عن المدائني ، قال : قال بعض الحكماء : لا تقل فيما لا تعلم ، تجهل فيما تعلم .

قال الدينوري : أنشدنا محمد بن صالح :

اصبر لكل مصيبةٍ وتجلد | واعلم بأن المرء غير مخلدِ
واصبر كما صبر الكرام فإنها | نوبٌ تنوب اليوم تنكشف في غدِ
واذا ذكرت مصيبة تشجى بها | فاذكر مصابك بالنبي محمد

ومن باب حنين الابل وسيرها قول الاديب مهيار الديلمي :

تمدّ بالآذان والمناخر | لحاجر كيف لها بحاجرْ
تقدّها عنه أحاديث الصبا | ولا نبات في الشحاب الباكر
ارض بها السابغ من ربيعها | او شوقها المكنون في الضمائر
وحيث دنّت ورنت بغامها | وبركت تفحص بالكراكر
فهل لها فهل لمن تحمله | من عاشق يحمله او زاجر
فإنها من حبها نجداً ترى | في عشب الفور شمار الغادر
يا ليت شعري والمنا تعلمه | هل بمنى لعهدنا من ذاكر
في الصوف والعرياء لي عندكم | قلب يصاح ما له من ناصر
أما قرى الباري الكريم او فردّوه الى أربابه بالحاضر

ومن هذا الباب :

يغرّها عن وردها بحاجر | شوق يعوق الماء في الخناجر
ورُدّها على الطوى سوابغاً | ذلّ الغريب وحنين الذاكر
مغرورة الأعين من أحبابها | بخالب الايماض غير ماطر

ومن هذا الباب :

أولى لها ان ترعوي نفارها | وان يقرّ بالحمى قرارها
ترعى وتروي ناضياً وناصعاً | وللرعاة بعدها اسارها

حتى تروح ضخمة جنوبها   وانمـــا يحضّنها أوبارها
وكيف لا وماء سلع ماؤها   معلوة والعلمان دارها

ومن هذا الباب :

دعوها ترد بعد خمس شروعاً   وارخوا ازمتها والنسوعا
وقولوا دعاء لها لا عقرت   ولا امتد دهرك إلا ربيعا
حملن نشاوى بكأس الغرام   وكل غدا لأخيه رضيعا
فأحيوا فؤادي ولكنهم   على صيحة البين ماتوا جميعا
حموا راحة البين أجفانهم   ولفّوا على الزفرات الضلوعا
أسكان رامة هل من قرىً   فقد دفع الليل ضيفاً قنوعا
كفاه من الزاد ان تمهدوا   له نظراً وحديثاً وسيعا

ومن هذا الباب :

حبّ اليها بالغضا مرتبعا   وبالنخيل مورداً ومشرعا
وبالأثيلات النقا ظلالاً   تفرشها كراكراً وأضلعا
متى لها لو جعل الدهر لها   ان تأمن المطرد والمزعزعا
عزّت فما زال بها جور النوى   والبيد حتى أُذعنت ان تخضعا
الله يا ساقيها فإنهـــا   جرعة خيف ان تجوز الاجرعا
اسل بها الوادي رفيقاً انما   يسيل منها أنفساً وأدمعا

ومن هذا الباب :

دعت من تبالة جعداً لفيفا   وسبطاً يرف عليها رفيفا
وحنّت لأيامها بالبطاح   فمدّت وراء ضليف ضليفا

وساق لها فارس الانتجاع | من حيث حنّت نميراً وديفا
تراود أيديها في الرّوبد | ويأبى لها الشوق إلا الوجيفا
فهل في الخيام على المأزمين | فلبّ يكون عليها عطوفا
وهل بان سلع على العهد منه | يحلو ثماراً ويدنو قطوفا

ومن هذا الباب :

ردّ لها خلفَ الغمام فسَقا | ومدمن ظلّ عليها ما وقا
فغنّ بالجرعاء يا سائقها | فإن وَنَت شيئاً فردها الابرقا
واعن عن السياط في ارجوزة | بحاجر ترى السهامَ المُرقا
وكلما تزجرها حداتها | رعى الحمى ربّ الغمام وسقا
حواملاً منها هموماً ثقلتْ | وأنفساً لم تبقِ إلا رمقاً
تحملنا وان وناء اوضنا | وان هيين أذرعاً وأسْوقا
دام عليها الليل حتى اصبحت | تحسب نحو ذات عرق مسعقا
وداميات لا يؤدين دماً | ولا يبالين أسال أم رقا
وقفن صفاً فرأين شوكاً | من القلوب فرمين طلقا
عرّج على الوادي فقل عن كبدي | للبان ما شئت الجوى والحرقا
واحجر على عينيك حفظاً أن ترى | غصنين منه دنيا فاعتنقا
فطالما استظللته مصطحباً | سُلافة العيش به مغتبقا

ولنا من هذا الباب فيما يستحسن من صفات النساء :

هي الغادة الخود البحيدات والرداح | خدلجة ممكورة ثغرها أقاح
وهركولة رعبوبة ثم بضّة | وهيفاء املود يمايسه الرياح
برهرهة ممسودة ثم طفلة | وعطبولة تزهو اذا ذكر الملاح

هي الرود والعطبول بهنانة ترى لها خفراً فهي النوار من السّفاح
وغانية غيظاء غيـدا خريدة كعوب من الاعراب خمصانة الوشاح
مهفهـة شنباء ممسولة اللمى مقبّلها عذب فقبّل ولا جناح

شرحه :

الغادة ، والأملود ، والرؤد ، والطـّفلة : بفتح الطاء كلها النـــاعمة . والخود: الحسنة الخلق. واليحيدات : التامّة القصب. والرداح : الثقيلة العجز والساقين . والأملودة : المطوية الخلق . والاقاح : نبات ابيض مشبه بالاسنان لبياضه . والهركولة: العظيمة الوركين . والرعبوبة : البيضاء الناعمة والبضة الرقيقة الجلد. والهيفاء : الضامرة البطن. ويمايسه: أي يمايله، مال الغصن إذ أماله الريح فمال. والبرهرة: الناعمة. والممسودة:الممشوقة وهي الطرية اللحم. والعطبولة:الطويلة العنق. والبهنانة: الطيبة الريح،وترى لها خفراً أي حياءً. والخفرة: الحيية . والنوار:النفور من الريبة ، ومنه النور سمي نوراً لأنه ينفر الظلمة . والسّفاح : الزنا ، يقول : إنها تنفر من مواضع الريب والغانية ذات الزوج تمدح به المرأة ، لأنها تستغني بجمالها وحسنها . والغيظاء : الطويلة . والغيد : التي في عنقهـا ميل عند الالتفات ، وهو مما يستحسن يصفها بلين العنق . والخريدة : مثل الخفرة وهي الحيية . والكعوب والناهد : التي صار نهدها كالكعب. والعَروب: ذات الحسن، فقوله: من الأعراب: من الحسان. والخمصانة : الضامرة ، وهي عكس المفاضة التي هي المسترخية البطن ، قـال امرء القيس :

مهفهفة بيضاء غير مفاضة ترائبها مصقولة كالسجنجل

الترائب:عظام الصدر. والسجنجل:المرآة. وخمصانة الوشاح : يعني لطيفة

الخصر. والمهفهفة: هي ضامرة البطن. والشنباء: التي لأسنانها بريق من صفائها. والشنب: بريق الاسنان. والظَّلم: الذي يُرى كالماء يجري في صفاء الأسنان. ومعسولة اللمى، وعذب المقبّل، باب واحد، يريد أن ريقها كالعسل.

ومما نظمناه فيما يستقبح من صفاتهن قولنا في ذلك:

هي العفضاج بهصَلة شريمُ وبحترة ومومسة تؤومُ
ورضعاء هي الرشحاء ايضاً وكرْواء ودفلسُ لا تقوم
وضهباء ولخنـاء عجوزٌ فمنظرها ومخبرهـا ذميم

قوله هي العفضاج: المسترخية البطن. والبهصلة: القصيرة. وكذلك البحترة، والشريم: هي التي يتوصل اليها من يريدها. والموسة: الفاجرة. والرضعاء، والرشحاء: الزلاّء. والكروى: الدقيقة الساقين. والدّفلس: الحمقاء. والضهباء: التي لا تحيض. واللخناء: المنتنة الريح.

ومما نظمنا فيما يستحسن من صفات الرجال قولنا في ذلك:

جوادٌ خضمّ أريحي حلاحل هضوم وصنديد همام سُميدع
اريبٌ سريّ لوذعيّ ومدرة منجد جحجاج زكي ومصقع
نهيك كمي رمى صمـة نهمة غشمشم شهمٌ باسل لا يروّع
اذا ذكر الأبطال في حومة الوغا هو الفحل إلّا أنه لا يزعزع

شرحه:

جواد: أي سخيّ. والخضم: الكثير العطية. والهضوم: الكثير الإنفاق. والأريحي: الذي يرتاح للعطاء. والحـلاحل: السيد الوقور. والصنديد: الرئيس العظيم، وكذلـك الهمام، والسُّميدع، والجحجاج، والسرى،

والآريب : العاقل. واللوذعيّ: الذكي القلب. والمدرة: رأس القوم، ولسانهم. والمنجد: الذي جرّب الأمور، وكذلك النحنك، والمصقع. البليغ : الفصيح. والنهيك : الشجاع ، وكذلك البطل. والكمي ، والدمي ، والصمة، والنهمة، والباسل . والغشمشم: الذي لا يرده شيء عما يريده. والشهم: الحديد القلب .

ومما نظمناه فيا يذمّ من صفات الرجال قولنا :

هذان نحيبٌ خبّأ الخربرم   وعتريف مجمع مائق ثم اميل
عيام وزميل وكلف ولعمط   وهلباجة غمرٌ وقدم وزمل
وفي خلقه لو تبتليه شراسة   ورعديد ما فوق وخب وأعزل

شرحه :

الهذان : الضعيف . وكذا الزمل ، والزميل ، والنحيب . والرعديد : الجبان . والخبا : مقصور الخبوب . والكلف والأميل: الذي لا يثبت على الخيل . والحز : البخيل . والبرم : اللئيم . والعتريف : الخبيث . والمجمع : والعدم . البعيد الفهم : والمائق. المدله العقل : وقد يكون من العشق والعبام الثقيل الجاهل . واللعمط : الحريص . والشراسة : سوء الخلق . والرجل شرس ، والمأفون : الضعيف العقل ، والرأي . والخب : المخادع . والأعزل: الذي لا سلاح معه .

ولنا في اللطائف الروحانية ، والإشارات العلوية :

حملن على اليعملات الخدورا   وأودعن فيها الدما والبدورا
وأوعدنَ قلبي أن يرجعوا   وهل تعِدُ الخودُ إلا غرورا
وحيث بعثنا بهـا للوداع   فأذرت دموعاً تهيجُ السعيرا

فلما تولت وقـــد يممت ... تريـــد الخورنق ثم السريرا
دعوت ثبوراً على أثرهم ... فردّت وقالتْ أتدعو ثبورا
فلا تدعون بهـــا واحداً ... ولكننا أدعو ثبوراً كثيرا
ألا يا حمـــام الأراكِ قليلاً ... فمـــا زادك البين إلا هديرا
ونوحك يا أيّهذا الحمـــام ... يُثـــيرُ المشوق يهيج الغيورا
يذيبُ الفؤاد بذود الرقـــاد ... يضاعفُ أشواقنا والزفـــيرا
يحومُ الحمامُ لنوح الحمـــام ... فنسأل منـــه البقاء يسيرا
عسى نفحة من صبا حـــاجرٍ ... تسوق الينا سحابـــاً مطيرا
نروي بهـــا انفساً قد ظمئن ... فمـــا ازداد سحبك إلا نفورا
فيا راعي النجم كن لي نديماً ... ويا ساهر البرق كن لي سميرا
ويا راقـــد الليل هنّيتهُ ... فقبل الممات عمرت القبورا
فلو كنت تهوى الفتاة العروب ... لنلت النعيم بهـــا والسرورا
تعاطى الحسان خمور الخمـــار ... تناجي الشموس تناغي البدورا

وصية نافعة نبوية :

حدثنا عبد الواحد بن اسماعيل بن ابراهيم ، عن ابيه ، عن عمر بن عبد الجيد ، عن احمد بن محمد ، عن ابي نصر بن علي ، عن محمد بن احمد ، عن ابي الحسن الحافظ ، عن ابن درستوية ، عن علي بن عبد العزيز ، عـن ابي عبيد القاسم بن سلام ، عن عبد الله بن المبارك ، عن محمد بن ابي عدي، عن عبدالله ابن مرّة ، من ابي الدرداء ، قال : قال رسول الله ﷺ : توبوا الى الله قبل أن تموتوا ، وبادروا بالأعمـــال الصالحة قبل أن تشغلوا ، وصلوا الذي بينكم ، وبـــين ربكم ، تسعدوا ، واكثروا الصدقة ، ترزقوا . وأمروا بالمعروف ، تخصبوا وانهوا عن المنكر تنصروا ، أيهـــا الناس : اكيسكم اكثركم للموت

ذكراً ، وأحزمكم ، احسنكم له استعداداً . الأوان من علامات العقل، التجافي عن داعي الغرور، والإنابة الى دار الخلود، والتزود لسكنى القبور ، والتأهب ليوم النشور .

ومن باب الشكوى :

ومن عجب اني أحنُّ اليهم ... وأسألُ شوقاً عنهم وهم معي
ومسكنهم عيني وهم في سوادها ... وتشتاقهم نفسي وهم بين أضلعي

ولنا نظم ما يسمى به الرجل زوجته ه :

اذا قمت أدعو في اللبانة زوجتي ... أنادي بأسماءٍ لهـا في صحيفتي
خليلي عرسي جنتي وضعينتي ... رياضي وبيتي ظلتي وقعيدتي

ومما يكتبُ على القبر :

كنا على ظهرها والدهر في مهل ... والعيش يجمعنا والدار والوطن
ففرّق الدهرُ بالتصريف الفتنا ... فصار يجمعنا في بطنها الكفن

ومن ذلك اقول :

اقول وقد فاضت دموعي جمّة ... أرى الأرض تبقى والإخلاء تذهب
إخلاي لو غير الحمام أصابكم ... عتبتُ ولكن ما على الموت معتب

ومن ذلك :

عشتُ دهراً في نعـــيم ... وسرور واغتبـــاط
ثم صار القـــبر بيتي ... وثرى الأرض بساطي

ومن ذلك :

أيهـــا الواقف بالقبـ ـر عشاءً وسحر
ان في القبر عظاماً باليـــاتٍ وعـــبر

حدثنا محمد بن اسماعيل ، عن الجمال بن علي ، عن ابن دينار، عن اسمعيل ابن محمد ، عن عبد العزيز بن احمـــد ، عن عبد الله بن محمد ، عن ابي سعيد الثقفي ، عن ذي النون ، قال : بينما انا اطوف بالبيت . وقد نامت العيون ، وإذا بشخص قد حاذى باب الكعبة وهو يقول : رب عبدك المسكين الطريد الشريد ، اسألك بالعُصبة التي منذتَ عليهم ، ومننتَ عـليّ برؤيتهم ، ألا أعطيتني ما أعطيتهم ، وسقيتني مــا أسقيتهم بكأس حُبك ، وكشفت عن قلوبهم أغطية الجهالة ، والحجب . فاكشف عن قلبي أغطية الجهالة والحجب، حتى تطير روحي بأجنحة الشوق اليك ، وأناجيك في رياض بهائك . ثم بكى حـــتى سمعت لدموعه وقعاً على الحصى . ثم ضحك قهقهة ، ومضى فتبعته ، وأنا اقول : اما مجنون ، وأما عارف. فخرج من المسجد وأخذ نحو خرابات مكة ، فالتفت فرآني ، فقال : ارجع يا ذا النون ، ألــك شغل ؟ قلت : من انت ؟ ومن القوم الذين سالت بحرمتهم ؟ قــال : قوم ساروا الى الله سير من نصب المحبوب بـــين يديه ، وتجرّدوا تجرّد من أخذته الربانية بحقوبه ، وأججت النار من أجله ، وقامت عليه قيامة الشقاء ، وهو مطلوب .

وحدثنا ابو محمد بن يحيى ، عن ابن منصور ، عن شجاح بن فارس ، عن هناد ، عن محمد بن علي ، عن احمـد بن محمد ، عن صالح بن محمد ، عن حمزة البرقي ، عن علي بن يعقوب ، عن محمد بن حسين ، عن ابن الشمطي ، قال : حججت في سنة جديدة، فبينما أنا أطوف بالكعبة ، إذ بصرت بجـــارية من

أحسن الناس وجهاً ، وهي تتعلق بأستارِ الكعبة ، وتقول : إلهي وسيدي أنا امتك الغريبة ، وسائلتك الفقيرة ، حيث لا يخفى عليك مـــكاني ، ولا يستتر عليك سوء حالي ، قد هتكت الحاجة حجابي ، وكشفت الفاقة نقابي ، وكشفت لها وجهاً عند الذل ، وذليلاً عند المسئلة طال ، وعزّتك ما حجبه ماء الغنى ، وصانه ستر الحياة ، قد جمدت عني أكف المرزوقين ، وضاقت بي صدور المخلوقين ، فمن حرمني لم ألمـــه ، ومن وصلني وكلته الى مكافآتك . فدنوتُ منها ، وقلتُ لهـا : من أنت ، وممن أنت ؟ فقالت : اليك عني ، من قلّ ماله ، وذهبت رجاله ، كيف يكون حاله ؟ ثم انشدت :

بعض بنات الرجال أبرزها الد ... هرُ كما ترى وأحوجها
أبرزهـا من جليل نعمتها ... وابتزّها ملكها واخرجها
وطالمـا كانت العيون اذا ... ما بدت تستشفّ هودجها
إن كان قد ساءها وأحزنها ... فطالما سرّهـــا وأبهجها
الحمـــد لله ربّ معسرة ... قـد ضمن الله ان يفرّجها

قال : فسألت عنها ، فأخبرت انهـا من ولد الحسين بن علي رضوان الله عليهما .

وأنشدنا ابو الربيع بن خليل لأبي الفرج بن الجوزيّ الإمام الحافظ :

يا رفيقيّ قفا وانتظرا ... إن عيني لدموعي لا ترى
هل خبت نارهم او وقدت ... او جرى واديهم او اقفرا
إن قلبي فاته شرب الحمى ... فهو لا ينفعه ان يمطرا
آه من طيب ليالٍ سلفت ... كان كل الدهر فيها سحرا
أترى يرجع لي دهر مضى ... أترى ينفعني قولي ترى

وأنشدنا له ايضاً :

هل عند ربع عفا خبرٌ من الخبر　　من أين يعلم قفرٌ دارس الأثر
دع ماء عينيك واحلل من مرادمه　　فإنما خلقتْ للدمع والسهر
خلفت قلبي في الاضعان إذ نزلت　　بالأذمين زمان النفر بالنفر
ورحتَ تطلبُ في ارض العراق ضحىً
ما ضاع عند منىً واعجب لذا الحوَر
لما طرقتُ النقا كان الفؤاد معي　　فضلَّ عني بين الضال والسمر
يا ارجل العيس يهنيك الرمال فما　　أعدو بوجدي غداً إلا على الأثر
عجبت من أرقٍ في الحي أزعجني　　فجاد جفني قبل الغيم بالمطر
قصائدي بدء آياتٍ وقد نزلت　　ريف العراق فنالت رقّة الحضر
طبع الرضي وعلم المرتضى جمعا　　في لفظ شعري وفحواه الى عمر

وأنشدنا له ايضاً :

الى كم اسائل هذي المغاني　　لقد نطقت لو فهمت المعاني
فما لك شغل بما انت فيه　　من الوجد عن ذكر ماضي الزمان
وكيف ووجدي لذكراك كأن　　أعاني لتذكاره ما أعاني
قفوا بي أحيي كثيب النقا　　فإن الكثيب لمن تعلمان
بكيت لمرّ زمان مضى　　فعين السماك او المر زمان
أنيسي لرامة عهد الحمى　　دعاني فوجدي به قد دعاني

وأنشدنا له أيضاً :

اذا جزتَ بالغور عرّج يميناً　　فقد انجد الشوق عنا يمينا
وسلّم على بانة الواديين　　فإن سمعت اوشكت ان تبينا

وملْ نحو غصن بأرض النقــا		وما يشبه الأيك تلك الغصونا
وصِحْ في مغـــانيهم أين هم		وهيهات أموا طريقاً شطونا
وروّ ثرى ارضهم بالدموع		وخلّ الضلوع على مــا طوينا
أراكَ يشوقك وادي الأراك		اللدّار تبكي ام الساكنينا
سقى الله مربعنـــا بالحمى		وإن كان اورث داءً فينــا
وعــاد له فوق داء المحب		رويداً رويداً بنا قد بلينا
لمن تعذلين ألا تعـــذرين		فلو قد نفعتِ دفعتِ الأمينا
اذا غلب الحب ضـــاع العتــــاب
تعبت [1] بقيت وأيقنت وأتعبت لو تعلمينا

حكى بعض السادة ، قال : خرجت حاجاً الى بيت الله الحرام ، فإذا أنا بسعدون المجنون قـد تعلق بأستار الكعبة ، يدعو ويتضرع ، ويقول : مَن أولى بالتقصير مني؟ وقد خلقتني ضعيفاً . ومَن أولى بالعفو منك؟ وأنت مولاي . قال : فدنوت منـه فإذا عليه جبة من صوف مرقعة بالأديم ، واذا على كمه الايمن مكتوب :

عصيتَ مولاك يا سعيدُ		ما هكذا تفعل العبيدُ
فراقب الله واخشَ منه		يا عبد سوءٍ غداً الوعيدُ

وعلى كمه الأيسر مكتوب :

يا مَن يرى باطن اعتقادي		ومنتهى الأمر في فؤادي
أصلح فساد الأمور مني		ولا تدَع موضعَ الفسادِ

فقلت : يا سعدون ، أنى الك هذه الحكمة والناس يزعمون انك مجنون ؟ فولّى وهو يقول :

---

(١) في نسخة : بقيت وايقنت .

زعمَ النـاسُ انني مجنون كيف أصحو ولي فؤادٌ مصونُ
أَلِفَ الحزن والبكا في الدياجي فهـو بالله مشفق محزون

ثم غاب عني . حدثنا احمد بن محمد كتابةً ، حدثنا محمد بن علي ، ثنا علي ابن محمد بن علي بن الطيب ، حدثنا ابن الهادي ، ثنا احمد بن سلام ، ثنا احمد ابن منيع ، ثنا ابو معاوية ، عن سليمان بن ابراهيم ، عن ابي صالح ، عن ابي سعيد الخدري ، قال : قال رسول الله ﷺ : لا خير في العيش إلا لعالم ناطق ، او مستمع واعٍ . أيها الناس : انكم في زمان هدنة ، وإن السير بكم سريع، وقد رأيتم الليل والنهار كيف يبليان كل جديد ؟ ويقربان كل بعيد ، ويؤتيان كل موعود ؟ فقال له بعض أصحابه : يا نبي الله ، وما الهدنة ؟ قال : دار بلاءٍ وانقطاع ، فإذا إلتبست عليكم الأمور كقطع الليل المظلم ، فعليكم بالقرآن ، فإنه شافعٌ مشفع ، وشاهدٌ مصدّق ، فمن جعله امامه ، قاده الى الجنة ، ومن جعله خلفه ، ساقه الى النار ، هو اوضح دليل الى خير سبيل ، من قال به ، صدق ، ومن عمل به ، أجر ، ومن حكم به ، عدل .

ومن وقائع بعض الفقراء الى الله تعالى ما حدثنا به عبد الله بن الاستاذ ، قال : رأى في واقعته بعض اصحابنا الشيخ أبا مدين ، وبعض الصوفية ، فسأله عن همته ، فقال : همتي بـه متعلقة ، وحقيقتي بنور جلاله مشرقه ، حضرته موضع انسي ، وملاحظة جماله عمرت حسي ، فالمحسوسات متحركة بأمر الأمراء ، والأمر صادر عن حكم القادر ، فأحكامه سبحانه جارية على وفق سابقته في خلقه ، وعلى حكم ما قدّره في الأزل ، لا يتغير ولا يتبدل ، فكل ناطق به نطق ، وكل سامع به سمع ، وكل بصير به أبصر، وكل باطش به بطش ، فكل الحركات والسكنات له شاهده وما أمره فيها إلا واحده ،

فاختراعه للوجود من العدم ، تذكرة ، وبيان ، ورحمـــة منه ، وفضل ، وامتنان ، وهل جزاء الإحسان إلا الإحسان ؟

ثم قـــال : إسمع ، ليس الانسان إلا أن يصفي قلبه ، ويعلـّق خاطره ويحضر لبّه ، فيعثر على قول سيد البشر ﷺ . من عرف نفسه عرف ربه . فهذا اقصى درجات السر والعلن ، واليه الإشارات من جانب الطور الأيمن . فإذا صحت هذه المعرفة ، وصلت الى المعروف . وإذا نظرت الى غير هذا كنت المحير المتلوف، فهذه فروع تعرب لك عن اصولها ، وجمل تنزل بك عن فصولها . وتقرع سمعك بأطنابها . وأتوا البيوت من ابوابها فأتيان البيوت من ابوابها واجب والخلق حول البيت محجوب وغائب . فمن شأنه سبحانه ظهور الأسباب . وكل ما سواه جلـّت قدرته حجاب . فكل من كشف له هذا الغطاء ، فقد أجزل له في العطاء .

ثم قال ابو مدين رضي الله عنه : يا من هو سري ، ويا من هو جهري ، ويا من به نفعي ، ويا من بـه ضري ، ويا من به أقيم ، ويا من به اسري ، فأمنن عليّ بقرب تلم به فقرى .

دعاء بعض من تحجب عن الأبصار :

حدثنا يونس بن يحيى ، ثنا محمد بن ناصر، أنا ابن المبارك بن عبد الجبار ، أنا محمد بن عـلي بن الفتح ، أنا ابن اخي تميم ، ثنا ابن صفوان ، ثنا ابو بكر القرشي ، ثنا اسمعيل بن ابراهيم ، حدثني صالح المري ، عـن عبد العزيز بن ابي داود ، انـــه كان خلف مقام ابراهيم عليه السلام جالساً تجاه الكعبة ، فسمع داعياً يدعو بأربع كلمات ، فحفظها اعجاباً بها والتفت ان يرى احداً فلم يرَ احداً ، وهي : اللهم فرّغني لما خلقتني له ، ولا تشغلني بما خلقته لي ، ولا تحرمني وأنا اسئلك . ولا تعذبني وأنا استغفرك .

خبر الذئب الذي شهد برسالة سيدنا محمد ﷺ :

روينا من حديث احمد بن عبد الله ، عن محمد بن ابراهيم ، ثنا ابو عروبة الحرّاني عـن يزيد بن محمد ، عن ابيه ، عن معقل بن عبيد الله ، عن ابن ابي حسين ، عن شهر بن حوشب ، عن ابي سعيد الخدري رضي الله عنه عن النبي ﷺ . قال : بينما اعرابي في بعض نواحي المدينة في غنم له ، إذ عدى ذئب عليه ، فأخذ شاةً من غنمه ، فأدركه الاعرابي ، فاستنقذها منه وهجهجه ، فعدا الذئبُ يمشي، ثم أقعى مستثفراً بذنبه، فقال : أخذت مني رزقاً رزقنيه الله ، قـــال : وأعجباً من ذئب مقع مستثفر بذنبه يخاطبني ، فقال : والله إنك لتنظر أعجب من ذلك ، قال : وما اعجب من ذلك . فقال رسول الله ﷺ : في التحلات بين الحرّتين، يحدث الناس عن نبأ ما سبق، وما يكون، بعد ذلك . فنعق الاعرابي بغنمه حتى ألجاها الى بعض المدينة ، ثم مشى الى النبي ﷺ حتى ضرب عليه الباب ، فلما صلى النبي ﷺ ، قال : ابن الاعرابي صاحب الغنم ، فقام الاعرابي ، فقال له النبي ﷺ : حدّث الناس بما سمعت، وما رأيت ، فحدّث الاعرابي الناس بما رأى من الذئب ، وسمع ، فقال النبي ﷺ : صدق الاعرابي ، آيات تكون قبل الساعة ، والذي نفسي بيده ، لا تقوم الساعة حتى يخرج احدكم من اهله ، فتخبره نعله ، او سوطه ، او عصاه بما أحدث اهله بعده .

دحى الله الارض من تحت الكعبة :

روينا من حديث ابي الوليد محمـد بن عبد الله بن احمد بن محمد بن الوليد الأزرقي ، عن جده ، حدثنا سعيد بن سالم ، عن طلحة بن عمرو ، عن عطاء عن ابن عباس، انه قال : لما كان العرش على الماء، قبل ان يخلق الله السموات

والأرض ، بعث الله ريحاً هفافة ، فصفقت المـــاء ، فأبرزت ، فأبدت عن خسفة في موضع البيت ، كأنها قبـــة ، فدحا الأرض من تحتها فمادت ، ثم مادت ، فأوتدها الله بالجبال ، فكان اول جبل وضع فيها ابو قبيس ، فلذلك سميت مكة ام القرى .

حسن عفو واعتراف :

روينا من حديث يوسف بن عبد الله ، عن عثمان بن الهيثم ، عن عوف ، قال : شم رجل الحسن ، وأربى عليه ، فقال : امـا أنت فأبقيت شيئاً ، وما يعلم الله اكثر . وأنشد لبعض الشعراء :

لن يدرك المجد اقوامٌ ذوو كرمٍ حتى يذلوا وأن عزوا لأقوامِ
ويشتموا فترى الألوان مشرقةً لأصفح ذلّ ولكن صفح احلام

في تقلب الأحوال وما تأتي به الأيام والليالي :

فيومٌ علينا ويومٌ لنا ويومٌ نساءُ ويوم نسرُّ

روينا من حديث ابي الدنيا ، عـــن ابي زيد النمري عن ابي عبد الله ، أنشد لبعض الشعراء :

وليس الرزق في طلب حثيثٍ ولكن ألق دلوك في الدلاءِ
تجيءُ بملئهـا طوراً وطوراً تجيءُ بحماةٍ وقليل مـــاءِ

كلمة لقمانية في النجاة :

روينا من حديث ابراهيم الحربي ، عن ابي حُذيفة ، عن سفيان ، قال :

سئل لقمان الحكمة ، أي علم أوثق في نفسك ؟ قال : تركي مـــا لا يعنيني . وقد ورد بذلك الشرع ، من حسن اسلام المرء تركه ما لا يعنيه .

همة عليّة ويدٌ علوية :

روينا من حديث احمد بن محمد الواسطي . عن ابي حسق ، عن خلف بن تميم ، قـال التقى ابراهيم ابن أدهم : وشقيق بمكة ، فقال ابراهيم : لشقيق ، ما بدء امرك الذي بلغك هذا ؟ قال : مررت ببعض الفلوات ، فرأيت طيراً مكسور الجناحين في فلاة من الأرض ، فقلت : انظر ، من أين يُرزق هذا؟ فقعدت بحذائه ، فإذا أنا بطير قد أقبل في منقاره جرادة ، فوضعها في منقار الطير المكسور الجناحين . فقلت لنفسي : يا نفسُ ، ان الذي قيّض هـــذا الطير الصحيح ، لهذا الطير المكسور الجناحين ، في فـلاةٍ من الأرض ، هو قـــادرٌ أن يرزقني حيث كنت ، فتركت التكسب ، واشتغلت بالعبادة . فقال ابراهيم : يا شقيق، ولم لا تكون انت الطير الصحيح الذي اطعم العليل حتى تكون افضل منه ؟ اما سمعت عن النبي ﷺ : اليد العليا خير من اليد السفلى . ومن علامة المؤمن أن يطلب أعلى الدرجتين في اموره كلهـــا حتى يبلغ منازل الأبرار . قال : فأخذ بيد ابراهيم فقبّلها ، وقال: انت استاذنا يا أبا اسحاق .

امثال منظومة ومنشورة كاللآلىء :

كان رسول الله ﷺ يتمثل بهذا البيت ، ويكسره عن وزنه ، فيقول :

كفى الاسلام والشيب للمرء ناهيا .

روينا من حديث النضر بن عبد الله ، عـن سليمان بن حرب ، عن حمّاد ابن سلمة ، عن علي بن زيد ، عن الحسن ، ان رسول الله ﷺ ، وذكره ، والشعر لعبيد بن الخشخاش ، وكان يتمثل به ابو حصين :

هريرة ودع ان تجهزت غـاديا   كفى الشيب والاسلام بالمرء ناهيا

وروينا ذلك من حديث الحارث ، عن احمد بن عبد الله بن يونس ، عن ابن شهاب ، عن ابي حصين . وكان بكار بن مالك يقول : في هـذه الآية ، وجاءكم النذير انه الشيب ، ثم ينشد :

رأيت الشيب من نذر المنايا   لصاحبه وحسبك من نذير

وروينا ذلك من حديث اسماعيل بن اسحاق ، عن محمـــد بن ابي بكر المقدسيّ ، عن حصين بن نمير ، عن بكار بن مالك .

مثل :

ويأتيك بالأخبار من لم تزوّد . هـذا البيت لطرفة بن العبد ، وصدره : ستبدي لك الايام ما كنت جاهلا .

مثل :

وعند جهينة الخبر اليقين . وهو رجل من جهينة ، مـــا يسلم من جيش السفيانيّ الذي يخسف به بين مكة والمدينة إلا هذا الجهني .

مثل :

حسنٌ في كل عين من تودّ . ويقال : القرينا في عين أمها حسنة .

مثل :

يقال : أطمع من اشعب . ويقال : أحذر من غراب . ويقـال : أشغل من ذات النحيَين . ويقال : الصيف ضيّعت اللبن . ويقال : اقبح من عاشق مفلس . ويقال : اقبح من كل قبيح صوفي شحيح . ويقـال : أوفى من السمؤل . وأخطب من قسّ . وأفصح من سحبان . وأعيـــا من باقل . وأبخل من مادر . وأشأم من قاذر ، يعني عاقر ناقة صالح . ويقال : اكرم من حاتم ، ومن معن بن زائدة . وأزكى من اياس . وأحكم من الاحنف . وأجود من الريح والغمام . ويقال : لو صحّ منـك الهوى ارشدت للحيل . ويقال : ولا خير في حب يدبّر بالعقل . ويقال: الحب للنفوس من العقول . ويقال : كل البقل ولا تسأل عن المبقلة .

نظمه أبو بكر النويمي ّ وأنشدني إياه بمكة :

كل البقل منحيث تؤتى به ولا تسألنّ عن المبقلهْ

وأنشدني ايضاً لنفسه :

إن الفقير هو الفقيه وأنه الراء رُدّت فالتقىطرفاها

وقيل :

ألا كل شيء ما خلا الله باطل وكل نعيم لا محـالة زائل

وقيل :

أرى الطريق قريباً حيناسلكه الى الحبيب بعيداً حين انصرف

وقيل :

اذا لم يكن في الحب سخط ولا رضىً
فـــأين حــلاوة الرسائل والكتب

وقال آخر :

كأنما الطيرُ منهم فوق رؤسهم لا خوف ظلم ولكن خوف إجلال

ويقال : كلا طرفي قصد الأمور ذميم . نظمته فقلت :

جرى مثلٌ دلّ السماع مع الحجا عليه على مرّ الزمان قديمُ
توسط اذا ما شئت امراً فإنه كلا طرفي قصد الأمور ذميمُ

أردتُ بالسماع خير الأمور اوسطها ، وما ورد في القرآن من ذلك .

حكمة اديب ونصيحة لبيب :

إياك وصحبة الملوك ، فإنك إن لازمتهم ملّوك ، وإن تركتهم أذلّول . يستعظمون في الثواب رد الجواب ، ويستصغرون في العقاب ضرب الرقاب .

قال الحكيم : مثل السلطان ، مثل النار ، لا ينتفع به إلا على بعد .

خبر البيت المعمور :

اختلف الناس فيـه ، فقيل : هو في السماء السادسة ، وقيل : في السماء السابعة . وقال ابن عباس : البيوت اربعة عشر بيتاً ، لو سقط الأعلى منها ، لسقط على الذي تحته ، وكذلك، كل بيت منها في السبع سماوات ، والسبع أرضين . وأن الله خلق لها خلقاً يطوفون بهـــا على صورنا ، حتى أن فيهم ابن عباس مثلي ، وهذا البيت المعمور ، يدخله كل يوم سبعون الف ملك ، لا يعودون فيه ابداً . روينا ذلك في الحديث الصحيح .

وذكر شيخنا ابو زيـد السهيلي الضرير المالقي ، في الروض الآنف له في شأن هؤلاء السبعين الف ملك الذين يدخلون البيت المعمور، في حديث رويناه عنه ، يبلغ بـه النبي ﷺ : ان جبريل عليه السلام ، ينغمس كل يوم في نهر الحياة غمسة، ثم ينتفض فيقطر من انتفاضه من ذلك الماء سبعون الف قطرة، يخلق الله من كل قطرة ملكاً ، فهم الذين يدخلون البيت المعمور كل يوم .

روينا من حديث ابي الوليد ، قال : حدثنا علي بن هارون العجلي ، عن ابيه ، ثنا قاسم بن عبد الرحمن الانصاري ، حدثني محمد بن علي بن الحسين ، قـــال : كنت مع والدي علي بن الحسين عليهم السلام ، فبينما هو يطوف بالبيت ، وأنا وراءه ، إذ جاءه رجل شرجم من الرجال ، يقـــال له : طويل ، فوضع يده على ظهر ابي ، فالتفت ابي اليه ، فقـــال الرجل : السلام عليك يا ابن بنت رسول الله ، أريد ان اسألك ، فسكت ابي ، فردّ عليه السلام ، فقال : يا ابن بنت رسول الله اريد أن اسألك ، فسكت ابي ، وأنا والرجل خلفه حتى فرغ من اسبوعه ، فدخل الحجر ، فقـام تحت الميزاب ، فقمتُ انا والرجل خلفـــه ، فصلى ركعتي اسبوعه ، ثم استوى قاعداً . فالتفت اليّ فقمتُ فجلستُ الى جنبه . فقال : يا محمد أين هـــذا السائل ؟ فأومأتُ الى الرجل ، فجاء فجلس بـين يديّ ابي ، فقال له ابي : عمّ تسألُ ؟ قال : اسألك عن بدء هذا الطواف بهذا البيت ، لم كان ؟ وأنى كان ؟ وحيث كان ؟ وكيف كان ؟ فقال له ابي : نعم ، من اين انت ؟ قال: من اهل الشام . قال : اين مسكنك ؟ قال : في بيت المقدس . فقال : هل قرأت الكتابين ؟ يعني التوراة ، والانجيل ، قال الرجل : نعم . قال ابي : يا اخا اهل الشام احفظ ، ولا ترو ِ عني إلا حقاً . أما بدء هذا الطواف بهذا البيت ، فإن الله تعالى قال للملائكة : اني جاعل في الارض خليفة ، فقالت:

أي رب خليفة من غيرنا ، ممن يفسد فيها ، ويسفك الدماء ، ويتحاسدون ، ويتباغضون ، ويتباغون . أي رب اجعل ذلك الخليفة منا فنحن لا نفسد فيها ، ولا نسفك الدماء ، ولا نتباغض ، ولا نتحاسد ، ولا نتباغى ، ونحن نسبح بحمدك ، ونقدّس لك ونطيعك ولا نعصيك قال الله تعالى : اني اعلم ما لا تعلمون . فظنت الملائكة انما قالوا ردّاً على ربهم . وإنه قد غضب من قولهم . فلاذوا بالعرش ورفعوا رؤوسهم وأشاروا بالأصابع يتضرّعون ويبكون إشفاقاً لغضبه . فطافوا بالعرش ثلاث ساعات فنظر الله اليهم فنزلت عليهم الرحمة فوضع الله سبحانه وتعالى تحت العرش بيتاً على اربع اساطين من ذبرجد ، وغشاهن بياقوته حمراء ، وسمّى البيت الضراح . ثم قال الله عزّ وجل للملائكة : طوفوا بهذا البيت ، ودعوا العرش . قال : فطافت الملائكة بالبيت وتركوا العرش وصار اهون عليهم ، وهو البيت المعمور الذي ذكر الله عزّ وجل يدخله كل يوم وليلة سبعون ألف ملك لا يعودون فيه ابداً ، ثم إن الله تعالى بعث ملائكته ، فقال : ابنوا لي بيتاً في الأرض بمثاله وقدره . فأمر الله من في الأرض من خلقه أن يطوفوا بهذا البيت كما يطوف اهل السماء بالبيت المعمور . فقال الرجل : صدقت يا ابن بنت رسول الله هكذا كان ، فهذا البيت الذي هو خامس خمسة عشر بيتاً ، اعني الكعبة ، سبعة فوقه ، وسبعة تحته ، وما نزل ملك قط من السماء الى الأرض لأمر إلا استأذن ربه في الطواف ببيته ، فهبط مهلّلا .

افصاح معجز بوعظ معجز :

روينا من حديث ابراهيم الحربي ، حدثنا داود بن رشيد ، قال : دخل ابن السماك على هارون الرشيد ، فقال : عظني ، وأوجز ، قال : ما اعجب

يا امير المؤمنين ما نحن فيه ، كيف غلب علينا حب الدنيا ؟ وأعجب مـــا نصير اليـــه ، غفلتنا عجيب ، لصغير حقير ، الى فناء يسير غلب على كثير طويل ، دائم غير زائل .

دعاء عبد مبتهل لرب عز وجل :

روينا من حديث عبد الله بن مسلم ، قال : حدثنا الرياشي، قال : حدثنا الأصمعي ، قال : رأيت اعرابياً عند الملتزم يقول : اللهم لك عليّ حقوق ، فتصدّق بها عليّ وللناس عليّ تبعات ، فتحملها عني . وقـــد اوجبت لكل ضيف قرى ، وأنا ضيفك ، فأجعل قرائي الليلة الجنة .

نطق بكلمة صدق :

روينا من حديث ابراهيم ابن حبيب الحمامي ، عن عتبة بن الوليد ، قال: كانت امرأة من التابعين تقول : سبحانك ما اضيق الطريق على من لم تكن دليله ، وما اوحش الطريق على من لم تكن انيسه .

بكاء مفرط غير مفرط :

روينا من حديث العباس بن الفضل ، حدثنا داود بن رشيد قال : قـــال بشر بن الحارث : مررت على رجل من العباد بالبصرة ، وهو يبكي ، فقلت: ما يبكيك ؟ قال : ابكي على ما فرط من عمري ، وعلى يوم مضى من اجلي، لم يحسن فيه عملي .

موعظة اضطرار عند شد الاستار :

روينا من حديث احمد بن عبدان ، قال: حدثنا محمد بن منصور البغدادي

قال : دخلت على عبد الله بن طاهر ، وهو في سكرات الموت، فقلت السلام عليك ايها الأمير ، فقال : لا تسمني اميراً ، وسمني اسيراً ، ثم انشأ يقول :

بادرْ فقد أسمعك الصوت ان لم تبادر فهو الفوت
من لم تزل نعمته قبله أزال عنه النعمة الموت

لكل مقام مقال :

اخبرني احمد بن مسعود بن شداد المقري بالموصل ، قال : كان لي صاحب يقال له علي الدهان ، يمر بي كل ليلة بعد هزيع من الليل، وأنا بهذه المنظرة . وكان على شاطىء الدجلة ، فينادي : يا زكي ، فأقول : لبيك . فيقول : ما أحسن ما قال :

بالله يا ركبَ الحجاز تحمّلوا مني تحية مغرمٍ مشتاق
وقفوا على شاطىء الفرات وخبروا اني قتيل محاجر الاحداق

قال ابن مسعود : فلم يلبث ان مات فرأيته في المنام ، فقلت له : يا علي ما احسن ما كنت تأتيني في حياتك كل ليلة ، فتنشدني . وأنشدته البيتين ، فتبسم ، وقال : يا زكي لو سمعتني كيف انشدهما اليوم ؟ فقلت : وكيف تنشدهما رحمك الله ؟ فقال :

بالله يا ركبَ الحجاز تحمّلوا مني تحية مغرمٍ مشتاق
وقفوا على شاطىء الفرات وخبروا اني رهينُ جنادلٍ وطباق

حالة تلحق الرجال والنساء حالة سواء :

روينا من حديث احمد بن محمد المزنيّ ، عن محمد بن كثير ، عن سفيان بن

طلحة ، عن الشعبيّ ، في رجل اوصى لأرامل بني فلان ، قال : الرجـال ، والنساء ، فيه سواء . ثم قال سفيان الثوري :

تلك الأرامل قد قضيت حاجتها　　　فمن لحاجة هذا الأرمل الذكر

خليفة عدل قضاء واجب حق وفضل :

رحّب رسول الله ﷺ بابنة نبيٍّ كان قبله يقـال له : خالد بن سنان ، قال لها حين علم بها : مرحباً بابنة نبيٍّ اضاعه قومه . ثم قصّ خبره . وكان رسول الله ﷺ يقول : اذا اتاكم كريم قومٍ فاكرموه . ولا كريم اكرم من آل محمد . كلهم كبير ، وليس فيهم صغير .

روينا من حديث عمران ، حدثنا عيسى ، ثنـا ضمرة ، قـال : قال عمر ابن عبد العزيز لبعض ولد الحسين بن عـلي بن ابي طالب : لا تقف على بابي ساعةً واحدة إلا ساعة تعلم اني فيهـا جالس ، فيؤذن لك عليّ وقت تأتي ، فافعل ، فـاني استحي من الله ان تقف على بابي ، فلا يؤذن لك . وأنشد لبعضهم (١) :

قالوا يزورك احمدٌ وتزورُه　　　قلت الفضائل لا تفارق منزلهْ
ان زارني فبفضله او زرته　　　فلفضله فالفضل في الحالين لهْ

نظم هذا الشاعر قول القائل : ان زرتنا فبفضلك ، او زرناك فلفضلك . فلك الفضل زائراً ومزوراً .

---

(١) سمو الامام الشافعي رضي الله عنه .

ما ذكر من بعض صفات عمر بن الخطاب رضي الله عنه :

روينا من حديث محمد بن الحسين السكّري ، قال : قال العتبي ، عن ابيه ، قال معاوية لصعصعة بن صوحان : صف لي عمر بن الخطاب . قال : كان عالماً برعيته ، عادلاً في نفسه ، قليل الكبر ، قبولاً للعذر ، سهل الحجاب ، مفتوح الباب ، متحري الصواب ، بعيداً من الاساءة ، رفيقاً بالضعيف ، غير صخاب ، كثير الصمت ، بعيداً من العبث . قال احمد بن ملعاب : قال علي بن عبد الله ، قال سفيان بن عيينة : كتب عمر بن الخطاب الى عمرو بن العاص ، وهو على مصر : كن لرعيتك كما يحب لك اميرك .

وحدثنا ابو بكر بن خلف اللخمي استاذنا ، قال: لما مرض رسول الله ﷺ عاده ابو بكر الصديق رضي الله عنه . فشفي رسول الله ﷺ ، ومرض ابو بكر ، فعاده رسول الله ﷺ ، فشفي حين عاده ، كما مرض حين عاده ، فقال الصدّيق رضي الله عنه في ذلك :

مرض الحبيبُ فعدته — فمرضتُ من حذري عليهِ
شفى الحبيبُ فعادني — فشفيتُ من نظري اليهِ

وأنشدني ابو بكر بن محمد بن عيسى الاديب، الكاتب لجدّه ذي الوزارتين ابي الوليد مروان بن ابي العلاء بن زهير الحكيم رحمه الله . وكان قد استدعي الى مراكش ، وخلف ابناً له صغيراً كان يحبه لم يكن له غيره ، فقال في الحال :

ولي واحدٌ مثل فرخ القطا — صغيراً تخلّف قلبي لديهِ
نأت عنه داري فواحشتي — لذاك الشخيص وذاك الوجيه
تذكّرني وتذكّرته — فيبكي عليّ وأبكي عليه
وقد تعب الشوق ما بيننا — فمنه اليّ ومني اليه

تأسيس في حق الجليس :

روينا من حديث محمد بن الفرج الحجاج ، عن ابي جريج ، عن مجاهد ، قال : جلست الى ابن عمر وهو يصلي فخفف ، ثم سلم ، وانفتل ، ثم قال : ان حقاً او سنّة اذا جلس الرجل للرجل وهو يصلي ، التطوع ، أن يخفف ، وينفتل اليه .

مفـرد :

لا يدرك الناس ما قدمت من حسنٍ ولا يفوتك فـيما قدّموا شرف

هذا البيت ذكره ابن قتيبة ، لكعب بن الأشرف ، في قتيبة بن مسلم .

خبر الطائر الطائف :

ذكر الازرقي في كتاب مكة، قال : جاء طائرٌ أشف من الكعبة شيئاً، لونه لون الحبرة بريشة حمراء ، وريشة سوداء . دقيق الساقين ، طويلها ، له عنق طويل ، دقيق المنقار طويله ، كأنه من طير البحر ، يوم السبت لسبع وعشرين من ذي القعدة ، سنة ستٍ وعشرين ومائتين ، حين طلعت الشمس، والناس اذ ذاك في الطواف كثير من الحاج وغيرهم ، من ناحية اجياد الصغير، حتى وقع في المسجد الحرام قريباً من مصباح زمزم ، مقابل الركن والحجر الاسود ، ساعة طويلة . ثم طار على صدر الكعبة ، في نحو من وسطها ، ما بين الركن اليماني ، والركن الأسود ، وهي الى الركن الاسود اقرب . ثم وقع على منكب رجل في الطواف ، عند الركن الأسود من الحاج . ثم من اهل خراسان محرم يلبي وهو على منكبه الأيمن ، فطاف الرجل اسابيع ، والناس يدنون منه ، وينظرون اليه ، وهو ساكن غير مستوحش منهم .

والرجل الذي عليـه الطير يمشي في الطواف في وسط الناس ، وهم ينظرون اليه ، ويتعجبون . وعينا الرجل تدمعان على خـده ولحيته . قال ابو الوليد الأزرقي : فأخبرني محـمـد بن ابي عبد الله بن ربيعة ، قال : رأيته على منكبه الأيمن ، والناس ينظرون اليه ، ويدنون منه ، ولا ينفر منهم ، ولا يطير . فطفت اسابيع ثلاثة . كل ذلك اخرج من الطواف ، فأركع خلف المقام . ثم اعود ، وهو على منكب الرجل . ثم جاء انسان من اهل الطواف، فوضع يده عليه ، فلم يطر . وطاف به بعد ذلك ، ثم طار هو من ِقبل نفسه حتى وقع على يمين المقام ساعة طويلة ، وهو يمـد عنقه ، ويقبضها الى جناحه ، والناس مستلفون له ، ينظرون اليه عند المقام ، اذ أقبل فتىً من الحجبة ، فضربه بيده ، وأخذه ليريـه رجلاً منهم ، كان يركع خلف المقام ، فصاح الطير في يده أشد الصياح ، وأوحشه ، لا يشبه صوته بأصوات الطير. ففزع منه ، فأرسله من يـده ، فطار حتى وقع قريباً من دار الندوة خارجاً من الظلال في الأرض ، قريباً من الاسطوانـة الحمراء ، فاجتمع الناس ينظرون اليه ، وهو مستأنسٌ في ذلك كله ، غير مستوحشٍ من الناس ، ثم طار هو من ِقبل نفسه ، فخرج من باب المسجد الذي بين دار الندوة ، ودار العجلة نحو قعيقعان .

خبر الطائر المغيث :

حدثنا عبد الكريم بن حاتم بن وحشي بمكة سنة ستمائة ، قال : خرج من عندنا رجل من المجاورين يريـد مصر ، فركب بحر عيداب ، فطاب الريح بالليل ، فقام كل من في المركب إلا الذي يدير، فأراد الرجل الحاجة ، فقعد في مقدم المركب يقضي حاجته ، فزلق قدمـه ، فأخذه البحر ، وغطته الأمواج ، والرئيس ينظر اليه ، والمركب قد سار عنه بمسافة غيبته عن اعين

الناس ، والرئيس لا يتكلم مخافة أن يشوّش على الناس ، ولا ينفعه ذلـك ، فلم ينشب أن رأى طائراً قد قبض عليه ، فأخرجه من الماء ، وطار به حتى ألقـاه في المركب ، وقعد الطائر على جامور الصاري ساعة ، ثم ان الطائر مد منقاره من موضعه حتى الصلة بإذن الرجل ثم قبضه وطار . فلما كان من الغد حسن الرئيس ظنه بذلك الرجل ، وبادر الى اكرامه ، ففطن له الرجل فقال له : يا اخي لست والله ممن تظن ، وإنما كان ممـا رأيت من امر الله ، علمي ، وعلمك ، فيه سواء مـــا شعرت بنفسي إلا وقد أخذتني الأمواج ، وأيقنت بالتلف ، فسلمت الأمر لله ، وقلت : ذلك تقدير العزيز العليم . فإذا بذلك الطائر قد فعل ما رأيت . فقال له الرئيس : فرأيته مد منقاره اليك، فهل كلمك ؟ قال الرجل : نعم ، وذلك اني فكرت في نفسي ، ما هو هذا الطائر ؟ فألصق منقاره بأذني ، وقال لي : يا هذا أنا تقدير العزيز العليم .

حكمة :

روينا من حديث ابن اسماعيل ، عن ابي حذيفة ، عن الثوري ، قـال : بلغني عن ابن مسعود ، انه قال : الدنيا كلها غموم ، فما كان فيها من سرور فهو ربح .

ومن حديث اسماعيل ايضاً ، عن نعيم ، عن ابن المبـارك ، عن وهب ، قال : من اراد الدنيا فليتهيأ الذلّ .

موعظة بهلول المجنون :

حدثنا محمد بن اسماعيل ، حدثنا عبد الرحمن الدّعليّ بن علي بن محمـد ، حدثنا محمد بن ابي منصور ، ثنـــا ابو الغنائم القرشي ، انا محمد بن عـلي بن

عبدالرحمن ، ثنا زيد بن حاجب ، اخبرنا محمد بن هارون ، ثنا علي بن الحسن ابن احمد ، حدثنا علي بن ابراهيم الكرخي الحافظ ، ثنا محمد بن الحسن الحلواني ، ثنا احمد بن عبد الله القزويني ، عن الفضل بن الربيع ، قال : حججت مع هارون الرشيد ، فمررنا بالكوفة ، فإذا بهلول المجنون يهذي ، فقلت له : اسكت فقد اقبل امير المؤمنين ، فسكت حتى حاذاه الهودج ، فقال: يا أمير المؤمنين حدثني أيمن بن بابل، حدثنا قدامة بن عبد الله العامريّ . قال : رأيت النبي ﷺ بمنى ، على جمل ، وتحته رحل رثّ ، فلم يكن بطرد ، ولا ضرب ، ولا اليك . قلت : يا امير المؤمنين انه بهلول المجنون . قال : قد عرفته . قال البهلول : يا امير المؤمنين أسمعك شعراً ؟ قال : قل :

هب انك قد ملكت الارض طرّاً
ودان لك العبادُ فكان ماذا
أليس غداً مصيرك جوف قبرٍ
ويحثو الترب َ هذا ثم هذا

قال : اجدت يا بهلول . أفغيره ؟ قال : نعم يا امير المؤمنين : من رزقه الله جمالاً ، ومالاً ، فعفّ في جماله ، وواسى في ماله ، كتب في ديوان الأبرار . قال : فظن انه يريد شيئاً . قال: فإنا قد امرنا بقضاء دينك . قال: لا تفعل يا امير المؤمنين ، لا يقضى دين بدين ، أردد الحق الى اهله ، واقضِ دين نفسك . قال : إنا قد أمرنا لك ان يجري عليك . قال : لا تفعل يا امير المؤمنين ، لا تعطيك إساءتي أجري على الذي أجرى عليك . لا حاجة لي في جرأتك .

ومن شعر الشريف الرضيّ في وداع الحاج :

أيهــا الرائح المعد تحمّل حاجــة للمعذّب المشتاقِ
أقر مني السلام أهل المصلى فبلاغ السلام بعض التـلاقي
واذا ما مررت بالحنيفي فاشهد ان قلبي اليــه بالاشواق
واذا ما سئلتَ عني فقل نضـ ـوُ هوىً ما اظنه اليوم باقي
ضاع قلبي فانشده لي بين جمعٍ ومنىً عند بعض تلك الحداق
وابكِ عني فانني كنت من قبـ ـلُ أعيرُ الدموع للعشاق

ومن كلام مهيار الديلمي في الشوق :

يا لهوىً لمــا أطقتُ حمله يوم الرحيل سامني ولم أطقْ
فارقتُ حولاً اهل نجدٍ والهوى ذاك الهوى وحرقي تلك الحرق
قلتُ لمن ظن البعادَ سلوةً لا تنتحل بطعم شيء لم تذق
آه لقلبٍ شق عنه اضلعي من الحمى تخال برق او شفق
ثار به الشوق فهبّ فيه ما تطلعاً ثم تراءى مــا بَرَق

ومن شعر ابي غالب بن بشران في ذلك :

ولما ثاروا العيسَ للبين بينت غرامي لمن حولي دموعٌ وأنفاسُ
فقلت لهم لا بأس لي فتعجّبوا وقالوا الذي أبديته كله بأس
تعوّض بأس الصبر عن وحشة الاسى
فقد فارق الاحباب من ذلك الناس

ومن الشعر الذي يصرفه الصالح اذا سمعه الى الجنان والحور والولدان :

قف بالطواف ترى الغزال المحرما حج الحجيجُ وعاد يطلب زمزما
قمرٌ تعرّض في الطواف كأنه بدرٌ تطلع في السماء وأنجما

ناديته بمدامع لو انهـــا شُربت لشرّابٍ لكانت مغنما
يا طالبـــاً بالحج رحمة ربه أرضيتَ بالحرمين تقتل مسلما

ومن وقائع بعض الفقراء الى الله تعالى، ما قرأ علينا عبد الله بن الاستاذ، قال: قال بعض الفقراء : رأيت في واقعتي الحق تعالى، وهو يقول لأبي مدين: مادّة سرك بسنا نوري ، وغذاء روحك برؤيتي وسروري ، وقلبك موضع عظمتي وجبروتي . هي احوال مني اقتبستها ، ولي رددتهـا . فأنت لي ولي صرف . يا ابا مدين جاوز نظر الناظرين نظرك ، وتعلق بي فكرك . فلما قدرتني قـدري ، كنت سمعك وبصرك . وعرفتك بي فعرفتني ، ونزهت سرك عن سواي فنزهتني ، فأنت ظاهر وباطن بي ، ولي . فقال ابو مدين : سبحانك سبحانك اللهم أدم فضلك . عجزت الاوهـام عن وصف وصفك ، وامتلأت الأسرار أنساً بذكرك . ثنـائي ثناؤك ، وأمري أمرك . فواصل اللهم نوري بنورك ، فلا يقتبس الفضل منك إلا بك .

خبر اللات والعزى :

روينـا من حديث ابي الوليد ، عن جده ، عن سعيد بن سالم ، عن عثمان ابن ساج ، عن محمد بن السائب ، عن ابي صالح ، عن ابن ابن عباس رضي الله عنهما ، ان رجـلاً ممن مضى ، كان يقعد على صخرة لثقيف يبيع السمن من الحاج ، اذا مرّ يلتّ سويقهم . وكان ذا غنم ، فسميت صخرة اللات . فلمـا فقده الناس ، قال لهم عمرو : إن ربكم اللات، قد دخل في جوف الصخرة .

وكانت العزّى ثلاث شجرات نخل ، وكان اول من دعى الى عبادتها عمرو ابن ربيعة ، والحارث بن كعب . وقال لهم عمرو : ان ربكم يصيّف باللاّت،

لبرد الطائف ، ويشتي بالعزّى لحرّ تهامة . وكان في كل واحد شيطان يعبد . فلما بعث الله عز وجل محمداً ﷺ ، بعث بعد فتح مكة خالد بن الوليد الى العزّى يهدمها ، فخرج في ثلاثين فارساً من اصحابه الى العزى حتى انتهى اليها فهدمها . ثم رجع الى النبي ﷺ ، فقال : أهدمت ؟ قال : نعم يا رسول الله . قال : هل رأيت شيئاً ؟ قال : لا . قال : فإنك لم تهدمها ، فارجع اليها فاهدمها . فخرج خالد بن الوليد وهو متغيظ ، فلما انتهى اليها جرّد سيفه ، فخرجت اليه امرأة سوداء عريانة ناشرة شعرها ، فجعل السادن يصيح بها ، قال خالد : وأخذني اقشعرارٌ في ظهري ، فجعل السادن يصيح ، ويقول :

أعزّاي شدّي شدّة لا تكذبي ... أعزّاي القي بالقناع وشمّري
أعزّاي ان لم تقتلي المرء خالداً ... فبوئي بذنب عاجل وتبصري

فأقبل خالد بن الوليد رضي الله عنه بالسيف اليها ، وهو يقول :

كفرانك اليوم ولا سبحانك ... اني رأيتُ الله قد أهانك

قال : فضربها بالسيف . ثم رجع الى رسول الله ﷺ ، فأخبره . فقال : نعم تلك العزّى ، وقد ايست ان تعبد في بلادكم ابداً . ثم قال خالد رضي الله عنه : الحمد الذي أكرمنا بك يا رسول الله ، وأنقذنا بك من الهلكة . لقد كنت أرى ابي يأتي العزى ، بخير ما له من الابل والغنم ، فيذبحها للعزى ، ويقيم عندها ثلاثاً ، ثم ينصرف الينا مسروراً ، فنظرت الى ما مات أبي عليه ، والى ذلك الرأي الذي كان يعيش في فضله ، وكيف جزع حتى صار يذبح لما لا يسمع ، ولا يبصر ، ولا يضرّ ، ولا ينفع . فقال رسول الله ﷺ : إن هذا الامر الى الله ، فمن يسّره للهدى ، تيسّر له ، ومن يسّره للضلالة ، كان

لها . وكان هدمها لخمس ليال بقين من رمضان ، سنة ثمان . وكان سادنها افلح ابن النضر السلمي من بني سليم .

حكى سعيد بن عمرو الهذلي : ان افلح سادنها ، لمـــا حضرته الوفاة ، دخل عليه ابو لهب ، يعوده وهو حزين ، فقال : مالي أراك حزيناً ؟ قال : أخاف ان تضيع العزى بعدي . فقال له : لا تحزن ، فأقوم عليهـا بعدك . فجعل أبو لهب يقول لكل من لقى ان تظهر العزى: كنت قد اخذت عندها يداً ، وان يظهر محمد على العزى ، وما اراده يظهر ، فإبن اخي . فأنزل الله تعالى : تبَّتْ يدا أبي لهب .

وجاء حسان بن ثابت الانصاري، الى رسول الله ﷺ ، وهو في المسجد، فقال : يا رسول الله أتأذن لي ان اقول ، فإني لا أقول إلا حقاً ، فقال: قل. فأنشأ يقول :

شهدت بإذن الله ان محمداً رسول الذي فوق السماوات من عَلُ

فقال النبي ﷺ : وأنا أشهد . فقال حسان :

وإن أبا يحيى ويحيى كليهما له عملٌ في دينه متقبلُ

فقال النبي ﷺ : وأنا أشهد . فقال حسان :

وإن الذي عادى اليهود ابن مريم
رسول أتى من عند ذي العرش مرسلُ

فقال النبي ﷺ : وأنا أشهد . فقال حسان :

وإن أخا الأحقاف إذ يعذلونه يجاهد في ذات الإله ويعدلُ

فقال النبي ﷺ : وأنا أشهد . فقال حسان :

وإن التي بالجزع من بطن نخلة ومن دانها فلّ عن الحق معزل

فقال النبي ﷺ : وأنا أشهد .

قال سفيان : يعني العزّى .

روينا من حديث ابي الوليد ، عن جده ، عن سفيان بن عيينة ، عن عبد الملك بن عمير ، عن من حدثه ، وذكره ، وكان سدنة العزّى بنو شيبان ابن سليم ، خلفاء بني هاشم ، وكانت قريش وبنو كنانة ، وخزاعة ، وجميع مضر ، تعظمها . فإذا فرغوا من حجهم ، وطوافهم ، بالكعبة ، لم يحلوا حتى يأتوا العزّى ، فيطوفون بها ويحلّون عندها ، ويعكفون عندها يوماً .

حدثنا يونس بن يحيى ، ثنا محمد بن ناصر ، انا الحسن بن احمد ، انا الأزهري ، ثنا ابو الطيب بن حمدان ، حدثنا اسمعيل ، ثنا عباس ، حدثنا عبيد بن إسحاق العطار ، ثنا محمد بن مبشر القيسي ، عن عبيد الله الحسن ، عن ابيه ، عن جده ، عن علي بن ابي طالب رضي الله عنهم . قال : يجتمع في كل يوم عرفة ، بعرفات ، جبريل ، وميكائيل ، وإسرافيل ، والخضر ، عليهم السلام . فيقول جبريل : ما شاء الله ، لا قوة إلا بالله . فيرد عليه ميكائيل فيقول : ما شاء الله ، كل نعمة من الله . فيرد عليهما إسرافيل فيقول : ما شاء الله ، الخير كله بيد الله . فيرد عليهم الخضر فيقول : ما شاء الله ، ما يدفع السوء إلا الله . ثم يفترقون ، فلا يجتمعون الى قابل في مثل ذلك اليوم .

موعظة :

إلا يا عسكر الأحياء هـذا عسكر الموتى
اجابوا الدعوة الصغرى وهم منتظروا الكبرى
يحثون على الزاد ولا زاد سوى التقوى
يقولون لكم جـدوا وهـذا آخر الدنيا

مـا من يومٍ إلا والأرض تنادي بخمس كلمات : يا ابن آدم ، تمشي على ظهري ، ثم مصيرك الى بطني . يا ابن آدم ، تفرح على ظهري ، وتحزن في بطني . يا ابن آدم ، تـذنب على ظهري ، ثم تعـذب في بطني . يا ابن آدم ، تضحك على ظهري، ثم تبكي في بطني . يا ابن آدم، تأكل الحرام على ظهري ، ثم يأكلك الدود في بطني .

وقال عبد الرحمن : بلغني ان الرجل اذا وضع في قبره ، فعذب، وأصابه ما يكره ، نادته جيرانه من الموتى : ايهـا المخلّف في الدنيا بعد اخوانه ، وجيرانه ، اما كان لك فينا معتبر ؟ اما كان لك في تقدمنا إياك فكر ؟ اما رأيت انقطاع اعمالنا عنا في المهلة ؟ فهلا استذكرت ، واعتبرت ، بمن غيب من أهلك في بطن الأرض ممن غرته الدنيا قبلك ؟

حدثنا يوسف بن يحيى ، حدثنا محـمد بن ابي منصور ، عن ابي ظاهر ، عن الصقر، عن هبة الله بن ابراهيم الصراف، عن الحسن بن ابراهيم الضراب، عن احمد بن مروان ، عن احمد بن محمد البغدادي ، عن عبد المنعم ، عـن ابيه ، عن وهب بن منبه، قال : اصبت على قبر ابراهيم الخليل عليه السلام، مكتوب :

آلهي جهولاً امله	يموت من جا اجله
ومن دنا من حتفه	لم تغن عنـه حيله
وكيف يبقى آخرٌ	قد مات عنه اوله

حدثنا يونس بن يحيى ، ثنا محمـــد بن منصور ، عن علي بن الحسين بن ايوب ، حدثنا عبد الرحمن بن علي ، قال : انا محمد بن ابي منصور ، وعـلي ابن عمر ، قالا : أنبأنا علي بن الحسين ، أنا ابو علي بن شادان ، أنبأنا ابراهيم ابن محمد المزكي ، ثنا محمد بن إسحاق بن خزيمـــة ، حدثنا محمد بن احمد بن زيد ، او قال يونس بن زيد : أنبأنا عمرو ابن عاصم ، ثنا الحسن بن زيد ، عن جريج ، عن عطاء ، عن ابن عباس ، قـــال : لا أعلمه إلا مرفوعاً الى النبي ﷺ . قال : يلتقي الخضر ، والياس ، في كل عام في الموسم ، فيحلق كل منهما رأس صاحبه ، ويتفرقان عن هؤلاء الكلمات : باسم الله ، مـا شاء الله ، لا يأتي بالخير إلا الله ما شاء الله لا يصرف السوء إلا الله . ما شاء الله ، ما كان من نعمة فمن الله ، ما شاء الله ، لا حول ولا قوة إلا بالله .

وقال ابن عباس : من قالهن حين يصبح ، وحين يمسي ، ثلاث مرات ، آمنه الله من الغرق ، والحرق ، والسرق . وأحسبه قال : ومن الشيطان ، ومن السلطان ، ومن الحية ، والعقرب .

خبر الاربعين الرجبيين والابدال :

اعلم ان لله اربعين رجلاً من خلقه ، ينظر اليهم ، فيأخذهم عن حركاتهم ، فيقعدهم ، لا يستطيعون حراكاً في شهر رجب كله ، من أوّله ، الى آخره ، وما عندهم خبر من حالهم ، ولا مما يرد عليهم غير ما عرّفهم الحق به في تلك الأخذة ، وذلك في كل سنة . فإذا انقضى الشهر ، لم يبق عنـد الرجل منهم

خبر من حال غير ما كان ، عرفـه ، ولا يبقى له كشف ، ولا اطلاع ، ولا نداء من ذلك العـالم ، ولا شيء ، الى ان يستهل رجب ، فيرجع عليهم ذلك الحال . فلا يزال بهم الى انقضاء الشهر ، فيرون من العجائب في تلك الحال ، من الكوائن ، الى ما شاء الله . غير ان بعضهم قد يبقى معه في طوال السنة علامة مقصورة على إدراك أمر ما لا غير . وقد اجتمعنا برجل منهم في شهر رجب ، وهو محبوس في بيته ، قـد حبسته هذه الحالة ، وهو بائع للجزر والخضر العامة ، غير اني سألته عن حالتـه ، فأخبرني بكيفيّتها على ما كان علمي فيها . وكان يخبر بعجائب ، فسألته : هل يبقى لك علامة في شيء ، قال : نعم ، لي علامة من الله في الرافضة خاصة . أراهم في صور الكلاب ، لا يستترون عني ابداً ، وقد رجع منهم على يده جماعة مستورون لا يعرفونهم اهل السنة ، إلا انهم منهم عدول ، فدخلوا عليه ، فأعرض عنهم ، وأخبرهم بأمرهم ، فرجعوا ، وتابوا ، وشهدوا على انفسهم ما أخبر عنهم ، ممـا ليس عند أحد منهم خبر .

وحدّثنا محمـــد بن اسماعيل ، عن عبد الرحمن بن عبد الله ، عن عليّ بن الحسن بن احمد بن طلحة ، عن محمد بن عبد الله الحيّاني ، عن عثمان بن احمـد الدقاق ، عن اسحاق بن ابراهيم الختليّ ، عن عثمان بن سعيد الانطاكي ، عن علي بن الهيثم المصيصي ، عن عبد المجيد بن بحر، عن سلّام الطويل ، عن داود بن يحيى ، عن مولى عون الطفاوي ، عن رجل كان مرابطاً في بيت المقدس، وبعسقلان ، قال : رأيت رجلاً وأنا بوادي الاردن ، قائمـاً يصلي ، وسحابة تظلله من الشمس ، فلما سلـّم سلـّمت عليه ، وقلت : من أنت؟ فقال: الياس النبي . فقلت : ادع لي ، فقال : يا برُّ يا رحيم، يا حي، يا قيّوم ، يا حنـّان، يا منـّان ، يا هيا ، شراهيا ، فذهب عني ما كان أصابني من هيبته . فسألته :

هل يوحى اليه اليوم ؟ قال : منذ بُعث محمد عليه الصلاة والسلام ، فلا قلت : كم من الأنبياء أحياء ؟ قال : أنا والخضر ، وادريس ، وعيسى . قلت : فهل تلتقي انت والخضر ؟ قال : نعم ، في كل عام بعرفات. قلت : فكم الابدال؟ قال : هم ستون رجلاً : خمسون ما بين العريش الى شاطىء الفرات، ورجلان، بالمصيصة ، ورجل ، بانطاكية ، وسبعة ، في سائر الأمصار . بهم تسقون الغيث ، وبهم تنصرون على العدو ، وبهم يقيم الله أمر الدين . حتى اذا أراد ان يُهلك ، يعني الدنيا ، أماتهم جميعاً . قلت : لا تنقص الابدال عن سبعة نفر ، ويزيدون الى ما شاء الله ، ليس لهم حد معروف في الزيادة ، واقتصار الياس على الستين، إنما ذكر الموجودين في ذلك الزمان الذي سئل فيه لا غير. وفصّل له تفريقهم في مساكنهم ، وأبان له ان فيهم من هو ملازم موضعاً ما. ومن هو سائح ، والله أعلم بخلقه .

ولمهيار الديلمي في حنين الابل ، وسيرها :

يا سائق الاضعان أر ... وِدْ بعض ما تعسف
فإن بين سوقهـــا ... أفئـــدة تخطـّف
يا زمني على الغضا ... ما أنت إلا الأسف
لهفي عليك ماضياً ... لو ردّك التلهف

وله ايضاً في هذا الباب :

اذا فاتها روض الحمى وجنوبه ... كفاها النسيم البابليّ وطيبهُ
فدعها تلسّ العيس طوع قلوبها ... فأمرع ما ترعاه ما تستطيبه
وان الثمار البرض في عزّ قومها ... لأينع من جمّ يذلّ غريبه
يلومُ على نجـدٍ ضنين بدمعهِ ... اذا فارق الأحباب جفـّت غروبه
وما الخلّ إلا من فؤادي فؤاده ... لأهل الغضا او من حبيبي حبيبه

وله ايضاً من هذا الباب :

هل السائق الغضبان يملك أمره فما كل سير اليعمُلاتِ وحيدُ
رويداً بأخفاف المطيّ فانما تداسُ جباهٌ تحتها وجدود

روينا من حديث المالكي ، قال : أنشدني ابن قُتيبة :

وكم من جاهل في الناس أضحى له عقــل وليس له زمانُ
كفى بالمرء عيّاً ان نراه له وجــهٌ وليس له لسان
وما حُسن الرجال لهم بزينٍ اذا لم يُسعد الحسن البيــان

وقال ايضاً : أنشدني الحسن بن علي ، أنشدني محمود :

ما أفضح الموت للدنيا وزينتها جداً وما أفضح الدنيا بأهليها
لا ترجعن الى الدنيا بلائمــة فعذرها لك بادٍ في مساويها
لم يبق من عيبها شي لصاحبها إلا وقــد بيّنته في معانيها
تفنى البنين وتفنى الاهل دائبة والحرب سلم الى من لا يدانيها
فمــا يزيدهم قتل الذي قتلت ولا العداوة إلا رغبة فيهــا

وقال ايضاً : أنشدني محمد بن فضالة لغيره فيمن انقطع الى الله عزّ وجلّ :

هم القوم بين الارض في الارض قد أووا
الى كنفٍ رحبٍ مصونون في ستر
أيمــة صدق يشرحون سبيله
بألسنةٍ صينت عن اللغو والهجر

خبر حسان وعمر بن بحدي كري يبان اسعد تبّع الذي كسا الكعبة :

قال ابن اسحاق : سار حسان بن اسعد بأهل اليمن ، يريـد ان يطأ بهم ارض العرب ، وأرض الأعاجم ، حتى اذا كان ببعض اهل العراق بالبحرين ، كرهت حمير ، وقبائـــل اليمن ، السير معه ، وأرادوا الرجعة الى بلادهم ، وأهليهم . فكلموا أخاً له يقال له : عمرو ، فقالوا له : اقتل أخاك حسان ، ونملكك علينـا ، وترجع بنا الى بلادنا ، فأجابهم ، فاجتمعوا على ذلك إلا ذو رعين الحميري، فإنه نهاه عن ذلك، فلم يقبل منه، فقال ذو رعين في ذلك:

ألا من يشتري سهراً بنوم　　سعيد من يبيت قرير عينِ
وأما حميرٌ غدرت وخانت　　فمعذرة الإله الذي رعين

قال ابن اسحاق : ثم كتبها في رقعة ، وختم عليها ، ثم أتى بهـا عمراً ، فقال له : ضع لي هـــذا الكتاب عندك ، ففعل . ثم وثب عمرو على أخيه فقتله . فسموه ، موثبان ، لوثوبه على اخيــــه ، ورجع بمن معه الى اليمن . قال الشاعر :

لاه عين الذي رأى مثل حسا　　نِ قتيلاً في سالف الاحقاب
قتلته مقاول خشية الجيش　　غزاة قالوا لبـاب اللّباب
ميتكم خيرنا وحيّكم ربٌ　　علينـــــا فكلكم أرباب

قال ابن اسحاق: فلما نزل عمرو بن يبان اليمن، مُنع منه النوم ، وسلـّط عليه السهر . فلما جهـــد ذلك ، سأل الأطباء ، والعرّافين ، والحرازة من الكهان ، عما به : فقال له رجل منهم : انه والله ما قتل رجل قط أخاه ، او ذي قرابة ، بغياً على مثل ما قتلت أخـاك عليه ، إلا ذهب عنه نومه ،

وُسلـّط عليه السهر ، فلما قيل له ذلك : جعل يقتل كل من أمره بقتل اخيه حسان من أشراف اليمن ، حتى خلص الى ذي رعين ، فقال له ذو رعين : ان لي عندك براءة ، قال : وما هي ؟ قال : الكتاب الذي دفعته لك . فأخرجه فإذا فيه البيتان . فتركه ، ورأى أنه قد نصحه ، وهلك عمرو .

لباب اللباب بلغة حمير : لا بأس . ويروى لياب ، بالياء نقطتين ، والمقاول : الملوك ، ولاه ، بمعنى : لله . حكي عن سيبويه انه قال : يقولون : لاه ابوك ، بمعنى : لله ابوك ، ويحذفون لام الاضافة ، واللام الاخرى .

وممن عمل ليوم العقبة ، ما حدّثنا بـه يونس بن يحيى ، حدثنا محمد بن ناصر ، ثنا احمد بن الحسن بن حبروت ، قال : قرأت على ابن شاذان ، ان احمد بن كامل اخبره ، قال : ثنا محمد بن يونس ، عن الاصمعي ، عن شيبة ابن شيبة ، قال : كنا بطريق مكة وبين أيدينا غداء لنا في يوم صائف ، واذا باعرابي معه زنجية ، يقول لنا : أفيكم من يكتب لي كتاباً ؟ قلنا له : أصب من غدائنا ، فإذا فرغنا كتبنا لك ما سألت . قال : اني صائم ، فتعجبنا من صومه في تلك البرية . فلما فرغنا من غدائنا دعوناه ، فقلنا له : ما تريد ؟ فقال : أيها الرجل ان الدنيا قد كانت، ولم أكن فيها، وستكون ، ولا أكون فيها . واني أريد ان أعتق جاريتي هذه لوجه الله عزّ وجلّ : ثم ليوم العقبة . ثم قال : تدري ما يوم العقبة ؟ قوله هـذا عزّ وجل : فلا أقتحم العقبة ، وما أدرك ما العقبة ، فكّ رقبة . اكتب ما أقول لك ، ولا تزد عليّ حرفاً . هذه فلانة خادمة فلان ، قد أعتقها لوجه الله عزّ وجلّ ، ثم ليوم العقبة . قال شيبة : فقدمت البصرة ، وأتيت بغداد ، فحدّثت بهذا الحديث المهدي . فأعتق المهدي مائة نسمة على غريبة الإعرابي .

ومن وقائع اصحاب الكشوف ، ما حدثنا به عبد الله بن الاستاذ المروزي قال : رأى بعض الفقراء بجباية في واقعته صورة حق يقول للشيخ ابي مدين:

يا شيخ قربتك مني حق كأنك اني
وناديت سرّك ، اياك أعني بمعنى معناك ، فكنت مني

فجاوبه الشيخ :

سبحانك سبحانك ، ادنيتني منك ، فأفنيتني عني
بحق حقك يا حق ، بوجودك صلني .
فأنت أقصى مناي ، يا غاية المتمني

ثم قال : سمعت الحق ناداه بي ، قل : وعليّ دلّ ، فأنا الكل .

وصية :

رويناها من حديث الدينوري ، عن جعفر بن محمد ، عن عيسى بن سليمان عن ضمرة ، قال : يقال : ثلاث ، من لم تكن فيه لم يجد طعم الايمان : علم يحجزه عن جهل الجاهل، وورع يحجزه عن المحارم، وخلق يعاشر به الناس.

موعظة :

من روايتنا عن ابي مروان ، عن ابراهيم بن نصر ، عن الزيادي ، عن الاصمعي ، قال : دخلت بعض الخيام ، فإذا بجارية ، والله ما احسبها اتت عليها عشر سنين ، وهي تقول :

عدمتُ الحياة ولا نلتها اذا كنتَ في القبر قد ألحدوك
وكيف اذوق لذيذ الكرى وأنت بيمناك قد وسدوك

دعاء حسن :

ومن روايتنا ، عن ابي مروان ، عن احمد بن علي ، عن الاصمعي ، عن ابيه ، قال : سمعنا اعرابية تقول داعية لله عز وجل : اللهم متعنا بخيارنا . وأعنـّا على أشرارنا ، واجعل الأموال في سمحائنا . وبه قال : حدثنا النضر ابن عبد الله ، قال : اخبرني الأصمعي ، قال : سمعت إعرابياً عند الملتزم ، يقول : اللهم أعني على الموت وكربته ، وعلى القبر وغربته ، وعلى الميزان وخفته ، وعلى الصراط وزلته ، وعلى يوم القيمة وروعته . قلت : وسمعت بعض المذكرين ، يقول في خطبته : اذكروا ألم الموت ، وسكرته . وعذاب القبر ، وظلمته ، وهول المحشر ، وبعثه . والسؤال ، وغلظته . والميزان ، وخفته . والصراط ، وزلته والقصاص وحسرته .

اعرابية المحتد عربية المشهد :

حدثنا بشأنها عبد الرحمن كتابة . قال : اخبرنا المبارك بن علي ، قال : نبأنا ابن العلاف ، انا عبد الملك بن بشران ، حدثنا احمد بن ابراهيم الكندي ، عن جعفر بن محمد الخرائطي ، حدثنا ابن الجنيد ، حدثنا محمد بن الحسين ، عن الصلت بن حكيم ، حدثني ابن السماك ، عن امرأة من اهل البادية ، قال : سمعتها تقول يوماً : لو تطلعت قلوب المؤمنين بفكرها ، الى ما ادخر لها في حجب الغيوب ، من خير الآخرة ، لم يطب لهم عيش ، ولا تقر لهم في الدنيا عين .

خبر سواد بن قارب مع هاتفه :

روينا من حديث ابن عبد الله ، حدثنا ابو عمرو بن حمدان، ثنا الحسن بن

سفيان ، ثنا بشر بن حجر الشامي ، ثنا علي بن منصور الانباري ، عن عثمان ابن عبد الرحمن الوقاصي ، عن محمد بن كعب القرظي ، قال : بينما عمر بن الخطاب رضي الله عنه في المسجد ، اذ مرّ رجل في موخر المسجد ، فقال رجل : يا امير المؤمنين اتعرف هذا المار ؟ قال : لا ، فمن هو ؟ فقال : هذا سواد بن قارب ، وهو رجل من اهل اليمن له فيهم شرف ، وموضع ، وهذا الذي اتاه رئيه بظهور رسول الله ﷺ . فقال عمر : عليّ به ، فدعى به قال : انت سواد بن قارب ؟ قال : نعم ، قال : انت الذي أتاك رؤيك بظهور رسول الله ﷺ ؟ قال : نعم ، قال : فأنت على ما كنت عليه من كهانتك ؟ فغضب سواد بن قارب ، وقال : يا امير المؤمنين ما استقبلني بهذا احدٌ منذ أسلمت ، فقال عمر : يا سبحان الله ما كنا عليه من الشرك، اعظم مما كنت عليه من كهانتك . اخبرني بأتيانك رئيك بظهور رسول الله ﷺ . قال : نعم يا امير المؤمنين ، بينما أنا ذات ليلة بين النائم ، واليقظان، إذ أتاني رؤيِيّ فضربني برجله وقال : قم يا سواد بن قارب ، وأفهم ، وأعقل ، انه قد بعث رسول من لؤي بن غالب ، يدعو الى الله والى عبادته ، ثم أنشأ يقول :

عجبت للجنّ وتحساسها وشدّها العيس بأحلاسها
تهوى الى مكة تبغي الهدى ما خيروا الجن كأنجاسها
فارحل الى الصفوة من هاشم واسم بعينيك الى راسها

قال : فلما كان الليلة الثانية ، أتاني فضربني برجله ، وقال : ألم اقل لك يا سواد بن قارب ، قم ، وأفهم ، وأعقل ، إن كنت تعقل ، انه بعث رسول من لؤي بن غالب ، يدعو الى الله والى عبادته ؟ ثم أنشأ يقول :

عجبت للجنّ وتطلابهـا | وشدّهـا العيس بأقتابها
تهوى الى مكة تبغي الهدى | ما صادق الجنّ ككذابها
فارحل الى الصفوة من هاشم | ليس قداماً مثل أذنابها

قال : فلم أرفع رأساً بقوله . فلما ان كانت الليلة الثالثة ، أتاني فضربني برجله ، وقال : ألم أقل لك يا سواد بن قارب ، قم وأفهم ، وأعقل ، إن كنت تعقل ، انه بعث رسول من لؤي بن غالب يدعو الى الله ، والى عبادته . ثم أنشأ يقول :

عجبت للجنّ وأخبارها | وشدّها العيس بأكوارها
تهوى الى مكة تبغي الهدى | ما مؤمنوا الجن ككفارها
فارحل الى الصفوة من هاشم | بين روابيها وأحجارها

قال : فوقع في نفسي حب الاسلام ، ورغبت فيه . فلما اصبحت شددت على راحلتي ، وانطلقت متوجهاً الى مكة . فلما كنت ببعض الطريق ، أخبرت ان النبي ﷺ ، قد هاجر الى المدينة ، فأتيت المدينة ، فسألت عن النبي ﷺ ، فقيل في المسجد ، فعقلت ناقتي ، وإذا رسول الله ﷺ ، والناس حوله ، فقلت : اسمع مقالتي يا رسول الله ﷺ . فقال : يا ابا بكر أدنه أدنه ، فلم يزل لي حتى صرت بين يديه . فقال : هات فأخبرني بأتيان رئيك فقلت :

أتاني رؤيّ بعد هدءٍ ورقدةٍ | ولم أكُ فيما قد تلوتُ بكاذبِ
ثلاث ليال قوله كل ليلةٍ | أتانا رسولٌ من لؤي بن غالب
فشمرت عن ذيل الأزار ووسطت | بي الدعلب الوجناء بين السباسب
فأشهد أن الله لا ربّ غيره | وأنك مأمون على كل غائب

وأنـك أدنى المرسلين وسيلةً   الى الله يا ابن الاكرمين الأطائب
فمرنا بمـا يأتيك يا خير من مشى   وإن كان فيما جاء شيب الذوائب
وكن لي شفيعاً يوم لا ذو شفاعةٍ   سواك بمغنٍ عن سواد بن قارب

قال : فسر رسول الله ﷺ بقصتي ، واسلامي . فوثب اليـه عمر رضي الله عنه ، فالتزمه ، وقال : قد كنت احب ان اسمع هذا منك .

الدعلب والدعلبة : الناقة السريعة .

نصيحة الجرهمي لعمرو بن لحي :

روينا من حديث ابي الوليد أن عمرو بن لحي ، لمـا غير دين ابراهيم عليه السلام ، وكان امره عند العرب مطاعاً ، وما شرع لهم من دين متبعاً سيب السوايب ، ووصل الوصيلة ، وحمى الحـامي وبحر البحيرة ، ونصب الاصنام حول الكعبة ، وجـــاء بهبل من هيت من ارض الجزيرة ، فنصبه في بطن الكعبة . وكان بمكة رجل من جرهم على دين ابراهيم واسمعيل عليهما السلام ، وكان شاعراً ، فقال لعمرو بن لحي حين غير دين الحنيفية :

يا عمرو لا تظلم بمكة إنها بلدٌ حرام
سائل بعادٍ ابن هم وكذاك مخترم الانام
وبني العمالقة الذين لهم بها كان السرام

فزعموا ان عمرو بن لحي اخرج ذلـك الجرهمي . فنزل باضم ، بأعراض المدينة ، مدينة النبي ﷺ نحو الشام . فتشوق الى مكة فأنشأ يقول :

ألا ليت شعري هل ابيتن ليلةً   وأهلي بهـــا بالمأزمين حلول
وهل أرين العيس تنفح في الثرى   لهـــا بمنىً والمأزمين ذميل

منازل كنا أهلها لم يحـل بنا زمان بهـا فيما أراه يحوك
مضى اوّلو ناراً ضيين بشأنهم جميعاً وغالتني بمكة غـــوك

تفسير ما ذكرنا فيه من البحيرة والسائبة والوصيلة والحام : البحيرة فـي ذكره المفسرون الناقـــة التي كانت في الجاهلية ، اذا انتجت خمسة ابطن ، وكان آخرها ذكراً ، بحروا أذنها أي شقوها ، ولم يذبحوها ، ولم يركبوها ، ولم تطرد من ماء ، ولا تمنع من مرعى، ولم يركبها احد . قال الكلبي : كانت اذا انتجت خمسة أبطن ، فكان الخامس ذكراً ، اكله الرجال دون النساء . وإن كان انثى ، بحروا أذنها ، وشقوها ، وتركت لا يشرب لهـا لبن ، ولا تركب . وإن كانت ميتة اشترك فيها الرجال ، والنساء . يقال : بحرت إذن اللبن ، إذا شققت منها واسعاً . والناقة بحيرة مبحورة .

وأما السائبة ، فقيل : هو ما كان احدهم يفعله إذا مرض ، فينذر أن شفي أن يسيب ناقته . فإذا فعل ذلك لم تمنع من ماء ، ولا من كلأ وقـــد يسيبون غير الناقة ، وكانوا إذا سيبوا العبد لم يكن عليه ولاء . وقيل : إذا كانت الناقة ، إذا تتابعت اثناء عشر انثى ، ليس فيها ذكر ، سيّبت ، فلم تركب ، ولم يجزّ وبرها ، ولم يشرب لبنها، فما نتجت بعد ذلك من اولادها، شقت أذنها ، وخليت مع امها . فهي البحيرة بنت السائبة .

والوصيلة من الغنم، اذا ولدت الشاة سبعة أبطن، فإن كان السابع ذكراً، ذبحوه وكان لحمه للرجال دون النساء . وإن كان انثى لم يذبحوها . قـال ابن عباس : ولم يشرب من لبنها غـــير الذكور خاصة . وإن كان ميتة ، أكلها الرجال ، والنساء ، وتلا : وقالوا ما في بطون هذه الأنعام خالصة لذكورنا الآية . وقيل : إن الوصيلة الشاة ، تنتج عشر أناث متتابعات في خمسة أبطن

ليس فيها ذكر . فيقولون : وصلت ، فما ولدت بعد ذلك فهو للذكور دون الأناث ، إلا أن يموت منها شيء ، فيشترك في اكله الذكور والأناث .

وأما الحام ، فهو البعير ، ينتج من ظهره عشرة أبطن ذكوراً ، وأناثاً ، فيقولون : قد حمى ظهره ، ويخلى ، ولا يركب .

وقيل : هو الفحل ، ينتج من ظهره عشرة أناث متتابعات ، ليس بينهن ذكر . فيقولون : قد حمى ظهره ، فلا يركب ، ولا يجز ولا ينتفع بـه لغير الضراب . وقال ابن عباس : هو البعير الذي يركب اولاد اولاده .

موعظة نبوية :

قال رسول الله ﷺ : اتقوا الله حق تقاتـه ، وأسعوا في مرضاته ، وأيقنوا من الدنيا بالفناء ، ومن الآخرة بالبقاء ، وأعملوا لمـا بعد الموت . فكأنكم بالدنيا لم تكن ، وبالآخرة لم تزل . ألا وإن مـن في الدنيا ضيف ، وما في يـده عارية . وإن الضيف مرتحل ، والعارية مردودة ألا وإن الدنيا عرض حاضر ، يأكل منها البر ، والفاجر . والآخرة وعد صادق ، يحكم فيها ملك قادر فرحم الله امرءاً نظر لنفسه ، ومهد لرمسه ما دام رسنه مرخى، وحبله على غاربه ملقى ، قبل أن ينفذ أجله ، وينقطع عمله . شعر :

لعفوك يا مولى الموالي تشوقي   فكن لي ولياً في مقامي وموقفي
فهـا أنا بالباب المعظم قدره   مقل من التقوى كثير التخوف
فجدلي بعفو منك يستر زلتي   فما زلت ذا فضل كثير التعطف

ومن ابتلي بعهد فوفى موسى المصطفى : حدثنا محمـد بن قاسم ، حدثنا عبد الله بن عبد المجيد ، عن عمرو بن حسن بن محمد بن احمد القرشي الماسي ،

قال : نادى الله موسى بن عمران : يا ابن عمران لا تخيب من قصدك ، وأجر من أجارك . قـال : بينما موسى عليه السلام في سياحته ، إذا بجارح يطلب حماماً فلما رآه الحمام نزل على كتفه مستجيراً بـه ، ونزل الجارح على الكتف الآخر ، فلما هم به الجارح نزل الحمام على كمه ، فناداه الجارح بلسان فصيح : يا ابن عمران اني قاصدك ، فـلا تخيبني ، ولا تحل بيني وبين رزقي . وناداه الحمام يا ابن عمران ، اني مستجير بك فأجرني . فقال : ما اسرع ما ابتليت به ، ثم مد يده ليقطع قطعة من فخذه للجارح وفاء لهما ، وحفظاً لمـا عهد اليه فيهما . فقالا : يا ابن عمران أنا رسل ربك أرسلنا اليك ليرى صحة مـا عهد اليك شعر :

أيا سامعاً ليس السماع بنافـــع　　إذا أنت لم تفعل فما أنت سامع
إذا كنت في الدنيا عن الخير عاجزاً　　فما انت في يوم القيامة صانع

وقال آخر :

لمـا غلبت وزاد الشوق في ألمي　　وقفت للذكر مغلوباً على قدمي
ولو قدرت جعلت العين لي قدماً　　يا ذا التفضل والآلاء والكرم
اشتاق ذكرك والتعظيم يمنعني　　والشوق يملأ ألفاظي بـه وفمي
فها أنا بين شوق لا اقوم به　　وبين حسرة مغلوب ومحتشم

وقال آخر :

إن قلت عبدك لم اطق نطقاً بـه　　خوفـاً من الزلات والعصيان
فالعبد يبذل في التقرب جهده　　لا يستطيع تجـاوز الإمكان
فأرحم بفضلك زلتي وتحيري　　وصل التجاوز منك بالإحسان

سمعت محمد بن قاسم ، قال : سمعت عمر بن عبد المجيد ، قـــال بعض السادة : رأيت رجلاً في تيه بني اسرائيل قد لوحته العبادة، حتى صار كالشن البالي ، فقلت له : ما الذي بلغ بك هذه الحالة ؟ فنظر الي منكراً لسؤالي ، وقال : ما اظنك من جمـــلة الأحباء . هذا ثقل الأوزار ، وخوف النار ، والحياء من الملك الستار . شعر :

لمـا ذكرت عذاب النار ازعجني ذاك التذكر عن اهلي وأوطاني
فصرت في القفر ارعى الوحش منفرداً كما تراني على وجدي وأحزاني
وذا قليل لمثلي بعـــد جرءَتِهِ فما عصى الله عبد مثل عصياني
نادوا عليّ وقولوا في مجالسكم هذا المسيء وهذا المذنب الجاني
فما ارعويت وما قصرت من زللي ولا غسلت بمـاء الدمع اجفاني
لكن ذكرت جواداً ماجداً صمداً يعفو ويصفح ذا عفوٍ وإحسان
سبحانه ماجداً جلّت عوارفه فهو الجوادُ بعفوٍ منه ألجاني
هذا اعتقادي ولو صُيِّرت في قرنٍ مع الشياطين في ادراك نيران
يا ربّ عفواً فظني فيك متسعٌ واغفر بفضلك أسراري وإعلاني

مثل سائر :

كلبٌ جوّال ، خير من أسد رابض .

يقول الحكيم : لا تدع الحيلة في التماس الرزق بكل مكان فإن الكريم محتال ، والدني عيال . وأنشد :

فسرْ في بلاد الله والتمس الغنى تعش ذا يسار او تموت فتعذرا
ولا ترضَ من عيشٍ بدون ولا تنم وكيف ينام الليل من كان معسرا

ولحبيب بن أوس الطائي :

وطول مُقام المرء في الحي مخلقٌ لديباجتيه فاغترب تتجدّد
فإني رأيت الشمس زيدت محبة الى الناس اذ ليست عليهم بسرمدِ

وكان ابن السمّاك يقول: لا تشتغل بالرزق المضمون، عن العمل المفروض وكن اليوم مشغولاً ، بما أنت عنه مسؤول غداً . وإياك ، والفضول ، فإن حسابها يطول .

لعمرو بن أذينة ه :

إني علمتُ وخير العلم أنفعه إن الذي هو رزقي سوف يأتيني
أسعى اليه فيعنيني تطلّبه ولو قعدت أتاني لا يعنيني

قال بعض الأعراب : كيف يفرح عاقل بعمر تنقصه الساعات ؟ وسلامة بدن معرّض للآفات ؟ فلقد عجبت من المرء ، يفرّ من الموت ، وهو سبيله . ولا أرى احداً إلا سيدركه الموت ؟

روينا من حديث عليّ بن الجهم ، قال : كنت في مجلس محمد بن عمرو بن مسعدة ، فأقبلت جارية كأنها البدر ليلة التمام ، بلون كأنه الدرّ في البياض ، مع احمرار خدين ، كشقائق النعمان ، فسلّمت ، فقال لي محمد : يا أبا الحسن ، هذه الجنة التي كنتم توعدون . فقالت :

وما الوعد يا سؤلي ومنية مهجتي فإن فؤادي من مقالك طائرُ

فقال لها ابو محمد :

أما وإله العرش ما قلت سيئاً وما كان إلا أنني لك شاكرُ

فقال علي بن الجهم : فأقبلت تحدثنا ، فإذا عقل كامل ، وجمال فاضل ، وحسن قاتل ، وردف مائل . فقلت لها : قد أقرّ الله عيناً تراكِ . فقالت: أقرّ الله عينكم ، وزادكم سروراً وغبطة . ثم اندفعت تغني بنغمة لم أسمع احسن منها ، وتقول :

أروح بهمّ من هواك مبرّح ... أناجي بـه قلباً كثير التفكّر
عليك سلام لا زيارة بيننا ... ولا وصل إلا انيشاء ابن معمر

فما زلنا في يومنا معها في الفردوس الأعلى . وما ذكرتها بعـد إلا أسفت عليها ، وعلى فراقها .

وروينا من حديث ثور بن معن السلمي ، عن ابيه، قال : قال اني دخلت على الخنساء في الجاهلية ، وعليها صدار من شعر ، وهي عريانة . قال : قال ابي : دخلت عليها تجهّراً بيتها ، فكلمتها في طرح الصدار، فقالت : يا احمق انا أحسن منك غرساً ، وأطيب منك نفساً ، وأرقّ منك نقلاً ، وأكرم منك بعلاً .

وقال عبد الرحمن بن مرة : عن بعض أشياخه ان عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، قال للخنساء : ما أقرح مآقي عينيك ؟ قالت : بكائي على السادات من مضر . قال : يا خنساء ، انهم في النار. قالت: ذاك أطول بعويلي عليهم.

وقيل : انها أقبلت حاجّة ، فمرّت بالمدينة، ومعها ناس من قومها ، فأتوا عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، فقالوا : هذه الخنساء ، فلو وعظتها يا أمير المؤمنين ، فلقد طـال بكاؤها في الجاهلية ، والإسلام . فقام عمر رضي الله عنه ، فأتاها ، فقال : يا خنساء ، فرفعت رأسها ، فقالت : ما تشاء ؟ قال:

ما الذي أقرح عينيك ؟ قالت : البكاء على السادات من مضر . قال : إنهم هلكوا في الجاهلية ، وهم أعضاد اللهب ، وحشو جهنم . قالت : فذاك الذي زادني وجعاً . قال : فأنشديني مما قلت ، قالت : أما اني لا أنشدك مما قلت اليوم ، ولكن أنشدك ما قلت الساعة . وقالت :

سقى جدثاً اعراق غمرة دونه ... ويدنيه وعّاث الربيع ووابلهْ
وكنت أعير الدمع قبلك من بكى ... على فقد من قد فات والحزن شاغله
وأرعيهم سمعي اذا ذكروا الأسى ... وفي الصدر مني زفرة لا تزايله

فقال : دعوها ، فإنها لا تزال حزينة ابداً .

ومما يستحسن الأدباء من شعرها :

تعرّقني الدهر قرعاً وغمزا ... وأوجعني الدهر نهشاً ووخزا
وأفنى رجالي فبادوا معاً ... وأصبح قلبي لهم مستفزّا
كأن لم يكونوا حمىً يُتـّقى ... من الناس إذ ذاك مَن عزّ بزّا
وكانوا سُراة بني مالكٍ ... وزين العشيرة مجداً وعِزّا
وهم في القديم ضحاح الأديم ... والكائنون من البأس حرزا
بسمر الرماح وبيض الصفاح ... فبالبيض ضرباً وبالسمر وخزا
وخيل تكردس بالدّارعين ... وتحت العجاجة يجمزن جمزا
جززنا نواصي فرسانها ... وكانوا يظنون ان لا تجزّا
ومن ظنّ ممن يلاقي الحروب ... بأن لا يصاب فقد ظن عجزا
تعِفُّ وتعرف حق القِرى ... وتتخذ الحمد ذخراً وكنزا
وتلبس في الحرب نسجَ الحديد ... وفي السلم تلبس خزّاً وقزّا

حدثنا ابو جعفر الوزعي ، قـــال : روى الاصمعي ، عن رجل من أهل الشام ، وهو عبد الله بن حارث ، قال : قدمت المدينة ، فقصدت منزل ابن هرمة ، فإذا ابنة صغيرة له تلعب ، فقلت لها : أي بنيّة ، ما فعل ابوك ؟ قالت : يا عم انه قـــد وفد على بعض الاخوان ، قال : قلت : فانحري لي ناقة ، فأنا أضيافك ، فقالت : يا عم ، ما عندنا شيء ، قلت : فباطل ما قال ابوك ؟ قالت : وما قال ؟ قلت : قال :

كم ناقة قد وجات منحرها   بمنهل اكبر ثورٍ او جمـــل

قالت : يا عم ، فذاك القول من ابي ، أصارنا الى ان ليس عندنا شيء ، قال : فتعجبت من سرعة جوابها المسكت .

ذكر ابو حيّان التوحيدي في كتاب الامتاع ، والمؤانسة ، ان الفرس اذا وطىء أثر الذئب ، ارتعد ، وخرج الدخان من جسده كله . والذئب إن رأى الانسان يطأ خطوه ، وهو ساكت ، سكت عنه ، فإن رآه خاف ، وجبن ، اجترأ ، وحمل عليه . واذا وطىء الذئب على ورق العنصل ، مات من ساعته. ولذلك يأتي الثعلب بها في جحره، لئلا يأتي الذئب، فيأكل ولده.

حمار الوحش ، اذا ولدت اولاداً ذكوراً ، او اناثاً ، جاء الفحل ، فانتزع خِصي تلك الذكور ، وقطعها بأسنانـــه ، لكيلا يُصاد ، ويشاركه ، في طروقته . فربمـــا تضع الانثى اولادها في موضع ، لا يعرفه الفحل ، حتى يشتدوا ، وبهذا السبب ، يقلّ فيها الفحول .

الحريش : دابة صغيرة ، في جرم الحربي ، ساكنة جداً ، غير أنها من قوة الجسم ، وسرعة العدو ، ما يُعجز القانص . ولها من وسط رأسها قرن

واحـــد ، منتصب ، مستقيم ، به تناطح جميع الحيوان ، فلا يغلبها شيء . وصورة الحيلة في صيدها ، ان تتعرض لها جارية ، حسناء ، عذراء ، وضيئة ، فإن هذه الدابة ، اذا رأت الفتاة ، وثبت الى حجرها ، كأنها تريد الرضاع. وهذه فيها ، محبة طبيعية ثابتة ، فإذا صارت الى حجر الجارية ، أرضعتها من ثديها على غير حضور ابن فيها ، حتى تصير كالنشوان من الخمر ، والوسنان من النوم . فيأتيها القانص ، وهي على تلك الحالة ، فيشدها وثاقاً على سكون منها بهذه الحيلة .

قال ابو حيّان : إن اسنان الرجل في فيه ، اثنان وثلاثون سناً . وأسنان المرأة ، ثلاثون . وأسنان الخصي ، ثمان وعشرون . وأسنان الخصي من البقر ، اربعة وعشرون . وأسنان الشاة ، احدى وعشرون سناً . وأسنان المعز ، تسعة عشر سناً . قال : ومن كان من الحيوان أسنانه قليلة ، فعمره قصير . ومن كانت اسنانه كثيرة ، فعمره طويل .

قال : والفيل اذا ُولد ، نبتت أسنانه في الحال . فأما أسنانه الكبار ، وأنيابه الطوال ، فتظهر اذا كبر ، وشبّ .

قال : والذي يكسب معاشه بالليل من الحيوان : البومة ، والوطواط . قال : الرجال يشتاقون الى الجماع في الشتاء . وقال : كل ما كان من البيض مستطيلاً ، مجرّد الطرف ، يفرح الاناث . وما كان مستديراً ، عريض الاطراف ، يفرّح الذكور . وقال : من الحيوان ، اذا هاج ، ووقفت الانثى قابلة الذكر ، وهبّت الريح من ناحية الذكر ، مقبلة الى ناحيتها ، حملت من ساعتها . قيل : اسم هذا الحيوان ، القبج .

وأخبرني جماعة ، من جملتهم ، من كان صاحب تاريخ ، وتجاريب .

وقد وقع بيننا ذكر الثعبان العظيم ، قال : تعرفون من ابوه ومن أمه ؟ قلنا : لا . قال : ان العقاب ينكح الانثى من الثعالب ، فتحمل ، فإذا حان وقت ولادتها ، حفرت حفرة ، ووضعت فيها قطع لحم ، لهـا ارتعاش ، وارتعاد ، فتأكل بعضها بعضاً ، تحت الارض ، حتى تبقى واحدة ، فينشأ من تلك الواحدة هذا التنين العظيم .

ولنا في اسماء الطبيعة :

ان الضريبة والسليقة والخليقة والغريزة
هي الطبيعة والنحيبة والسجية والنخيزة
وكذاك شنشنة يقا ل وشيمة لغة عزيزة

وكتب ابو هاشم الحرّاني الى بعض الأمراء ، عرض من الأمـير معوز ، والصبر على الحرمان معجز .

وكتب بعضهم الى صديق له : اما بعد فقد اصبح لنا من نعم الله . ما لا نحصيه ، مع كثرة ما نعصيه . وما ندري ما نشكر . جميل مـا ينشر ، ام كثير ما يستر ، ام عظيم ما أبلى ، ام كثير مـا عفا . غير انه يلزمنا في كل الأمور شكره . ويجب علينا حمده . فاستزد الله في حسن بلائه ، كشكرك في حسن آلائه .

سئل بعض البلغاء عن النطق ، والصمت ، فقال : اخزى الله الساكنة ، ما افسدها للسان ، وأجلبها للعي ، ووالله لا مماراة في استخراج حق اهدم للعي من النار في يابس العرفج . فقيل له : قد عرفت ما في المماراة من الذم . فقال : مـا فيها اقل ضرراً من السكتة التي تورث عللا . وتولد داء ايسره العي . ولبعضهم في الكتمان :

صن السر بالكتمان يرضيك غبّه | فقد يظهر السر المذيع فيندم

حدثنا مصعب بن محمد ، قال : دخل ابو العتاهية على المهدي وقـد ذاع سره في غيبته ، فقال له : ما احسنت في حبك ، ولا اجملت في اذاعة سرك فقال :

من كان يزعم ان سيكتم حبـه | حتى يشكك فيـه فهو كذوب
الحب اغلب للرجال بقهره | من أن يرى للستر فيه نصيب
فإذا بدا سرُّ اللبيب فإنـــه | لم يبـد إلا والفتى مغلوب
إني لأحسد ذا هوىً مستحفظاً | لم تتهمه أعـــينٌ وقلوب

فاستحسن المهدي شعره، وقال : قد عذرناك على اذاعة سرك. ووصلناك على حسن عذرك . على إن كتمان السر احسن من اذاعته .

وقال آخر :

لا يكتم السر إلا كل ذي خطر | والسر عند كريم الناس مكتوم
والسر عندي في بيت له غلق | قد ضاع مفتاحه والباب مردوم

قال زياد : ليس للسر موضع إلا احد رجلين : إما صاحب آخرة يرجو ثواب الله . وإما صاحب دنيا له شرفٌ في نفسه ، وعقل يصون به حسبه ، وهما معدومان في هذا الوقت .

مثل سائر :

أبخل من صاحب نجيح . حدثنا ابو ذرّ بن محمد بن مسعود ، قال : ذكر أن نجيح بن شاكة اليربوعي خرج يوماً الى الصيد ، فأثار حمار وحشٍ ، فمضى

أمامه ، وأتبعه نجيح ، الى أن رفعه الى أكمة في فلاة ، عليها رجل قاعد ، فدنى منه ، فإذا هو أعمى اسود في اطمار ، بين يديه ذهبٌ وفضة ، ودرّ ، وياقوت . فدنا نجيحٌ من المال ، فتناول بعضه ، فلم يستطع أن يحرّك به يده ، حتى ألقاه من يده ، فقال : يا هذا ، مـا الذي بين يديك ؟ وكيف يستطاع أخذه ؟ فإني لم أجد له سبيلا . فهو لك ام لغيرك ؟ فإني أعجب مما أرى منه فإن كنت أيها الرجل جواداً ، فإني ذو حاجة اليه ، فجد بأي ما شئت منه . وإن كنت بخيلا فأخبرني ، أعذرك . فقال له الأعمى : اطلب رجلا قد غاب منذ سنين ، وهو سعد بن خشرم بن شماس ، فأتني به ، يعطيك مـا تشاء ، مما تريد . قال : فانطلق نجيحٌ مسرعاً . وقد استطار مما رأى فؤاده ، حتى وصل الى قومه ، ودخل خباءه ، ووضع رأسه ، ونام لمـا به من الغم ، لا يدري من سعد بن خشرم ؟ فأتاه آتٍ في منامه ، فقال له : يا نجيح ، إن سعد بن خشرم ، في حي بني محلم ، من ولد ذهل بن شيبان . فأسأل عن بني محلم ، ثم سل عن سعد بن خشرم بن شماس . فـإذا هو بشيخ قاعدٍ على باب خبائه ، يعني خشرم ابا سعد فجاءه نجيح ، وسلم عليه ، فرد عليه خشرم . فقال له نجيح : من انت ؟ قال : انا خشرم . قال : فأين سعد ؟ قـــال : خرج في طلب نجيح اليربوعي . فعرف نجيح القصة ، وكتمه في نفسه . وصرف نجيح فرسه ، ومضى وهو يقول :

أيطلبني من قـد عناني طلابه ... فيا ليتني ألقاك سعد بن خشرم
أتيت ابن يربوع لتبغي لقاءه ... وجئت لكي ألقاك حى محـلم

فلما دنا نجيح من محلته ، استقبله سعد . فقال له نجيحٌ يا ايهـا الراكب ، لقيت سعداً في بني يربوع ؟ قال : انا سعد ، فهل تدلني على نجيح ؟ قال : انا نجيح . وحدثه بالحديث . فقال سعد : الدال على الخـير كفاعله . وهو اول

من قاله . فانطلقا حتى أتيا ذلك المكان فتوارى الأعمى ، فأخذه سعد كله . فقال نجيح : يا سعد ، قاسمني . فقال له : اطوعن مالي كشحاً . وأبى أن يعطيه . فانتضى نجيحٌ سيفه ، فجعل يضربه حتى برد . فلما وقع قتيلاً ، تحوّل الرجل الحافظ للمال ثعلاً وأسرع في اكل سعدٍ وعاد المال الى مكانه . فلما رأى نجيحٌ ذلك ، ولى هارباً الى قومه .

ويقال في المثل : أبخل من ابي عبسٍ وكان من شأنه ، اذا وقع الدرهم في يده ، نقره بإصبعه، ثم يقول : كم من مدينة قد دخلتها ؟ ويد قد وقعت فيها ؟ فالآن استقر بك القرار. واطمأن بك الدار . ثم يرمي به في صندوقه فيكون آخر العهد به .

وشبيه ذلك شخصٌ يقال له خليل ، من أعيان اهل فارس ، وأجلهم قدراً دخل منزلي يوماً ، فرآني أهب شيئاً من دراهم ، كانت عندي . ورأى السرور في وجهي بذلك ، فقال لي : يا سيدنا ، ما تقول في امري ؟ قلت : وما امرك ؟ قال : اني أعشق الناس في الدنيا ، والدرهم . فقلت له : جماعة من كرام الناس ، يحبون الجدة ، من اجل الجود ، فيجدون ما يهبون فقال: ما انا ممن يحب هذه الاحجار ، من اجل العطاء ، والإنفاق . لكني أحبها لعينها أموت جوعاً ، ولا أقدر أن انفقها اصلاً وما يخرج منها من يدي شيء إلا وتخرج روحي معه .

حديث امية بن يزيد الاموي :

قال : كنا عند عبد الرحمن بن يزيد ابن معاوية ، فجاءه رجل من اهل بيته ، فسأله : المعونة على التزوج . فقال له قولاً ضعيفاً . ووعده وعداً فيه قلة اطماع فلما قام من عنده ، ومضى ، دعى صاحب خزانته ، فقال : اعطه

اربعمائة دينار فاستكثرناها ، فقلنا له : لما كلمك رددت عليه رداً ، ظننا انك تعطيه قليلاً ، فإذا انت اعطيته اكثر مما امل . قال : اني أحب ان يكون فعلي أحسن من قولي :

قلت : ونزل على جدي حاتم الطائي ضيف ، ولم يحضره القري ، فنحر ناقة الضيف ، وعشاه ، وغداه ، وقال له : يا ضيف انك قد اقرضتني ناقتك فاحتكم . قال : راحلتين . قال حاتم : لك عشرون . أرضيت ؟ قال : نعم ، وفوق الرضا . قال : فلك اربعون . ثم قال لمن حضره من قومه ، من أتانا بناقة ، فله ناقتان ، بعد الغارة فاتوه بأربعين . فدفعها الى الضيف .

وحكى لي ، عن حاتم ايضاً : انه خرج في الشهر الحرام ، يطلب حاجة فلما كان بأرض غزّة ، ناداه أسيرٌ : يا ابا سفانة ، قد اكلني الأسر ، والقمل قال : والله ما انا ببلادي ، ولا معي شيء ، وقد أسأت اليّ ، إذ نوّهت بإسمي . فذهب العرس ، فساومهم ، وقال : خلوا عنه ، وأنا اقيم مكانه في قيده ، حتى أؤدي فداءه فأتاهم بفدائه .

حدثنا ابو ذرّ ، وقد وقع ذكر حاتم طي ، فقال لي : ذكر من اخبار جدك ، انه لما مات ، يعني حاتماً ، خرج رجل من بني اسد ، يعرف بأبي البحتري ، في نفر من قومه . وذلك قبل ان يعلم كثير من العرب بموته . فأناخوا بقبره ، فقال : والله ، لأحلف للعرب ، أني نزلت بحاتم ، وسألته القرى ، فلم يفعل . وجعل يضرب برجله قبره ، ويقول :

اجعل ابا سفانة قراكا   فسوف آتي سائلي ثناكا

فقال بعضهم : ما لك تنادي رمة ؟ وباتوا مكانهم . فقام صاحب القول

من نومه مذعوراً ، وقـــال : يا قوم ، عليكم مطاياكم لقرى حاتم . فقالوا : كيف ؟ قال : انه أتاني في منامي هذا فأنشدني :

ابا البحتري وأنت امــرء ظـلوم العشيرة شتامها
ماذا أردت الى رمــةٍ بدمنة قـد صبحت هامها
تبغي أذاهــا وأعسارها وحولـك غوث وأبغامها
وأنا لننعم أضيافنــــا من الكوم بالسيف نعتامها

مثل سائر : أجود من كعب بن امامة :

حكي : ان جوده قتله . وذلك انه خرج في نفر ، فيهم رجل من النميري قاسط . فخلصوا في قفر بلا ماء . فأضر بهم العطش فجعل النميري يشرب ماءه فإذا أراد كعب أن يشرب نصيبه، يقول : آثر أخاك النميري ، فيؤثره على نفسه ، حتى أضرّ به العطش . فلما رأى ذلك ، استحث ناقته ، وبادر حتى بانت له اعلام المـــاء . وقيل له : رد كعب فإنك وارد . فمات قبل أن يرد الماء . ونجا رفيقه ، وكان هذا كعب من اياد .

وأنشدوا في هذا المعنى لأبي تمام :

هو البحر من أي النواحي أتيته فلجّته المعروف والجود ساحلهْ
كريم اذا ما جئت للعرف طالباً حباك بمــا تحوي عليه أنامله
ولو لم يكن في كفه غير نفسه لجاد بهـــا فليتق الله سائله

حديث يحيى بن يحيى النيسابوري مع المأمون :

حدثنا ابو محمد بن عبد الرحمن ، ثنا عبد الله بن اسماعيل ، ثنا ابو الفرج

ابن علي ، أنبأ اسماعيل بن احمد ، انا احمد ، انا يوسف بن الحسن ، قال : سمعت ابا علي بن الحسين بن بندار ، يقول : كان الرشيد ، بعث الى مالك بن انس ، يستحضره ، ليسمع منه الامين ، والمأمون ، فأبى ، وقال : ان العلم يؤتى ، ولا يأتي . فبعث اليه : أبعثهما اليك ؟ فقال : بشرط أن لا يتخطيا رقاب الناس ، ويجلسا حيث انتهى بهما المجلس. فحضروا وكان يحيى بن يحيى النيسابوري ، يحضر المجلس ، فحضر ، فانكسر قلمه يوماً ، فناوله المأمون قلماً ، فلم يقبل . فقال له : ما اسمك ؟ فقال : يحيى بن يحيى النيسابوري . فقال : أتعرفني ؟ قال : نعم ، انت المأمون بن امير المؤمنين. فكتب المأمون على ظهر جزء : ناولت يحيى بن يحيى النيسابوري قلماً في مجلس مالك ، فلم يقبله . فلما افضت الخلافة اليه ، بعث الى عامله بنيسابور ، ان تولي يحيى بن يحيى ، القضاء . فأرسل كتاب المأمون اليه . فقال : قل لأمير المؤمنين ، ناولتني قلماً ، وأنا شاب فلم اقبل ، أفتجبرني على القضاء ، وأنا شيخ ؟ فرفع الخبر الى المأمون ، فقال : رجلاً يختاره . فأختار رجلاً ، فولّي فجأ القاضي الى يحيى يسلم عليه ، فضمّ يحيى فراشاً تحته . فقال له القاضي : أيها الشيخ، ألم تخترني ؟ قال : إنما قلت : اختاروه ، وما قلت لك : تقلد القضاء .

حدثنا غير واحد عن علي بن ابي عمر ، عن محمد بن الحسن ، عن عبد الملك ابن بشرانه قال: أنا ابو بكر الآجري، قال : حدثنا جعفر بن احمد بن عاصم الدمشقي ، قال : حدثنا احمد بن الحواري ، قال : حدثنا ابراهيم بن السقا ، عن اضرم الخراساني، قال : كتب امير المؤمنين عمر بن عبد العزيز الى الحسن البصري : عظني . فكتب اليه الحسن :

امـا بعد ، يا امير المؤمنين ، فكن للمثل من المسلمين أخاً . وللكبير ابناً وللصغير ابـاً وعاقب كل واحد منهم بذنبه ، على قدر جسمه . ولا تضربن لغضبك سوطاً واحداً ، فتدخل النار .

قال اسمعيل بن عياش: ظهر بأفريقية جور، فخرج عبدالرحمن بن زياد بن الأنعم الافريقي ، الى ابي جعفر المنصور ، ليعلمه بذلك . فلما وصل ، قال : ما اقدمك ؟ قال : ظهر الجور ببلادنا ، فجئت لأعلمك ، مستجيراً بعدلك ، فإذا الجور يخرج من دارك فغضب المنصور، وهمّ به ، ثم انه تراجع من نفسه فأمر بإخراجه الى بلاده .

حدثنا بذلك عبد الرحمن بن علي ، اجازه عن ابي منصور القزاز ، عـن احمد بن علي بن ثابت ، عن البرقاني ، عـن محمد بن احمد ، عن عبد الملك بن الآدمي ، عن محمد بن علي الايادي ، عن زكريا بن يحيى الساجي ، عن احمد ابن محمد ، عن الهيثم بن خارجة ، عن اسماعيل بن عياش ، وذكره ، وقال :

روينا من حديث ابن عرفة، عن ابن عياش المنصوري، عن محمد بن يوسف عن محمد بن يزيد ، عن ابن ادريس ، ان عبد الرحمن بن زياد الافريقي، قال: ارسل اليّ ابو جعفر المنصور ، فقدمت اليـــه ، فاستدناني ، ثم قال لي : يا عبد الرحمن ، كيف ما مررت به من اعمالنا ، الى ان وصلت الينا ؟ قال : قلت : اعمالاً فاسدة سيئة، وظلماً فاشياً ، وظننت ان ذلك لبعد البلاد منك فجعلت كلمـا دنوت منك ، كان الأمر أعظم . فنكس المنصور رأسه ، ثم رفع ، وقال : كيف لي بالرجال ، يا عبد الرحمن ؟ قـــال : قلت : أفليس عمر بن عبد العزيز يقول : السلطان بمنزلة السوق ، يجلب فيها ما ينفق فيها . فإن كان براً ، أتوه ببرّهم، وإن كان فاجراً ، اتوه بفجوره . فأطرق طويلاً، وأومأ الى الربيع ، أن يخرج ، فخرجت ، وما عدت اليه .

حدثنا بذلك تاج النساء بنت رستم، عن الارموي، عن ابي بكر الخطيب عن الازهري ، عن احمد بن ابراهيم ، عن ابراهيم ، عن محمد بن عرفة ، عن

ابي العباس المنصور ، عن محمد بن يوسف ، قـــال : علي بن محمد بن الحسن القزويني . سمعت بعض اصحابنا ، يقول : اقبل المنصور يومــاً ، راكباً . والفرج بن فضالة جالس ، عند باب الذهب . فقـــام الناس ، ولم يقم الفرج فاستشاط غضباً ، ودعى به ، فقال : مـــا منعك من القيام حين رأيتني ؟ قال : خفت أن يسألني الله عنه ، لم فعلت ؟ ويسألك عنه : لِمَ رضيت به ؟ وقـــد كرهه رسول الله ﷺ . قال : فبكى المنصور ، ورقّ له ، وقضى حوائجه . حدثني بهـــا محمد بن اسمعيل ، عن عبد الرحمن بن علي ، عن ابي منصور القزاز ، عن ابي بكر الخطيب ، عن محمد بن عيسى ، عن عبد العزيز عن علي بن محمد بن الحسن القزويني وذكر : حدثنا يونس بن يحيى ، نبأ محمد ابن ناصر ، نبـــأ المبارك بن عبد الجبار ، انا محمد بن علي بن الحسين بن المأمون ، نبأ ابو بكر بن القاسم ، ثنا احمد بن بشار ، ثنا اسحاق بن بهلول ثنا ابي ، ثنا اسحاق بن زياد ، عن شبيب بن شيبة ، عـن خالد بن صفوان ابن الهيثم ، قال : إن ملكاً من الملوك ، خرج في عام ، قد بكر وسميه ، وتتابع وليه ، وأخضرّت الأرض فيه، ونجم نبتها ، وضحك زهرها . وكان قد أعطى حسن الصورة ، والملك . فنظر بأبعد النظر ، فقال : إن هـــذا الذي انا فيه ، هل رأيتم مـــا انا فيه ؟ هل أعطى احد مثل ما اعطيته ؟ وعنده رجل من بقايا حملة الحجرة ، والمكبين ، على أدب الحق . فقال : أيها الملك ، انك سألت عن امر . أفتأذن في الجواب ؟ قـــال : نعم . فقال : أرأيتك هذا الذي قد أعجبت به ، أهو شيء لم تزل فيه ؟ ام هو شيء ميراثاً عن غيرك ، وهو زائل عنك ، وصائر الى غيرك ، كما صار اليك ؟ قـــال : فكذلك هو . قال : أفلا أراك ، إنما اعجبت بشيء يسير تكون فيه قليلاً ، وتغيب عنه طويلاً ، وتكون غداً بحسابه مرتهناً . قال : ويحك ، فـــأين المهرب ؟ وأين المطلب ؟ قال : إما أن تهتم في ملكك ، فتعمل فيــه بطاعة

ربك ، على ما سأل ، وسرّك ، وأرمضك . وإما أن تضع تاجك ، وتلبس امساحك . وتعبد ربك ، في هذا الجبل ، حتى يأتيك اجلك . قال : فإذا كان السحر ، فأقرع على بابي ، فإن اخترت ما أنا فيه كنت وزيراً لا تعصى . وإن اخترت فلوات الأرض ، وقفر البلاد ، كنت رفيقاً لا تخالف . فلما كان السحر ، قرع عليه بابه ، فإذا هو به قد وضع تاجه ، ولبس امساحه ، وتهيأ للسياحة . فلزما والله الجبل ، حتى اتاهما الأجل .

حدثنا في آخرين . قالوا : ثنـا محمد بن عبد الباقي ، عن احمد بن احمد ، عن ابي نعيم ، عن عبد الله بن محمد بن جعفر ، عن ابي بكر بن معدان ، عن محمد بن مسلم ، عن ابي الحارث الكتاني ، عن محمد بن عبد الله الاموي ، قال : حدثنا ابن داود ، وكان قد بلغ ثمانين ، عن الزهري ، قـال : نظر سليمان ابن عبد الملك ، الى رجل يطوف بالكعبة ، له تمام ، وكمال . فقـال له : يا ابن شهاب ، من هذا ؟ قلت : طاوس اليماني ، قد ادرك عدة من الصحابة . فأرسل اليه سليمان ، فأتاه ، فقال له : لو حدثتنا . قال : حدثني ابو موسى الاشعري ، قال : قال رسول الله ﷺ : إن اهون الخلق على الله من ولّي من امر المسلمين شيئاً ، فلم يعدل فيهم . فتغير وجه سليمان ، فأطرق طويلا ، ثم رفع رأسه ، فقال : لو حدثتنا . قال : حدثني رجل من اصحاب رسول الله ﷺ ، وقال ابن شهاب : ظننت انه اراد علياً . قـال : دعاني رسول الله ﷺ ، الى طعام في مجلس من مجالس قريش . قـال : ان لكم على قريش حقاً ، ولهم على الناس حقـاً ، ما استرحموا فرحموا ، واستحكموا فعدلوا ، وائتمنوا فأدوا . فمن لم يفعل ذلك ، لم يقبل الله منـه صرفاً ، ولا عدلاً . فتغير وجه سليمان ، فأطرق طويلا ، ثم رفع رأسه ، فقال : لو حدثتنا .

فقال : حدثني ابن عباس ، ان آخر آية نزلت : واتقوا يوماً ترجعون فيه الى الله ثم توفي كل نفس ما كسبت وهم لا يظلمون .

حدثنا محمد بن اسماعيل ، نبأ عبد الرحمن بن علي ، نبأ علي بن محمد بن ابي عمر ، انا محمد بن الحسن بن احمد ، عن عبد الملك بن بشران ، عن محمد بن الحسين الآجرّيّ ، حدثني عمرو بن محمد بن بكار القافلانيّ ، عن ابراهيم بن هانىء النيسابوري ، عن ابي صالح كاتب الليث بن سعد ، قال : اخذتها من الليث بن سعد ، رسالة الحسن بن ابي الحسن البصري الى عمر بن عبد العزيز .

أما بعد . أيها الأمير : ان الدنيا دار ظعن ، وليست بدار إقامة ، وإنما أهبط آدم من الجنة عقوبة . وقد يحسب من لا يدري ثواب الله انها ثواب . ومن لا يدري عقاب الله انها عقاب . ولها في كل حين صرعة ، وهي تهين من اكرمها . والغني فيها فقير . فكن فيها يا امير المؤمنين ، كالمداوي جرحه ، يصبر على شدة الدواء ، مخافة طول البلاء يحتمي قليلاً ، مخافة ما يكره طويلاً . فإن اهل الفضائل ، كان ، منطقهم فيها بالصواب ومشيهم بالتواضع ومطعمهم الطيب من الرزق ، مغمضي ابصارهم عن المحارم . فخوفهم من البر ، كخوفهم من البحر ، ودعاؤهم في السرّاء ، كدعائهم في الضرّاء ، لولا الآجال التي كتبت لهم ، ما تقاربت أرواحهم في أجسادهم خوف من العقاب. وشوقاً الى الثواب ، عظُم الخالق في أنفسهم ، فصغر المخلوق في أعينهم .

واعلم ان التفكر يدعو الى الخير والعمل به ، والندم على الشرّ يدعو الى تركه . وليس ما يغني وان كان كثيراً باهل ان يؤثر على ما يبقى وان كان طلبه عزيزاً. واحتمال المؤنة المنقطعه التي تعقب الراحة الطويلة خير من تعجيل

راحة منقطعة تعقب مؤنة باقية ، وندامة طويلة. فاحذر هذه الدنيا الصارعة الخاذلة القاتلة التي قد تزينت بخدعها ، وقتلت بغرورها ، وخدعت بآمالها ، فأصبحت كالعروس المجليّة ، فالعيون اليها ناظرة ، والقلوب اليها والهـة ، والنفوس لها عاشقة ، وهي لأزواجها كلهم قاتلة ، فلا البـاقي بالماضي يعتبر ، ولا الآخر لما رأى من أثرها بالاول يزدجر ، ولا العارف بالله المصدق له حين أخبره عنها مذكر . قد أبت القلوب لها إلا حباً ، وأبت النفوس لهـا إلا عشقاً . ومن عشق شيئاً لم يعرف غيره ، ولم يعقل سواه ، ومات في طلبه ، وكان آثر الأشياء عنده ، فهما عاشقان طالبان مجتهدان . فعاشق لها قد ظفر منها بحاجته فاغترّ وطغى ونسي ولهى ، فغفل عن مبتدأ خلقه ، ووضع ما اليه معاده ، وقلّ في الدنيا لبثه ، حتى زلّت عنه قدمه ، وجاءته منيته على شرّ ما كان عليها حالاً ، وأطول ما كان فيها أملاً ، فعظم ندمه ، وكثرت حسرته مع ما عالج من سكرته ، فاجتمعت عليه سكرة الموت بكربته ، وحسرة الفوت بغصته ، فغير موصوف ما نزل به، وآخر مات قبل ان يظفر منها بحاجته ، فمات بغمه وكمده ، ولم يدرك فيها ما طلب ، ولم يرح نفسه من التعب والنصب ، فخرجوا جميعاً بـلا زاد ، وقدماً على غير مهاد . فالحذر يا أمير المؤمنين : الحذر كله منها ، فإنما مثلها مثل الحيّة ، ليّن مسها وتقتل بسمها ، فاعرض عما يعجبك فيها القلة ما يصحبك منها ، وضع عنك همومها لما قد أيقنت به من فراقها ، واجعـل شدة ما اشتدّ منها رجاء ما ترجو بعدها ، وكن عند أسرّ ما تكون فيها . احذر ما يكون منها ، فإن صاحب الدنيا كلما اطمأن منها الى سرور صبّحته من سرورها بما يسوءه . وكلما ظفر منها بما يحبّ انقلبت عليه بما يكره . فالسارّ منها لأهلها غارّ ، والنافع منها غداً ضارّ ، وقـد وصل الرجاء فيها بالبلاء ، وجعل البقاء فيها الى الفناء ، فسرورها بالحزن مشوب ، والناعم فيها مسلوب . فانظر يا أمير

المؤمنين اليها انظر الزاهد المفارق ، ولا تنظر اليها نظر المبتلي العاشق . واعلم يا أمير المؤمنين نزيـل البلوى الساكن ، وتفجّع المترف الآمن . ولا يرجع فيها الى ما ولـّى منها ، ولا يتبع ما صفا منها إلا كدر . فاحذرها ، فإن أمانيها كاذبة ، وآمالها باطلة ، وعيشها نكد ، وصفوها كدر ، وأنت منها على خطر ، أما نعمة زائلة ، او بليّة نازلة ، او مصيبة فادحـــة ، او منية قاضية . فلقد كدرت المعيشة لمن عقل، فهو من نعيمها على خطر ، ومن بليته على حذر ، ومن المنية على يقين . فلو كان الخالق تبارك اسمه ، لم يخبر عنهـا بخبر ، ولم يضرب لهـــا مثل ، ولم يأمر فيها بزهد ، لكانت الدنيا أيقظت النائم ، ونبّهت الغافل ، وكيف وقـد جاء عن الله عزّ وجلّ منها زاجر ، وفيها واعظ ، فما لها عنده قـدر ، ولا وزن من الصغر ، وهي عنده أصغر من حصاة في الحصى ، ومن مقدار نواة في النوى . ما خلق الله عزّ وجلّ فيما بلغنا أبغض الى الله تعالى منها ، ما نظر اليها منذ خلقها ، ولقد عرضت على نبيّنا ﷺ بمفاتيحها وخزائنها ، لا ينقصه ذلك عند الله جناح بعوضة ، فأبى ان يقبلها ، وما منعه من القبول لها مع ما لا ينقصه الله عزّ وجلّ شيئاً ممـا عنده كما وعده إلا انه علم انـ الله عزّ وجلّ أبغض شيئاً فأبغضه ، وصغر شيئاً فصغـّره ، ولو كان قبلها كانت الدليل على محبة قبوله إياها، ولكن كره ان يخالف أمره ، ويحبّ ما ابغض خالقـــه ، او يرفع ما وضع مليكه ، والسلام عليك ورحمة الله وبركاته .

وفي الرسالة طول ، فاقتصرنا منها على هذا القدر من هذا الطريق .

ومن قصص عطاء بن ابي رباح مع هشام :

ما أخبرنا به غير واحد ، عن ابي منصور بن محمد بن عبد الملك، عن احمد ابن علي بن ثابت ، عن ابي الحسن، عن أبي ايوب الكاتب القمي، عن ابي عبدالله

محمد بن عمران بن موسى المرزباني ، عن محمد بن احمد الكاتب ، عن عبد الله بن ابي سعيد الورّاق ، عن عمر بن ابي شيبة ، عن سعيد بن منصور الرقي ، عن عثمان بن عطاء الخراساني، قال: انطلقت مع ابي وهو يريد هشام بن عبدالملك، فلما قربنا اذا بشيخ اسود على حمار عليه قميص دنس وجبّة دنسة وقلنسوة لاطية دنسة وركابات منخشب،فضحكتُ وقلتُ لأبي:من هذا الإعرابي؟قال: اسكت هذا سيد فقهاء اهل الحجاز هذا عطاء بن ابي رباح ، فلما قرب نزل ابي عن بغلته ونزل هو عن حماره ، فتعانقا وتسالما ، ثم عادا فركبا وانطلقا حتى وقفا بباب هشام . فلما رجع ابي سألته فقلت : حدثني ما كان منكما ، قال : لما قيل لهشام : عطاء بن ابي رباح، على الباب اذن له، فوالله ما دخلت إلا بسببه ، فلما رآه هشام قال : مرحباً مرحباً . ههنا ، فرفعه حتى مست ركبته ركبته ، وعنده اشراف الناس يتحدثون ، فسكتوا ، فقال هشام : ما حاجتك يا ابا محمد ؟ قال : يا امير المؤمنين اهل الحجاز وأهل نجد اصل العرب ، وقادة الاسلام ، ترد فيهم فضول صدقاتهم ، قال : نعم : اكتب يا غلام ، بأن ترد فيهم صدقاتهم . هل من حاجة غيرها يا ابا محمد ؟ قال : نعم يا امير المؤمنين : اهل الثغور يرمون من وراء بيضتهم ، ويقاتلون عدوّكم ، هل اجريتم لها ارزاقاً تدروها عليهم ؟ فإنهم ان هلكوا بمن يتم ، قال : نعم اكتب يا غلام ، تحمل ارزاقهم اليهم . هل من حاجة غيرها يا ابا محمد ؟ قال: نعم يا امير المؤمنين ، اهل دمنكم لا تجيء صغارهم ، ولا تتعتع كبارهم ، ولا يكلفون إلا ما يطيقون ، فإنما يجيئون معونة لكم على عدوكم . قال : نعم . اكتب يا غلام : ان لا يحملوا ما لا يطيقون . هل من حاجة غيرها ؟ قال : نعم يا امير المؤمنين : اتق الله في نفسك ، فإنك خلقت وحدك ، وتموت وحدك ، وتحشر وحدك ، وتحاسب وحدك، لا والله ما معك ممن ترى احداً قال : فأكبّ هشام ، وقام عطاء ، فلما كان عند الباب وإذا رجل قد تبعه

بكيس ما ندري فيه دراهم او دنانير ، وقال : ان امير المؤمنين امر لـــك بهذا ، فقال : ما اصنع بهذا ؟ « قل ما اسئلكم عليه من اجر إن اجري إلا على رب العالمين » . قال : ثم خرج عطاء ، فوالله ما شرب عنده حسوة من ماء فما فوقها .

وحدثنا يونس ، وغيره ، حدثنا عبد الوهاب بن المبارك ، أنا ابو الحسين عبد الجبار ، انا احمد بن علي الثوري ، انا عمر بن ثابت ، حدثنا عـلي بن ابي قيس ، حدثنا ابو بكر القرشي ، حدثني ابو علي بن الحسين بن شفيق ، عـن ابن المبارك، عن عبد الرحمن بن يزيد بن جابر، قال: كتب عمر بن عبد العزيز الى يزيد بن عبد الملك : إياك أن تدركك الصرعة عند العزّة ، فـــلا تقال العثرة ، ولا تمكن من الرجعة ، ولا يحمدك من خلفت ممـــا تركت ، ولا يحمدك من تقدم عليه بما به اشتغلت .

حدثنا محمد بن اسمعيل ، ثنا عبد الرحمن بن علي بن محمد، ثنا عبد الرحمن ابن محمد ، انبأنا احمد بن علي ، انبأنا محمد بن علي ، أنا محمد بن عبد الواحد، انبأنا محمد بن العباس ، ثنا محمد بن خلف ، اخبرني محمد بن الفضل، اخبرني بعض اهـــل الأدب ، عن حسن الوصيف ، قال : قعد المهدي قعوداً عاماً للناس ، فدخل رجل وفي يـده نعل في منديل ، فقال : يا امير المؤمنين : هذا نعل رسول الله ﷺ قد أهديتها لك ، قال : هاتها ، فدفعها اليه، فقبل باطنها ووضعها على عينيه ، وأمر للرجل بعشرة آلاف درهم . فلـما اخذها وانصرف قال لجلسائه : اترون اني لم اعلم ان رسول الله ﷺ لم يرهـا فضلاً عن أن يكون لبسها ؟ ولو كذبناه لقال للناس : اتيت امـير المؤمنين بنعل رسول الله ﷺ فردّها علي ، ولكان من يصدقه اكثر من ان يرفع خـبره ،

إذ كان من شأن العامـــة الميل الى اشكالها ، والنصرة للضعيف على القوي ، فاشترينا لسانه ، ورأينا الذي فعلنا أنجح وأرجح .

ومن اخبار يحيى بن اكثم مع المأمون في طريق الشام :

فأمر فنودي بتحليل المتعة ، فقال لنا يحيى بن اكثم بكراً اغدو اليه ، فإن رأيتما للقول وجهاً فقولاً ، وإلا فأسكتا الى أن أدخل . قـال : فدخلنا عليه وهو يستاك فيقول وهو مغتاظ : متعتان كانتا على عهد رسول الله ﷺ وعلى عهـد ابي بكر ، وعمر رضي الله عنهما ، وأنا انهي عنهما . ومن انت يا احول حتى تنهي عما فعله النبي ﷺ ؟ قال : فأمسكنا ، فجاء يحيى فجلس وجلسنا ، فقال المأمون ليحيى : مالي أراك متغيراً ؟ قال : هو غم يا امير المؤمنين لما حدث في الاسلام ، قال : وما حدث ؟ قال : النداء بتحليل الزنا قال : الزنا : المتعة ؟ قال : ومن أين قلت هـــذا ؟ قال : من كتاب الله عز وجل ، ومن حديث رسول الله ﷺ ، قال الله تعالى : « قـــد افلح المؤمنون الذين هم في صلاتهم خاشعون ، الى قوله هم العادون » يا امير المؤمنين زوجته ، متعته ، ملك يمينه ، قال : لا ، قال : فهي الزوجة التي عني الله : ترث وتورث وتلحق الولد ولها شرائطها، قال : لا ، قال : قد صار متجاوز هذين من العادين ، وهـــذا الزهري يا امير المؤمنين : روى عن عبد الله ، والحسن ابني محمد بن الحنفية ، عن أبيهما محمد بن علي، عن علي بن ابي طالب رضي الله عنه ، قـال : امرني رسول الله ﷺ أن أنادي بالنهي عن المتعة ، وتحريمها بعد أن كان امر بها ، فالتفت الينا المأمون فقال : محفوظ هـذا من حديث الزهري ؟ فقلنا : نعم يا امير المؤمنين : رواه جماعة ، منهم مالك ، فقال : استغفر الله ، نادوا بتحريم المتعة ، فنادوا بهـــا ، فقال الصولي :

فسمعت اسمعيل بن اسحاق يقول : وقـــد ذكر يحيى بن اكتم فعظم امره وقال : كان له يوم في الاسلام لم يكن لأحد مثله . وذكر هذا اليوم .

حدثنا بذلك جماعة عن ابي منصور عبد الرحمن بن محمد ، عن احمـد بن علي بن ثابت عن ابي عبد الله القاضي حسين ، عن الصيمري عـــن محمد بن عمران المرزباني ، عن الصولي ، عن ابي العينا ، عن احمد بن ابي داود، قالوا: وقال الصولي : وحدثنا محمد بن موسى بن ابي داود ، عن المسرف ، عـــن سعيد ، عن محمد بن منصور ، والسياق لأبي العينا ، حدثنا سعيد بن الحسن النسائي ، عن جده الحسن بن سفيان ، عن حرملة ابن يحيى ، عن عبد الله ابن وهب ، عن سفيان بن عيينة ، قال : كتب الحسن البصري الى عمر بن عبد العزيز : أعلم أن الهول الأعظم ، ومفظعات الأمور ، أمامك ، لم يقـع منها بعد ، وإنه والله لا بدّ لك من مشاهدة ذلـك ومعاينته ، إما بالسلامة والنجاة منه ، وإما بالعطب .

حديث سعيد بن ابراهيم بن عبد الرحمن بن عوف الزهري مع الوليد بن عبد الملك في حرق القبة :

حدثنا يونس بن يحيى . أنا ابن ابي منصور ، عن ابي القاسم ، عـن ابي عبد الله بن بطة ، عن ابي صالح محمد بن احمد ، عن الحارث، عن ابي أسامة عن الواقدي ، عن موسى بن ابي بكر ، عن صالح بن كيسان ، ان الوليد ابن عبد الملك ولّى سعد بن ابراهيم بن عبد الرحمن بن عوف على قضاء المدينة، وكان ذا دين وورع وصلابة في الدين لا تأخذه في الله لومة لائم، وأراد الوليد الحج ، فاتخذ قبـه من ساج ليجعلها حول الكعبة ليطوف هو ومن أحب من أهله ونسائه فيها ، وكان فظاً مجبراً ، فأراد ابن عمـه أن يطوف فيها حول الكعبة ، ويطوف الناس من وراء المقصورة ، فحملها على الإبـل من الشام ،

ووجه معها قائداً من قواده في ألف فارس من الشام ، وأرسل معه مـــالاً يقسمه في أهل المدينة، فقدم بها، فنصبت في مصـّلى رسول الله ﷺ ، ففزع من ذلك أهل المدينة ، فاجتمعوا ، فقالوا : الى من نفزع في هـــذا الأمر ؟ فقالوا : الى سعد بن ابراهيم، فأتاه الناس فأخبروه الخبر، فأمرهم أن يضرموها بالنار ، فقالوا : لا نطيق ذلك ، معها ألف فارس من الشام، فدعى مولىً له فقال : علي بدرعي ، فجاءه بدرع جده عبد الرحمن بن عوف التي شهد بهـا بدراً ، فصبها عليه ، ثم دعا ببغلته فركبها ، فما تخلف عنه يومئذٍ قرشي ، ولا انصاري ، حتى أتاها ، فقال : عـلي بالنار ، فأتى بنار فأضرمها فيها ، فغضب القائد ، فقيل له : هذا قاضي امير المؤمنين ومعه الناس ولا طاقة لك بهم فانصرف راجعاً الى الشام . قال ابن كيسان : وشبع أهـــل المدينة من الناطف ممـــا اكتسبوا من حديدها ، فلما بلغ ذلك الوليد كتب اليه : ولي القضاء رجلاً وأقـدم علينا ، فوّلى القضاء رجلاً ، وركب حتى أتى الشام ، فقام ببابه شهراً لا يؤذن له حتى نفذت نفقته ، وأضربـه طول المقام ، فبينما هو ذات عشية في المسجد اذا هو بفتىً سكران ، فقال : من هـذا ؟ قالوا : خال امير المؤمنين سكران يطوف في المسجد، فقال : لمولىً له : هلم السوط، فأتاه بسوطه فقال : عليّ به ، فضربه في المسجد ثمانين سوطاً ، وركب بغلته ومضى راجعاً الى المدينة . فأدخل الفتى على الوليد مجلوداً ، فقال : من فعل بـــه هذا ؟ قالوا : قاضيك على المدينة سعد بن ابراهيم ، فقال : عليّ به ، فلحق على مرحلة فدخل عليه فقال : يا أبا إسحاق ماذا فعلت بإبن اختك ؟ فقال : يا امير المؤمنين إنـك وليتنا أمراً من امورك ، فأتى حقاً لله ضائعاً سكران ، يطوف في المسجد وفيه الوفود ، ووجوه الناس ، فكرهت أن يرجع الناس عنك بتعطيل ، فأقمت عليه حـده . فقال : جزاك الله خيراً ، وأمر له بمال ، ولم يذاكره شيئاً من أمر حرق القبة .

حدّثنا محمد بن اسماعيل ، ثنا عبد الرحمن بن علي ، نبأ محمد بن الحسين ، ثنا عبد الملك بن بشران ، قال : أنبأ ابو بكر الآجرّي ، نبأ ابن صاعد ، نبأ الحسين بن الحسين ، انا ابن المبارك ، انا هشام ، قال : حدّثني مولى مسلمة ابن عبد الملك ، قال : حدّثني مسلمة بن عبد الملك ، قال : دخلت على عمر ابن عبد العزيز بعد صلاة الفجر في بيت كان يخلو فيه بعد الفجر فلا يدخل عليه احد ، فجاءته جارية بطبق فيه تمر صيحاني، وكان يعجبه التمر ، فوضع في كفه منه فقال : يا مسلمه أترى لو ان رجلاً أكل من هذا ، ثم شرب عليه الماء ، فإن الماء على التمر طيّب ، فكان يجزئه الى الليل ؟ قال : فقلت : لا أدري ، فرفع أكثر منه ، قال : فهذا ؟ قلت : نعم يا امير المؤمنين كان كافيه دون هذا حتى لا يبالي ان يذوق طعاماً غيره ، قال : فعلام يدخل النار ؟ قال مسلمة : فما وقعت مني موعظة ما وقعت مني هذه .

روينا من حديث ابن ابي الدنيا ، حدّثنا عبد الرحمن بن صالح ، نبأ ابو نعيم ، عن سفيان ، قال : قال معاوية لابن الكواكيف: ترى الزمان ؟ قال: يا امير المؤمنين إن تصلح يصلح .

قيل لبعض خلفاء عصرنا وقد ذكرنا انساناً لم يكن له قديم مجد ، فقال له بعض الحاضرين : يا امير المؤمنين ممن هو يؤبه له ، فإن الدهر ما ساعده بشيء ؟ فقال : نحن الزمان ، من رفعناه ارتفع ، ومن وضعناه اتضع ، وولّاه .

وتقول الصوفية : شروط السماع اربعة : اذا كلمت ، ولا مانع الزمان ، والمكان ، والاخوان ، ويعنون بالزمان : السلطان ، اذا قال به ، ودعا اليه ، وطاب الوقت لأصحاب القلوب ، وانبسطت النفوس .

وروينا من حديث ابن ابي الدنيا ، قال : قال ابو كريب : نبأ ابو بكر ابن عيّاش ، عن ابي سعيد ، قال: سمعت الحجاج وهو على المنبر يوماً يقول: يا ابن آدم بينما انت في دارك وقرارك اذ تسوّر عليك ملك الموت ، واختلس روحك ، ثم دفنك أهلك ، ورجعوا ، واختصموا فيك ، حبيباك : حبيبك من أهلك ، وحبيبك من مالك ؛ فاتق الله ، فالآن تأكل ، وغداً تؤكل . ثم بكى حتى تلقّى دموعه بعمامته .

وروينا من حديث ابي نعيم ، انا ابو عبد الله محمد بن احمد بن مخلد انا الحارث بن ابي أسامة ، قال : أخبرنا يزيد بن هرون ، عن ازهر بن سنان القرشي ، حدّثنا محمد بن واسع ، قال : دخلت على بلال بن ابي بردة فقلت: يا بلال ان أباك حدّثني عن جدّك ، عن رسول الله ﷺ ، قال : ان في جهنم لوادياً ولذلك الوادي بئراً يقال لها هبهب ، حق على الله عزّ وجلّ ان يسكنها كل جبار ، فإياك ان تكون منهم .

وقيل : لما دفن سليمان بن عبد الملك قربت مراكب الخلافة لعمر بن عبد العزيز ، فبكى عمر وقال : دابتي أوفق لي .

وأنشدوا في ذلك :

ولولا التقى ثم النهى خشية الردى لعاصيت في حب الصبا كل زاجر
قضى ما قضى فيما مضى ثم لا ترى له صبوة اخرى الليالي الغوابر

ثم قال : إن شاء الله ، فجاءه صاحب الشرط ، فمشى بين يديه فقال : تنحّ عني ، ما لي ولك ؟ أنا رجل من المسلمين ، فسار حتى دخل المسجد ، فصعد المنبر فقال : اني ابتليت بهذا الأمر من غير رأي كان مني فيه ، وقد

خلعت ما في أعناقكم من تبعتي ، فاختاروا لأنفسكم ، فصاح الناس : قد اخترناك ، فقال : أوصيكم بتقوى الله ، فإن تقوى الله خلف من كل شيء ، وليس من تقوى الله خلف ، واعملوا لآخرتكم ، فإن من عمل لآخرته كفاه الله أمر دنياه ، وأصلحوا سرائركم يصلح الله الكريم علانيتكم ، واكثروا من ذكر الموت ، واحسنوا الاستعداد قبل أن ينزل بكم ، وإن من تذكر من آبائه فيما بينه وبين آدم أباً حياً لمعرف له في الموت . ثم نزل فدخل وأمر بالستور ، ثم ذهب يتبوء مقيلاً ، فقال له ابنه : تقيل ولا ترد المظالم ؟ فقال: يا بني إني سهرت البارحة فإذا صليت الظهر رددتها ، فقال : من لك أن تعيش الى الظهر ؟ فقبل بين عينيه وقال : الحمد لله الذي اخرج من صلبي من يعينني على ديني ، فخرج وأمر مناديه أن ينادي : كل من له مظلمة فليرفعها فرد الكل ، فقال : أيها الناس إني أنسا لم ههنا ، وأذكركم في بلادكم ، فمن ظلمه عامله فلا إذن له عليّ ، وإني والله ما أنا بخيركم ، ولكني اثقلكم محلا . ثم خير جواريه فقال : انه قد نزل بي أمر شغلني عنكن ، فمن أحب أن أعتقه أعتقته ، ومن أراد أن أمسكه أمسكته ، ولم يكن مني اليها شيء . قالت زوجته فاطمة : ما أعلم انه اغتسل من جنابة ولا من احتلام منذ ولي الخلافة الى أن مات . وقوموا ثيابه جميعاً حين استخلف فكانت اثني عشر درهماً . وقيل لزوجته : اغسلي قميصه ، قالت : والله ما يملك غيره . وكتب الى عامله : لا تقيد احداً بقيد يمنع عن تمام الصلاة .

وكتب عمر بن عبد العزيز الى يزيد بن عبد الملك : إياك أن تدركك الصرعة عندة العزّة ، فلا تقال العثرة ، ولا تمكن من الرجعة ، ولا يحمدك من خلفت بما تركت ، ولا يعذرك من تقدم عليه بما به اشتغلت والسلام . اخبرنا به محمد بن اسماعيل ، عن عبد الرحمن بن علي ، عن علي بن محمد ، عن

ابي عمرو ، عن محمد بن الحسن ، عن عبد الملك بن بشران ، عن ابي بكر الآجري ، عن ابي صاعد ، عن الحسين بن الحسن ، عن ابن المبارك ، عن عبد الرحمن بن يزيد ، عن جابر ، أن عمر بن عبد العزيز ، وذكره .

وروينا من حديث ابن ابي الدنيا ، عن محمد بن الحسين ، عن شهاب بن عياد ، عن سويد الكلبي ، ان ذرّ بن حبيش ، كتب الى عبد الملك بن مروان كتاباً يعظه ، وكان في آخر كتابه : ولا يطمعنك يا امير المؤمنين في طول الحياة ما يظهر من صحة بدنك ، فأنت أعلم بنفسك ، واذكر ما تكلم به الأولون .

إذ الرجال ولدت اولادها — وبليت من كبرٍ أجسادها
وجعلت اسقامها نفتادها — تلك زروع قددنا حصادها

فلما قرأ عبد الملك الكتاب بكى حتى بلّ طرف ثوبه ، ثم قال : صدق ذرّ ، ولو كتب الينا بغير هذا لكان أوفق .

حدثنا محمد بن اسمعيل ، نبأ عبد الرحمن بن علي ، حدثنا عبد الله بن علي ، أنا منصور بن عبد العزيز العسكري ، أنا ابو احمد عبد الله بن ابي مسلم ، أنا علي بن عبد الله بن المغيرة ، اخبرني احمد بن سعيد الدمشقي ، انا الزبير بن بكار ، حدثني مدائني ، عن عونة بن الحكم ، قال : قال الشعبي : سمعت الحجاج تكلم بكلام ما سبق اليه في علمي احد ، قال : أما بعد : فإن الله كتب على الدنيا الفناء ، وعلى الآخرة البقاء ، فلا فناء لما كتب عليه البقاء ، ولا بقاء لما كتب عليه الفناء ، ولا يغرّنكم شاهد الدنيا عن غائب الآخرة ، واقصر واطول الأمل بقصر الأجل. وقال مبارك بن فضالة : خطب الحجاج يوماً فقال : أما بعد : فإن الله كفانا مؤنة الدنيا ، وأمرنا بطلب الآخرة ،

فليت الذي كان أمرنا به طلب الدنيا وكفانا مؤنة الآخرة . فلما سمعه الحسن قال : ضالة مؤمن عند فاسق خذوها .

حدثنا بهذا كتابة ابو سعد بن عبد الله بن عمر بن احمد بن منصور ، عن ظاهر بن طاهر ، عن ابي عثمان سعيد بن محمد بن احمد ، عن ابيه ، عن علي ابن المؤمل ، عن محمد بن يونس ، عن ابن عوف ، عن مبارك بن فضالة ، وذكره .

بلغنا عن هرم بن حيان ، انه بات عند حممة فبكى حممة الى الصباح ، فقال هرم : ما ابكاك يا حممة ؟ قال : ذكرت ليلة صبيحتها تناثر النجوم .

حكايـــة :

حدثنا يونس بن يحيى ، أنا محمد بن ناصر ، أنا محفوظ بن احمد ، أنا محمد ابن الحسين ، نبأ المعافي ، نبأ عبيد الله بن محمد الأزدي ، ثنا ابو بكر بن ابي الدنيا ، حدثني الحارث بن محمد التميمي ، عن شيخ من قريش ، قال : مرّ الاسكندر بمدينة قد ملكها املاك سبعة وبادوا ، فقال : هل بقي من نسل الاملاك الذين ملكوا هـذه المدينة احد ؟ قالوا : نعم ، رجل يكون في المقابر ، فدعا بـه قال : ما دعاك الى لزوم المقابر ؟ قال : أردت أن اعزل عظام الملوك من عظام عبيدهم ، فوجدت عظام عبيدهم وعظامهم سواء ، فقال له : هل لك أن تتبعني فأحيي بك شرف آبائك ان كانت لك همـة ؟ قال : إن همتي لعظيمة إن كانت بغيتي عندك ، قال : وما بغيتك ؟ قال : حياة لا موت فيها ، وشباب ليس معه هرم ، وغنىً لا فقر معه ، وسرور بغـير مكروه ، قال : لا . قال : فأمض عني لشأنك ، ودعني اطلب ذلـك ممن هو عنده وملكه . فقال الاسكندر : هذا أحكم مما رأيت .

وحدثنا يونس قـال : حدثنا عبد الوهاب الحافظ ، عن المبارك بن عبد الجبار ، عن محمد بن علي بن الفتح ، عـــن محمد بن عبد الله الدقاق ، أنا ابن صفوان ، عن ابي بكر بن سفيان ، عن محمد بن الحسين ، عن الوليد بن صالح عن عبد الرحمن بن يزيد بن أسلم ، قال : كان لعمر بن عبد العزيز سفط فيـه دراعة من شعر وغل ، وكان له بيت في جوف بيت يصلي فيه لا يدخل فيه احد، فإذا كان في آخر الليل فتح ذلك السفط، ولبس تلك الدراعة ، ووضع الغل في عنقه ، فلا يزال يناجي ربه حتى يطلع الفجر ، ثم يعيده في السفط .

وروينا من حديث ابن ابي الدنيا ، عـن محمد بن الحنبص ، عن محمد بن ايوب ، عن يزيد بن محمد بن مسلمة ، قال : حدثني مولىً لنا ، قال : بكت فاطمة بنت عبد الملك حتى غشي بصرها فدخل عليها اخواها مسلمة وهشام، فقالا لها : مـا هذا الأمر الذي قدمت عليه ؟ أجزعك على بعلك فأحق من جزع على مثله او على شيء فاتك من الدنيا ؟ فهـا نحن بـين يديك وأموالنا وأهلونا ؟ فقالت : ما من كل جزعت، ولا على واحدة منهما . أسفت، ولكن والله مـــا رأيت ليلة منظراً ، فعلمت ان الذي أخرجه الى الذي رأيت منه هول عظيم قد استكنّ به في قلبي فعرفته، قالاها : وما رأيت منه ؟ قالت : رأيته ذات ليلة قائماً يصلي وأتى على هـذه الآية « يوم يكون الناس كالفراش المبثوث وتكون الجبال كالعهن المنفوش » .

من تاريخ العلامة جلال الدين السيوطي رحمه الله قال : قال زيد بن أسلم، عن انس رضي الله عنه، ما صليت وراء امام بعد رسول الله ﷺ أشبه صلاة برسول الله ﷺ من هذا الفتى : يعني بـــه : عمر بن العزيز رضي الله عنه ، وهو امير على المدينة . قال زيد بن أسلم فكان يـــتم الركوع والسجود ، ويخفف القيام والقعود ، له طرق ، عـن انس ، اخرجه البيهقي في سننه ،

وغيره . وسئل محمد بن علي بن الحسين . عن عمر بن عبد العزيز فقال : هو نجيب بني امية، وإنه يبعث يوم القيمة امةً وحده . وقال ميمون بن مهران: كان العلماء مع عمر بن عبد العزيز تلامذة .

روينا من حديث ابن ابي الدنيا، حدثنا يعقوب بن اسمعيل، عن يعقوب ابن ابراهيم ، عن محمد بن مكي ، قـــال : خطب عمر بن عبد العزيز فقال : الدنيا ليست بدار قرار ، دار كتب الله عليها الفناء ، وكتب على اهلها منها الظعن ، فكم من عامر موثق عما قليل يخرب ، وكم من مقيم مغتبط عما قليل يرحل ، فأحسنوا رحمكم الله منها الرحلة بأحسن مـا يستعد للنقلة ، وتزودوا فإن خير الزاد التقوى ، إنما الدنيا كفيء قلص فذهب ، بينما ابن آدم ينافس فيها قرير العين بها ، إذ دعاه الله بقدره ، ورماه بيوم حتفه ، فسلبه دنياه ، وصير لقوم آخرين مغناه ، إن الدنيا لا تسر بقدر ما تضر ، تسر قليلاً وتجر حزناً طويلاً .

حدثنا يونس بن يحيى ، عن ابي بكر بن ابي منصور، عن علي بن احمد، عن ابي عبد الله بن بطة ، عن ابي دريد ، عـن ابي حاتم ، عن ابي عبيدة ، قال : إذن عبد الملك للناس إذناً عاماً ، فدخل عليه رجل في هيئة إعرابي، فقال : يا أبا الوليد بلغني ان عندك مالاً فإن كان لله فاقسمه في عباده ، وإن كان لك فتفضل عليهم ، وإن كان لهم فأدفعه اليهم ، وإن كان بينك وبينهم فقد اسأت شركتهم ، ثم ولّى . فقال عبد الملك : اطلبوا الرجل فلم يقدروا عليه ، وأمر للناس بأعطائهم فكانوا يرون انه منبه من عند الله او الخضر ، والله أعلم .

روينا من حديث احمد بن عبد الله بن عبد الرحمن بن العباس ، عن محمد

ابن يونس الكريمي ، عن ابن عثمان ، عن سلام بن مسكين ، عن مالك بن دينار ، انه لقي بلال بن ابي بردة في الطريق والناس يطوفون حوله ، قال : اما تعرفني ؟ قال : بلى أعرفك ، اولـك نطفة ، وآخرك جيفة ، وأسفلك دودة . قال : فهموا بـه أن يضربوه ، فقال لهم : هذا مالك بن دينار ، فترك ومضى .

حدثنا ابو الفتوح في آخرين ، قالوا : حدثنا محمد بن عبد الباقي ، عن احمد بن احمد بن عبد الله ، عن الحسن بن علي بن الخطاب الوراق، عن محمد ابن عثمان ، عن ابي شيبة ، عن ابراهيم بن عياش الكاتب ، عن الاصمعي ، عن ابيه ، قال : مر المهلب بن ابي صفرة على مالك بن دينار وهو يتبختر في مشيته، فقال له مالك : أما علمت ان هذه المشية تكره الأبين الصفين؟ فقال له المهلب : اما تعرفني ؟ فقال مالك : اعرفك احسن المعرفة ، قال : وما تعرف مني ؟ قال : اما اولك نطفة مذرة، وآخرك جيفة قذرة ، وأنت فيما بينهما تحمل العذرة . قال : فقال المهلب : الآن عرفتني حق المعرفة .

حدثنا يوسف بن عبد الكريم بن الحسن بالموصل ، قال : قدمت بغداد واجتمعت ببعض خواص امير المؤمنين المقتفي لأمر الله ، قد مرض مرضاً شديداً ، فنوى إن أقاله الله أن يفعل خيراً ، ثم استقيل من ألمه وشفاه الله ، فشغله تدبير الأمور عن الوفاء بما نواه ، ثم مرض المرض الذي مات فيه ، فتذكر ما نذر من الخير في مرضه الأول ، وما فرط في ذلك . فبكى ، وأنشد :

نرضي الإله إذا خفنا ونغضبه … إذا أمنا فما يزكو لنا عملُ
إذا مرضنا نوينا كل صالحة … وإن شفينا فمنا الزيغ والزلل

وأنشد ايضاً :

إن الطبيب بطبه ودوائه	لا يستطيع دفاع امرٍ قد اتى
مــا للطبيب يموت بالداء الذي	قد كان يبري منه فيما قد مضى
مات المداوي والمداوى والذي	جلب الدواء وباعه ومن اشترى

ثم قال : أحملوني الى قبري ، فحمل فأطلع فيه وقــد حفر ، فقال : أوسعوا عند الصدر، ثم قال : يا من لا يزال ملكه ارحم من قد زال ملكه، واسوأتاه من رسول الله ﷺ . ثم مات .

روينا من حديث الحميدي ، عن ابي محمد بن احمـد ، عن الكتاني ، عن احمد بن خليل ، عن خالد بن سعد ، عن عمر بن حفص بن غالب ، عــن محمد بن عبد الله بن عبد الحكم ، عن الشافعي رضي الله عنه ، عـن محمد بن علي ، قال اني لحاضر مجلس امير المؤمنين المنصور وفيه ابن ابي ذئب ، وكان والي المدينة الحسن بن زيد ، فأتاه الغفاريون فشكوا الى ابي جعفر شيئاً من امر الحسن بن زيـد ، فقال الحسن : سل عنهم ابن اخي ذئب ؟ فقال : يا امير المؤمنين أشهد انهم اهـل تحـصم في اعراض المسلمين ، كثيروا الأذى . قال ابو جعفر : قد سمعتهم ، فقال الغفاريون : يا امير المؤمنين . فسله عــن الحسن بن زيد ؟ فقال : يا ابن ابي ذئب ما تقول في الحسن بن زيد ؟ قال : أشهد انه يحكم بغير الحق ، قال : سمعت يا حسن مــا قال ؟ فقال : يا امير المؤمنين سله عن نفسك؟ فقال: ما تقول فيّ ؟ قال : او يعفيني امير المؤمنين؟ فقال : والله لتخبرني ، فقال كلمة ، فوضع المنصور في قفــا ابن ابي ذئب ، وجعل يقول : اما والله لولا أنا لآخذت ابناء فارس والروم والديـلم والترك بهذا المكان منك . فقال ابن ابي ذئب : قــد ولّى ابو بكر ، وعمر ، فأخذا

بالحق ، وقسمها بالسوية ، وأخـذ بأقفاء فارس ، والروم ، فخلاه ابو جعفر ، وقال : لولا إني أعـلم انك صادق لقتلتك . فقال ابن ابي ذئب للمنصور : يا أمير المؤمنين أنا أنصح لك من ابنك المهدي .

روينا من حديث محمد بن القاسم بن خلّاد ، قال ابن ابي ذئب للمنصور: يا أمير المؤمنين قد هلك الناس ، فلو أعنتهم مما في يديك من ألفيء . قال : ويلك لو ما سددت من الثغور ، وبعثت من الجيوش لكنت تؤتى في منزلك وتذبح . فقال ابن ابي ذئب : فقد سدّ الثغور ، وجيش الجيوش ، وفتـــح الفتوح ، وأعطى الناس عطياتهم من هو خير منك . قال : ومن هو ويلك؟ قـال : عمر بن الخطاب رضي الله عنه . فسكت المنصور ، ونكس رأسه ، ولم يعرض له ، والتفت الى محمد بن ابراهيم الإمام . فقال : هذا الشيخ خير اهل الحجاز .

حدثنا ابن منصور ، عن احمـد بن علي ، عن الجوهري ، عن محمد بن عمران ، عن احمد بن محمد بن عيسى المكي ، عن ابن خلّاد ، وذكره .

وروينا من حديث ابن هشام : انه لمـــا طال البلاء على أهل اليمن من الحبش ، وملك ارباط ، وأبرهة ، ومكسوم بن أبرهـة ، ووليها مرؤق بن أبرهة اخو مكسوم ، خرج سيف بن ذي يزن الحميري وكان يكنى بأبره ، حتى قدم على قيصر ملك الروم ، فشكى اليه ما هم فيه ، وسأله أن يخرجهم عنه ، ويليهم هو ، ويبعث اليهم ما شاء الى الروم ، فيكون له ملك اليمن ، فلم يشكه . فخرج حتى أتى النعمان بن المنذر وهو عامل كسرى على الحيرة وما يليها من ارض العراق ، فشكى اليه أمر الحبشة ، فقال له النعمان : أن لي على كسرى وفادة في كل عام ، فأقم عندي حتى يكون ذلـك ، ففعل ،

ثم أدخله على كسرى ، وكان كسرى يجلس على ايوان مجلسه الذي فيه تاجه مثل القلقل العظيم فيما يزعمون ، والقلقل : المكيال يضرب فيه الياقوت ، والزبرجد ، واللؤلؤ ، بالذهب ، والفضة ، معلقاً بسلسلة من ذهب في رأس طاقة في مجلسه ، فكانت عنقه لا تحمل تاجه ، إنما يستر بالثياب حين يجلس في مجلسه ذلك ، ثم يدخل رأسه في تاجه ، فإذا استوى في مجلسه كشف عنه الثياب ، فلم يره رجل لم يره قبل ذلك إلا برك هيبة له . فلما دخل سيف بن ذي يزن برك .

وفي حديث ابي عبيدة أن سيفاً لما دخل عليه طأطأ رأسه ، فقال الملك : إن هذا أحمق يدخل عليّ من هذا البيت الطويل يطأطىء رأسه، فقيل : هذا السيف ، فقال : إنما فعلت هـــذا لهمي لأنه يضيق عنه كل شيء . قال ابن هشام : قال ابن اسحاق : ثم قال : أيها الملك غلبنا على بلادنا الاغربة . قال كسرى : أي الاغربة ؟ الحبشة أم السند ؟ قـــال : بل الحبشة ، فجئتك لتنصرني ، ويكون مُلك بلادي لك . قـال : بعدت بلادك مع قلة خيرها ، فلم أكن لأربط جيشاً من فارس بأرض العرب، لا حاجة لي بذلك. ثم أجازه بعشرة آلاف درهم ، وكساه كسوة حسنة ، فلما قبض ذلـك سيف خرج فجعل ينشر تلك الرقعة للناس ، فبلغ ذلك الملك ، فقال : إن هذا لشأناً ، ثم بعث اليه ، فقال : عمدت الى حباء الملك تنشره للناس، فقال : وما أصنع بهذا ؟ ما جبال ارضي التي جئت منها إلا ذهب، وفضة، يرغب فيها . فجمع كسرى مرازبته ، فقال : ماذا ترون في أمر هذا الرجل ؟ وما حاله ؟ فقال قائل : أيها الملك إن في سجنك رجالاً قد حبستهم للقتل ، فلو أنك بعثتهم معه، فإن يهلكوا كان ذلك الذي أردت بهم، وان ظفروا كان ملكاً ازددته. فبعث معه كسرى من كان في سجونه ، وكانوا ثمانمائة رجل ، استعمل عليهم

وهزر ، وكان ذا سن فيهم ، وأفضلهم حباً وبيتاً ، فخرج في ثمان سفاين ، فغرقت سفينتان ، ووصل الى ساحل عدن ست سفاين ، فجمع سيف الى وهزر من استطاع من قومه ، وقال له : رجلي مع رجلك حتى نموت جميعاً ، او نظفر جميعاً ، قال وهزر : أنصفت . وخرج اليه مرؤق بن أبرهة ملك اليمن، وجمع اليه جنده، فأرسل اليه وهزر ابناً له ليقاتلهم فيختبر مقاتلتهم ، فقتل ابن وهزر ، فزاده ذلك حنقاً ، فلما توافق الناس على مصافهم ، قال وهزر : أروني مَلكهم ، قالوا له : ترى رجلاً على الفيل ، عاقداً تاجاً على رأسه ، بين عينيه ياقوتة حمراء . قال : نعم ، قالوا : ذاك ملكهم . فقال : اتركوه ، فمكث طويلاً ، ثم قال : علام هو ؟ قالوا : قد تحوّل عن الفرس، قال : اتركوه ، فوقف طويلاً ، فقال : علام هو ؟ قالوا : على بغلة ، قال وهزر : بنت الحمار ذلّ ، وذلّ ملكه ، إني سأرميه ، فإن رأيتم أصحابه لم يتحركوا فاثبتوا حتى أوذنكم ، فإني قد أخطأته ، وإن رأيتم القوم استداروا ولاثوا به ، فقد أصبت الرجل ، فاحملوا عليهم . ثم وتر قوسه وكانت فيما يزعمون لا يوترها غيره لشدّتها ، وأمر بحاجبيه فعصبها له ، ثم رماه فصك الياقوتة التي بين عينيه ، فتغلغلت النشابة في رأسه حتى خرجت من قفاه ، ونكص عن دابّته ، فاستدارت الحبشة ، ولاثت به ، وحملت عليهم الفرس، وانهزموا وقتلوا وهربوا في كل وجه ، فأقبل وهزر ليدخل صنعاء حتى أتى بابها ، قال: لا تدخل رايتي منكسة ابداً ، اهدموا الباب، فهُدم ، ثم دخلها ناصباً رايته . فقال سيف بن ذي يزن في ذلك :

يظنّ الناسُ بالملكـ ... ـين أنهما قد التأما
ومن يسمع تلاقيهما ... فإن الخطب قد نقما
قتلنا الفيل مرؤقاً ... وروّينا الكثيب دما

وان الفيل قبل النا　　　س وهزر مقسم قسما
برق مشمشماً حق　　　نفى السبي والنعما

فقد ذكرنا قصيدة أمية بن ابي الصّليت في سيف بن ذي يزن في وفد عبد المطلب ، وقريش ، عليه من حديث احمد بن عبد الله ، وهي القصيدة التي يقول فيها :

تلك المكارم لا قعبان من لبنٍ　　　شيبا بماءٍ فعادا بعدُ أبوالا

وهذا البيت في قصيدته وإنما هو للنابغة الجعدي ، كذا قال ابن اسحاق:
قال عديّ بن زيد الحيري عابد من عبّاد اهل الحيرة :

ما بعد صنعان كان يعمرها　　　ولاة ملكٍ جزل مناصبها
رفعها من بني لدى قزع الم　　　زن وتندى مسكاً محاربها
محفوفة بالجبال دون عرى الكا　　　ئل ما ترقّى غواربها
يأنس فيها صوت اللهام اذا　　　جاوبها بالقسي قاصبها
ساقت اليها الأسباب جند بني الإحراز فرسانها مراكبها
وقورب بالبغال توسق بالحـ　　　ـتف ويسعى بها توالبها
حتى رآها الاقوال من طرف الـ　　　ـمقبل مخضرّة كتائبها
يوم ينادون البرير واليـ　　　ـكسوم لا يفلحنْ هاربها
فكان يوم باقي الحديث وزا　　　لت أمة ثابتة مراتبها
وبدّل الفتح بالزرافة والأ　　　يام حون جم عجائبها
بعد بني تبّع محاورة　　　قد اطمأنت به مرازبها

الغارب : السّنام فاستعاره ، فأراد بقوله : غواربها ، أعاليها . واللهام : طائر . والقاصب : الزامر . والتوالب : واحدها تولب وهو ولد الثعلب .

وأمه هنا : يريد بها لغة . والفتح : الواحد . والزرافة : الجماعة . محاورة : يعني سادات . والمرازب : العظما .

قال ابن هشام : فأقـــام وهزر فولى ابنه المرزبان ، فأمر كسرى ابنه السجّان ، ثم عزله وأمّر باذان . وقد ذكرنا خبر باذان في هـــذا الكتاب واسلامه .

روينا من حديث ابن مروان ، عن ابراهيم بن اسحاق الحرميّ ، عن هارون بن عبد الله ، عن بشار بن جعفر ، عن عنبسة الخوّاص ، عن قتادة ، قال موسى عليه السلام : يا ربّ أنت في السماء، ونحن في الارض ، فما علامة غضبك من رضاك؟ قال : اذا استعملت عليكم خياركم ، فذلك علامة رضاي. واذا استعملت عليكم شراركم ، فهو علامة سخطي . وأنشدنا من حديث ابن ابي الدنيا ، قال : أنشدني ابو عبد الله البصير ، لمعبد بن طوق العنبري :

تلقى الفتى حـــذر المنية هارباً ... منها وقـــد حفّت به لا يشعرُ
نصبت حبائلها له من حوله ... فإذا أتاه يومه لا ينظر
ان امرءاً أمسى أبوه وأمه ... تحت التراب ليومه يتفكر
تعطى صحيفتك التي أمليتها ... فترى النهى فيها اذا ما تنشر
حسناتها محسوبة قد أحصيت ... والسيئات فأي ذلك أكثر

وروينا من حديث الدينوري ، من حديث أبي أسامة ، عن اسحاق بن اسماعيل ، عن ابي معاوية ، عن سليمان بن ابراهيم ، عن قيس بن مسلم ، عن طارق بن شهاب ، قال : لمـــا قدم عمر بن الخطاب رضي الله عنه الشام لقيه الجنود ، وعليه ازار ، وخفـّان ، وعمامة ، وهو آخــذ برأس نجيبته يخوض الماء ، وقد خلع خفيه وجعلها تحت ابطيه ، قالوا له : يا أمير المؤمنين الآن

تلقاك الجنود وبطارقة الشام ، وأنت على هذه الحالة . قال : إنا قومٌ أعزّنا الله بالاسلام ، فلن نلتمس العزّ بغيره .

وحدّثنا عبيد الله بن عمر ، ان عمر بن الخطاب رضي الله عنه حمل قربة على عنقه ، فقال له اصحابه : يا امير المؤمنين ما حملك على هذا ؟ قال : ان نفسي أعجبتني فأردت أن أذلها . رويناه من حديث المالكي ، عن احمد بن يوسف ، عن عبيد الله بن محمد بن حفص ، عن حماد بن سلمة بن عبيد الله ابن عمر .

حدّثنا محمد بن اللباب ، ثنا ابن خميس ، نبأ الحميدي ، حدّثنا ابو بكر الاردستاني ، انا السلمي ، سمعت عبد الله بن عليّ الطوسي ، سمعت احمد بن محمد الردعي الشبلي ، وسئل عن قوله عزّ وجلّ : « ولله على الناس حجّ البيت » فوصف صفة لم يضبطها اهل المجلس . ثم أنشأ يقول :

لست من جملة المحبين إن لم أدع القلب بيته والمقاما
وطوافي اجالة السرّ فيه وهو ركني اذا أردت استلاما

قلت : فهذان البيتان من جنس ما لم يضبطه اهل المجلس ، لأن وارد الوقت واحد العين . فاعلم ذلك .

وقال محمد بن الفضل : العجب ممن يقطع الأودية ، والقفار ، والمفاوز ، حتى يصل الى بيته وحرمه ، ويرى فيه اثر أنبيائه ؛ كيف لا يقطع نفسه وهواه حتى يصل الى قلبه ، فإن فيه آثار ربه .

روينا من حديث السلمي اسحاق بن بشر ، مرفوعاً الى النبي ﷺ ان حملة العرش اربعة أملاك : ملك على صورة انسان يسأل الرزق لولد آدم ، وملك

على صورة سبع يسأل الرزق للسباع، وملك على صورة النسر يسأل الرزق للطير، وملك على صورة الثور يسأل الرزق للأنعام . قال ابن عباس: فالملك الذي على صورة الثور، لم يزل غاضاً بصره منذ عبدت بنو اسرائيل العجل، لأنهم عبدوا شيئاً يشبهه، وإن الله لما خلق هؤلاء الملائكة قال لهم: احملوا العرش فلم يطيقوا، فقال لهم : قولوا لا حول ولا قوة إلا بالله ، فلما قالوها استقلوا بالعرش على كواهلهم ، ونزلت اقدامهم على متن الثرى ، وقــدر البروج في العرش اثنا عشر مقداراً ، وقــدر المنازل في الكرسي ، وخلق الأيام بخلق الكرسي ، فأداره ، فكانت الأيام بدورانه كأنها يوم واحد ، لا يتميز فيـــه من الايام السبعة . ثم خلق السبع سموات وأدارها ، وخلق في كل فلـــكٍ كوكباً ، فجعل في الأعلى : كيوان ، وفي الثـاني : بهرام ، وفي الثالث الاحمر ، وفي الرابع : الشمس ، وفي الخامس : الزهرة ، وفي السادس : الكاتب ، وفي السابع : القمر . ثم خلق النار مما يلي السماء الدنيا ، وجعل منها شبه الرصد على مسالك الشياطين ذوات الأذناب ، ثم خلق الهواء ، وثم الماء ، ثم الارض وخلق الليل والنهار ، عند حركة الفلك الذي فيه الشمس. ثم خلق المعادن، والنبات ، والحيوان ، وآخر خلق خلقة الانسان . هكذا ركب الله العالم ، فذلك تقدير العزيز العليم . ثم في هذه الافلاك ، وبينها، من العوالم، والاملاك والارواح ، والمنارل ، والمقامات، ما لا يعلمه إلا الله . وخلق سدرة المنتهى اصلها في السماء السادسة عند الانهـار الاربعة ، والنيل ، والفرات ، منها ، وفروعها بين السماء السابعة ، والكرسي ، وجعلها موضع الانتهاء لما ينزل من العرش من الأمر ، ولمـــا يصعد من الارض من الاعمال ، والمعارج . وجعل هنـاك مرموماً ، وهو مسكن الملائكة دون الروح الأعظم . وإن الله خلق سبعين حجاباً ، ومن وراء الحجب ، إسرافيل ، ومن وراء إسرافيل ، سبع حجب بينه ، وبـــين العرش . وخلق الله ميكائيل ، وجعل بيده الدعاء ،

والرحمة ، والاستغفار ، والارزاق ، والغياث . وخلق جبريل ، وجعل له الوحي الى الانبياء والمرسلين ، والخسف ، والارجاف، وهلاك الامم الطاغية على رب العالمين . وخلق عزرائيل ملك الموت وقبض الارواح . وجعل إسرافيل سفيراً بينه سبحانه ، وبين هؤلاء الملائكة ، بما يوحى اليهم من القضاء الذي قدره وسبق في علمه كونه . وجعل اللوح المحفوظ معلقاً بالعرش فإذا قضى الله قضاءً دنا اللوح فيقرع جبهة إسرافيل ، فيسمع للوح صلصلة كالسلسلة على الصفوان ، فيكشف إسرافيل الغطاء الذي على وجهه ، ويرفع بصره ، فإذا فيه قضاء الله عز وجل الذي قضاه ، فينادي بذلك القضاء إسرافيل الملك الذي يجريه الحق على يديه ، وبين إسرافيل عليه السلام ، وبين اقرب الملائكة اليه ، سبعون حجاباً . وخلق سبحانه الناقور ، وهو الصور ، وهو قرن من نور واسع الأعلى ، ضيق الاسفل ، وجعل فيه مسكن أرواح ، الخلائق بعد ، ووكل به ملكاً عظيماً ألقمه إياه ، ينتظر متى يؤمر بالنفخ ؟ وجعل لإسرافيل فيه نفخة البعث ، فإن النفخات في الصور وهو جمع صورة نفخة الارواح في اجسادها انشاء ، وهو قوله : « ونفخت فيه من روحي » ونفخة الفزع ، وهو المذكور في سورة النمل ، ونفخة الصعق ، ونفخة القيمة ، وهما المذكورتان في الروم ، فنفخة القيمة لإسرائيل .

عن ابن عباس : وبين إسرافيل سبعون إسرافيل في أعلاها ، وجبريل في أدناها ، والصور القائم بينهما قد ثنى ركبته اليمنى ، وشخص بها الى السماء ، والاخرى الى الارض ، والصور أجوف كأنه فضة بيضاء ، وقد وضعه الملك على فخذه ، وقرب أعلاه الى فيه ، وهو ينظر بإحدى عينيه الى الصور ، وبالاخرى الى جناح إسرافيل ، وقد جعل الله له علماً ، فإذا أراد الله امراً بقضاء الأجل الذي للعالم أمر إسرافيل أن يضم اليه جناحه ، وذلك بأن

يدنو اللوح من جهة إسرافيل فيرفعه ، فـإذا فيه : أن ضم اليك جناحك ، فيضم إسرافيل اليه جناحه بإذن ربه ، فإذا رأى ذلك الملك نفخ في الصور، فتمر النفخة في جميع صور العالم الحي في العرش ، والكرسي ، والسموات ، والارض ، من ملـك ، وإنس وجن ، وحيوان بري ، وبحري ، فيصعقون عن آخرهم إلا من شاء الله مثل إسرافيل ، وجبريل ، وميكائيل .

واختلف في سكان الجنة والنار ، وروح موسى عليه السلام ، فقد قيل : لا تلحقهم الصعقة ، ثم يقبض روح ميكائيل اولاً ، ثم روح إسرافيل ، ثم جبرائيل بعدهما . وقد روي انه احب خلق الله الى الله من الملائكة .

وروينا ايضاً لا يقبض حتى يعتذر له سبحانه ، بأن ذلك لمـــا سبق في علمه ، ثم يدنو ملك الموت من ربه عن أمره ، فيقول له : مت فيموت .

قال ابن عباس : فـــلا يبقى احد إلا الله سبحانه وتعالى ، فيقول : أنا مالك الملك . أنا الذي قضيت على خلقي بالفناء . وأنا الباقي ابن الجبارون ؟ ابن المتكبرون؟ لمن الملك اليوم؟ فلا يجيبه احد، فيقول : « لله رب العالمين » فيدعهم اربعين ، لا يدري يوماً او شهراً او سنة . ما بلغنا فيه عن احد مما رويناه عنه شيء يعتمد عليه غير إن الحسن قال : اتفق رأي اصحاب النبي ﷺ على أربعين عاماً ، فـإذا انقضت المدة ، وشاء سبحانه أن يبعث الخلق أرسل عليهم الريح العقيم ، ليجمعهم ، ثم يرسل عليهم مطراً بلا سحاب مثل مني الرجال .

وروي انه البحر المسجور، وقيل نهر الحياة الذي بين العرش والكرسي، فيمطرون أربعين صباحاً ، فينبتون نبات الطراثيث . وقـد قيل على صورة النشاة الاولى من التناسل اولاً فأولاً على التوالد ، ولكن في اقرب من لمـح

البصر . ثم يبعث الله إسرافيل عليه السلام ، فيهبط الى صخرة بيت المقدس، والصور معه، وفي الصور خمس دارات عظام في دارة ، منها أرواح الملائكة ، والانبياء والمرسلين . وفي دارة ، منها أرواح المؤمنين . وفي دارة ، منهـا أرواح الكفار ، والمنافقين . وفي دارة ، منها أرواح الجـن ، والشياطين . وفي دارة ، منها أرواح البهائم ، وسائر الحيوان . فينفخ فيـه ، فتجري الأرواح في أجسادها ، فيقوم الخلق لرب العالمـين . ثم يبدل الله الارض ، والسموات ، ويكون الخلق عند ذلـك في ظلمة دون الجسر ، ثم تمد الارض الساهرة مد الأديم ، وهي أرض ما ينام عليها قط ، في لون الفضة البيضاء . ثم يأمر لكل سماء أن ينزل بمن فيها من عمّارها الى هذه الارض ، فإذا نزلوا وجمعت هذه الارض هذا الحشر كله، ينزل الله عز وجل لفصل القضاء فيؤتى بالجنة ، فتقاد قوداً ، معها الأمن ، والايمـان ، والرضى ، والرضوان ، حتى توقف عن يمـين العرش . ثم يؤتى بالنار ، وتقاد قوداً ، ومعها السلاسل ، والإغلال ، وزبانيها كالصياصي ، وأصابع كالقرون ، معهم المقامع الثقال ، فتوقف عن يسار العرش . ثم يؤتى بالقلم يليه اللوح ، يتلوه إسرافيل ، يتلوه جبريل ، يتلوه النبيون ، والمرسلون ، فيسألهم عن التبليـغ ، هـل بلغك ؟ هـل بلغك ؟ فيقر لكل واحد بالتبليـغ . والحق سبحانه وتعالى يتولى كلام الخلق في الموقف كله إلا في ثلاثة مواطن عند نشر الكتب ، وعند الميزان ، وعند الصراط ، فإن الله تعالى وكل بهذه المواطن ملائكة، هم الذين يباشرون الخلق ، وما ينادي الناس إلا بأمهاتهم ، رعـاية لعيسى عليه السلام ، وستراً على زناة الخلق . ثم يقسم الأنوار سبحانه وتعـالى على المؤمنين ، والمنافقين ، ثم يتجلى فيقول : أنا ربكم ، فيقولون : نعوذ بالله منك، لست بربنا، فيقول: هل بينكم وبـين ربكم علامة ؟ فيقولون : نعم فيتحول لهم سبحانه وتعالى في العلامة التي يعرفونها ، فإذا أبصروها عرفوها، فقالوا : انت ربنا. فيتبعونه،

ويضرب الصراط ، ويدعون الى السجود ، فـــلا يستطيع المنافقون السجود ويسجد المؤمنون. فهنالك سلب الله عنهم الانوار التي كساهم إياها مع المؤمنين فإذا رأوا ذلك المؤمنون ، يقولون عندها : « ربنا اتمم لنا نورنا، واغفر لنا، إنك على كل شيء قدير .

ومواطن القيمة أعظم من أن توصف . وقد أوردنا في هذا الكتاب مــا روينا من حديث مواقف القيمة الخمسين من رواية الثقات مستوفى .

الانهار التي تجري من السماء عددها ثمانية :

وأسماؤها النيل ، والفرات ، ودجلة ، ومهران ، وسيحون ، وجيحون، والسلسبيل ، والكوثر . فستة منها في الدنيا ، وإثنان في الجنة ، وهمـــا السلسبيل والكوثر .

روينا من حديث مسلم أربعة أنهــار : اثنان للجنة ، وإثنان في الدنيا ، وذكر النيل والفرات .

ومنهم من قال : أراها في السماء السادسة. ومن قال : أراها في السدرة.

وروينا من حديث غيره عنه : سيحان ، وجيحان .

وروينا موقوفاً عن ابن عباس ، من حديث إسحاق بن بشر ، حديث دجلة ، ومهران ، قاسم السلسبيل ، والكوثر . غير ان دجلة يغلب على ظني اني رويت فيه خبراً ، عن النبي ﷺ لا أذكره الآن أما نهر مهران ، فيظهر مــا بين أرض الروم من وراء أرض البصرة ، حتى يقع بأرض السند . وأما جيحون فيظهر بأرض الروم على جبل من وراء أرض ارمينية ، وهو نهـــر

بلخ ، واصل النيل من تحت الصخرة ، وظهوره من جبل القمر ، وهو نهـر مصر . وأمـا دجلة ، والفرات ، فقريب من رأسه ، وهو بأرض الروم . وسيحون ، فظاهر بالارض . ومرجع هـذه الأنهار كلها الى الجنة ، الى عين التسنيم ، يرفعها جبريل اليه في طست من الذهب يوم القيمة .

وأما الرياح الاربعة : فهي الجنوب، وتسمى عند الله: الازيب، والشمال، والجنوب ، تخرج من الجنة فتمرّ على النار . وأما الشمال فتخرج من النار ، فتمر بالجنة ، فبردها منها .

وأما الزمهرير والحرور ، فمن تنفّس جهنم ، والصبا ، والدبور، ومبعث هـــذه الرياح كلها ، من تحت العرش ، ومستقرها تحت الارض وهي التي تسمى : العرقر .

روينا من حديث الهاشمي ، يبلّغ به النبي ﷺ انه قال : أيها الناس، لا تشغلنكم دنياكم عن أخراكم ، ولا تؤثروا هواكم عن طاعة ربكم ، ولا تجعلوا إيمانكم ذريعة الى معاصيكم ، وحاسبوا أنفسكم قبل ان تحاسبوا ، ومهّدوا لها قبل ان تعذبوا ، وتزوّدوا الرحيل قبل ان تعجزوا ، فإنما هو موقف عدل ، واقتضاء حق ، وسؤال عن واجب . ولقـــد أبلغ الاعذار ، من تقدم في الانذار .

ومن وقائع بعض الفقراء الى الله تعالى ، ما حدّثنا عبـد الله بن الاستاذ المروزي، قال : قال بعض الصالحين: رأيت في الواقعة أبا مدين، وأبا حامد، وأبا يزيد ، وجماعة من الرجال ، فقالوا لأبي مدين : عد علينا من كلامك في التوحيد ، فقال : التوحيد وطن العارفين، وبه تاهوا ، وليس لهم مستقر إلا هو ، هو حياة أسرارهم ، ومادة القلوب ، وكل كليتهم ، وغيب الغيوب ،

هو السيد المتبوع ، وما عدا تبع ، والقائم بنفسه ، وقوام من صنع ، هو مجرى لأسرارهم ، وأسرارهم جداوله ، وموضع نظر العارف فيما يأتيه ، ويحاوله ، علت همته فسما ، فمن سقط عن هذه المرتبة ، فهو مغمى عليه وأعمى ، وللعارف من معروفه دلائل ، وروائح ، يظهر طيب نسيمها الغادي ، والرائح ، يشم فيها أنوار التنزيه ، ويكشف له عن غيبه فيجده فيه ، فتلاشت أحواله ، وسماته ، ونفيت رسومه ، وصفاته ، فلا قول ، ولا قائل ، إذ كل ما سواه عدم ، وزائل ، هو اصل كل شيء ، ومادّته ، وبه حياة كل حي ، وحركته ، هو الرفيق الجليل ، وقدرته عمّت الكثير ، والقليل ، فلذّة العارف من معروفه في التحلي ، وصفاته ظاهرة بالتبرّي ، والتخلي ، يقرى عن الكونين أدناها ، وأعلاها ، ولم يرضَ بشيء منها دون من سواها ، فسرّه من الغيب مطهّر ، والمعلوم مكاشف ، ومظهر ، قلبه في حضرة مالكه يسري ، وفكرته في ميادين المعارف تجري ، فتوحاته منه اليه دائمة ، وحقيقته عما سواه صائمة ، غذاؤه من التوحيد الدقيق ، وشرابه من الصافي الرقيق ، قد خامر سرّه فأمعن فيه ، فظلّ عند ربه يطعمه ويسقيه .

سمعت بعض اصحابنا يقول : قال بعض الصالحين : كتبت الى رجل من اخواني وأنا أقول له : يا اخي ، ربما دعوت لك في وقت الاجابة ، فعرّفني برادك . قال : فكتب اليّ : يا اخي ، شهوتي ، ومرادي في قلب منوّر ، ووجه مصفر ، وثوب مشمّر ، وقوت مُقترّ .

ومن باب السماع ، ما ذكره ابن الرميلة في ايضاح مصون الصوفية ، قال: كان بعض الفقراء يمشي في الأسواق ، فسمع بعض الباعة يصيح : الجلبان ، فغشي عليه ، فاجتمع عليه الناس ، فلما أفاق ، قال : حبيبي ، كيف قلت :

جلّ بذاته ، فما يحسّ ولا يرى ، وبان عن مخلوقاته ، فـــلا يشبهه شيء من الورى ؟

وسمع رجل آخر ، وهو بائع موز ، وهو ينادي : انفتل ، واستوى ، فغشي عليه ، فلمــا أفاق ، قال : حبيبي ، كيف قلت : انفتل ولي الله عن معصية الله ، واستوى على طاعة الله ؟ قلت : وماشيت عبد الله بن الاستاذ، وكان من السادة عند باب الفتح من باب اشبيلية ، فسمع بائع خسّ من العامة، وهو ينادي عليه : الخاص رطب ابيض ، فتأوّه ، وأخذته حالة من ذلك ، وكان قوياً ، فقال لي : يا اخي ، أما تسمع ما يقول هذا البائع ؟ الخاص من عباد الله ، لسانه رطب من ذكر الله ، وقلبه ابيض من نور الله .

وماشيت بعضهم ايضاً بقرطبة عند باب بياضة حيث دار السلطان ، فإذا جماعة من الاجناد خرجوا من دار السلطان ، يقول بعضهم لبعض : جاءت الرسل من قلعة رباح ، فاهتزّ الفقير ، وقـــال : يا اخي ، أما تسمع لهؤلاء الاجناد ، ما يقولون ؟ قلت : وما قالوا؟ قال: جاءت الرسل عليهم السلام، يقولون : من قلع عن معصيته ، ربح ما عند الله .

حدّثنا محمد بن قاسم ، قال : كان الى جانبي شاب مسرف على نفسه ، فلزم بيته ، وأظهر توبته ، وكان ممن لا يطمع في خلاصة ، فقمت له ، مهنئاً له بسلامته ، فرأيته في حالة حسدته عليها : دمع يستبق ، وفؤاد يحترق ، وقد تجرّد من قدرته ، وتعرّى من زلته ، والتحف برداء فقره ، وذلته ، فسلّمت عليه ، وقلت له : كيف قدمت من سفر زلّتك ؟ وكيف تخلصت من سجن غفلتك ؟ وصرت الى حرم قربتك . فقال لي : يا شيخ ، قمت يوماً على عادتي، عن بعض ما كنت عليه من المخالفة، فدخلت الحمام ، فاغتسلت،

ثم خرجت، فمررت بمسجد ، فقلت : أنا على طهارة لو دخلت ، وصلّيت ، وجعلت امشي مشية المحسن المذكر ، فقام إليّ شيخ عليه سيماء الصالحين ، فقال لي : من كان على ما كنت عليه من سوء المعاملة مع الله ، لم تكن هذه مشيته في بيته ، أما علمت يا بني ، ان الارض تلعنك من تحت قدميك ، قال الشاب : فسقطت من كلامه ، وهيبته ، على وجهي ، وغلب عليّ الحياء من ذكره ، فعقدت التوبة فيما بيني وبين الله تعالى . فهذا يا سيدي كان سبب توبتي .

وأنشدني ابو عبد الله الكتاني لبعضهم :

ذكرتُ اساءتي فازددت حزناً ومثلي من تذكّر ثم ناحا
قطعتُ العمر عصياناً وجهلاً وجانبت المروءة والصلاحا
سيبدي العرض مني يومحشري لأهل الجمع احوالاً قباحا

(تم الجزء الأول بحمد الله وعونه من كتاب المسامرات)
لسيدي محيي الدين بن العربي قدس الله سره
ونفعنا به آمين

فهرس

المجلد الأول

مطبعة النجوى — بيروت — تلفون : ٢٩٣٥١٤

محاضرة الأبرار
ومسايرة الأخيار

١

ابن عربي